

الثمار اليانعة

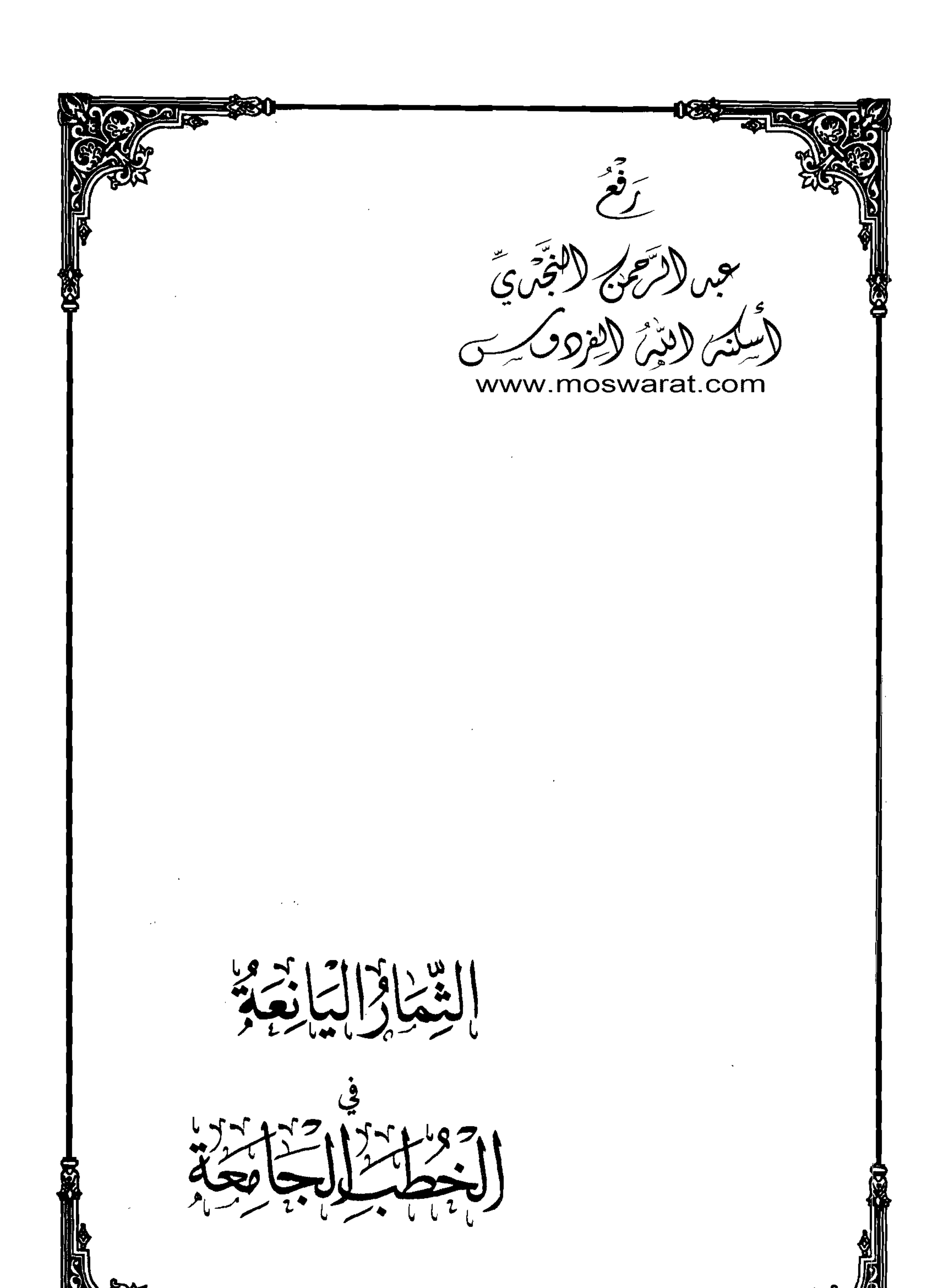
في الخطب الجامعة

تأليف

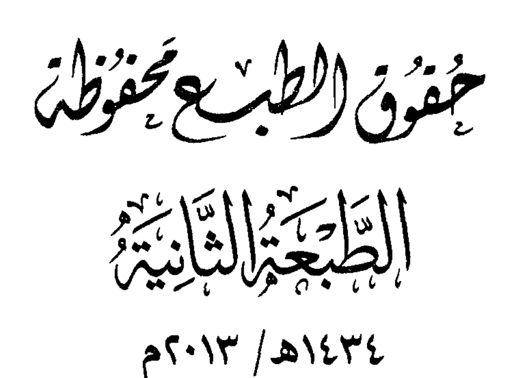
وحيد عبد السلام بالي

دار ابن رجب


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الثمار اليانعة في الخطب الجامعة



اسم الكتاب: الثمار اليانعة في الخطب الجامعة

اسم المؤلف: ابن بالي، وحيد بن عبد السلام

القطع: ١٧×٢٤سم

عدد الصفحات: ٧٦٨ صفحة

سنة الطبع: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ٨٠٥٩/ ٢٠٠٥م

الترقيم الدولي: ٦-٠٦٠-٣٩٠-٩٧٧-٩٧٨

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع دار الفوائد

المركز الرئيسي: فارسكور- تليفاكس: ٠٠٢٠٥٧٣٤٤١٥٥٠ - جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢

فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر- هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥

فرع المنصورة: ٣٣ شارع جمال الدين الأفغاني - هاتف: ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

Web site: www.daribnragb.com

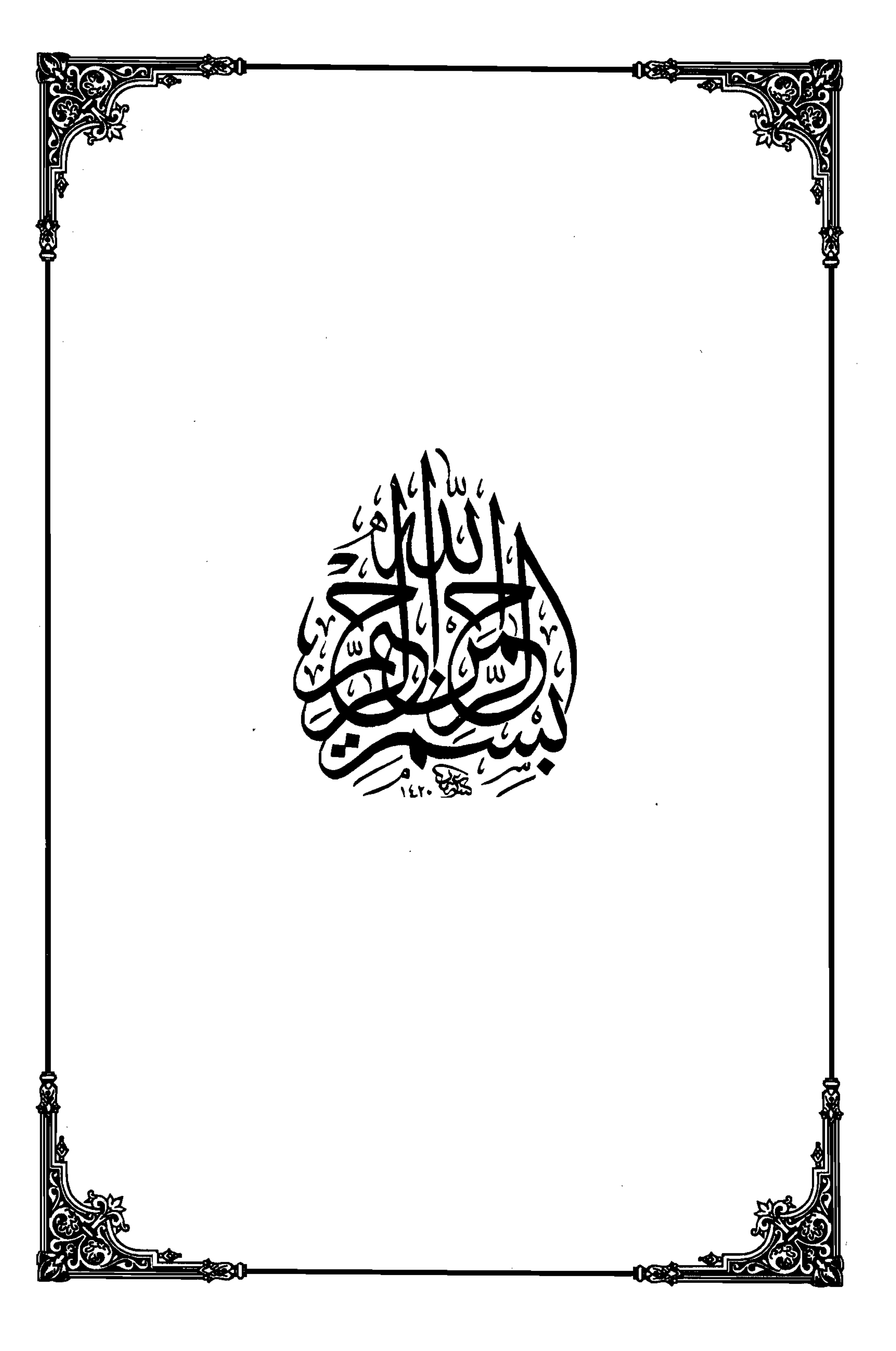
Email: ibnragb@gmail.com

الثِّمَارُ اليَانِعَةُ فِي الخُطَبِ الجَامِعَةِ

تأليف

وحيد بن عبد السلام بن بالي

دار ابن رجب
طبع ونشر وتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ للَّه وحدَه، والصلاةُ والسلامُ علَىٰ منْ لاَ نبيَ بعدَه، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُهُ، وبعد:

فإنَّ الخَطَابةَ نعمةٌ كُبرَىٰ، ومنةٌ عُظمىٰ، أنعمَ اللَّهُ بها علىٰ منْ شاءَ منْ خلقِه.

وكيفَ لاَ تكونُ كذلكَ، وقدْ يهتدِي بهَا منْ ضلَّ عنِ الحقِّ زمانًا، وقدْ يرتدعُ بخطبةٍ منْ سارَ فِي الغَي طويلاً، وقدْ يبرُّ بسببهَا منْ عقَّ، وقدْ يصلُ منْ قطعَ، وقدْ يُنفقُ مَن بَخِلَ، وقدْ يُطيعُ منْ عصَىٰ، وقدْ يَتُوبُ منْ أذنبَ، وقدْ يصلِّي منْ تركَ...

وكلُّ ذلكَ يُكتبُ فِي ميزانِ حسناتِ الخطيبِ إذَا أدَّىٰ الخُطبةَ مُخلصًا، وعنِ الهوَىٰ مُتجردًا، وعلَىٰ العاصينَ مُشفقًا، ولِلطائعينَ مُعضِّدًا ومُثبتًا... فضلاً منَ اللَّه وكرمًا ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

والخَطابةُ منْ أعظمِ وسائلِ الدعوةِ إلىٰ اللَّه، فِبها تَنتشرُ الفضائلُ، وبسببِها تَضمحلُّ الرذائلُ، ومنْ طريقهَا يتعلمُ الجاهلُ، ويستيقظُ الغافلُ.

وقدْ سبقَ أنْ نشرتُ الجزءَ الأولَ منْ هذهِ السلسلةِ بعنوانِ: «**المبتكراتُ في الخطب والمحاضرات**» جمعتُ فِيه عدةَ محاضراتٍ كانتْ قدْ نُشرتْ متفرقةً فِي رسائلَ، وقدمتُ لهَا بمقدمةٍ عنْ ثقافةِ الخطيبِ وعواملِ نجاحِ الخُطبةِ.

واليومَ أقدمُ لإخوانِي الجزءَ الثانِي منَ الخطبِ والمحاضراتِ، وأسميتُه:

«الثمار اليانعة في الخطب الجامعة»

جمعتُ فِيه عدةَ خطبٍ متنوعةٍ رجاءَ أنْ ينتفعَ بهَا خطيبٌ، فأدركَ منْ ورائِه أجرًا، أوْ أن يُفادَ منهَا مسلمٌ فأكسبَ منْ ورائِه ثوابًا.

وقدْ جمعتُ هذِه الخطبَ منْ أوراقِها المكتوبةِ عندِي، ثمَّ هذبتُها ونقحتُها قدرَ الاستطاعةِ، وقدمتُ لهَا بمقدمةٍ عنْ أصولِ الدعوةِ، وأهدافِ الداعيةِ، وأنواعِ الخطبِ، وكيفيةِ إعدادِ كلِّ خطبةٍ.

وأسألُ اللَّه الكريمَ أنْ يوفقَ جميعَ خطباءِ المسلمينَ لمَا فِيه صلاحُ دينِهم ودنياهُم.

كماَ أسألُه سبحانَه أنْ يُسدِّدَ الخطباءَ ويوفِّقهم، وأنْ يهديهُم ويرشدَهم، وأنْ يرزقَهم الصدقَ والإخلاصَ فِي القولِ والعملِ.

كمَا أسألُه سبحانَهُ أن يُعزَّ المسلمينَ بدينِه، وأنْ ينصرهُم علىٰ أعدائِهم، وأنْ يكتبَ لهُم الرفعةَ فِي الدُّنيا، والجنَّة فِي الآخرةِ.

كمَا أسألُه سُبحانَه أنْ يجعلَ كلامنَا حجةً لنَا، ورفعةً لدرجاتِنا؛ وتكفيراً لذنوبِنا، وتقريبًا لنَا منْ ربِّنا... إنَّه الجوادُ الكريمُ، البرُّ الرحيمُ.

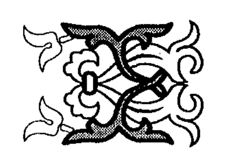
وصلَّىٰ اللَّه وسلَّم وباركَ علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعينَ

وكتبه

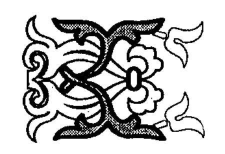
وحيد بن عبد السلام بالي

مصر ـ كفر الشيخ ـ منشأة عبَّاس

في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٥ هـ



أصول الدعوة



ينبغِي للخطيبِ أوِ الداعيةِ أنْ يسيرَ علىٰ أصولٍ ثابتةٍ، ويرمِي إلَىٰ أهدافٍ واضحةٍ.

فالأصولُ الَّتي يسيرُ عليهَا هِي:

١ ـ كتابُ اللَّه تعالَىٰ.

٢ ـ السُّنة المطهرةُ.

٣ ـ إجماعُ الأمةِ.

٤ ـ سيرةُ السلفِ الصالحِ.

والأهدافُ هيَ:

١ ـ التصفيةُ.

٢ ـ والتربيةُ.

٣ ـ وتصحيحُ الواقعِ.

والمقصودُ بالتصفية:

هوَ تصفيةُ عقائدِ الناسِ وعباداتِهم ومعاملاتِهم منْ شوائبِ الشركِ، والخرافاتِ، والمحرماتِ.

والتربيةُ: تربيةُ الجيلِ المسلمِ علىٰ الإسلامِ المصفَّىٰ.

والتصحيحُ: تصحيحُ الواقعِ حسبَ شرعِ اللَّه، معَ تعديلِ العاداتِ والتقاليدِ التي تخالفُ شرعَ اللَّه، حتَّىٰ يسيرَ الناسُ علىٰ شرعِ اللَّه فِي العباداتِ والعاداتِ والسلوكِ والمعاملاتِ، ومن قبلُ فِي الاعتقاداتِ.

١ - ففي العقيدة:

تصفيةُ عقائدِ المسلمينَ منْ شوائبِ الشركِ، كالاستغاثةِ بغيرِ اللَّه، والحلفِ بغيرِ اللَّه، والنذرِ لغيرِ اللَّه، واعتقادِ أنَّ غيرَ اللَّهِ ينفعُ أوْ يضرُّ.

٢ - وفي الحديث:

تصفيةُ أفكارِ الناسِ مِمَّا عَلِقَ بهَا منَ الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ والباطلةِ؛ لأنَّ كثيراً منَ البدعِ فِي الدينِ إنَّما دخلتْ عنْ طريقِ الأحاديثِ الباطلةِ.

ويمكنُ للداعيةِ أنْ يستعينَ فِي ذلكَ ببعضِ المراجعِ مثلَ:

١ - الفوائدُ المجموعةُ فِي الأحاديثِ الباطلةِ والموضوعةِ (للشوكانِي).

٢ - اللآلِئ المصنوعةُ فِي الأحاديثِ الموضوعةِ (للسيوطي).

٣ - سلسلةُ الأحاديثِ الضعيفةِ (للألباني).

٤ - ضعيفُ الجامعِ (للألباني).

٣ - وفي التفسير:

تنقيةُ التفسيرِ منَ الإسرائيلياتِ، والتأويلاتِ الباطلةِ، والحكاياتِ المكذوبةِ فِي أسبابِ النزولِ ونحوِ ذلكَ، ويمكنُكَ أنْ ترجعَ إلىٰ كتابِ «الإسرائيليات في كتب التفسير» لأبِي شُهبة، وتحرصَ علَىٰ اقتناءِ الطبعاتِ المحققةِ منْ كتبِ التفسيرِ.

٤ ـ وفي الفقه:

العملُ علىٰ تنقيةِ عباداتِ الناسِ من البدعِ، ومعاملاتِهم منَ الحرامِ[١]، ويمكنُ أنْ ترجعَ إلَىٰ:

١ ـ السننِ والمبتدعاتِ (للشقيري).

٢ ـ الإبداعِ فِي مضارِّ الابتداعِ (علي محفوظ).

٣ ـ الأخطاءِ الشائعةِ (وحيد بالي).

٤ ـ تحذيرِ الكرامِ منْ مائةِ بابٍ من أبوابِ الحرامِ (إبراهيم بن فتحي).

وهوَ كتابٌ فريدٌ في بابِه، حيثُ ساقَ فقهَ المعاملاتِ بطريقةٍ حواريةٍ بديعةٍ، لم يُسبَق إليهَا فيمَا أعلمُ، فننصحُ بقراءتِه.

٥ ـ وفي الأخلاق:

يتبعُ الداعيةُ منهجَ التخليةِ والتحليةِ، فيعملُ علَىٰ تخليةِ القلوبِ وتنقيتِها ممَّا علِقَ بهَا منَ الأخلاقِ الرذيلةِ، ثمَّ يقومُ بتحليتِها بالأخلاقِ الفاضلةِ.

ويستعينُ في ذلكَ بكتبِ الرقائقِ مثلَ: «نضرة النعيم» لابن حميد، و«صلاح الأمة» للعفاني، وغيرهما.

٦ ـ وفي التاريخ:

يقومُ الخطيبُ بدراسةِ مراحلَ التاريخِ الإسلاميِّ منْ كتبِ التاريخِ المعتمدةِ، ثمَّ يدرسُ المفترياتِ الدخيلةَ علَىٰ التاريخِ الإسلاميِّ من قِبَلِ المستشرقينَ وأعداءِ الدينِ، ويقومُ بدحضِ هذِه الشبهاتِ، وردِّ تلكَ المفترياتِ.

---

(١) ننصح بالاستماع إلىٰ شريط: «تحذير الكرام من ٧٠ بابًا من أبواب الحرام».

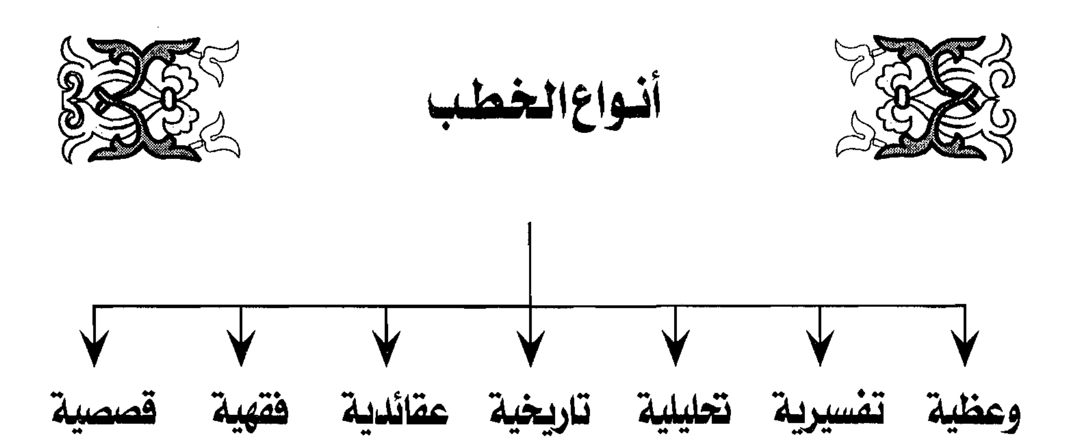
ويستعينُ في ذلكَ بما يلِي :

١ ـ البداية والنهاية (ابن كثير).

٢ ـ التاريخ الإسلامي (محمود شاكر).

٣ ـ العواصم من القواصم (ابن العربي).

٤ ـ أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ (د/ جمال عبد الهادي).



أولاً: الخطبة الوعظية

هيَ التِي تتناول مُوضوعاتِ الوعظِ والإرشادِ، والترغيبِ والترهيبِ، ويُفضلُ في هذا النوعِ من الخطبِ أنْ تُسْتوحَىٰ منَ الواقعِ، فإذَا وجدَ الخطيبُ خلقًا رديئًا ظهرَ في مجتمعِه، سارعَ بإعدادِ خطبةٍ وعظيةٍ في التنفيرِ منْه.

مثلَ: الزنَا - الربَا - التبرج - السرقة - الكذب - عقوق الوالدين - قطيعة الأرحام - الرشوة - الظلم - ترك الصلاة - الغش في البيع والشراء - نقص المكيال - الحسد - الغيبة - ونحو ذلك.

وقدْ تكونُ الخطبةُ حثًّا علَىٰ خلقٍ كريمٍ، مثل:

الصدق - الكرم - الإنفاق - الإحسان إلىٰ الجار - كفالة الأيتام - طلب العلم - المراقبة - المحاسبة - الزهد، ونحو ذلك.

طريقةُ إعدادِ الخطبةِ الوعظيةِ:

١ - تحديدُ الموضوع.

٢ ـ قراءةُ الموضوعِ في أكثر من مرجعٍ، مثلَ: (رياض الصالحين ـ صلاح الأمة ـ مختصر منهاج القاصدين ـ صحيح الترغيب والترهيب ـ نضرة النعيم. . .).

٣ ـ جمعُ الآياتِ القرآنيةِ المتعلقةِ بالموضوعِ.

٤ ـ جمعُ الأحاديثِ الصحيحةِ المتعلقةِ بالموضوعِ.

٥ ـ جمعُ الأشعارِ المتعلقةِ بالموضوع منْ دواوينِ الشعرِ أوْ كتبِ الوعظِ.

٦ ـ ترتيبُ عناصرِ الموضوعِ.

٧ ـ كتابةُ مَا يتعلقُ بكلٍّ عنصرٍ من آياتٍ، أو أحاديثَ، أو أشعارٍ، أو حِكمٍ وأمثالٍ، أو منْ أقوالِ الصالحينَ ونحو ذلكَ.

٨ ـ كتابةُ الخُطبةِ بأسلوبٍ أدبيٍّ.

وننصحُ قبلَ كتابةِ الخطبةِ بقراءةِ ٢٠ صفحةً على الأقلِ في كتابٍ أدبيٍّ مثل: وحي القلم، مقالات المنفلوطي، صور من حياة الصحابة، أدب الدنيا والدين، مقامات عائض القرني. . .

حتى يكونَ الخطيبُ قريبَ العهدِ بالأسلوبِ الأدبيِّ الرقيقِ.

٩ ـ حفظُ الخطبةِ إنْ أمكنَ؛ لأنَّ الخطيبَ الارتجاليَّ يؤثرُ في نفوسِ مستمعِيه عن الخطيبِ الذِي يقرأُ منَ الأوراقِ.

ثانياً: الخطبة التفسيرية

وهيَ التِي تتناولُ آياتٍ من كتابِ اللَّه بالشرحِ والتفسيرِ، والدراسةِ والتوضيحِ، واستنباطِ الفوائدِ والأحكامِ.

طريقة إعداد الخطبة التفسيرية:

١ ـ تحديدُ الآياتِ، ومراجعةُ حفظِها جيداً.

٢ ـ قراءةُ شرحِ الآياتِ في عدةِ تفاسيرَ مثل:

ـ **تفسير ابن كثير**: وتأخذُ منه تفسيرَ الصحابةِ والتابعينَ للمعانِي، معَ الوقوفِ على الأحاديثِ التي تتعلقُ بالآياتِ.

تفسير روح المعاني: وتأخذُ منه المعانِي الإيمانيةَ، والإرشاداتِ الروحانيةَ التي تشتملُ عليهَا الآياتُ، واحذرْ من تأويلِ الصفاتِ.

تفسير الجزائري: وتأخذُ منه خلاصةَ التفاسيرِ، والفوائدَ المستنبطةَ من الآياتِ.

تفسير القرطبي: وتأخذُ منه الأحكامَ الفقهيةَ المستنبطةَ من الآياتِ، وتَحذَرَ التأويلَ أيضًا.

تفسير ابن عطية «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»: وتأخذ منهُ النواحي اللغوية وأقوال النحاة وبعض القراءات الأخرى.

تفسير «نظم الدرر في تناسق الآيات والسور» للبقاعي: وتأخذ منه الإعجاز الترتيبي للآيات ومناسباتها، وهو تفسير بديع.

٣ ـ تكتبُ الأحاديثَ التي تتعلقُ بسببِ النزولِ إن وجدت .

٤ ـ تكتبُ الأحاديثَ التي تتعلقُ بمعاني الآياتِ إن كانتْ ، وتراجعُ درجةَ هذهِ الأحاديثِ في مصادرِها الأساسيةِ في الكتبِ الستةِ ، ومسندِ أحمدَ وتعتمدُ علَىٰ الطبعاتِ المحققةِ والمخرجةِ للأحاديثِ ، ثم تحفظُ الصحيحَ منها وتتركُ الضعيفَ .

٥ ـ تكتبُ معانِي الآياتِ من تفسيرِ الصحابةِ والتابعينَ والعلماءِ لهَا .

٦ ـ وقفاتٌ معَ الآياتِ : تقفُ معَ كلِّ كلمةٍ من كلماتِ الآياتِ وتذكرْ مَا استنبطهُ العلماءُ والمفسرونَ منهَا من فوائدَ وأحكام .

٧ ـ في الخطبةِ الثانيةِ تلخيصُ الفوائدِ المستنبطةِ من الآياتِ ، وربطهَا بالواقعِ العمليِّ للمستمعينَ ، وتستعينُ في ذلكَ بأيسرِ التفاسيرِ للجزائري حفظهُ اللَّه .

ثمَّ تكتب الخطبة ، وتنتقِي ألفاظهَا جيداً ، ثمَّ تحفظُها ، ثمَّ تستعينُ باللَّه وتلقيهَا ، وتبرأ من الحولِ والقوةِ ، وتنكسرُ للَّه ، وتخشعُ للَّه ، وتتواضعُ للَّه ، وتقولُ : يا ربِّ أنَا الجاهلُ فعلمنِي ، أنَا العَييُّ ففصحنِي ، أنَا الضعيفُ فقونِي ، أنَا المذنبُ فاسترنِي ، لا أستطيعُ أن أنطق بكلمةٍ إلا بإعانتِك ، ولاَ أن أفكرَ في فكرةٍ إلا بتوفيقِك ، فأمدنِي بمددٍ من عندِك ، فأنتَ مولاي ، فنعمَ المولَىٰ ونعمَ النصيرُ .

وكلمَا كنتَ أكثرَ انكساراً للَّه ، وتواضعًا لعبادِ اللَّه كنتَ أكثرَ توفيقًا وسداداً ؛ لأنَّ من تواضع للَّه رفعهُ ، ومن ذلَّ للَّه أعزَّه .

ثالثًا: الخطبة التحليلية

وهيَ التِي تتناولُ حديثًا شريفًا بالشرحِ والتحليلِ، والاستنباطِ، ويكونُ إعدادُها كالآتِي:

١ ـ اختيارُ الحديثِ الذِي ستتناولُه، ويشترطُ أن يكونَ صحيحًا وابتعدْ عن الأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ.

٢ ـ قراءةُ شرحِ الحديثِ من مصادرِه الأساسيةِ.

فالحديثُ الذِي رواهُ البخاريُّ فقط ترجعُ إلى شروح البخاريِّ، مثل:

- فتح الباري شرح صحيح البخاري (لابن حجر).
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (للعيني).
- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري (للقسطلاني).
- عون الباري لحل أدلة البخاري (لصديق حسن).

وإذا كان الحديث رواه مسلم فقط ترجع إلى شرحه في:

- شرح صحيح مسلم (للنووي).
- المعلم بفوائد مسلم (للمازري).
- المفهم لما أشكل من صحيح مسلم (للقرطبي).

وإذا كان الحديث رواه أبو داود فقط، ترجع إلى:

- معالم السنن (للخطابي).
- عون المعبود (لشمس الحق آبادي).

- بذل المجهود (شرح سنن أبي داود).

وإذا كان الحديث في «سنن الترمذي» فقط، ترجع إلى:

١ - عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي (ابن العربي).

٢ - تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (المباركفوري).

وإذا كان الحديث في «مسند أحمد» ترجع إلى:

الفتح الرباني بشرح مسند أحمد الشيباني (الساعاتي).

وهناك كتب أخرى في شرح الأحاديث النبوية، مثل:

١ - الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (ابن الملقن)، وهو كتاب متوسع جدًّا في الشرح، وماتع في بابه لكنه اقتصر على الأحاديث المذكورة في عمدة الأحكام للنابلسي فقط.

٢ - جامع الأصول (ابن الأثير)، وهو يتناول شرح الموطأ، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، لكنه يشرح معاني الكلمات فقط.

٣ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (للقاري).

٤ - فيض القدير شرح الجامع الصغير (للمناوي).

وهو مرتب على الحروف الأبجدية، وإذا أردت شرح حديث في «صحيح الجامع» للألباني تجده هنا في شرح المناوي.

وربَّما أشكلَ علَى الخطيبِ أحاديثُ ظاهرُها التعارضُ، لاَ يستطيعُ أن يوفقَ بينهَا، هنَا ترجعُ إلى كتابِ: «شرح مشكل الآثار» للطحاوي، فقدْ تناولَ

الأحاديثَ التِي ظاهرُها التعارضُ، وبينَ أوجهِ التوافقِ بينهَا بطريقةٍ بديعةٍ ـ رحمَه اللَّه ـ، لكنَّ ترتيبَ الكتابِ قدْ يصعبُ علىٰ القارِئ، فننصحُ باقتناءِ الطبعةِ المرتبةِ: «تحفة الأخيار بترتيب مشكل الآثار» خالد الرباط.

٣ ـ بعدَ قراءةِ شرحِ الحديثِ تقسمُ الحديثَ إلَىٰ فقراتٍ، وتكتبُ تحتَ كلِّ فقرة:

- معاني كلماتها.
- شرح معانيها.
- ما يستنبط منها من فوائد وأحكام.

ويمكنكَ أن تستفيدَ من طريقةِ كتابِ «توضيح الأحكام شرح عمدة الأحكام» للبسام ـ رحمهُ اللَّه ـ.

٤ ـ ربطُ الحديثِ بالواقعِ العمليِّ.

رابعاً: الخطبة التاريخية

وهيَ التِي تتناولُ حقبةً تاريخيةً بالشرحِ والتحليلِ، واستخراج العبرِ والعظاتِ، فقدْ تكونُ:

غزوةً من الغزواتِ.

أو معركةً من المعاركِ التاريخيةِ.

أو فترةً من فتراتِ حكمِ خليفةٍ من الخلفاءِ الراشدينَ.

أو فترةَ ملكٍ من ملوكِ المسلمينَ.

أو موقفًا من المواقفِ التاريخيةِ. . . ونحوَ ذلكَ.

ويكونُ إعدادُها كالآتِي:

١ ـ تحديدُ الحقبةِ التاريخيةِ.

(٢) الاطلاعُ عليهَا في المراجعِ التاريخيةِ، مثل:

١ ـ تاريخ الأمم والملوك (الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ).

٢ ـ الكامل في التاريخ (ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ).

٣ ـ تاريخ الإسلام (الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ).

٤ ـ البداية والنهاية (ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ).

٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ).

أو غيرها من الكتب التاريخية للمعاصرين مثل :

١ ـ التاريخ الإسلامي (محمود شاكر) .

٢ ـ الدولة الإسلامية (الصلابي) .

(٣) تلخيص الحقبة التاريخية في نقاط أساسية .

فالمعركة مثلاً تقول :

١ ـ أسباب المعركة .

٢ ـ وقائع المعركة .

٣ ـ نتائج المعركة .

(٤) تكتب تحت كل نقطة ما يناسبها من المراجع ، حتى تُحيطَ بغالب ما كتب فيها .

(٥) كتابة الخُطبة بأسلوب أدبي مستخرجًا العبر والعظات من المواقف التاريخية .

خامساً: الخطب العقائدية

وهيَ التي تتناولُ موضوعًا من موضوعاتِ العقيدةِ والتوحيدِ، مثل:

١ ـ الإيمان بالملائكة.

٢ ـ الإيمان بالقدر.

٣ ـ التفكر في عظمة اللَّه.

٤ ـ توحيد الألوهية.

٥ ـ الأسماء والصفات.

ونحو ذلك.

طريقة الإعداد:

١ ـ تحديدُ الموضوعِ.

٢ ـ جمعُ المادةِ العلميةِ.

٣ ـ تقسيمُ الموضوعِ إلىٰ عناصرَ.

٤ ـ جمعُ الآياتِ والأحاديثِ المتعلقةِ بالموضوعِ.

٥ ـ جمعُ تعليقاتِ العلماءِ علىٰ الآياتِ والأحاديثِ.

٦ ـ كتابةُ الموضوع بأسلوبٍ أدبيٍّ.

ويمكنُ الاستعانةُ في ذلكَ بالكتبِ المتخصصةِ في التوحيدِ، مثل:

١ ـ شفاء العليل في الحكمة والقضاء والقدر والتعليل (ابن القيم).

٢ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب).

٣ - التوسل والوسيلة (ابن تيمية).

٤ - معارج القبول. (أحمد حكمي).

٥ - الصواعق المرسلة (ابن القيم).

٦ - القواعد المثلى (ابن عثيمين).

٧ - شرح الواسطية (ابن عثيمين).

٨ - توحيد الخالق (الزنداني).

٩ - من الخالق.. الله أم الصدفة ؟ (رشدي مدبولي).

١٠ - انظر حولك (وحيد بالي).

١١ - التوحيد وأثره على العبيد (خميس السعيد).

١٢ - خلق الإنسان بين الطب والقرآن (د. محمد علي البار).

ونحو ذلك مما هو معروف مشهور.

سادساً: الخطبة الفقهية

وهيَ التِي تتناولُ موضوعًا فقهيًّا، مثل:

١ ـ شروط صحة الصلاة.

٢ ـ مبطلات الصلاة.

٣ ـ مكروهات الصلاة.

٤ ـ فقه الصيام.

٥ ـ أحكام البيوع.

٦ ـ الشركات في الإسلام.

٧ ـ فقه الزكاة.

٨ ـ فقه الطلاق.

٩ ـ كيف تحج بيت اللَّه؟

١٠ ـ أحكام الذبائح في الإسلام.

ونحو ذلكَ ممَّا يحتاجُه الناسُ[1] في حياتِهم العمليةِ.

المراجع:

١ ـ الوجيز (د. عبد العظيم بدوي).

٢ ـ منار السبيل (ابن ضويان).

---

(١) راجع كتاب «بداية المتفقه».

٣ ـ فقه السنة (السيد سابق) الطبعة المحققة .

٤ ـ شرح منتهىٰ الإرادات (البهوتي) .

٥ ـ الفقه الإسلامي (د. وهبة الزحيلي) .

٦ ـ المجموع (النووي) .

٧ ـ الاستذكار (ابن عبد البر) .

٨ ـ المغني (ابن قدامة) .

٩ ـ مجموع الفتاوىٰ (ابن تيمية) .

١٠ ـ جامع الفقه (ابن القيم) .

١١ ـ المفصل في أحكام المرأة (د. عبد الكريم زيدان) .

طريقة تحضير الخطبة الفقهية:

١ ـ تحديدُ الموضوعِ .

٢ ـ قراءتُه من المراجع .

٣ ـ جمعُ الأدلةِ ومعرفةُ درجةِ صحةِ الأحاديثِ .

٤ ـ ترتيبُ العناصرِ .

٥ ـ كتابةُ كلِّ مَا يتعلقُ بالعنصرِ الواحدِ من أدلةٍ وأحكامٍ .

وينبغِي للخطيبِ أن يتجنبَ الموضوعاتِ النظريةَ التِي لا تمسُّ حياةَ الناسِ كثيراً .

فمثلاً : عندَ الحديثِ عن فقهِ الزكاةِ يتكلمُ عن :

١ ـ فضلِ الزكاةِ (رياض الصالحين ـ صحيح الترغيب والترهيب) .

٢ـ الترهيبِ من منعِ الزكاةِ (صحيح الترغيب والترهيب).

٣ـ شروطِ وجوبِ الزكاةِ (كتب الفقه السابقة)[1].

٤ـ الأموالِ التي تجبُ فيهَا الزكاةُ هيَ: الأثمانُ ـ بهيمةُ الأنعامِ ـ الخارجُ من الأرضِ ـ عروضُ التجارةِ ـ الركاز.

هذه هي الأموال التي تجب فيها الزكاة.

ولكنْ ينبغِي للخطيبِ أن يركِّز في خطبتِه على الأشياءِ الموجودةِ في مجتمعِه.

فعندَ المزارعينَ يركزُ على: الخارجِ من الأرضِ، وبهيمةِ الأنعامِ، وعندَ التجارِ يركزُ على: الأثمانِ، وعروضِ التجارةِ، وفي الأماكنِ الأثريةِ يركزُ على الركازِ والأثمانِ، وهكذَا.

فمثلاً: عند التجارِ يتكلمُ الخطيبُ عنْ:

١ـ زكاةِ المحلاتِ التجاريةِ (عروض).

٢ـ زكاةِ المصانعِ (عروض).

٣ـ زكاةِ الصيدلياتِ (عروض).

٤ـ زكاةِ سياراتِ الأجرةِ (الزكاةُ على النماءِ فقط).

٥ـ زكاةِ محلاتِ الذهبِ (عروض).

٦ـ زكاةِ الشركاتِ التجاريةِ (عروض).

وهكذَا يتناولُ الخطيبُ ما يلامسُ حياةَ الناسِ العمليةِ.

---

(١) وهي ملخصة في «بداية المتفقه» (ص٤٤).

سابعاً: الخطبة القصصية

وهيَ التِي تتناولُ قصةً بالسردِ والتفصيلِ، واستنباطِ العبرِ والعظاتِ، مثل:

١ ـ قصة آدم عليه الصلاة والسلام.

٢ ـ قصة نوح عليه الصلاة والسلام.

٣ ـ قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

٤ ـ قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.

٥ ـ قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

٦ ـ قصة محمد ﷺ.

٧ ـ قصة أبي بكر الصديق، أو أحد الخلفاء الراشدين ـ رضي اللَّه عنهم ـ.

٨ ـ قصة أبي هريرة أو أحد الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ.

٩ ـ قصة عمر بن عبد العزيز أو غيره من التابعين ـ رحمهم اللَّه ـ.

١٠ ـ قصة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد ـ رحمهم اللَّه ـ.

١١ ـ قصة سفيان الثوري رحمه اللَّه.

١٢ ـ قصة صلاح الدين رحمه اللَّه.

وهكذا...

طريقةُ إعدادِ الخطبةِ القصصيةِ:

١ ـ تحديد القصة.

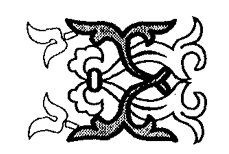
٢ ـ قراءة القصة في المراجع التاريخية.

٣ـ كتابة العناصر .

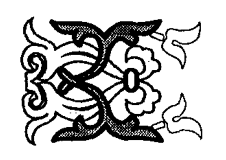
٤ ـ كتابة كل ما يتعلق بالعنصر من مواقف وأحداث .

٥ ـ التركيز على العبر والعظات والفوائد من كل موقف .

٦ ـ كتابة القصة بأسلوب أدبي ، مع ربط مواقفها بالواقع العملي .



كيف تتعلم الخطابة؟



أولاً: أكثرْ من سماعِ أشرطةِ الخطباءِ المجيدينَ.

ثانيًا: احفظْ شريطًا لأحدِ الخطباءِ الذينَ يعتنونَ بانتقاءِ الألفاظِ الرقيقةِ، واختيارِ العباراتِ العذبةِ.

وأذكرُ على سبيلِ المثالِ:

١ ـ أشرطة خطب الشيخ عبد الحميد كشك، مع الحذر من الأحاديث الضعيفة.

٢ ـ أشرطة خطب الحرمين الشريفين.

٣ ـ أشرطة خطب الشيخ أحمد القطان القديمة.

٤ ـ أشرطة خطب الشيخ عبد الوهاب الطريري القديمة.

٥ ـ أشرطة خطب الشيخ عائض بن عبد اللَّه القرني.

٦ ـ أشرطة خطب الشيخ علي بن عبد الخالق القرني.

٧ ـ أشرطة خطب الشيخ محمد حسان المصري.

٨ ـ أشرطة خطب الشيخ إبراهيم الدويش.

ثالثًا: ثم قِف في غرفةٍ وحدكَ، أوْ في الصحراءِ، وقمْ بإلقاءِ الخطبةِ كمَا في الشريطِ، بنفسِ طريقةِ الإلقاءِ.

رابعًا: قمْ بإلقائهَا في أحدِ المساجدِ.

خامسًا: قمْ بحفظِ أشرطةٍ لخطباءَ مختلفينَ، معَ إلقائهَا بنفسِ الطريقةِ في مسجدكَ.

سادسًا: كررْ هذَا العملَ لأكثرَ من عشرينَ شريطًا.

فسوفَ تجمعُ بإذنِ اللَّه مزايَا كلِّ خطيبٍ، سواءٌ في جمعِ المادةِ العلميةِ أوْ في طريقةِ الإلقاءِ، أوْ في أسلوبِ الأداءِ، ونحوَ ذلكَ.

سابعًا: قمْ بإعدادِ الخطبةِ بنفسكَ منَ المراجعِ المذكورةِ آنفًا.

ثامنًا: اكتبهَا كتابةً أدبيةً.

تاسعًا: خرِّج أحاديثَ الخطبةِ ولوْ من مصدرٍ واحدٍ، معَ ذكرِ المصدرِ قبلَ الحديثِ، فتقولُ مثلاً: وفي الحديثِ الذي رواهُ البخاريُّ، ثمَّ تذكرُ الحديثَ، أوْ وفي سننِ أبي داودَ، وصحَّحه الحافظُ في الفتح عن ابن مسعود...

وفي مسندِ أحمدَ وصحَّحه الهيثميُّ ووافقَه الألبانيُّ، عن ابن عمر ...

وروىٰ الترمذيُّ وقالَ: حسنٌ صحيحٌ، عنْ أبِي ذرٍّ...

روَىٰ الحاكمُ وصحَّحه، ووافقهُ الذهبيُّ عن...

لأنَّ المستمعَ إذَا سمعَ درجةَ الحديثِ قبلَ سماعِ متنِه فإنَّه ينشطُ لمعرفتِه، ويتهيَّأ لسماعِه.

عاشرًا: قمْ بتشكيلٍ وضبطِ كلماتِ الخطبةِ، فإنْ ترددتَ في بعضِ الكلماتِ فاستشرْ متخصصًا في اللغةِ العربيةِ، حتىٰ وإنْ كانَ أقلَّ منكَ في العلمِ الشرعيِّ، وتواضعْ لهُ، وإياكَ والأنفةَ والكبرَ، فإنهُ لاَ يطلبُ العلمَ مستحييٌ ولا مستكبرٌ.

(١)

كيف تكون مخلصاً

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



كيف تكونُ مخلصاً

عناصر الموضوع:

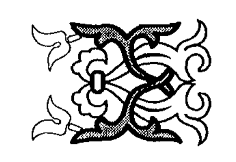
١ ـ حقيقةُ الإخلاص.

٢ ـ حكمُ الإخلاص.

٣ ـ فضلُ الإخلاص.

٤ ـ نماذجُ من حياة المخلِصين.







كيف تكونُ مخلصاً؟

إنَّ الحمدَ للَّه، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّه من شرورِ أنفسِنا ومنْ سيئاتِ أعمالِنَا، منْ يهدِه اللهُ فلاَ مضلَّ لهُ، ومنْ يضللْ فلاَ هاديَ لهُ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ وحدهُ لاَ شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولهُ، وبعدُ:

أيُّها المسلمونَ الفضلاءُ: إنَّ الإخلاصَ للَّه هوَ أساسُ كلِّ عملٍ، وغايةُ كلِّ مريدٍ، فعملٌ بلاَ إخلاصٍ لاَ أجرَ لهُ، وصلاةٌ بلاَ إخلاصٍ لاَ ثوابَ لهَا، وصدقةٌ بلاَ إخلاصٍ لاَ قيمةَ لهَا.

ومَا وصلَ أصحابُ النبيِّ ﷺ إلىٰ مَا وصلُوا إليْه إلاَّ بإخلاصِهم وصدقِهم.

ومنْ هنَا جعلتُ عنوانَ خطبتِي هذِه (كيفَ تكونُ مخلصاً؟).

قلوبُ المخلصينَ لهَا عيونٌ ... ترَى مَا لاَ يَراهُ الناظرِينَا
وأجنحةٌ تطيرُ بغيرِ ريشٍ ... إلَى ملكوتِ ربِّ العالمينَا
فتسقِيها شرابَ الصدقِ صِرفًا ... وتشربُ منْ كئوسِ العارِفينَا

أولاً: حقيقةُ الإخلاصِ:

الإخلاصُ: إفرادُ الحقِّ بالقصدِ.

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ: الإخلاصُ صدقُ النيةِ معَ اللَّهِ.

وقالَ سهلُ بن عبدالله: الإخلاصُ أنْ يكونَ سكونُ العبدِ وحركاتُه للَّه.

وقالَ أبُو عثمانَ: نسيانُ رؤيةِ الخلقِ بدوامِ النظرِ إلى الخالقِ.

وقيلَ: الإخلاصُ استواءُ أعمالِ العبدِ في الظاهرِ والباطنِ.

وقيل: صَرْفُ العملِ مُتقربًا بِه إلى اللَّه وحدَه لاَ رياءً، ولا سمعةً، ولاَ طلبًا للدنيَا، ولا تَصنُّعًا للخلقِ، وإنَّما يرجُو بِه ثوابَ اللَّه، ويخشَى عقابَه، ويطمعُ في رضِاه.

منْ هوَ المخلصُ؟

هوَ الذِي يعملُ ولاَ يحبُّ أن يَحْمَدَهُ الناسُ.

وقالَ يعقوبُ المكفوفُ:

المخلِصُ: مَن يكتمُ حسناتِه كمَا يكتمُ سيئاته.

وقيل: المخلِصُ: مَن يستوِي عندَه مادحُه وذامُّه.

ثانيًا: حكمُ الإخلاصِ:

الإخلاصُ: فرضٌ واجبٌ في حقِّ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

١ ـ أمرَ اللَّهُ عبادَه بالإخلاصِ في العبادةِ؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

بل أُمِرَ النبيُّ ﷺ ذاتُه بإخلاصِ العبادةِ للَّهِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

٢ ـ وأمرَ اللَّهُ عبادَه بإخلاصِ الدعاءِ لَه:

قالَ تعالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقالَ سبحانَه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثالثًا: فضل الإخلاص:

١ ـ الإخلاصُ يُنجيك من إضلال الشيطان وإغوائه:

قالَ تعالَىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

قرأَ الكوفيونَ ونافعٌ والحسنُ والأعرجُ «المخلَصين» بالفتح، وباقي السبعةِ والجمهورُ بالكسرِ: «المخلِصين».

٢ ـ الإخلاص يورثُكَ نعيمَ الجنة:

قالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٣٩-٤٩].

٣ ـ الإخلاصُ يُطَهرُ قلبَك من الحقد والغل والخيانة:

روَىٰ أحمدُ وابنُ ماجَه وصحَّحه الألبانيُّ عن زيد بن ثابت ـ رضيَ اللَّهُ عنهُ ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «ثلاثٌ لا يَغُلُّ عليهنَّ قلبُ امرئٍ مسلمٍ: إخلاصُ العملِ للَّه، والمناصحةُ لأئمةِ المسلمينَ، ولزومُ جماعتِهم فإنَّ دعوتَهم تُحيطُ من ورائِهم»[١].

والمعنى: أنَّ هذهِ الثلاثةَ لوْ تمسكَ بهَا العبدُ طَهُر قلبُه من الحقدِ والغلِّ.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٢٣٠) وأحمد في «المسند» (٥/ ١٨٣)، والدارمي، (٢٢٩)، =

٤ ـ الإخلاصُ طريقُ النَّصر:

روَىٰ النسائيُّ بسندٍ صحيح عنْ سعدِ بنِ أبِي وقاصٍ ـ رضِي اللَّهُ عنْه ـ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إنما يَنصرُ اللهُ هذه الأمةَ بضعيفِها، بدعوتِهم، وصلاتِهم، وإخلاصِهم»(١).

فأخلصْ العملَ للَّهِ تنل الرفعةَ فِي الدُّنيا والنعيمَ فِي الآخرةِ:

لعمرُكَ إنَّ المجدَ والفخرَ والعُلا ... ونيلَ الأماني واكتسابَ الفضائلِ

لِمن يُخلصُ الأعمالَ لله وحدَه ... ويكثرُ من ذكرٍ له في المنازلِ

وفي المساجدِ والأسواقِ يذكرهُ ... يَشْغَلهُم بذكرِه في المحافلِ

٥ ـ الإخلاصُ يفرِّجُ الهمومَ ويُزيلُ الكروب:

وهذَا واضحٌ من حديثِ الثلاثةِ الذينَ أووْا إلىٰ الغارِ حيثُ نجاهُم اللَّهُ بإخلاصِهم.

= وابن حبان في «صحيحه» (٦٧، ٦٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٨٧) كلهم من طريق زيد بن ثابت وفي الباب عن ابن مسعود أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٨٦) وفي الباب أيضًا عن جبير بن مطعم أخرجه أحمد (٤/ ٨٠، ٨٢) وعن معاذ بن جبل أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٨٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

(١) صحيح: أخرجه البخاري بنحوه مختصراً (٢٨٩٦) والنسائي (٣١٧٨) والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦/ ٣٣١) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٦).

رابعًا: نماذج من حياة المخلصين[١]:

١ ـ الإخلاص في صلاة التطوع:

فضل الصلاة:

فِي «صحيح مسلم» قالَ النبيُّ ﷺ لثوبانَ: «عليكَ بكثرةِ السجودِ، فإنكَ لاَ تسجدُ للَّهِ سجدةً إلاَّ رفعكَ اللَّهُ بهَا درجةً، وحطَّ عنكَ بهَا خطيئةً».

وعندَ الطبرانيِّ في «الأوسط» وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب» (٣٩٠): «الصلاةُ خيرُ موضوعٍ، فمنِ استطاعَ أنْ يستكثرَ فليستكثرْ».

الربيع بن خُثيم: الذِي قالَ لهُ ابنُ مسعودٍ: «يَا أبَا يزيدَ، لوْ رآكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لأَحبَّكَ». مَا رُئِي متطوعًا فِي مسجدِ قومِه قطُّ إلاَّ مرةً واحدةً.

منصور بن المعتمر: كانَ إذَا صلَّىٰ الفجرَ، أظهرَ النشاطَ لأصحابِه، ويملِي عليهِم الحديثَ، ولعلَّه باتَ قائمًا علَىٰ أطرافِه، كلُّ ذلكَ ليُخفِي عنهُم العملَ.

محمد بن أسلم: يقولُ: «لوْ قدرتُ أن أتطوعَ حيثُ لاَ يرانِي ملكَاي لفعلتُ؛ خوفًا منَ الرياءِ».

عبدالله بن المبارك: يقولُ عنهُ محمدُ بنُ أَعْيَن: «كانَ ذاتَ ليلةٍ ونحنُ في غزاةِ الرومِ، ذهبَ ليضعَ رأسَه ليُريني أنَّه ينامُ، فقلتُ أنَا برمحِي في يدِي قبضتُ عليهِ، ووضعتُ رأسِي علَىٰ الرُّمح كأنِّي أنامُ كذلكَ.

قالَ: فظنَّ أنِّي قدْ نمتُ، فقامَ فأخذَ في صلاتِه فلمْ يزلْ كذلكَ حتىٰ طلَعَ

---

(١) صلاح الأمة للعفاني (١/ ١١٠).

الفجرُ، وأنا أرمقُه فلمَّا طلعَ الفجرُ أيقظنِي وظنَّ أنِّي نائمٌ، وقالَ: يَا محمدُ، فقلتُ: إنِّي لمْ أنمْ.

قالَ: فلمَّا سمعَهَا منِّي مَا رأيتُه بعدَ ذلكَ يكلمنِي ولاَ ينبسطُ إليَّ في شيءٍ من غزاتِه كلِّها، كأنَّه لمْ يعجبْه ذلكَ منِّي، لِما فطنتُ لهُ من العملِ، فلمْ أزلْ أعرفُها فِيه حتَّىٰ ماتَ، ولمْ أرَ رجلاً أسرَّ بالخيرِ منْه».

أيوب السختياني: كانَ يقومُ الليلَ كلَّه، فيُخفِي ذلكَ، فإذَا كانَ عندَ الصبحِ رفعَ صوتَه كأنَّه قامَ تلكَ الساعةِ.

عمر بن عبدالعزيز: كانَ لهُ درَّاعةٌ من شعرٍ، وغُلٌّ، وكانَ لهُ بيتٌ في جوفِ بيتٍ يصلِّي فِيه، لاَ يدخلُ فِيه أحدٌ، فإذَا كانَ فِي آخرِ الليلِ فتحَ ذلكَ السَّفَط[1]، ولبسَ الدراعةَ ووضعَ الغُلَّ فِي عنقِه، فلاَ يزالُ يناجِي ربَّه ويبكِي حتَّىٰ يطلعَ الفجرُ.

قال كعب الأحبار: «منْ تعبدَ للَّهِ ليلةً حيثُ لاَ يراهُ أحدٌ يعرفُه، خرجَ منْ ذنوبِه كمَا يخرجُ منْ ليلتِه».

حسان بن أبي سنان: تقولُ عنهُ زوجُه: «كانَ يجيءُ فيدخلُ فِي فراشِي، ثمَّ يخادعُني كمَا تخادعُ المرأةُ صبيَّها، فإذَا علِم أنِّي قدْ نمتُ سلَّ نفسَه فخرجَ، ثمَّ يقومُ يصلِّي، قالتْ: فقلتُ لهُ: يَا أبَا عبداللَّه، كمْ تعذبْ نفسَك، ارفقْ بنفسِك. فقالَ: ويحكِ، اسكتِي، يوشكُ أنْ أرقدَ رقدةً لاَ أقومُ منهَا زمانًا».

(١) السَّفَط: مثل الجوالق، يعني: الشوال أو الكيس من الخيش.

٢ ـ الإخلاصُ فِي الصدقة:

فِي «الصـحيـحين»: «**سبـعةٌ يظلُّـهم اللَّهُ فِي ظلِّه يومَ لاَ ظلَ إلاَّ ظلُّه...**»، وذكـرَ منهمْ... «**رجلاً تصدَّق بصـدقةٍ فأخفاهاَ حتَّى لاَ تعلمَ شـمالُه مَا تنفقُ يمينُه**»[١].

وثبتَ عندَ الطبرانيِّ والترمذيِّ وصحَّحه الألبانيُّ فِي «صحيح الجامع» أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**صدقةُ السرِّ تطفئُ غضبَ الربِّ**»[٢].

زين العابدين بن علي بن الحسين: كانَ يحملُ جرابَ الخبزِ علَىٰ ظهرِه بالليلِ ويتصدقُ بِه، ويقولُ: «إنَّ صدقةَ السرِّ تطفئُ غضبَ الربِّ».

قال عمرو بن ثابت: لَمَّا ماتَ عليُّ بن الحسينِ فغسلوه جعلُوا ينظرونَ إلَىٰ آثارِ سوادٍ بظهرِه، فقالُوا: مَا هذَا؟

قالُوا: «كانَ يحملُ جِرَابَ الدقيقِ ليلاً علَىٰ ظهرِه يعطِيه فقراءَ المدينةِ».

وقال محمد بن إسحاق: «كانَ ناسٌ منَ المدينةِ يعيشونَ لاَ يدرونَ منْ أينَ كانَ معاشُهم، فلمَّا ماتَ عليُّ بن الحسين فقدُوا مَا كانُوا يُؤتَون بِه فِي الليلِ».

قال شيبة بن نَعامة: «كانَ عليُّ بن الحسين يُبَخَّل، فلمَّا ماتَ وجدُوه يقوتُ مائةَ أهلِ بيتٍ بالمدينةِ».

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

(٢) حسن: رواه الترمذي (١/ ١٢٩) وابن حبان (٨١٦) وغيرهما وصححه الألباني بشواهده في «السلسلة الصحيحة» (١٩٠٨) و«إرواء الغليل» (٣/ ٣٩٢)، و«صحيح الجامع» (٣٧٥٩، ٣٧٦٠).

عبدالله بن المبارك: يقولُ عنهُ محمدُ بن عيسَى: كانَ ابنُ المباركِ كثير الاختلافِ إلى طَرَسوس، وكانَ ينزلُ الرِّقةَ فِي خانٍ فكانَ شابٌّ يختلفُ إليْه، ويقومُ بحوائجِه، ويسمعُ منهُ الحديثَ، فقدمَ عبدُاللَّه مرةً فلمْ يرَه، فخرجَ فِي النفيرِ مستعجلاً، فلمَّا رجعَ سألَ عنِ الشابِّ فقالُوا: محبوسٌ علَى عشرةِ آلافِ درهمٍ.

فاستدلَّ علَى الغريم، ووزنَ لهُ عشرةَ آلافٍ وحلَّفه ألاَّ يخبرَ أحدًا مَا عاشَ، فأُخرجَ الرجلُ، وسارَ ابنُ المباركِ، فلحقَه الفتَى علَى مرحلتينِ منَ الرِّقةِ، فقالَ لهُ: يَا فتَى، أينَ كنتَ، لمْ أركْ؟

قالَ: يَا أبَا عبدِالرحمن، كنتُ محبوسًا بدَينٍ.

قالَ: وكيفَ خلصتَ؟

قالَ: جاءَ رجلٌ فقضَى دَينِي ولمْ أدرِ.

قالَ: فاحمدِ اللَّهَ، ولمْ يعلمِ الرجلُ إلاَّ بعدَ موتِ عبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ رحمهُ اللَّهُ.

٣ ـ الإخلاص في الصوم:

داودُ بن أبي هند:

صامَ داودُ بن أبِي هندَ أربعينَ سنةً لاَ يعلمُ به أهلهُ ولاَ أحدٌ، وكانَ خزَّازًا[١] يحملُ معهُ غداءَه منْ عندِهم، فيتصدَّقُ بِه فِي الطَّريقِ، ويرجعُ عشيًّا فيُفطرُ معهُم، فيَظنُّ أهلُ السوقِ أنهُ قدْ أكلَ في البيتِ، ويظنُّ أهلُه أنَّه قدْ أكلَ في السوقِ.

عمرو بن قيس المُلائي:

أقامَ عشرينَ سنةً صائمًا، مَا يعلمُ بهِ أهلهُ، يأخذُ غداءَه ويغدُو إلَى الحانوتِ، فيتصدقُ بغدائِه ويصومُ، وأهلهُ لاَ يدرونَ، وكانَ إذَا حضرتْه الرِّقةُ، يحولُ وجههُ إلى الحائطِ، ويقولُ لجلسائِه: مَا أشدَّ الزكامَ[٢].

إبراهيم بن أدهم:

يقولُ إبراهيمُ بن أدهمَ: لاَ تسألْ أخاكَ عنْ صيامه، فإنْ قالَ: أنَا صائمٌ فَرِحَت نفسُه بذلكَ، وإنْ قالَ: أنَا غيرُ صائم حَزِنَتْ نفسُه، وكلاهُما منْ علاماتِ الرياءِ، وفِي ذلكَ فضيحةٌ للمسئولِ، واطلاعٌ علَى عوراتِه منَ السائلِ.

---

(١) كان يبيع الخز، وهو نوع من الثياب.

(٢) إذا حضرته الرِّقة، يعني: إذا رقَّ قلبه ودمعت عينه في الموعظة، أخفى ذلك عنهم.

٤ ـ الإخلاص في الذكر وقراءة القرآن:

قالت سُرِّيّة[1] الربيع بن خثيم: كانَ عملُ الربيع كلُّه سرًّا، إنْ كانَ ليجيءُ الرجلُ، وقدْ نَشَرَ المصحفَ فيُغطِّيه بثوبِه.

إبراهيم النخعي: كانَ إذَا قرأَ فِي المصحفِ فدخلَ داخلٌ غطاهُ.

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل:

يقولُ عنهُ تلميذُه أبُو بكرٍ المروزيُّ: «كنتُ معَ أبِي عبدِاللَّهِ نحواً منْ أربعةَ أشهرٍ بالعسكرِ، وكانَ لاَ يدعُ قيامَ الليلِ وقراءةَ القرآنِ بالنهارِ، فمَا علمتُ بختمةٍ ختمهَا وكانَ يُسرُّ بذلكَ».

وقالَ الإمامُ أحمدُ: «أشتهِي مَا لاَ يكونُ... أشتهِي مكانًا لاَ يكونُ فِيه أحدٌ منَ الناسِ».

شيخ الإسلام:

كانَ إذَا أصبحَ النهارُ يخرجُ إلىٰ الصحراء، ويقول متمثلاً:

وأَخرجُ منْ بينِ البيوتِ لعلَّني أُحدِّث عنكَ القلبَ بالسرِّ خاليًا

(١) السُّرِّية: هي الأمة التي يتسرَّىٰ بها.

٥ ـ الإخلاصُ في البكاءِ:

سفيان الثوري: هذَا العالمُ العابدُ، لهُ معَ الفضيلِ بنِ عياض ـ طبيبِ القلوبِ ـ وقفةٌ يحكيهَا لنَا الأصبهانيُّ في «حلية الأولياء»[1] فيقولُ:

التقَىٰ سفيانُ الثوريُّ وفضيلُ بن عياض فتذكرَا، فبكيَا، فقالَ سفيانُ: إنِّي لأرجُو أنْ يكونَ مجلسُنا هذَا أعظمَ مجلسٍ جلسنَاه بركةً.

قالَ فضيلٌ: ترجُو، لكنِّي أخافُ أنْ يكونَ أعظمَ مجلسٍ جلسناهُ علينَا شؤمًا، أليسَ نظرتَ إلىٰ أحسنَ مَا عندكَ، فتزينتَ به لي وتزينتُ لكَ به، فعبدتَني وعبدتُك، قالَ: فبكَىٰ سفيانُ حتَّىٰ علاَ نحيبُه، ثمَّ قالَ: أحياكَ اللَّه كمَا أحييتَني.

وهذا أيوب السختياني:

وكانَ إذَا وعظَ فرقَّ، فَرَقَ[2] من الرياءِ، فيمسحُ وجههُ ويقولُ: مَا أشدَّ الزكام!

الحسن البصري:

يقولُ الحسنُ البصريُّ: «إنْ كانَ الرجلُ ليجلسُ المجلسَ، فتجيئُه عبرتُه فيردُّها، فإذَا خشِي أنْ تسبقَه قامَ».

---

(١) الحلية (٧/ ٦٤).

(٢) فرق: خاف.

الخطبة الثانية

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ وليُّ الصالحينَ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه وبعدُ:

أيُّها المسلمونَ الفضلاءُ، نواصلُ معًا في ذكرِ نماذجَ من حياةِ المخلصينَ:

أبو وائل: كانَ إذَا صلَّىٰ في بيتِه ينشجُ نشيجًا، ولو جُعلتْ لهُ الدنيَا علَىٰ أنْ يفعلَه وأحدٌ يراهُ مَا فعلهُ.

ويقولُ محمدُ بن واسع:

لقدْ أدركتُ رجالاً، كانَ الرجلُ يكونُ رأسهُ معَ رأسِ امرأتِه علَىٰ وسادةٍ واحدةٍ، قدْ بلَّ مَا تحتَ خدِّه من دموعِه، لاَ تشعرُ به امرأتُه، ولقدْ أدركتُ رجالاً يقومُ أحدُهم في الصفِّ فتسيلُ دموعُه علَىٰ خدِّه ولاَ يشعرُ به الذِي إلىٰ جنبِه.

وكانَ يقولُ أيضًا: إنْ كانَ الرجلُ ليبكِي عشرينَ سنةً وامرأتُه معَه لاَ تعلمُ بهِ.

سفيان بن عُيينة: قالَ: أصابتنِي ذاتَ يوم رِقَّةٌ فبكيتُ، فقلتُ في نفسِي: لوْ كانَ بعضُ أصحابِنا لرقَّ معِي، ثمَّ غفوتُ، فأتانِي آتٍ في منامِي فرفسنِي، وقالَ: يَا سفيانُ، خذْ أجركَ ممنْ أحببتَ أنْ يراكَ.

ابن المبارك: يحكِي عنهُ القاسمُ بن محمدٍ قالَ: كنَّا نسافرُ معَ ابنِ المباركِ،

فكثيراً مَا كانَ يخطرُ ببالِي، فأقولُ في نفسِي: بأيِّ شيء فُضِّل هذَا الرجلُ علينَا؟، حتىٰ اشتهرَ في الناسِ هذِه الشهرة؟! إنْ كانَ يصلِّي إنَّا لنصلِّي، وإنْ كانَ يصومُ إنَّا لنصومُ، وإنْ كانَ يغزُو فإنَّا لنغزُو، وإنْ كانَ يحجُّ إنَّا لنحجُّ.

قالَ: فكنَّا في بعضِ مسيرنَا في طريقِ الشام ليلةً نتعشَّىٰ في بيتٍ، إذْ طُفِئ السِّراجُ، فقامَ بعضُنا فأخذَ السِّراجَ، وخرجَ يستصبحُ(١)، فمكثَ هنيهةً ثمَّ جاءَ بالسراجِ فنظرتُ إلىٰ وجْه ابنِ المباركِ، ولحيتُه قدِ ابتلتْ من الدموعِ، فقلتُ في نفسِي:

بهذِه الخشيةِ فُضِّل هذَا الرجلُ علينَا، ولعلَّه حينَ فُقد السراجُ فصارَ إلىٰ ظلمةٍ ذَكَر القيامةَ.

محمد بن أسلم الطوسي: يقولُ عنهُ خادمُه أبُو عبداللَّه: «كانَ محمدٌ يدخلُ بيتًا ويُغلقُ بابَه، ويُدخلُ معَه كوزاً من ماءٍ، فلمْ أدرِ ما يصنعُ حتىٰ سمعتُ ابنًا صغيراً لهُ يبكِي بكاءَه، فنهتهُ أُمُّه فقلتُ لهَا: مَا هذَا البكاءُ؟ فقالتْ: إنَّ أبَا الحسنِ يدخلُ هذَا البيتَ، فيقرأُ القرآنَ ويبكِي، فيسمعُه الصبيُّ فيحاكِيه، فكانَ إذا أرادَ أن يخرجَ غسلَ وجهَه فلا يُرىٰ عليه أثرُ البكاءِ.

وكانَ يصلُ قومًا ويعطيهم ويكسُوهم، فيبعثُ إليهِم، ويقولُ للرسولِ: انظرْ أن لا يعلمُوا منْ بعثَه إليهِم، فيأتِيهم هُو بالليلِ، فيذهبُ به إليهِم،

(١) يستصبح: يوقد المصباح.

ويخفي نفسَه، فربَّما بليتْ ثيابُهم، ونفدَ ما عندَهم، ولاَ يدرونَ منِ الذي أعطاهُم.

قال أحمد بن نصر: لَمَّا ماتَ الطوسيُّ قالُوا لهُ: يَا أبَا عبدِاللَّه صلَّىٰ عليْه ألفُ ألفٍ منَ الناسِ، وقالَ بعضُهم: ألفُ ألفٍ ومائةُ ألفٍ منَ الناسِ، يقولُ صالحهُم وطالحهُم: لم نعرفْ لهذَا الرجلِ نظيراً، فقالَ أحمدُ بن نصرٍ: يا قومُ، أصلحُوا سرائرَكم بينكُم وبينَ اللَّهِ، ألاَ ترونَ رجلاً دخلَ بيتَه بطوسٍ، فأصلحَ سرَّه بينَه وبينَ اللَّهِ، ثمَّ نقلَه اللَّهُ إلينَا، فأصلحَ اللَّهُ علىٰ يديهِ ألفَ ألفٍ ومائةَ ألفٍ منَ الناسِ.

٦ ـ الإخلاص في الدعاء:

قال ابن المنكدر:

إنِّي لليلةٍ حِذاءَ هذَا المنبرِ جوفَ الليلِ أدعُو، إذَا إنسانٌ عندَ أسطوانةٍ، مقنِّعٌ رأسَهَ[1]، فأسمعُه يقولُ: أيْ ربِّ، إنَّ القحطَ قدِ اشتدَّ علىٰ عبادكَ، وإنِّي مُقسِمٌ عليكَ يَا ربِّ إلاَّ سقيتَهم.

قالَ: فمَا كانَ إلاَّ ساعةً، إذَا بسحابةٍ قدْ أقبلتْ، ثمَّ أرسلهَا اللَّهُ سبحانَه.

وكانَ عزيزاً علَىٰ ابنِ المنكدرِ أنْ يخفَىٰ عليهِ أحدٌ من أهلِ الخيرِ، فقالَ: هذَا بالمدينةِ ولاَ أعرفُه؟! فلمَّا سلَّم الإمامُ تقنَّع وانصرفَ، فاتبعَه، ولمْ يجلسْ للقاصِّ حتَّىٰ أتَىٰ دارَ أنسٍ، فدخلَ موضعًا، وأخرجَ مفتاحًا ففتحَ ثمَّ دخلَ.

قالَ: ورجعتُ، فلمَّا سبَّحتُ[2] أتيتُه، فإذَا أنَا أسمعُ نجرًا فِي بيتِه، فسلمتُ ثمَّ قلتُ: أدخلُ؟

قالَ: ادخلْ.

فإذَا هوَ ينجرُ أقداحًا يعملُها.

فقلتُ: كيفَ أصبحتَ أصلحكَ اللَّهُ؟

قالَ: فأعظمَها منِّي.

---

(١) قال في «لسان العرب»: المقنِّع الذي يرفع رأسه ينظر في ذُلّ.

(٢) سبَّح: أي: صلىٰ سُبحة الضحَّىٰ.

فلمَّا رأيتُ ذلكَ، قلتُ: إنِّي سمعتُ إقسامَك البارحةَ علَىٰ اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ يَا أخِي هلْ لكَ في نفقةٍ تغنيك عن هذَا، وتُفرِّغُك لما تريدُ من الآخرةِ؟

فقالَ: لاَ، ولكنْ غيرَ ذلكَ، لاَ تذكرْني لأحدٍ، ولاَ تذكرْ هذَا عندَ أحدٍ حتَّىٰ أموتَ، ولاَ تأتني يابنَ المنكدرِ؛ فإنَّك إنْ تأتِني شهرتَني للناسِ.

فقلتُ: أحبُّ أنْ ألقاكَ.

قالَ: ألقنِي في المسجدِ، وكانَ فارسيًّا.

قالَ: فمَا ذكرَ ذلكَ ابنُ المنكدرِ لأحدٍ حتَّىٰ ماتَ الرجلُ.

قالَ ابنُ وهبٍ: بلغنِي أنَّه انتقلَ من تلكَ الدارِ، فلمْ يرَه، ولمْ يدرِ أينَ ذهبَ، فقالَ أهلُ تلكَ الدارِ: اللَّهُ بيننَا وبينَ ابنِ المنكدرِ، أخرجَ عنَّا الرجلَ الصالحَ.

٧ ـ الإخلاص في العلم:

قال الشافعي: «وددتُ أنَّ الخلقَ تعلمُوا هذَا العلم، على أنْ لا يُنسبَ إليَّ حرفٌ منهُ».

هشام الدستوائي:

يقولُ: «واللَّهِ، مَا أستطيعُ أنْ أقولَ: إنِّي ذهبتُ يومًا قطُّ أطلبُ الحديثَ أُريدُ بهِ وجهَ اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ.

قال الذهبي: واللَّهِ ولاَ أنَا، فقدْ كانَ السلفُ يطلبونَ العلمَ فنبلُوا...

أبو الحسن الماوَردي: شيخُ الشافعية، قيلَ: إنهُ لمْ يُظهرْ شيئًا منْ تصانيفه في حياتِه، وجمعهَا في موضع، فلمَّا دنتْ وفاتُه، قالَ لمنْ يثقُ بهِ: الكتبُ في المكانِ الفلانيِّ، كُلُّها تصانيفِي، وإنَّما لمْ أظهرْها؛ لأنِّي لمْ أجدْ نيةً خالصةً، فإذَا عاينتُ الموتَ ووقعتُ في النَّزعِ، فاجعلْ يدَك في يدِي، فإنْ قبضتُ عليهَا وعصرتُها، فاعلمْ أنهُ لمْ يُقبلْ منِّي شيءٌ منهَا، فاعمدْ إلى الكتبِ، وألقهَا في دجلةَ، وإنْ بسطتُ يدِي ولمْ أقبضْ على يدكَ، فاعلمْ أنهَا قدْ قبلتْ، وأنِّي قدْ ظفرتُ بما كنتُ أرجُوه منَ النيةِ.

قالَ ذلكَ الشخصُ: فلمَّا قاربَ الموتَ وضعتُ يدِي على يدِه، فبسطَها ولمْ يقبضْ على يدِي، فعلمتُ أنهَا علامةُ القبولِ، فأظهرتُ كتبَه بعدَه.

اللهمَّ ارزقنَا الصدقَ والإخلاصَ في القولِ والعملِ.

الدعاء...

(٢)

كيف تتخلصُ من الرياء؟

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



كيف تتخلصُ من الرياء

عناصر الخطبة:

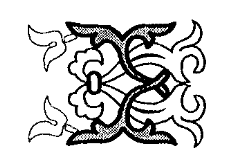
١ - خطرُ الرياءِ على الفرد والمجتمع.

٢ - أنواعُ الرياءِ.

٣ - كيف تتخلصُ من الرياءِ ؟

٤ - من أقوالِ المخلصين.





كيف تتخلص من الرياء؟



إنَّ الحمدَ للَّهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنَا، من يهدِه اللَّهُ فلاَ مضلَّ لهُ، ومن يضللْ فلاَ هاديَ لهُ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهَ وحدَه لاَ شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وبعد:

أيها المسلمون الكرام:

إنَّ الرياءَ داءٌ مهلكٌ، يُحبِطُ الأعمالَ، ويُفسِدُ القلبَ، ويُبعِدُ العبدَ عن الربِّ جلَّ وعلا.

والمرائِي يراقبُ الناسَ ولاَ يراقبُ اللَّهَ.

ويخشَىٰ الناسَ، ولاَ يخشَىٰ اللَّهَ.

يتزينُ للناسِ وينسَىٰ ربَّ الناسِ، الذِي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفِي الصدورُ.

لأجلِ ذلكَ أردتُ أنْ أتكلمَ معكُم عن الرياءِ وبيانِ خطرِه علىٰ الفردِ والمجتمع، وكيفَ يتخلصُ الرجلُ من الرياءِ.

وأسألُ اللَّهَ الكريمَ أنْ يُنَقيَ سرائرَنا، ويُطَهِّر ضمائرَنا، إنَّه يعلمُ نبضاتِ القلوبِ، وخلَجاتِ الصدورِ.

أولاً: خطر الرياء على الفرد والمجتمع(١):

١ ـ الرياءُ أخطرُ على ا لمسلمين من الدجال:

روَىٰ ابنُ ماجَه وحسَّنه الألبانيُّ عن أبي سعيدٍ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: خرجَ علينَا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحنُ نتذاكرُ المسيحَ الدجالَ، فقالَ: «ألاَ أخبرُكم بمَا هُو أخوفُ عليكُم عندِي منَ المسيحِ الدجالِ؟».

قلنَا: بلَىٰ.

فقالَ: «الشركُ الخفيُّ: أنْ يقومَ الرجلُ يصلِّي فيزينَ صلاتَه لما يَرى منْ نظرِ رجلٍ»(٢).

٢ ـ الرياءُ أشد فتكًا بالقلب من الذئب الجائع بالغنم:

روَىٰ الترمذيُّ وصحَّحه عن كعبِ بنِ مالكٍ رضِي اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ماَ ذئبانِ جائعانِ أُرسِلا في غنمٍ، بأفسدَ لهَا من حرصِ المرءِ علَى المالِ والشرفِ لدِينه»(٣).

---

(١) «نور الإخلاص» (٢٣).

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجة (٤٢٠٤) وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٠) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وفيه ربيح بن عبد الرحمن مختلف فيه وقد وثقه ابن حبان، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وقال أبو زرعة: شيخ، وقال البوصيري في «الزوائد» (١٤٩٨) إسناده حسن، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٧).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٧٦) وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٠، ٤٥٦)، وابن المبارك في «الزهد» (١٨١) والدارمي في «سننه» (٢٧٣٠) وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٢٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٥٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

٣ ـ الرياء يحبط العمل:

وفي «صحيح مسلم» يقولُ اللَّهُ تعالَىٰ: «أنَا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ، من عَمِلَ عَمَلاً أشركَ معي فيه غيرِي تركتُه وشركَه»(١).

ورَوىٰ الترمذيُّ وحسَّنه، عن أبي سعد بن أبي فضالة قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذَا جمع اللَّهُ الأولينَ والآخرينَ ليومِ القيامة، ليومٍ لاَ ريبَ فيه، نادَى منادٍ: منْ كانَ أشركَ في عملٍ عَمِلَهُ للَّهِ أحدًا فليطلبْ ثوابَه من غيرِ اللَّهِ، فإنَّ اللَّهَ أغنَى الشركاءِ عن الشركِ»(٢).

٤ ـ الرياءُ قد يقلبُ الطاعَةَ إلى معصية:

في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أولُ من تسعرُ بهمُ النارَ ثلاثةٌ: قارئُ القرآنِ، ومجاهدٌ، ومتصدقٌ...» الحديث(٣).

وفِيه أنهُم فعلُوا ذلكَ رياءً، فكانُوا أولَ من سُعِّرتْ بهمُ النارُ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٨٥)، وابن ماجة (٤٢٠٢) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠١، ٤٣٥).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣١٥٤) وابن ماجة (٤٢٠٣) وأحمد (٣/ ٤٦٦، ٤/ ٢١٥) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٧٧٨) وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٤)، وقال: أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق محمد بن بكر وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٢).
قلت: ومحمد بن بكر هو ابن عثمان البُرسانيّ وهو ثقة. فقد وثقه ابن معين وأبو داود والعجلي وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢) والنسائي (٣١٣٧) وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٢).

٥ ـ الرياء يسبب الفضيحةَ يوم القيامة:

في «الصحيحين» أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «من سمَّع سمَّع اللَّهُ به، ومن يرائِي يرائِي اللَّهُ به»(١).

٦ ـ الرياءُ سببُ مرضِ القلب:

قالَ اللَّهُ عنِ المنافقينَ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٩، ١٠].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨٧)، وابن ماجة (٤٢٠٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣١٣).

ثانيًا: أنواع الرياء[١]:

الرياءُ عشرةُ أنواع:

١ ـ الرياءُ الصريح: أنْ يكونَ مرادُ العبدِ غيرَ اللَّه، ولاَ يقصدَ إلاَّ مدحَ الناسِ، فهذَا نوعٌ من النفاقِ، والعملُ حابطٌ، والعياذُ باللَّهِ تعالَى.

٢ ـ شركُ السرائر:

أنْ يكونَ قصدُ العبدِ ومرادهُ للَّهِ، فإذَا اطلعَ عليْه الناسُ نَشَطَ في العبادةِ وزيَّنَها.

فهذَا شركُ السرائرِ.

روَى ابنُ خزيمةَ وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب» أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**إياكُم وشركَ السرائرِ**»، قالُوا: ومَا شركُ السرائرِ يَا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «**يقومُ الرجلُ فيصلِّي، فيزينُ صلاتَه جاهدًا لما يرَى من نظرِ الناسِ إليه، فذلكَ شركُ السرائرِ**»[٢].

٣ ـ الرياءُ الخفيُّ:

أن يُخلصَ العبدُ العبادةَ للَّهِ، فعرفَ الناسُ ذلكَ فمدحُوه، فسكنَ قلبُه إلى ذلكَ المدحِ، ومنَّى نفسَه بأنْ يحمَدَه الناسُ، وينالَ مَا يريدُه منَ الدُّنيا، وهذَا السرورُ والرغبةُ في الازديادِ منَ المدحِ والثناءِ رياءٌ خفيٌّ.

---

(١) «نور الإخلاص» (ص٢٧).

(٢) حسن: رواه ابن خزيمة (٩٣٧)، والبيهقي (٢/ ٢٩١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ١٧).

٤ ـ الرياءُ البدنيُّ:

كمنْ يُظهرُ اصفرارَ اللونِ، وشحوبَ الوجهِ ليرَىٰ الناسُ أنَّه صاحبُ عبادةٍ، وكمنْ يخفضُ صوتَه، ويطأطِئ رأسَه رياءً وسمعةً؛ ليُعلَم أنَّه خاشعٌ خاضعٌ.

٥ ـ رياءُ اللباسِ والزِّي:

كمنْ يلبَسُ لباسَ الزُّهادِ ليقالَ: زاهدٌ، ومن يلْبَس لباسَ العلماءِ ليقالَ: عالمٌ، وليسَ كذلكَ.

٦ ـ رياءُ القول:

كمنْ يحفظُ أقوالَ العلماءِ واختلافَ الفقهاءِ في مسألتينِ أو ثلاثٍ، فإذَا جلسَ في مجلسٍ افتتحهمَا ليبينَ للناسِ أنَّه عالمٌ باختلافِ الفقهاءِ، ملمٌّ بأقوالِ العلماءِ(١).

٧ ـ الرياءُ بالأصحابِ والزَّائرين:

كمنْ يتكلفُ أنْ يزورَه عالمٌ ليقولَ: زارنِي العالمُ الفلانيُّ فِي بيتِي.

٨ ـ الرياءُ بذمِّ النفس:

كمنْ يكثرُ من ذمِّ نفسِه عندَ الناسِ، وهوَ عندَ نفسِه أعلَىٰ منْ ذلكَ ليقالَ: إنهُ متواضعٌ.

(١) أما من يستغل مجالس الناس في الوعظ والتذكير أو التنبيه علىٰ مسائلَ الناسُ في حاجة إليها يريد بذلك تعريف الناس بأحكام الشرع فهو مأجور إن شاء الله.

وكالخطيبِ: إذا أُعجبَ بخطبتِه، سألَ الناسَ عن رأيهِم فيهَا، وهوَ لاَ يريدُ أن يسمعَ منهُم نقداً، ولا تقويمًا، بلْ يريدُ أنْ يسمعَ كلماتِ المدحِ والثناءِ. . . وهذَا منْ دقائقِ الرياءِ.

٩ ـ محبة توقير الناس له:

وهوَ أنْ يُخفِي طاعاتِه، ولاَ يريدُ أنْ يطلعَ عليهَا أحدٌ، ولكنَّه إذَا التقَىٰ بالناسِ أحبَّ أنْ يقابلُوه بالبشاشةِ والتوقيرِ، وأنْ يُثنُوا عليْه، ويقضُوا لهُ حوائجَه، فإنْ لمْ يفعلُوا تأثرَ في نفسِه، فهذَا كأنَّه يتقاضَىٰ الاحترامَ علَىٰ الطاعةِ. . . وهذَا منْ خفايَا الرياءِ.

١٠ ـ الرياء بأن يجعل الإخلاص وسيلةً لمطلوب غير رضا الله:

قالَ شيخُ الإسلام: حُكِي أنَّ أبَا حامدٍ الغزالي بلغَه أنَّ منْ أخلصَ للَّه أربعينَ يومًا، تفجرتِ الْحِكْمةُ من قلبِه علىٰ لسانه، قالَ: فأخلصتُ أربعينَ يومًا فلمْ يتفجرْ شيءٌ، فذكرتُ ذلكَ لبعضِ العارفينَ، فقالَ لِي: إنكَ أخلصتَ للحكمةِ ولمْ تخلصْ للَّهِ.

ثالثًا: كيف تتخلص من الرياء؟

١ ـ معرفةُ أنواع الرياء:

ينبغِي أنْ تحيط علمًا بأنواعِ الرياءِ، وأسبابِه ثمَّ تعملَ جاهدًا علَىٰ قطعِها، والتخلُّص منها.

٢ ـ معرفةُ الله:

إذَا عرفتَ اللَّهَ بأسمائه وصفاته، وعرفتَ أنَّه وحدَه هوَ النافعُ الضارُّ، المعطِي المانعُ، المعزُّ المذلُّ، الخافضُ الرافعُ، القابضُ الباسطُ، وأنهُ يعلمُ خائنةَ الأعينِ ومَا تخفِي الصدورُ.

إذَا علمتَ ذلكَ زهدتَ في الطمع في الناسِ، وطمِعْتَ فيمَا عندَ ربِّ الناسِ، فاندفعَ عنكَ الرياءُ.

٣ ـ معرفةُ ما أعدَّهُ اللهُ للمخلصين:

إذَا تفكرتَ فيمَا أعدَّه اللهُ في الآخرةِ للمخلصينَ منَ النعيمِ المقيمِ، وقرةِ عينٍ لا تنقطع رغبتَ في الإخلاصِ والصدقِ واليقينِ.

٤ ـ معرفة ما أعده الله للمرائين:

إذَا عرفتَ أنَّ الرياءَ يُحبطُ العملَ، ويُفوتُ الأجرَ، كمَا أحبطَ عملَ القارِئ، والمجاهدِ، والمتصدقِ[1] خفتَ أنْ يَحبَطَ عملُك بالنظرِ إلىٰ الناسِ وحبِّ مدحِهم، ولجأتَ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ بقلبِك لاَ تنظرُ إلاَّ إليْه، ولاَ ترجُو إلاَّ ثوابَه، ولاَ تطمعُ إلاَّ في رضَاه.

(١) وهم أول من تسعر بهم النار كما ثبت في البخاري (٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨٧).

٥ ـ عدمُ الفرح بمدح الناس أو الحزن بذمهم:

اعلمْ أنَّ مدحَ الناسِ لا ينفعُكَ إذَا كنتَ عندَ اللَّهِ مذمومًا، وذمَّهم لاَ يضرُّكَ إذَا كنتَ عندَ الله محمودًا.

وإذَا مدحَكَ أحدٌ فتذكرْ مَا لاَ يعلمُه عنكَ مِن خطايَا وذنوبٍ، وتقصيرٍ وتفريطٍ، وقلْ: «اللهمَّ لاَ تؤاخذْني بمَا يقولونَ، واغفرْ لِي مَا لاَ يعلمُون، واجعلْني خيراً ممَّا يظنُّون».

٦ ـ لا تتحدثْ عن نفسِكَ ولا تنقلْ مَدحَ الآخرين فيك:

إنَّ الحديثَ عنِ النفسِ، والإنجازاتِ ونحوَ ذلكَ مدخلٌ عظيمٌ من مداخلِ الرياءِ.

وأعظمُ منهُ نَقْلُكَ لمدحِ النَّاسِ لَكَ ولأعمالِكَ، فاحذرْ هذَا كلَّه.

ويدخل في ذلك مدحُك لولدك ولأهلك ولبيتك ولسيَّارتك، وكل ما يخصك؛ لأنه مدحٌ لنفسك في الحقيقة، إلا إذا دعت الضرورة لذلك، فتنوي بذلك التحدُّث بنعمة اللَّه عليك، وتزداد تواضعًا وخجلاً من اللَّه لأنك مُقصِّر في شكر نعم اللَّه عليك.

٧ ـ التعودُ على إخفاءِ الطاعات:

عوِّد نفسكَ على قيامِ الليلِ، وصدقةِ السِّرِ، وبكاءِ الخَلوات، والدعاءِ للمسلمينَ بظهرِ الغيبِ، واستحضرْ عندَ العملِ مَا رواهُ مسلمٌ عن سعدِ بن أبِي وقاصٍ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ

يُحبُّ العبدَ التقيَّ، الغنيَّ، الخفيَّ»[١].

٨ ـ تذكرُ الموتِ، والرحيلِ عن الدنيا:

إذَا غلبَ علَىٰ قلبِك حبُّ ثناءِ النَّاسِ ومدحِهم فاعلمْ أنهُم سيرحلُونَ عنِ الدنيَا قريبًا، فلا بقاءَ لهُم، كمَا لاَ بقاءَ لمدحِهم.

وتذكرْ نفسَك وأنتَ في قبرِكَ، وقدْ أُفردتَ فيه وحيدًا ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

٩ ـ مصاحبةُ أهلِ الإخلاصِ والتقوى:

إنَّ مصاحبةَ المخلِصينَ منَ العلماءِ، والدعاةِ، والعُبَّادِ، والزاهدينَ يورثُك الاقتداءَ بهِم والتأسِّي بأفعالِهم.

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه ... فإن القرين بالمقارن يقتدي

١٠ ـ قراءة أخبار العباد، والزهاد، والمخلصين:

إنَّ قراءةَ أخبارِ الزهادِ والعبادِ والمخلصينَ يجعلُ العبدَ يعرفُ أنواعَ الإخلاصِ وفوائدَهُ، ويَرىٰ أمثلهً حيَّةً للمخلِصينَ، فيسيرُ في رِكابِهم،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٦٥) وأحمد في «المسند» (١/ ١٦٨) واللفظ للإمام مسلم أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه اعتزل الفتنة فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل، فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟

فضرب سعد في صدره فقال: اسكت سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي».

ويتشبهُ بهِم.

تشبهوا بالكرام وإن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وأرشحُ لكَ الكتبَ الآتيةَ:

١ ـ «صفة الصفوة» لابن الجوزي.

٢ ـ «الزهد» عبدالله بن المبارك.

٣ ـ «نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء» د/ محمد موسىٰ الشريف.

٤ ـ «صور من حياة الصحابة» د/ رأفت الباشا.

٥ ـ «صور من حياة التابعين» د/ رأفت الباشا.

١١ ـ الدعاءُ بأن يدفعَ اللهُ عنك الرياء:

روىٰ أحمدُ بسندٍ لاَ بأسَ بِه عنْ أبي موسىٰ الأشعريِّ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**يَا أيُّها الناسُ، اتقُوا هذَا الشركَ، فإنهُ أخفَى من دبيبِ النَّملِ**»، فقالَ لهُ منْ شاءَ أنْ يقولَ: وكيفَ نتقِيه وهوَ أخفَىٰ منْ دبيبِ النملِ يَا رسولَ اللَّهِ؟

قالَ: «**قُولوا: اللهمَّ إنَّا نعوذُ بِكَ مِن أَنْ نُشركَ بكَ شيئًا نعلمُه، ونستغفرُكَ لما لاَ نعلمُ**»[1].

---

(١) حسن لغيره: أخرجه أحمد (١٨٧٨١)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ١٠) وقال الهيثمي (١٠/ ٢٢٣): رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي الكاحلي لم يوثقه غير ابن حبان.

وللحديث شواهد منها:

ما رواه أحمد (٥٨ ـ ٦٠) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. =

١٢ ـ محاسبةُ النفس:

سلْ نفسَك قبلَ كلِّ عملٍ صالح: ماذَا تريدُ بهذَا العملِ؟

فإنْ وجدتَ الدافعَ الوحيدَ عليه هوَ إرضاءُ اللهِ فسِرْ علَىٰ بركةِ اللَّهِ.

وإنْ وجدتَ معهُ دوافعَ أخرَىٰ كحبِّ الشُّهرةِ، أوِ السُّمعةِ، أوِ المحمدةِ، أو نيلِ دنيَا، أو نحوَ ذلكَ، فقِفْ وصحِّحْ النيةَ، ثمَّ استمرْ في عملكَ بعدَ تصحيحهَا.

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

= وما رواه أحمد (١١٢٥٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وما رواه البزار (٣٥٦٦) والحاكم (٢/ ٢٩١) عن عائشة رضي الله عنها.

وإن كانت أسانيدها لا تخلو من مقال إلا أن الحديث يتقوىٰ بها، ولذلك قال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب» (٣٦): حسن لغيره.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وليُّ الصادقينَ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ اللَّهِ ورسولُه إمامَ المخلِصين، وبعد:

إخوةَ الإسلام: تعالَوا معنَا لنستعرضَ طائفةً منْ أقوالِ المخلِصينَ، لِنقفَ علَىٰ حقائقَ ناصعةٍ، ونصائحَ نافعةٍ، وكلماتٍ مضيئةٍ.

رابعًا: من أقوال المخلصين[1]:

قال أبو سليمان الداراني: طوبَىٰ لمنْ صحتْ لهُ خُطوةٌ واحدةٌ لاَ يريدُ بهَا إلاَّ اللَّهَ تعالَىٰ.

قيل لسهل بن عبدالله: أيُّ شيءٍ أشدُّ علَىٰ النفسِ؟

قالَ: الإخلاصُ؛ لأنَّه ليسَ لهَا فِيه نصيبٌ.

قال أبو العالية: قالَ لِي أصحابُ محمدٍ ﷺ: «لاَ تعملْ لغيرِ اللَّهِ فيَكِلَكَ اللهُ إلَىٰ منْ عمِلتَ لهُ».

قيل لحمدون بن أحمد: مَا بالُ كلامِ السلفِ أنفعُ منْ كلامِنا؟

قالَ: «لأنهُم تكلمُوا لِعزِّ الإسلامِ، ونجاةِ النُّفوس، ورضَا الرحمنِ، ونحنُ نتكلمُ لعزِّ النُّفوسِ، وطلبِ الدنيَا، ورضَا الخلقِ».

---

(١) «الإخلاص» لصالح العصيمي (٢٠-٢٩).

قال الربيعُ بن خُثيم: «كلُّ مَا لاَ يرادُ بهِ وجهُ اللَّهِ يضمحلُّ».

قال مجاهد: «إنَّ العبدَ إذا أقبلَ إلىٰ اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ بقلبهِ، أقبلَ اللهُ بقلوبِ المؤمنينَ إليهِ»(١).

قال الجنيد: «إنَّ للَّهِ عباداً عَقَلوا، فلمَّا عَقَلوا عملُوا، فلمَّا عملُوا أخلصُوا، فاستدعاهُم الإخلاصُ إلىٰ أبوابِ البرِّ أجمعَ».

قال أيوبُ السختياني: «ما صدقَ عبدٌ قطُّ فأحبَّ الشهرةَ».

قال مالكُ بن دينار: «قولُوا لمنْ لمْ يكنْ صادقًا لاَ تتعنَّ»

وقال يحيى بن معاذ: «لا يُفلحُ منْ شممتَ رائحةَ الرياسةِ منهُ».

وقال بعضهم: «إنِّي لأحبُّ أنْ يكونَ لي فِي كلِّ شيءٍ نيةٌ حتَّىٰ في أكلِي، وشربِي، ونَومي، ودُخولِي الخلاءَ».

قال الفضيل بن عياض: «تركُ العملِ من أجلِ الناسِ رياءٌ، والعملُ من أجلِ الناسِ شركٌ».

وقال عبدالله بن المبارك: «رُبَّ عملٍ صغيرٍ تكثِّرهُ النيةُ، ورُبَّ عملٍ كثيرٍ تُصغِّره النيةُ».

كان الفضيلُ يحاسبُ نفسَه ويقول:

يَا مسكينُ، أنتَ مسيءٌ، وترىٰ أنكَ محسنٌ.

---

(١) لكن لا تكن نيتك بالإقبال على اللَّه ذلك، وإنما انوِ رضا الرحمن فقط، أقبل الناس عليك أو لم يُقبلوا.

وأنتَ جاهلٌ، وترَىٰ أنكَ عالمٌ، وبخيلٌ وترَىٰ أنكَ كريمٌ، وأحمقُ وترَىٰ أنكَ عاقلٌ، أجلُكَ قصيرٌ وأملُكَ طويلٌ.

قال يوسف بن أسباط: «تخليصُ النيةِ من فسادِها أشدُّ علىٰ العاقلينَ من طولِ العبادةِ».

قال أبو يزيد: «لوْ صفَا لِي تهليلةٌ مَا باليتُ بعدَها».

أخي المسلم الكريم:

أخلصْ تتخلصْ، وأحسنْ يُحسنْ إليكَ، واعلمْ أنَّ اللَّهَ ناظرٌ إليكَ، شاهدٌ عليكَ، مطلعٌ علىٰ قلبكَ، اللهمَّ جنبنَا الرياءَ في القولِ والعملِ.

. . . الدعاء



(٣)

غذاء الروح

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ - الروح والجسد

٢ - فضل ذكر الله

٣ - الذكر خير من الصدقة

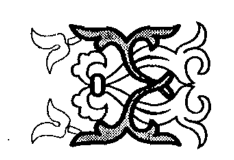
٤ - الذكر حياة القلب

٥ - الذكر فرصة لكسب الحسنات

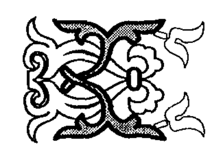
٦ - الذكر كنز من كنوز الجنة

٧ - الذكر يحرز العبد من الشيطان





٣. غذاء الروح



١ ـ الروحُ والجسد:

الإنسانُ مكونٌ من شقينِ أساسيينِ همَا: الروحُ والجسدُ.

فالجسدُ مبدؤُه من الأرضِ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

وغذاؤُه من الأرضِ: الشرابُ، الطعامُ، اللباسُ، المسكنُ من الأرضِ.

ومنتهاهُ إلىٰ الأرضِ: حينمَا يموتُ الإنسانُ يتحللُ الجسدُ إلىٰ الترابِ.

والروحُ مبدؤُها من السماءِ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

وغذاؤُها من السماءِ: الصلاةُ، الصيامُ، الحجُّ، الصدقةُ، الذكرُ، كلُّها تتعلقُ بالسماءِ.

ومنتهاهَا إلىٰ السماءِ: إذَا ماتَ العبدُ الصالحُ صعدتْ الروحُ إلىٰ بارئِها.

٢ ـ الموازنةُ بين غذاءِ الروحِ والجسد:

فإذَا طغَىٰ غذاءُ الجسدِ علَىٰ غذاءِ الروحِ كمَا هوَ حادثٌ عندَ كثيرٍ من الناسِ اليومَ شعرَ الرجلُ بالضيقِ والقلقِ وعدمِ الاستقرارِ.

وكذلكَ إذَا طغَىٰ غذاءُ الروحِ علَىٰ غذاءِ الجسدِ.

ولكنَّ السعادةَ . . . والطمأنينةَ . . والراحةَ النفسيةَ فِي الموازنةِ بينَ غذاءِ

الروح وغذاءِ الجسدِ، حينذاكَ تعتدلُ كفتَا الميزانِ.

قمْ وجرِّب بنفسكَ... صلِّ ركعتينِ في جوفِ الليلِ، أطلْ في الركوعِ والسجودِ وأظهرْ فقركَ للواحدِ المعبودِ، وتذللْ لمالكِ الوجودِ، وتزلفْ للفردِ الودودِ ثمَّ انظرْ حالكَ بعدَ هاتينِ الركعتينِ.. فانظرْ ماذَا ترَىٰ؟

سترَىٰ نفسَكَ في جنةٍ، ورُوحَكَ في فرَحٍ، ستشعرُ بسعادةٍ نفسيةٍ وراحةٍ قلبيةٍ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّ في الدنيَا جنةً منْ دخلهَا دخلَ جنةَ الآخرةِ، ومنْ حُرِم منهَا حُرِم من جنةِ الآخرةِ. اهـ.

نعمْ، إنَّها لذةُ الطاعةِ.. إنَّها حلاوةُ المناجاةِ.

تصدقْ بجزءٍ من مالكَ في ظلامِ الليلِ لأحدِ الفقراءِ، بحيثُ لاَ تعلمُ شمالُك مَا أنفقتْ يمينُك... ثمَّ انظرْ في قلبكَ.. سترَىٰ بارقةَ الأملِ... وراحةَ النفسِ.

توضَّأ وافتحْ مصحفَك، واقرأْ مَا تيسَّر لكَ من كلامِ ربِّك... بخشوعٍ وترتيلٍ... وتفكرٍ وتدبرٍ... وإجلالٍ وتعظيمٍ... سترَىٰ كأنَّ رُوحَك تسبحُ في ملكوتِ السماءِ، ونفسَكَ قدْ صارتْ أصفَىٰ من الماءِ...

فهذَا هوَ طريقُ السعادةِ؛ فعضَّ عليهِ بالنواجذِ، واستمسكْ بعروتِه الوثقَىٰ.

وسنأخذُ اليومَ غذاءً واحدًا من أغذيةِ الروحِ نغترفُ من معينِه، ونغذِّي أرواحنَا من لذَّته.

أتدرونَ مَا هذَا الغذاءُ الدسمُ؟! إنَّه الذكرُ.. ذكرُ اللَّه.. لاَ ذكر الدُّنيا.. لاَ ذكر المالِ... لاَ ذكر التجارةِ.. لاَ ذكر الشهرةِ.. ذكرُ اللَّهِ تعالَىٰ:

٣ ـ فضل الذكر:

١ ـ قالَ تعالَىٰ: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢ ـ وقالَ تعالَىٰ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٣ ـ وقالَ سبحانه: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وقالَ تعالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١].

وفي صحيح مسلم عنْ أبِي هريرةَ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لاَ يقعدُ قومٌ يذكرونَ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ إلاَّ حفَّتهم الملائكةُ وغشيتهم الرحمةُ، ونزلتْ عليهمُ السكينةُ، وذكرهُم اللَّهُ فيمنْ عندهُ»**(١).

٤ ـ الذكرُ خيرٌ من الصدقة... الذكرُ خيرٌ من الجهاد:

فعنْ أبِي الدرداءِ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:

«ألا أنبئكُم بخيرِ أعمالكم، وأزكَاها عندَ مليككم، وأرفَعها في درجاتكم وخير لكُم من إنفاقِ الذهبِ والورق(٢)، وخير لكُم من أنْ تلقَوا عدوَّكم فتضربُوا أعناقَهم، ويضربُوا أعناقَكم؟» قالُوا: بلَىٰ، قالَ: «ذكرُ اللَّهِ تعالَى»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٣٣٧٨) وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٧، ٣/ ٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٥).

(٢) **الورق**: الفضة.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجة (٣٧٩٠) وأحمد في «المسند» (٥/ ١٩٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٦) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٢٩).

٥ ـ الذكرُ حياةُ القلب... وغذاءُ الروح:

ففي صحيح البخاري عنْ أبِي موسَىٰ الأشعريِّ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «مثلُ الذِي يذكرُ ربَّه والذِي لا يَذكرُ ربَّه مثلُ الحيِّ والميت»[١].

٦ ـ الذكرُ فرصةٌ لكسبِ الحسنات... ومحوِ السيئات:

ففي صحيح مسلم عنْ سعدِ بن أبِي وقاصٍ ـ رضيَ اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: «كنَّا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ: «أيعجزُ أحدُكم أنْ يكسبَ في كلِّ يومٍ ألف حسنة؟!» فسألَه سائلٌ من جُلسائهِ: كيفَ يكسبُ ألفَ حسنةٍ؟ قالَ: «يسبحُ مائةَ تسبيحة فتُكتبُ لهُ ألفُ حسنة، أوْ تحطُّ عنهُ ألفُ خطيئة»[٢].

٧ ـ الذكرُ... كنزٌ من كنوز الجنة:

ففي الصحيحين عنْ أبِي موسَىٰ الأشعريِّ ـ رضِيَ اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ لِي النبيُّ ﷺ: «ألاَ أدلُّكَ علَى كنز من كنوزِ الجنَّة؟» فقلتُ: بلَىٰ يَا رسولَ اللَّهِ، قالَ: «قلْ: لاَ حولَ ولاَ قوةَ إلاَّ باللَّه»[٣].

٨ ـ الذكر يرطب اللسان:

فقد روىٰ الترمذي بسند صحيح عن عبدِاللَّهِ بن بشرٍ ـ رضِيَ اللَّهُ عنهُ ـ أنَّ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) بلفظ «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٨)، والترمذي (٣٤٦٣)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٨٥) والحميدي (٨٠) وابن حبان في «صحيحه» (٨٢٥).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤) وأبو داود (١٥٢٦)، والترمذي (٣٣٧٤، ٣٤٦١)، وابن ماجة (٢٨٢٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٠، ٤٠٣).

رجلاً قالَ: يَا رسولَ اللَّهِ، إنَّ شرائعَ الإسلامِ قدْ كثرتْ عليَّ، فأخبرنِي بشيءٍ أتشبثُ بهِ، فقالَ: «لاَ يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللَّهِ تعَالى»(١).

٩ ـ الذكر فرصة للتجارة مع الله:

في «صحيح مسلم» عن أبِي ذرٍّ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «يصبحُ علَى كلِّ سُلامَى(٢) من أحدكم صدقةٌ: فكلُّ تسبيحة صدقةٌ، وكلُّ تحميدة صدقةٌ، وكلُّ تهليلة صدقةٌ، وكلُّ تكبيرة صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ، ويجزئُ من ذلكَ ركعتانِ تركعُهما من الضُّحى»(٣).

١٠ ـ الذكرُ من صفات المؤمنين:

قالَ تعالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

١١ ـ الذكرُ يحرز العبدَ من الشيطان:

عنِ الحارثِ الأشعريِّ ـ رضيَ اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجة (٣٧٩٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٩٠، ١٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٤)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٠٠).

(٢) السلامى: العضو.

(٣) صحيح: رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى (٧٢٠)، وأبو داود (١٢٨٥)، وابن خزيمة (١٢٢٥).

«إنَّ اللَّهَ أوحَى إلَى يحيَى بنِ زكـريَّا بخمسِ كلمات أن يعـملَ بهنَّ ويأمرَ بنِي إسرائيلَ أن يعملُوا بهنَّ، فكأنَّه أبطَأ بهنَّ، فأتَاه عيسَى فقَالَ: إنَّ اللَّهَ أمركَ بخمس كلمات أن تعملَ بهنَّ وتأمـرَ بنِي إسرائيلَ أن يعملُوا بهنَّ، فإمَّا أن تخـبرَهم وإمَّا أنْ أخبرَهـم، فقالَ: يَا أخِي لاَ تفعلْ، فـإنِّي أخافُ إنْ سبقـتنِي أن يُخسَفَ بِي أو أعـذبَ - قـالَ - فجمعَ بنِي إسرائيلَ ببيتِ المقدسِ حـتَّى امتلأَ المسجدُ، وقعدُوا علَى الشُّرفات، ثمَّ خـطبَهم، فقالَ: إنَّ اللَّهَ أوحَى إليَّ بخمـسِ كلماتٍ أنْ أعملَ بهنَّ، وآمرَ بنِي إسرائيلَ أنْ يعملُوا بهنَّ:

أولاهُن: لاَ تشركُوا باللَّـه شيئًا، فإنَّ مـثلَ منْ أشركَ كمثلِ رجلٍ اشتـرَى عبدًا منْ خالصِ ماله بذهبٍ أو ورقٍ، ثمَّ أسكنهُ دارًا، فقـالَ: اعملْ وارفعْ إليَّ، فجعلَ يعمـلُ ويرفعُ إلَى غيـرِ سيِّده، فـأيُّكم يرضَى أن يكونَ عـبدُه كذلكَ؟! فـإنَّ اللَّهَ خلقكُم ورزقكُم فلاَ تشركُوا بِه شيئًا.

وإذَا قمتُم إلَى الصلاةِ فَـلا تَلتفتُوا، فإنَّ اللَّهَ يُقبلُ بوجهِه إلَى وجـهِ عبدِه مَا لـمْ يلتفتْ.

وآمركُم بالصيامِ، ومـثلُ ذلكَ كمثلِ رجلٍ في عصابةٍ معـهُ صرةُ مسك، كلُّهم يحبُّ أن يجدَ ريحَها، وإنَّ الصيامَ أطيبُ عندَ اللَّه من ريحِ المسك.

وآمركُم بالصدقة، ومثلُ ذلكَ كمـثلِ رجلٍ أسرَه العدوُّ، فأوثقُوا يدَه إلَى عنقه، وقـرَّبوه ليضـربُوا عنقَه، فـجعلَ يقـولُ: هلْ لكُم أن أفـدِي نفسِي منكُم، وجـعلَ يعطِي القليلَ والكثيرَ حتَّى فدَى نفسَه.

وآمركُم بذكرِ اللَّه كـثيرًا، ومثلُ ذلكَ كمثلِ رجلٍ طلبَـه العدوُّ سراعًا في أثَره، حتَّى أتَى حصنًا حصينًا فأحرزَ نفسهُ منهُ، وكذلكَ العبدُ لاَ ينجُو منَ الشيطانِ إلاَّ

بذكرِ اللَّه»[١] .

١٢ ـ الذكر فرصةٌ للسباقِ ومَيدانٌ للتنافس:

ففي صحيح مسلم عنْ أبِي هريرةَ ـ رضِيَ اللَّهُ عنه ـ أن رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: «سبقَ المفرِّدون»، قالُوا: ومَا المفرِّدون يَا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «الذاكرونَ اللَّهَ كثيرًا والذاكراتُ»[٢] .

١٣ ـ الذكر.. يحط الذنوب.. ويمحو الخطايا:

ففي «الصحيحين» أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «منْ قالَ: سبحانَ اللَّهِ وبحمدِه في يومٍ مائةَ مرةٍ، حطتْ عنهُ خطاياهُ، وإنْ كانتْ مثلَ زبدِ البحرِ»[٣] .

١٤ ـ الذكرُ يثقلُ الميزان.. ويحبِّبُ العبدَ إلى الرحمن:

ففي الصحيحين عن أبِي هريرةَ ـ رضيَ اللَّهُ عنهُ ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «كلمتان خفيفتانِ علَى اللسانِ، ثقيلتانِ في الميزانِ، حبيبتانِ إلَى الرحمنِ: سبحانَ اللَّهِ وبحمدِه، سبحانَ اللَّهِ العظيمِ»[٤] .

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) وقال حسن صحيح غريب، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠، ٢٠٢) والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٧، ٣٤٣٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٠)، وابن حبان (٦٢٣٣)، والحاكم (١/ ١١٨) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣) وابن حبان (٨٥٨)، والحاكم (١/ ٤٩٥).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١)، والترمذي (٣٤٦٦)، وابن ماجة (٣٨١٢)، وأحمد (٢/ ٣٠٢).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩١)، والترمذي (٣٤٦٧)، وابن ماجة (٣٨٠٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣١، ٨٤١).

١٥ ـ الذكر يمنع الشيطان من دخول البيت:

عنَ جابرٍ ـ رضيَ اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إذَا دخلَ الرجلُ بيتَه، فذكرَ اللَّهَ عندَ دخوله وعندَ طعامه، قالَ الشيطانُ: لاَ مبيتَ لكُم ولاَ عشاءَ، وإذَا دخلَ فلمْ يذكرِ اللَّهَ عندَ دخوله، قالَ الشيطانُ: أدركتُم المبيتَ، وإذَا لمْ يذكرِ اللَّهَ عندَ طعامه، قالَ: أدركتُم المبيتَ والعشاءَ»[1].

١٦ ـ الذكرُ يجعلُ العبدَ في معية الله الخاصة:

معيةُ القربِ والولايةِ... معيةُ المحبةِ والنُّصرةِ... معيةُ التوفيقِ والهدايةِ... معيةُ التثبيتِ والتأييدِ.

ففي الصحيحين عن أبِي هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «قالَ اللَّهُ تعالَى: «أنَا عندَ ظنِّ عبدِي بِي، وأنَا معهُ إذَا ذكرَني، فإنْ ذكرنِي في نفسه ذكرتُه في نفسِي، وإنْ ذكرنِي في ملإٍ ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهُم»[2].

وعند البخاري معلقًا عنْ أبِي هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «قالَ اللَّهُ تعالَى: «أنَا معَ عبدِي حيثما ذكرنِي وتحركتْ بِي شفتَاه»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠١٨) وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجة (٣٨٨٧)، وأحمد (٣/ ٣٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، والترمذي (٣٦٠٣)، وابن ماجة (٣٨٢٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥١، ٤١٣)، وابن حبان (٨١١).

(٣) صحيح: ذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم (باب ٤٣) كتاب التوحيد وابن ماجة (٣٧٩٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٦)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٠٦).

١٧ ـ الذكر دليل على محبة العبد لربه:

لأَّن كلَّ رجلٍ يذكرُ محبوبَه... فهذَا يذكرُ التجاراتِ... وهذَا يذكرُ العماراتِ... وهذَا يذكرُ العقاراتِ... وهذَا يذكرُ الشهواتِ... وهذَا يذكرُ الأغنياتَ.. وهذَا يذكرُ المسلسلاتَ... وهذَا يذكرُ الدولاراتِ، ولكنْ منَ الناسِ منْ يداوِمُ علَى ذكرِ ربِّ الأرضِ والسمواتِ، وهوَ الفائزُ وربِّ الكعبةِ.

١٨ ـ الذكرُ يُذيبُ قَسوةَ القلبِ:

عنِ المعلَّى بنِ زيادٍ أنَّ رجلاً قالَ للحسنِ: يَا أبَا سعيدٍ، أشكُو قسوةً في قلبِي. قالَ: أذبِها بذكرِ اللَّهِ[١].

١٩ ـ الذكر سببٌ في استجابة الدعاء:

عن عبادةَ بنِ الصامتِ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «منْ تعارَّ[٢] منَ الليلِ فقالَ: لاَ إله إلاَّ اللَّهَ وحدَه لاَ شريكَ لهُ، له المُلكُ ولهُ الحمدُ، وهوَ علَى كلِّ شيءٍ قديرٌ، الحمدُ للَّه وسبحانَ اللَّه ولاَ إلهَ إلاَّ اللَّهَ واللَّهُ أكبرُ ولاَ حولَ ولاَ قوةَ إلاَّ باللَّه، ثمَّ قالَ: اللهمَّ اغفرْ لِي، أوْ دعَا استُجيبَ لهُ، فإنْ توضَّأَ وصلَّى قُبلتْ صلاتُه»[٣].

٢٠ ـ الذكرُ يَجعلُكَ تُذكَر في الملأ الأعلى:

عنْ أبِي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنَا عندَ ظنِّ عبدِي بِي، وأنَا معهُ حينَ يذكرنِي، إنْ ذكرنِي في نفسه ذكرتُه في نفسِي، وإنْ ذكرنِي فِي ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ هُم خيرٌ منهمْ، وإنْ تقرَّبَ منِّي شبراً تقربتُ إليه

---

(١) ذكره ابن القيم في «الوابل الصيب» (٦٦).

(٢) تعار: استيقظ من نومه.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١١٥٤)، وأبو داود (٥٠٦٠)، والترمذي (٣٤١٤)، وابن ماجة (٣٨٧٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣١٣) والدارمي (٢٦٨٧)، وابن حبان (٢٥٩٦)، والبيهقي (٣/ ٥).

ذراعًا، وإنْ تقربَ إليَّ ذراعًا تقربتُ منه باعًا، وإنْ أتاني يمشِي أتيتُه هرولةً»[(١)] .

٢١ ـ الذكرُ يُعطيكَ أجرَ الحج والعمرة:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «منْ صلَّى الغداةَ[(٢)] في جماعة، ثمَّ قعدَ يذكرُ اللَّهَ حتَّى تطلعَ الشمسُ، ثمَّ صلَّى ركعتينِ كانتْ لهُ كأجرِ حجةٍ وعمرةٍ» قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ» قالَ أَبُو عيسَىٰ: هذَا حديثٌ حسنٌ غريبٌ[(٣)] .

٢٢ ـ الذكرُ يُوجِبُ الظلَّ يوم القيامة:

عنْ أبِي هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: « سبعةٌ يظلُّهم اللَّهُ في ظلِّه يومَ لاَ ظلَّ إلاَّ ظلَّه: الإمامُ العادلُ، وشابٌّ نشأَ في عبادة ربِّه، ورجلٌ قلبُه معلقٌ في المساجد، ورجلانِ تحابَّا في اللَّهِ اجتمعَا عليْه وتفرَّقَا عليْه، ورجلٌ طلبته[(٤)] امرأةٌ ذاتَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، والترمذي (٣٦٠٣)، وابن ماجة (٣٨٢٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥١، ٤١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١١).

(٢) الغداة: صلاة الصبح.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٥٨٦) وحسنه، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٤٦) للحديث شواهد فعن أبي أمامة أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٤١)، وقال الهيثمي في «المجمع» إسناده جيد (١٠/ ١٠٤)، وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٠٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٠٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» وفيه الفضل بن موفق وثقه ابن حبان وضعف حديثه أبو حاتم الرازي وبقية رجاله ثقات وفي الباب عن عتبة بن عبد الله أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣١٧) قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٠٤) أخر الطبراني وفيه الأحوص بن حكيم وثقه العجلي وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف لا يضر.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩١)، والنسائي (٥٣٩٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٩)، وابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٩٠).

منصب وجمال، فقال: إنِّي أخافُ اللَّهَ، ورجلٌ تصدَّق أخفَى؛ حتَّى لاَ تعلمَ شمالُه ما تنفقُ يمينُه، ورجلٌ ذكرَ اللَّهَ خاليًا ففاضتْ[1] عيناهُ»[2] .

٢٣ ـ الذكر سببٌ في نُزولِ السكينة والرَّحمة:

عن الأغرِّ أبِي مسلمٍ أنهُ قالَ: أشهدُ علَىٰ أبِي هريرةَ وأبِي سعيدٍ الخدريِّ أنهمَا شهِدا علَىٰ النبيِّ ﷺ أنهُ قالَ: «لاَ يقعدُ قومٌ يذكرونَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ إلاَّ حفتهُم[3] الملائكةُ، وغشيتهُم الرحمةُ، ونزلتْ عليهمُ السكينةُ، وذَكرهُم اللَّهُ فيمنْ عندهُ»[4] .

---

(١) طلبته: دعته الزنا.

(٢) ففاضت: ذرفت دموعه.

(٣) حفت: أحاطت بهم.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٣٣٧٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٧، ٣/ ٣٣، ٩٤) وعبد الرزاق (٢٠٥٧٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٥) كلهم عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم به وله طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥، ٣٦٤٣)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجة (٢٢٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٢، ٤٠٧)، وابن حبان (٧٦٨).



(٤)

الدعاء المستجاب

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

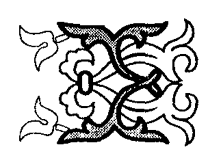
١ ـ فضل الدعاء.

٢ ـ شروط قبول الدعاء.

٣ ـ آداب الدعاء.

٤ ـ أوقات إجابة الدعاء.





المقدمة



إنَّ الحمدَ للَّهِ . . .

أولاً: فضلُ الدعاءِ:

١ ـ الدعاءُ عبادةٌ نتقربُ بها إلى الله:

روَىٰ الترمذيُّ ـ وقالَ : حسنٌ صحيحٌ ـ عنِ النعمانِ بنِ بشيرٍ ـ رضيَ اللَّهُ عنهمَا ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**الدعاءُ هوَ العبادةُ، ثمَّ قرأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**[غافر: ٦٠]»[١] .

ففِي هذَا الحديثِ يبينُ لنَا النبيُّ ﷺ أنَّ الدعاءَ منْ أفضلِ العباداتِ فقالَ: «**الدعاءُ هوَ العبادةُ**» أي رأسُ العباداتِ، أو لبُّها، أو أفضلُها[٢] .

فينبغِي للمسلمِ أنْ لا يغفلَ عن هذِهِ العبادةِ العظيمةِ الجليلةِ .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٤٦٤)، وابن ماجة (٣٨٢٨)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) قال الترمذي حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧).

(٢) مثل قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح «الحج عرفة» أخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٩٠)، وابن ماجة (٣٠١٥)، وأحمد (٤/ ٣٠٩، ٣١٠) والحميدي (٨٩٩)، وابن خزيمة (٢٨٢٢)، والدارقطني (٢/ ٢٤٠) وابن حبان (٣٨٩٢)، والحاكم (١/ ٤٦٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٧٢).

٢ ـ الدعاءُ يَردُّ عنك المصائبَ قبل وُقُوعِها:

فقد روىٰ الترمذي عن سلمان الفارسي رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يردُّ القضاءَ إلاَّ الدُّعَاءُ»(١) .

فقدْ يدعُو الشابُّ أنْ ينجحَ هذَا العامَ، فلمْ يستجبِ اللَّهُ لهُ، فيظنُّ أنَّ دعاءَه ذهبَ سدًىٰ، ولكنَّ اللَّهَ قدْ يدفعُ عنهُ مصيبةً، أو حادثًا، أو نحوَ ذلكَ؛ بسببِ الدعاءِ، والدليلُ علَىٰ ذلكَ مَا رواهُ البخاريُّ في «الأدب المفرد» وصحَّحه الألبانيُّ عنْ أبِي سعيدٍ الخدريِّ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا منْ مسلمٍ يدعُو، ليسَ بإثمٍ، ولاَ بقطيعةِ رحمٍ، إلاَّ أعطاهُ اللَّهُ إحدَى ثلاثَ:

١ ـ إمَّا أنْ يعجِّلَ لهُ دعوتهُ.

٢ ـ وإمَّا أنْ يدخرَها لهُ في الآخرةِ.

٣ ـ وإمَّا أنْ يدفعَ عنهُ منَ السوءِ مثلَها».

قالَ: إذًا نكثرُ، قالَ: «اللَّهُ أكثرُ»(٢) .

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢١٣٩) وقال: حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٧) وفي الباب عن ثوبان أخرجه ابن ماجة (٩٠، ٤٠٢٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٨٥) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥٨/ ١) الدعاء والطبراني (١٤٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٣)، وصححه ووافقه الذهبي وفي الباب عن عبادة بن الصامت أخرجه الترمذي (٣٥٧٣)، وقال حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٧).

٣ ـ الدعاءُ يجعلُك عند الله كريمًا:

لأنَّ الدعاءَ كريمٌ علَىٰ اللَّهِ، فمنْ داومَ عليهِ كانَ عندَ اللَّه كريمًا.

فقدْ روَىٰ الترمذيُّ وحسَّنه وصحَّحه الحاكمُ والذهبيُّ عنْ أبِي هريرةَ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ مرْفوعًا: «**ليسَ شيءٌ أكرمَ علَى اللَّهِ منَ الدعاءِ**»(١).

٤ ـ الدعاء سببٌ من أسباب المغفرة:

فقدْ روَىٰ الترمذيُّ وحسَّنه، وذكرهُ الألبانيُّ فِي «الصحيحة» وحسَّنه بشواهدِه عن أنسٍ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: قالَ اللَّهُ تعالَىٰ: «**يابنَ آدمَ! إنكَ مَا دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لكَ علَى مَا كانَ منكَ ولاَ أُبالِي، يابنَ آدمَ! لو بلغتْ ذنوبُك عَنانَ السماءِ ثمَّ استغفرتني غفرتُ لكَ ولاَ أُبالِي، يابنَ آدمَ! إنكَ لو أتيتِني بقرابِ الأرضِ خطايَا ثمَّ لقيتِني لاَ تشركُ بي شيئًا لأتيتُك بقُرابِها مغفرةً**»(٢).

---

(١) حسن: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، والترمذي (٣٣٧)، وقال حسن غريب، وابن ماجة (٣٨٢٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢)، وابن حبان (٨٧٠) والحاكم (١/ ٤٩٠)، وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٩٢).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) وقال حسن غريب وله شاهد من حديث أبي ذر أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٢)، والدارمي (٢٧٨٨)، وحسنه الشيخ في «صحيح الجامع» (٤٣٣٨)، وفي «الصحيحة» (١٢٧).

ثانيًا: شروطُ قَبولِ الدعاء:

١ ـ الإخلاصُ:

قالَ تعالَىٰ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

والإخلاصُ: هو صدقُ النيةِ في التوجُّه إلَىٰ اللَّهِ وحدَه، معَ اليقينِ بأنَّ اللَّهَ علَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

٢ ـ استحضار القلب أثناء الدعاء:

روَىٰ الترمذيُّ وحسَّنه الألبانيُّ عنْ أبِي هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: **«ادعُوا اللَّهَ وأنتُم موقِنونَ بالإجابةِ، واعلمُوا أنَّ اللَّهَ لاَ يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ»**[١].

٣ ـ أكل الحلال:

إنَّ أكلَ الحرامِ قدْ يمنعُ إجابةَ الدعاءِ، فقدْ روَىٰ مسلمٌ عنْ أبِي هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: **«أيُّها الناسُ إنَّ اللَّهَ طيبٌ لاَ يقبلُ إلاَّ طيبًا، وإنَّ اللَّهَ أمرَ المؤمنينَ بمَا أمرَ بهِ المرسلينَ فقالَ سبحانهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ**

(١) حسن لغيره: رواه الترمذي (٣٤٧٩)، والطبراني في «الدعاء» (٦٢)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وفيه صالح بن بشير المري، كان زاهدًا واعظًا رقيقًا، لكنه ضعيف في الحديث، وللحديث شاهد من حديث ابن عمر أورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٤٨)، وقال: رواه الطبراني، وفيه بشير بن ميمون وهو مجمع علىٰ ضعفه.
وله شاهد أقوىٰ منه عن عبد الله بن عمرو، رواه أحمد (٦٦٥٥) بسند رجاله ثقات إلا ابن لهيعة وهو صدوق وحديثه حسن في الشواهد.
فالحديث بهذين الشاهدين حسن إن شاء الله ولذلك أورده الألباني في «الصحيحة» (٥٩٤)، وفي «صحيح الترمذي».

وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثمَّ ذكرَ الرجلَ يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يديه إلَى السماءِ يَا ربُّ يَا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ ومشربُه حرامٌ، وغُذِّي بالحرامِ فأنَّى يستجابُ لذلكَ»[1].

٤ ـ أن لا يدعوَ بإثمٍ أو قطيعةِ رحم:

روَىٰ مسلمٌ عنْ أبِي هريرةَ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يستجابُ للعبدِ مَا لمْ يدعُ بإثمٍ أو قطيعةِ رحمٍ، مَا لمْ يستعجلْ».

قيلَ يَا رسولَ اللَّهِ: مَا الاستعجالُ؟

قالَ: «يقولُ: قدْ دعوتُ، وقدْ دعوتُ، فلمْ أرَ يُستجبْ لِي، فعندَ ذلكَ يستحسرُ ويدعُ الدعاءَ»[2].

الإِثمُ: الذنبُ، كأنْ يدعُو اللَّهَ أنْ يمكِّنه ممَّا لاَ يحلُّ لهُ: كسرقةٍ وزنَا ونحوهِما، قطيعةُ الرَّحمِ: الدعاءُ علَى أقاربِه وأرحامِه.

٥ ـ عدمُ الاعتداءِ في الدعاء:

قالَ تعالَىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٠١٥)، والترمذي (١٩٨٩) والدارمي (٢٧١٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧١٥)، واللفظ له وأبو داود (١٤٨٤)، والترمذي (٣٣٨٧)، وابن ماجة (٣٨٥٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٨٧).

قال ابنُ القيمِ ما ملخصه:

الاعتداءُ فِي الدعاءِ تارةً يكونُ بسؤالِ محرمٍ، وتارةً يكونُ بأنْ يسألَ اللَّهَ مَا ينافِي حكمتَه: كأنْ يسألَه أنْ يخلِّده إلَىٰ يومِ القيامةِ، أو أنْ يعيشَ بلاَ طعامٍ ونحوَ ذلكَ. اهـ.

قلتُ: ويدخلُ فيهِ الاشتراطُ والتحديدُ في الدعاءِ.

أمثلة للاعتداء في الدعاء:

روَىٰ أحمدُ وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»: عنْ سعدِ بنِ أبِي وقاصٍ أنَّه سمعَ ابنًا لهُ يقولُ: «اللهمَّ إنِّي أسأَلُك الجنةَ وأسألك من نعيمها وبهجتها، ومن كذا ومن كذا، ومن كذا ومن كذا، وأعوذُ بكَ منَ النارِ، وسلاسِلها، وأغلالِها، ومن كذا ومن كذا...

فقالَ: لقدْ سألتَ اللَّهَ خيراً كثيراً، وتعوذتَ باللَّهِ منْ شرٍّ كثيرٍ، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «**سيكونُ قومٌ يعتدونَ في الدعاءِ**» وقرأَ هذهِ الآيةَ: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾.

وإنَّ حسبكَ أنْ تقولَ: اللهمَّ إنِّي أسأَلُك الجنةَ ومَا قرَّب منهَا من قولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بكَ منَ النارِ ومَا قربَ إليهَا من قولٍ أو عملٍ»[1].

---

(١) حسن لغيره: رواه أحمد (١٤٨٣)، (١٥٨٤)، والطيالسي (٢٠٠)، والطبراني في «الدعاء» (٥٥) وفيه مولىٰ لسعد بن أبي وقاص وهو مجهول، ورواه أبو داود (١٤٨٠) بدون ذكر مولىٰ لسعد بن أبي وقاص، والحديث رجاله كلهم ثقات إلا مولىٰ سعد هذا، وله شاهد من حديث عبد الله بن مغفل سيأتي بعده يحسن به ولذلك حسنه الألباني في «صحيح أبي داود».

وروَىٰ أحمدُ وصحَّحه الحاكمُ والذهبيُّ عن عبدِاللَّهِ بنِ مغفلٍ أنه سمعَ ابنَه يقولُ: اللهمَّ إنِّي أسألُك القصرَ الأبيضَ عن يمينِ الجنةِ إذَا دخلتُها.

فقالَ: يَا بنيَّ: سلِ اللَّهَ الجنةَ، وعُذْ به من النارِ، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: **«يكونُ قومٌ يعتدونَ في الدعاءِ والطهورِ»**(١).

٦ - الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المُنكَرِ:

روَىٰ الترمذيُّ وحسَّنه ووافقهُ الألبانيُّ عن حذيفةَ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«والذي نفسِي بيدِه، لتأمرُنَّ بالمعروفِ ولتنهوُنَّ عنِ المنكرِ أوْ ليوشكنَّ اللَّهُ أنْ يبعثَ عليكُم عقابًا من عنده، ثمَّ لتدعُنَّه فلاَ يستجيبُ لكُم»**(٢).

٧ - عدمُ استبطاءِ الإجابة:

روَىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عنْ أبِي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يُستجابُ لأحدكُم مَا لمْ يعجلْ، يقولُ: قدْ دعوتُ ربِّي فلمْ يستجبْ لِي»**(٣).

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٦٧٩٦) وابن ماجة (٣٨٦٤)، وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف لكن تابعه سعيد الجريري عند أحمد (١٦٨٠١) أيضًا وصححه الحاكم (١/ ١٦٢، ٥٤٠) ووافقه الذهبي وهو كما قالا فإن سماع حماد بن سلمة من سعيد الجريري كان قديمًا قبل اختلاط الجريري.

(٢) حسن: رواه أحمد (٢٣٣٠١) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي وهو ضعيف وله شاهد عن عائشة - رضي الله عنها - رواه أحمد (٢٥٢٥٥) وفيه مجهول وله شاهد آخر عن أبي هريرة عند البزار (٣٣٠٧) «كشف الأستار» والخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٩٢) من طريقين يتقوىٰ أحدهما بالآخر.

ولذلك حسن الترمذي (٢١٦٩) حديث الباب.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

ثالثًا: آدابُ الدعاء:

١ ـ الوضوءُ:

روَىٰ البخاريُّ في المغازي في بابِ غزوةِ أوطاسٍ عن أبِي موسَىٰ الأشعريِّ ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ أنَّ النبيَّ ﷺ أرسلَ جيشًا وأمَّر عليهم أبَا عامرٍ الأشعريَّ، فأُصيبَ بسهمٍ فِي ركبتهِ فنزعهُ أبُو موسَىٰ.

فقالَ لهُ أبُو عامرٍ: بلِّغْ رسولَ اللَّهِ ﷺ السلامَ، وقلْ لهُ يستغفرُ لِي، ثمَّ ماتَ، فرجعَ أبُو موسَىٰ فبلغَ رسولَ اللَّه، فدعَا بماءٍ فتوضَّأ، ثمَّ رفعَ يديه فقالَ: «**اللهمَّ اغفرْ لعبيدِ أبِي عامرٍ، اللهمَّ اجعلْه يومَ القيامةِ فوقَ كثيرٍ منْ خلقِك من الناس**».

فقالَ أبُو موسَىٰ: ولِي فاستغفرْ.

فقالَ: «**اللهمَّ اغفرْ لعبدِاللَّهِ بنِ قيسٍ ذنبَه وأدخله يوم القيامة مُدخلاً كريمًا**»[1].

٢ ـ استقبالُ القبلة:

ثبتَ في «الصحيحين» عن ابنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا أرادَ أنْ يدعُو علَىٰ نفرٍ من قريشٍ استقبلَ الكعبةَ فدعَا.

وفي «الصحيحين» أيضًا في الاسْتسقاءِ لَمَّا أرادَ النبيُّ أن يدعُو استقبلَ القبلةَ وحوَّل رداءَه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨).

وفي «صحيح مسلم» لَمَّا أرادَ أن يدعُو علَىٰ المشركينَ في غزوةِ بدرٍ استقبلَ القبلةَ ثمَّ مدَّ يديْه يهتفُ بربِّه(١).

٣ ـ التضرعُ وخفضُ الصوت:

قالَ تعالَىٰ: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قالَ ابنُ عباسٍ: السرُّ.

قالَ سعيدُ بن جبيرٍ: «تضرعًا» مستكينًا، «وخفيةً» في خفضٍ وسكونٍ.

قالَ الحسنُ البصريُّ: كانَ المسلمونَ يجتهدونَ في الدعاءِ، ومَا يُسمعُ لهُم صوتٌ، إنْ كانَ إلاَّ همسًا بينهُم وبينَ ربِّهم.

وفي «الصحيحين» عن أبِي موسَىٰ قالَ: رفعَ الناسُ أصواتَهم بالدعاءِ، فقالَ ﷺ: «**أيُّها الناسُ: اربْعُوا علَى أنفسِكم، فإنَّكم لا تدعونَ أصمَّ ولاَ غائبًا، إنَّ الذِي تدعونَ سميعٌ قريبٌ**»(٢).

٤ ـ رفعُ اليدينِ أثناءَ الدعاء:

أحمدُ والترمذيُّ وصحَّحه الحاكمُ والذهبيُّ عن سلمانَ الفارسيِّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**إنَّ ربَّكم حييٌّ كريمٌ، يستحيِي أنْ يبسطَ العبدُ يدَيه إليْه فيردهُما صفرًا ـ أوْ قالَ ـ خائبتينِ**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم في كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٧٦٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٣٧١٤، ٢٣٧١٥) موقوفًا ومرفوعًا، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب وابن ماجة (٣٨٦٥)، وصححه الحاكم (١/ ٥٣٥) ووافقه الذهبي.

ويجوزُ رفعُ السبَّاحة أثناءَ الدعاءِ:

لِما رواهُ الترمذيُّ وقالَ: حسنٌ صحيحٌ عن أبِي هريرةَ قالَ: مرَّ رسولُ اللَّهِ علَىٰ إنسانٍ يدعُو بإصبعَيه السبابتينِ، فقالَ: «أحِّد، أحِّد»[١].

وفِي «صحيح مسلم» عن عُمارةَ بنِ رُويبةَ أنَّه لَمَّا رأىٰ بشرَ بن مَرْوانَ علَىٰ المنبرِ رافعًا يديْه، فقالَ: «قبَّح اللَّهُ هاتينِ اليدينِ، لقدْ رأيتُ رسولَ اللَّهَ ﷺ مَا يزيدُ علَىٰ أنْ يقولَ بيدِه هكذَا، وأشارَ بإصبعِه المسبِّحة»[٢].

هيئاتُ رفعِ اليدين في الدعاء:

١ ـ الهيئةُ الأولى: رفعُ السبَّاحةِ إلَىٰ السماءِ كمَا مرَّ معنَا.

٢ ـ الهيئـةُ الثانيةُ: رفعُ اليدينِ وجعلُ ظهورهِما إلَىٰ القبلةِ وبطونِهما ممَّا يلِي وجهَه. فقد روىٰ أبو داود بسند حسن عن عمير مولىٰ بني آبي اللحم أنه رأىٰ النبي ﷺ يستسقي عند أحجار الزيت قريبًا من الزوراء قائمًا يدعو يستسقي رافعًا يديه قبل وجهه لا يُجاوز بهما رأسه)[٣].

٣ ـ الهيئة الثالثة: المبالغةُ في مدِّ اليدينِ وجعلُ ظهورِهما إلَىٰ السماءِ.

ففِي صحيحِ مسلمٍ (٨٩٦) عنْ أنسٍ «أنَّ النبيَّ استسقَىٰ فأشارَ بظهرِ كفَّيه إلىٰ السماءِ»

وعندَ أبِي داودَ (١١٧١) «مدَّ يديْه وجعلَ بطونَهما ممَّا يلِي الأرضَ».

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٥٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وله شاهد صحيح عند النسائي (١٢٧٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٧٤) والترمذي (٥١٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) حسن: رواه أبوداود (١١٦٨)، والترمذي (٥٥٧) بسند حسن.

وينبغِي للمسلمِ أنْ لاَ يبالغَ في مدِّ يديْه فِي الدعاءِ إلاَّ في الاستسقاءِ لِمَا رواهُ البخاري ومسلم عنْ أنسٍ قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ لاَ يرفعُ يديْه في شيءٍ من دعائِه، إلاَّ في الاستسقاءِ وإنَّه يرفعُ حتَّىٰ يُرىٰ بياضُ إبطَيه»[1].

٥ - أن يبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ:

فقدْ روَىٰ الترمذيُّ وقالَ: حسنٌ صحيحٌ عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ: «كنتُ أصلِّي، والنبيُّ ﷺ وأبُو بكرٍ وعمرُ معهُ، فلمَّا جلستُ بدأتُ بالثناءِ علَىٰ اللَّهِ تعالَىٰ ثمَّ الصلاةِ علَىٰ النبيِّ ﷺ ثمَّ دعوتُ لنفسِي فقالَ النبيُّ: «سَلْ تُعطَهْ، سلْ تُعطَهْ»[2].

وروَىٰ الترمذيُّ وقالَ: حسنٌ صحيحٌ عن فَضالةَ بن عبيدٍ قالَ: سمعَ رسولُ اللَّهِ رجلاً يدعُو في صلاته، فلم يُصلِّ علىٰ النبيِّ فقالَ: **«عَجِلَ هذَا، إذَا صلَّى أحدكُم فليبدأ بتحميدِ ربِّه سبحانَه والثناءِ عليْه، ثمَّ يصلِّي علَى النبيِّ، ثمَّ يدعُو بمَا شاءَ»**[3].

٦ - يَعزِمُ المسألةَ ولا يستثنِي:

ففِي «الصحيحين» عن أبِي هريرةَ مرفوعًا: **«لاَ يقولنَّ أحدُكم: اللهمَّ اغفرْ لِي إنْ شئتَ، اللهمَّ ارحمنِي إنْ شئتَ، ليعزمَ الدعاءَ، فإنَّ اللَّهَ صانعُ مَا شاءَ، لاَ مكرهَ لهُ»**[4].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٠٣١، ٣٥٦٥)، ومسلم (٨٩٥).
(٢) حسن: رواه الترمذي (٥٩٣)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٥٤، ٤٤٥، ٤٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٧٠).
(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٧٧)، بسند حسن وله شواهد يصح بها، منها الحديث السابق ولذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩)، واللفظ له.

٧ ـ تكرار الدعوة ثلاثًا:

«مسلم» عنِ ابنِ مَسعودٍ قالَ: «وكانَ إذَا دعَا دعَا ثلاثًا، وإذَا سألَ سألَ ثلاثًا...»[١].

وعندَ أبِي داودَ بسند حسن «أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يعجبُه أنْ يدعُو ثلاثًا، ويستغفرُ ثلاثًا»[٢].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٩٤).
(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٤)، وأحمد (٣٧٤٤) بسند صحيح.

رابعًا: أوقاتُ إجابةِ الدعاءِ:

١ ـ جوفُ الليل:

«مسلم» عن جابر مرفوعًا: «إنَّ في الليلِ لساعةً لا يوافقُها رجلٌ مسلمٌ يسألُ اللَّهَ خيرًا منْ أمرِ الدُّنيا والآخرةِ إلاَّ أعطاهُ إياهُ، وذلكَ كلَّ ليلةٍ»[١].

وحددت هذه الساعة:

ففِي «الصحيحينِ» «ينزلُ ربُّنا تباركَ وتعالَى فِي كلِّ ليلة إلَى السماءِ الدُّنيا حينَ يبقَى ثلثُ الليلِ الآخرِ... يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألُني فأُعطيه، من يستغفرُني فأغفرَ له»[٢].

٢ ـ ساعةُ الجمعة:

ففي الصحيحين عنْ أبِي هريرةَ مرفوعًا: «إنَّ في الجمعة لساعةً لاَ يوافقُها عبدٌ مسلمٌ وهوَ قائمٌ يصلِّي، يسألُ اللَّهَ خيرًا إلاَّ أعطاهُ إياهُ وأَشارَ بيدِه يقلِّلها» وعند مسلم: «وهيَ ساعةٌ خفيفةٌ»[٣].

تحديدُ هذه الساعة:

وعند أبي داود والحاكم وصحَّحه ووافقَه الذهبيُّ عن جابر مرفوعًا: «يومُ الجمعة اثنتَا عشرةَ ساعةً، منهَا ساعةٌ لاَ يوجدُ مسلمٌ يسألُ اللَّهَ فيهَا شيئًا إلاَّ أعطاهُ إياهُ، فَالتمسُوها آخرَ ساعةٍ بعدَ العصرِ»[٤].

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٥٧).
(٢) صحيح: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).
(٤) حسن: رواه أبو داود (١٠٤٨)، والحاكم (١/ ٢٧٩) وصححه ووافقه الذهبي وإسناده جيد، ورجاله ثقات.

٣ ـ دعوةُ الصائمِ والمُسافرِ:

البيهقيُّ في «الشعب» وصحَّحه الألبانيُّ عن أبِي هريرةَ مرفوعًا: «**ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ: دعوةُ الصائمِ، ودعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافرِ**»[١].

٤ ـ بين الأذان والإقامة:

ففي مسند أحمد بسند صحيح عن أنس مرفوعًا: «**الدعـاءُ لاَ يردُّ بينَ الأذانِ والإقامة**»[٢].

وعندَ أبِي يعلَىٰ: «**الدعاءُ بينَ الأذانِ والإقامةِ مستجابٌ فادعُوا**»[٣].

٥ ـ حال السجود:

وفي صحيح «مسلم» عن أبِي هريرةَ: «**أقربُ مَا يكونُ العبدُ من ربِّه وهوَ ساجدٌ، فأكثِرُوا الدعاءَ**»[٤].

٦ ـ الدعاءُ في مجالس الذكر:

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ للَّه تباركَ وتَعَالَى مَلاَئِكَةً سيَّارةً فُضُلاً يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا**

---

(١) حسن: رواه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٤٥)، والضياء في «المختارة» (١/ ١٠٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٩٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٢٥٨٤)، وابن خزيمة (٤٢٥، ٤٢٧)، وغيرهما بسند صحيح رجاله ثقات.

(٣) حسن: رواه أبو يعلىٰ (٤١٤٧) وفيه زيد العمي وهو ضعيف لكنه يتقوىٰ بالطريق السابقة، ولذلك حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) وأبو داود (٨٧٥)، والنسائي (١١٣٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٢١).

معهم وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتَّى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصَعَدُوا إلى السماء.

قال: فيسألهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ - وهو أعلم بهم -: من أين جئتم؟

فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لكَ في الأرضِ، يُسبِّحونَكَ ويُكبِّرونَكَ ويهللونكَ ويحمَدونك ويسألونك.

قال: وماذا يسألوني؟

قالوا: يسألونَكَ جَنَّتك.

قال: وهل رأوا جنَّتي؟

قالوا: لا، أي رب.

قال: فكيف لو رأوا جنَّتي؟

قالوا: ويستجيرونك .

قال: وممَّ يستجيرونني؟

قالوا: من نارك يا ربِّ.

قال: وهل رأوا نارِي؟

قالوا: لا.

قال: فكيفَ لو رأوا ناري؟

قالوا: ويستغفرونك.

قال: فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتُهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا.

قال: فيقولون: ربِّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاءٌ، إنما مرَّ فجلس معهم.

قال: وله غفرتُ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[١] .

٧ ـ الدعاءُ عند التعري من النوم:

روَىٰ «البخاريُّ» عن عبادةَ بنِ الصامت ـ رضي اللَّهُ عنهُ ـ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: «منْ تعارَّ منَ الليلِ فقالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ وحدَه لاَ شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ علَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، الحمدُ للَّه، سبحانَ اللَّه، ولاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، واللَّهُ أكبرُ، ولاَ حولَ ولاَ قوةَ إلاَّ باللَّهِ، ثمَّ قالَ: اللهمَّ اغفرْ لِي، أوْ دعَا استُجيبَ لهُ، وإنْ توضَّأ وصلَّىٰ قُبلَتْ صلاتُه»[٢].

٨ ـ عند سماعِ صياحِ الدِّيك:

روَىٰ «البخاري ومسلم» عن أبِي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إذَا سمعتُم أصواتَ الدِّيكة فسلُوا اللَّهَ من فضله، فإنَّها رأتْ ملكًا، وإذَا سمعتُم نهيقَ الحميرِ فتعوذُوا باللَّهِ منَ الشيطانِ فإنَّها رأتْ شيطانًا»[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١١٥٤)، وأبو داود (٥٠٦٠)، والترمذي (٣٤١٤)، وابن ماجة (٣٨٧٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).

(٥)

منزلة السنة في الإسلام

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

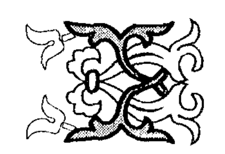
١ ـ تعريفُ السُّنةِ.

٢ ـ القرآنُ يأمرُ باتباعِ السُّنةِ.

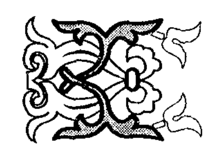
٣ ـ الرسولُ ﷺ يأمرُ باتِّباعِ السُّنةِ.

٤ ـ مَنزلةُ السُّنةِ في بيانِ الأحكامِ الشَّرعيةِ.





منزلة السنة في الإسلام



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

أيُّها المسلمونَ الكرامَ:

منَ الناسِ مَنْ يشكِّكُ في السُّنة النبويةِ، أو يقللُ منْ منزلتِها في قلوبِ المسلمينَ . . . وهذَا أمرٌ خطيرٌ يجبُ أنْ ننتبهَ لهُ، وأنْ نحذرَ منهُ، فالسُّنةُ مصدرٌ أساسيٌّ من مصادرِ التشريعِ ويجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أنْ يسمعَ ويطيعَ للسنةِ الصحيحةِ كمَا يسمعُ ويطيعُ للَّهِ.

قالَ تعالَىٰ: ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠].

ومن أجلِ ذلكَ جعلتُ عنوانَ هذِه الخطبةَ: (منزلة السنة في الإِسلام).

أولاً : تعريف السنة:

السُّنةُ: هيَ مَا ثبتَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصفٍ خُلقيٍّ أو خَلقيٍّ له ﷺ.

ثانيًا: القرآن الكريم يأمر باتباع السنة:

١ ـ لقدْ أمرنَا اللَّهُ باتباع الرسولِ ﷺ فيمَا يأمرُ به وينهَى عنهُ:

فقالَ: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

٢ ـ وقرنَ طاعةَ الرسولِ ﷺ بطاعتهِ، فقالَ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

٣ ـ ولقدْ أمرنَا بالاستجابةِ لمَا يدعونَا إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٤ ـ وقدْ بينَ القرآنُ الكريمُ أنَّ طاعةَ الرسولِ ﷺ هيَ في الحقيقةِ طاعةٌ للَّهِ تعالَى، فقالَ سبحانَه: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

٥ ـ ومن علاماتِ صدقِ محبةِ العبدِ للَّهِ اتباعُ الرسولِ ﷺ، قالَ تعالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٦ ـ وحذرنَا القرآنُ من مخالفةِ أمرِ الرسولِ ﷺ فقالَ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

٧ ـ وبينَ القرآنُ أن تعمُّدَ مخالفةِ الرسولِ ﷺ كفرٌ، فقالَ سبحانَه: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

٨ ـ ولمْ يبحِ القرآنُ لأحدٍ من المؤمنينَ أنْ يخالفَ حكمَ الرسولِ ﷺ أو أمرهُ فقالَ سبحانَه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٩ ـ ثمَّ بينَ أنَّ معصيةَ الرسولِ ضلالٌ مُبينٌ فقالَ: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

١٠ ـ وجعلَ القرآنُ تحكيمَ الرسولِ في خصوماتنا وخلافاتنا من لوازمِ الإيمانِ فقالَ سبحانَه: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

١١ ـ السُّنة منَ الوحيِ المنزلِ:

الدليلُ قولهُ تعالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣].

قالَ الحسنُ وقتادةُ: الحكمةُ هيَ السُّنة، وكذَا قالَ الشافعيُّ رحمهُ اللهُ.

وقال ابن القيم: الكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف. في قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢].

واقعةٌ تدلُّ على أنَّ السنةَ وحيٌ:

ففي «الصحيحَيْن» عَن يعلىٰ بنِ مرةَ أنه كان يقولُ لعمرَ بنِ الخطاب: ليتني أرىٰ نبيَّ الله ﷺ حينَ يُنزل عليه، فلما كان النبي ﷺ «بالجِعْرَانة» وعلىٰ النبي ﷺ ثوبٌ قد أُظِلَّ به عليه معه ناسٌ من أصحابه فيهم عمر، إذ جاءه رجلٌ عليه جُبَّةُ صوفٍ متضمخٌ بطِيبٍ.

فقال: يا رسول الله كيف ترىٰ في رجلٍ أحرم بعمرة في جبةٍ بعدما تضمَّخ بطِيبٍ؟

فنظر إليه النبي ﷺ ساعةً؛ ثم سكت. فجاءه الوحي، فأشار عُمرُ بيده إلىٰ يَعلىٰ بنِ أُميةَ فجاءه يَعلىٰ فأدخلَ رأسَهُ، فإذا النبيُّ ﷺ مُحمَرٌّ الوجه يَغِطُّ ساعةً ثم سُرِّي عنه، فقال: «أينَ الذي سألَني عَنِ العُمرةِ آنفًا» فالتُمِس الرجلُ فجيءَ بهِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «أمَّا الطِّيبُ الذي بكَ فاغْسلْه ثلاثَ مراتٍ، وأماَّ الجُبةُ فانزِعْها، ثم اصنعْ في عمرتك ما تصنعُ في حَجِّكَ»[1].

(١) صحيح: رواه البخاري (١٧٨٩، ١٨٤٨، ٤٣٢٩)، ومسلم (١١٨٠).

ثالثًا: الرسولُ ﷺ يأمرُ باتِّباعِ السُّنَّة:

١ ـ روىٰ أبو داودَ والترمذيُّ وقال: حَسنٌ صحيحٌ وصحَّحه الألبانيُّ عَن أبي رافع ـ رضِي اللَّهُ عنهُ ـ قالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا أُلفينَّ أحدَكم متكئًا على أريكته، يأتيه أمرٌ مما أَمَرتُ به، أو نَهيتُ عنه، فيقولُ: لا أَدْري ما وجَدْنا في كتابِ اللَّهِ اتَّبعناه**»(١).

٢ ـ وروىٰ الترمذيُّ وحسَّنه وصحَّحه الألبانيُّ عَنِ المقدامِ بنِ مَعدي كَرِب قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألاَ هَلْ عسَى رجلٌ يبلُغُه الحديثُ عني وهو متكىءٌ على أريكته، فيقولُ: بيننَا وبينَكم كتابُ اللَّه، فما وجَدْنا فيه حلالاً؛ استحلَلْناه، وما وجَدْنا فيه حَرامًا؛ حرَّمناه، وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ الله ﷺ كما حرَّمَ اللهُ**»(٢).

٣ ـ روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عَن أبي هُريرةَ ـ رضِي اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**إذا نَهيْتُكم عَن شيءٍ فاجْتنِبُوه، وإذا أَمَرْتُكم بأمرٍ فأْتُوا منه ما استطعتُمْ**»(٣).

٤ ـ وفي «الصحيحَيْن» ـ أيضًا ـ عَن أبي هُريرةَ ـ رضِي اللهُ عنهُ ـ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**مَن أطاعَني فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَنْ عَصَاني فقَدْ عَصَى اللَّهَ**»(٤).

٥ ـ وفي «الصحيحَيْن» عَنْ أنسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**مَنْ رَغِب عَن سُنَّتي فليسَ مِنِّي**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجة (١٣)، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٨) ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجة (١٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

٦ ـ روى أبو داودَ وصحَّحه الألبانيُّ عَن العِرباضِ بنِ ساريةَ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «إنه مَن يَعشْ منكم بَعدي فسَيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء المهديِّين الراشدين، تمسَّكُوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»(١).

رابعًا: مَنزلةُ السنةِ في بيانِ الأحكامِ الشرعية:

اتفقَ جمهورُ أهلِ العلْمِ على أنَّ السنةَ هي: المصدرُ الثاني للتشريعِ الإسلاميِّ، وأنَّ المسلمَ مُطالبٌ بتنفيذِ ما بلَغه ممَّا صحَّ عَن رسولِ اللَّهِ ﷺ.

أنواعُ السُّنَنِ:

والسنن على أنواع:

١ ـ مبيِّنةٌ لما أُشكل في القرآن:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فقد يكونُ اللفظُ له أكثرُ من معنى فيشكل المعنى المرادُ في الآيةِ على الصحابة، فيسَألون النبيَّ ﷺ فيُبيِّنُ لَهُمْ المرادَ، ومِنْ ذلك ما ثبتَ في «الصحيحَيْن» عَن عبدالله بنِ مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قلنا يا رسولَ اللَّه: أيُّنا لا يظلمُ نفسَه، قال: «ليس كما تقولون، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ بشرْكٍ، أَوَ لَمْ تسمعُوا إلى قولِ لقمانَ لابنِه ﴿يَا بُنَيَّ لا

---

(١) صحيح رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦، ١٢٧)، والدارمي (٩٥).

تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(١) [لقمان: ١٣] .

قصةُ عَديِّ بنِ حاتمٍ:

ففي «الصحيحَيْن» عَن عَديٍّ قالَ : لَمَّا نزلتْ: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] عَمدتُ إلىٰ عِقالٍ أسودَ وإلىٰ عِقالٍ أبيضَ فجعلتُهُما تحتَ وسادتي فجعلتُ أنظرُ في الليلِ فلا يَستبينُ لي ، فغدوتُ علىٰ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكرتُ له ذلك ، فقالَ : «إنَّما ذلكَ سَوادُ الليلِ، وبياضُ النهارِ»(٢) .

٢ ـ مبينةٌ لِمَا أُبهِم في القرآن:

ففي «صحيحِ البخاريِّ» أنه تمارىٰ ابنُ عباسٍ والحُرُّ بنُ قيسٍ في العبدِ الصالحِ المذكورِ في قولِه تعالىٰ : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥] فسألا أبيَّ بنَ كعبٍ فقالَ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «فارتدَّا على آثارِهما قَصصًا فوجَدا خضرًا...»(٣) .

٣ ـ مبينةٌ لما أُجمل في القرآن:

قَال تَعالىٰ : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

فبَيَّن النبيُّ ﷺ أوقاتَها وعددَ ركعاتِها وصفتَها ، ثم قَال : «صلُّوا كما

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٨، ١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠/ ١٧٤)، وأبو داود (٤٧٠٧)، والترمذي (٣١٤٩)، وأحمد (٥/ ١١٦).

رأيتموني أُصلِّي»[١].

وقَال تَعالىٰ: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

فبيَّنتِ السنةُ أنَصِبتَها ومقاديرَها وشروطَ وجوبِهَا، ونحوَ ذلكَ.

٤ ـ مخصصةٌ لما عُمم:

قَالَ تعَالىٰ مُبينًا المحرَّمات من النساء: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ...﴾ [النساء: ٢٣] ثُمَّ قالَ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

فعَم ذلكَ جميع النساءِ من غيرِ المذكوراتِ، فخصَّصت السنةُ الجمعَ بينَ المرأةِ وعمتِّها وبين المرأةِ وخالتِها، كما ثبتَ في «صحيحُ البخاريِّ»[٢].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

فالآيةُ عمَّتْ جميعَ الأبناءِ علىٰ اختلاف مِلَلِهِم، فجاءتِ السُّنَّةُ فخصَّتِ الميراث بالولد المسلمِ دونَ الكافرِ.

ففي «الصحيحَيْن» عَن أسامةَ بنِ زيدٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا يرثُ المسلمُ الكافرَ ولا يرثُ الكافرُ المسلمَ»[٣].

٥ ـ مقيدةٌ للمطلَق:

قَالَ تعالىٰ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤) في المساجد.

(٢) روىٰ البخاري (٥١٠٨) عن جابر قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ أن تُنكح المرأةُ علىٰ عمتِها أو خالتِها»، والنسائي (٣٢٩٨، ٣٢٩٩)، وأحمد في «المسند» (٣/٣٣٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤).

فهذا حكمٌ في مُطلَقِ السَّرِقةِ وإن قلَّتْ.

فجاءتِ السُّنَّةُ فقيدتْه بحَدٍّ مُعينٍ لا يَقلُّ عنه، ففي «الصحيحَيْن» عَن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تُقطَعُ يدُ السارقِ إلاَّ في رُبعِ دينارٍ فصاعدًا**»[1].

٦ ـ إضافةُ حُكْمٍ جديد:

قال تعالىٰ: ﴿**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فقد حَصرتِ الآيةُ المحرَّماتِ مِن الأطعمةِ في هذه الأصنافِ الأربعِ حينَ نزولِ الآيةِ، ثم أضافت السنةُ أنواعًا أخرىٰ مِن الأطعمةِ المحرَّمة.

مِثلَ لحومِ الحُمُرِ الأهليةِ: ففي «الصحيحَيْن» عن أبي ثعلبةَ الخُشنيِّ ـ رضِي اللَّهُ عنه ـ قالَ: «حرَّم رسولُ اللهِ ﷺ لحومَ الحُمر الأهليةِ»[2].

وذوات الأنياب من السباع:

ففي «صحيحِ مسلمٍ» عن أبي هُريرةَ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «**كُلُّ ذي نابٍ مِن السباعِ فأكلُه حرامٌ**»[3].

الدعاء...

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٧٨٩)، ومسلم (١٦٨٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٥٢٧)، ومسلم (١٩٣٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٣٣) والترمذي (١٤٧٩)، والنسائي (٤٣٣٥)، وابن ماجة (٣٢٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٢٨٧).



(٦)

الحجاب الشرعي الصحيح

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

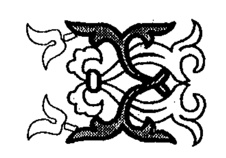
١ ـ مكانة المرأة في الإسلام.

٢ ـ فضائل الحجاب.

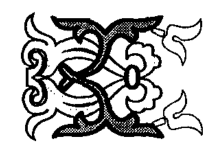
٣ ـ شروط الحجاب الصحيح.

٤ ـ محجبات متبرجات.





أولاً: مكانة المرأة في الإسلام



١ ـ لقدْ كرمَ الإسلامُ المرأةَ بنتًا:(١)

روَىٰ أحمدُ، وابنُ ماجَه وصحَّحه الألبانيُّ عنْ عقبةَ بنِ عامرٍ الجُهنيِّ ـ رضيَ اللَّه عنهُ ـ قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: **«منْ كانَ لهُ ثلاث بُنات، فصبرَ عليهنَّ، وأطعمهنَّ، وسقاهنَّ، وكساهنَّ منْ جِدَته ـ يعنِي مالَه ـ كنَّ لهُ حجَّابًا من النارِ يومَ القيامة»**(٢) .

وروَىٰ ابنُ ماجَه(٣٦٧٠) وحسَّنه الألبانيُّ عنِ ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهماَ ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«ماَ منْ رجلٍ تدركُ لهُ ابنتانِ فيحسنُ إليهمَا ما صحبَتاه، أو صحبهُما، إلاَّ أدخلتَاه الجنةَ»**(٣) .

---

(١) عودة الحجاب (٢/ ٢٢٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧٤٠٣) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦)، وابن ماجة (٣٦٦٩)، وأبو يعلىٰ (١٧٦٤)، والبيهقي في «الشعب» من طريق حرملة بن عمران حدثني أبو عُشَّانة المعافري قال سمعت عقبة به، وهذا سند صحيح رجاله رجال الصحيح غير أبي عشانة وهو ثقة وثقه أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين وقال: أبو حاتم صالح الحديث، ولذلك صححه الألباني في «صحيح ابن ماجة».

(٣) حسن: رواه أحمد (٢١٠٤)، وابن ماجة (٣٦٧٠)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٥١) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٧) والبيهقي في «الشعب» (٨٦٨٣) عن فطر بن خليفة عن شُراحبيل أبي سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما به. . وهذا سند ضعيف من أجل شراحبيل فقد ضعفه يحيىٰ بن معين ومالك بن أنس والنسائي ولم يوثقه غير ابن حبان وقال الحافظ صدوق اختلط بآخره.

لكن الحديث رواه أبو يعلىٰ (٢٤٥٧) من طريق حسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ =

قَالَ مُحمدُ بن سليمانَ ـ رحمهُ اللهُ ـ: «البنونَ نِعَمٌ، والبناتُ حسناتٌ، واللهُ يحاسب علَىٰ النِّعمِ، ويجازِي علَىٰ الحسناتِ».

وقالَ بعضُهم:

أَحبُّ البناتِ فحُبُّ البنا ... تِ فرضٌ علَى كلِّ نفسٍ كريمه

لأن شعيبًا لأجلِ البنا ... تِ أخدمَهُ اللهُ موسى كليمه

٢ ـ وكرمَ الإسلامُ المرأةَ زوجةً:

روَىٰ الترمذيُّ وحسَّنه، وصحَّحه الألبانيُّ عن ثوبانَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالوُا: يَا رسولَ اللهِ أيُّ المالِ خيرٌ؛ فنتخذُه؟

فقال ﷺ: «أفضلُه: لسانٌ ذاكرٌ، وقلبٌ شاكرٌ، وزوجةٌ مؤمنةٌ تعينُه علَى إيمانه»[1].

وروَىٰ النسائيُّ وصحَّحه الحاكمُ والذهبيُّ عنْ أبِي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قيلَ يَا رسولَ اللهِ: أيُّ النساءِ خيرٌ؟

قال: «الذي تسرُّه إذَا نظرَ، وتطيعُه إذَا أمرَ، ولاَ تخالفهُ في نفسِها ولاَ

= «من عال ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن وجبت له الجنة».

فقام رجل من الأعراب فقال أو اثنتين؟

قال: نعم. وحسين بن قيس هو حَنَشي، وهو متروك.

وللحديث شواهد عن أنس وجابر وأبي سعيد، فهو حديث حسن بشواهده.

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٠٩٤)، وأحمد (٢٢٤٣٧) بسند صحيح إن كان سالم بن أبي الجعد سمع من ثوبان لكن غالب العلماء علىٰ أنه لم يسمع منه وللحديث شواهد يتقوىٰ بها ولذلك حسنه الترمذي وصححه الألباني.

مالِها بمَا يكرهُ»[1].

وقال الإمام ابن عبدالقوي في «منظومة الآداب»:

وخيرُ النِّسا منْ سرتِ الزوجَ منظرًا ومنْ حفظتْه فِي مغيبٍ ومشهدِ
قصيرةُ ألفاظٍ قصيرةُ بيتها قصيرةُ طرفِ العينِ عن كلِّ أبْعَدِ
عليكَ بذاتِ الدينِ تظفرُ بالمنَى الـ ودودِ الولودِ الأصلِ ذاتِ التعبدِ

٣ـ وكرمَ الإسلامُ المرأةَ أمًا:

قالَ تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وروىٰ البخاريُّ ومسلمُ عن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ فقال: يَا رسولَ اللهِ! منْ أحقُّ الناسِ بحسنِ صحابتِي؟

قالَ: «أمُّك».

قالَ: ثمَّ منْ؟

قالَ: «أمُّك».

قالَ: ثُمَّ مَن؟

قالَ: «أمُّك».

قالَ: ثُمَّ مَن؟

(١) حسن: رواه النسائي (٣٢٣١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥١)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦١، ١٦٢) علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٨٣٨).

قالَ: «أبُوكَ»(١).

وكرمَ الإسلامُ المرأةَ أختًا:

ففي «صحيح مسلم» أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

«إنَّ اللهَ تعالى خلقَ الخلقَ، حتَّى إذَا فرغَ منهُم، قامتِ الرحمُ، فقالتْ: هذَا مقامُ العائذِ بكَ من القطيعة.

فقالَ تعالى: أمَا ترضينَ أنْ أصلَ منْ وصلكِ، وأنْ أقطعَ منْ قطعكِ؟

قالتْ: بلى.

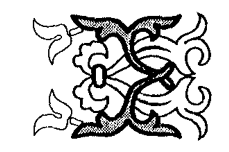
قال: فذلكَ لكِ».

قال ﷺ: «اقرءُوا إنْ شئتُم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾(٢) [محمد: ٢٢، ٢٣].

---

(١) صحيح رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٢) صحيح رواه البخاري (٤٨٣٢)، ومسلم (٢٥٥٤).



ثانيًا: فضائل الحجاب



١ ـ الحجابُ طاعةٌ لله ورسوله:

لقدْ أمرَ اللهُ في القرآنِ الكريمِ بالحجابِ ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ [النور: ٣١]، وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ به فيمَا رواهُ الترمذيُّ وحسَّنه «**المرأة عورة**»[1]، والعورة واجبة الستر، فيجب علىٰ المرأة أن تستر جسمها عن أعين الرجال الأجانب.

فالمرأةُ التِي تحجبتْ أطاعتِ اللهَ ورسولَه، فهنيئًا لهَا.

٢ ـ الحجابُ طهارةٌ للقلب:

قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٣ ـ الحجابُ عفةٌ:

قالَ تعالىٰ: ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ** ﴾ [النور: ٦٠].

وأن يستعففنَ بإبقاءِ الحجابِ علَىٰ وجوههنَّ.

فالحجابُ عفةٌ وكرامةٌ.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١١٧٣) بسند صحيح ولذلك صححه الألباني في «الإرواء» (٢٧٣).

٤ ـ الحجابُ سترٌ:

روَىٰ أحمدُ وأَبُو داودَ وصحَّحه الألبانيُّ عنْ يعلَىٰ بنِ أميةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ حييٌّ ستيرٌ يحبُ الحياءَ والسَّتر»[1].

فالمرأةُ التي حجبتْ محاسنَها، وغطَّتْ جسمَها وسترته عنِ الأجانبِ: امرأةٌ حييةٌ يحبُّها اللهُ ورسولُه.

٥ ـ الحجاب غَيْرة:

الرجلُ الغيورُ يحجبُ نساءَهُ، ولاَ يتركهنَّ يبرزنَ للأجانبِ ولا يختلطنَ بهِم. والعكسُ بالعكسِ.

وعندَ ابنِ سعدٍ ومالكٍ والبيهقيِّ عنْ أمِّ علقمةَ قالتْ: رأيتُ حفصةَ بنت عبدِالرحمنِ بنِ أبيِ بكرٍ دخلتْ علَىٰ عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنهَا ـ وعليهَا خمارٌ رقيقٌ يشفُّ عنْ جبينها[2] فشقته عائشةُ عليهَا، وقالتْ: «أمَا تعلمينَ مَا أنزلَ اللهُ فِي سورةِ النورِ؟! ثمَّ دعتْ بخمارٍ فكستهَا»[3].

١ ـ أما الحديثُ المشهورُ علَىٰ ألسنةِ الناسِ (إنَّ المرأةَ إذَا بلغتِ المحيضَ، لاَ يجوزُ أنْ يظهرَ منهَا إلاَّ الوجهُ والكفان) فهوَ ضعيفٌ جدًّا[4].

---

(١) حسن لغيره: رواه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦)، وأحمد (١٧٩٦٨) من طريق عطاء عن يعلىٰ بن أمية به. . . وعطاء لم يسمع من يعلىٰ، لكن أبا داود رواه عن عطاء عن صفوان بن يعلىٰ عن أبيه يعلىٰ بن أمية به، وهذا سند حسن، وقد صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) الخمار: يطلق علىٰ غطاء الوجه.

(٣) حسن: رواه مالك (١٤٢٠) في «كتاب الجامع»، باب ما يكره للنساء لبسه من الثياب، والبيهقي (٢/ ٢٣٥) عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه به.

(٤) ضعيف جداً: رواه أبو داود (٤١٠٤) من طريق الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة =

٢ ـ ولكنِ اسمعْ إلَى الحديثِ الصحيحِ الذِي رواهُ الترمذيُّ بسندٍ صحيحٍ: «المرأةُ عورةُ».

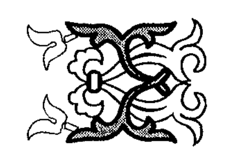
هذَا الحديثُ يدلُّ علَى أنَّ المرأةَ كلَّهَا عورةٌ؛ لأن الألف واللام هنا للاستغراق.

= عن خالد بن دُريك عن عائشة به، وهذا سند ضعيف جداً فيه ثلاث علل:

١ ـ الوليد بن مسلم: مدلس وقد عنعنه.

٢ ـ سعيد بن بشير: ضعفه غير واحد.

٣ ـ الانقطاع: فإن خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها.



ثالثًا: الحجاب الشرعي الصحيح



إنَّ كثيراً منَ النساءِ يلبسنَ ألبسةً تخالفُ الشَّرعَ، وتظنُّ أنها محجبةٌ، وهيَ ليستْ كذلكَ؛ ولذلكَ وضعَ العلماءُ شروطًا للحجابِ الشرعيِّ الصحيحِ، وهيَ (ثمانيةُ شروطٍ):

الشرطُ الأولُ: أنْ يكونَ ساترًا لجميعِ الجسمِ

الأدلةُ: قالَ تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الإمامُ عبيدة السلمانيُّ ـ رحمهُ اللهُ ـ:

قالَ ابنُ سيرينَ: سألتُ عبيدةَ عنْ تفسيرِ هذهِ الآيةِ فقالَ بثوبِه، فغطَّىٰ رأسَه ووجهَه، وأبرزَ ثوبَه عنْ إحدَىٰ عينَيه.

قالَ إمامُ المفسرينَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ ـ رحمهُ اللهُ ـ:

يغطينَ وجوههنَّ فلاَ يبدينَ إلاَّ عينًا واحدة.

قالَ أبو بكرٍ الرازي ـ رحمهُ اللهُ ـ: في هذهِ الآيةِ دلالةٌ علَىٰ أن المرأةَ الشابَّة مأمورةٌ بسترِ وجهِهَا عنِ الأجنبيينَ، وإظهارِ السَّترِ والعفافِ عند الخروجِ؛ لئلاَّ يطمعَ أهلُ الرَّيبِ فيهنَّ.

قالَ القرطبيُّ ـ رحمهُ اللهُ ـ: الصحيحُ أنَّ الجلبابَ هوَ: الثوبُ الذِي

يسترُ جميعَ البدنِ.

قال البيضاويُّ ـ رحمه اللهُ ـ في «تفسيره»: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ يغطينَ وجوههنَّ وأبدانهنَّ إذَا برزنَ لحاجةٍ.

قال السيوطيُّ ـ رحمهُ اللهُ ـ: هذه آيةُ الحجابِ في حقِّ سائرِ النساءِ، ففيهَا وجوبُ سترِ الرأسِ والوجهِ عليهنَّ.

الشرط الثاني: أن لا يكون زينة في نفسه

ودليلُ ذلكَ قولُه تعالَى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقوله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا تسألْ عنهنَّ: رجلٌ فارقَ الجماعةَ، وعصى إمامَه، وماتَ عصيًّا، وأمةٌ أو عبدٌ أبقَ فماتَ، وامرأةٌ غابَ عنهَا زوجُها قدْ كفَاها مؤنةَ الدنيَا، فتبرجتْ بعدَه، فلاَ تسألْ عنهُم**»[1] . صحَّحه الحاكمُ والذهبيُّ.

قالَ الإمامُ الذهبيُّ في كتابِ «الكبائر»:

ومنَ الأفعالِ التي تلعنُ عليهَا المرأةُ: إظهارُ الزينةِ والذهبِ واللؤلؤ تحتَ النقابِ، وتطيبها بالمسكِ والعنبرِ والطِّيبِ إذَا خرجتْ، ولُبسها الصباغاتِ والأزرِ الحريريةِ والأقبيةِ القصارِ معَ تطويلِ الثوبِ وتوسعةِ الأكمامِ وتطويلِها، وكلُّ ذلكَ منَ التبرجِ الذي يمقتُ اللهُ عليْه ويمقتُ فاعلَه في الدنيَا والآخرةِ.

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠)، وابن حبان (٥٠)، والحاكم (١/ ١١٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٠٥٨).

الشرط الثالثُ: أن يكون صفيقًا لا يَشف:

أمَّا الصفيقُ، فلأنَّ السَّترَ لاَ يتحققُ إلاَّ به.

وأما الشَّفافُ، فإنَّه يزيدُ المرأةَ فتنةً وزينةً.

ففي «صحيح مسلم» عنْ أبِي هريرةَ مرفوعًا: «صنفانِ منْ أهلِ النارِ لمْ أرهمُا: قومٌ معهُم سياطٌ :كأذنابِ البقرِ يضربونَ بهَا الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ، رءوسهنَّ كأسْنمة البُخْت المائلة، لاَ يدخلنَ الجنةَ ولاَ يجدنَ ريحهَا، وإنَّ ريحهَا ليوجدُ منْ مسيرةِ كذَا وكذَا» (١).

كاسياتٌ عارياتٌ:

١ ـ تسترُ بعضَ جسمِها دونَ بعضٍ.

٢ ـ أو تسترُه بشيءٍ شفافٍ.

٣ ـ أو تسترُه بشيءٍ ضيقٍ.

الشرط الرابع: أنْ يكونَ فَضفاضًا غيرَ ضيق فيصفُ شيئًا منْ جسمهَا:

وذلكَ؛ لأنْ الغرضَ منَ الثوب، إنمَّا هوُ رفعُ الفتنة، ولاَ يحصلُ ذَلكَ إلاَّ بالفَضفاضِ الواسعِ، أمَّا الضَّيِّقُ، فإنَّه وإنْ سترَ لونَ البشرةِ، فإنَّه يصفُ حجمَ جسمِها أو بعضَه، ويصوِّرُه في أعينِ الرجالِ.

وقدْ قالَ أسامةُ بن زيدٍ: كسانِي رسولُ الله ﷺ قُبطيةً كثيفةً مما أهداهَا له دحيةُ الكلبيُّ، فكسوتُها امرأتِي، فقالَ: «مالكَ لمْ تلبسَ القبطيةَ؟» قلتُ:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٥، ٣٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٤٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢/ ٢٣٤).

«كسوتهَا امرأتِي» فقالَ: «**مُرها فلتجعلْ تحتهَا غُلالةً، فإنِّي أخافُ أنْ تصفَ حجمَ عظامِها**»(١).

الشرطُ الخامسُ: أنْ لاَ يكونَ مُبَخَّرًا مُطَيبًا:

وذلكَ للأحاديثِ التِي تنهَىٰ عنِ التطيبِ للنساءِ إذَا خرجنَ من بيوتهنَّ ومنهَا:

ما أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح عن أبي موسَىٰ الأشعريِّ - رضِي اللهُ عنهُ - قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أيُّما امرأة استعطرتْ، ثمَّ خرجتْ، فمرتْ على قومٍ؛ ليجدُوا ريحهَا فهِي زانيةٌ وكلُّ عينٍ زانيةٌ**»(٢).

وعنْ أبِي هريرةَ - رضِي اللهُ عنهُ - قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أيمُّا امرأةٍ أصابتْ بَخوراً، فلاَ تشهدْ معنَا العشاءَ الآخرةَ**»(٣).

وعن موسىٰ بن يسار عن أبِي هريرةَ - رضِي اللهُ عنهُ - أنَّ امرأةً مرتْ بِهِ تعصفُ ريحُها، فقالَ: «يَا أمَةَ الجبارِ، المسجدَ تريدينَ؟» قالتْ: نعمْ. قالَ: «ولهُ تطيبتِ؟» قالتْ: نعمْ.

قالَ: فارجعِي، فاغتسلِي، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَا منْ

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢١٧٨٦)، بسند لا بأس به، وله شاهد عن خالد بن يزيد عن دحية الكلبي أخرجه أبو داود (٤١١٦)، والحاكم (٤/ ١٨٧)، والبيهقي (٢/ ٢٣٤)، وهذا سند منقطع، فإن خالداً لم يدرك دحية، لكنه يشهد للحديث السابق، وفي الباب عن عمر بن الخطاب موقوفًا أخرجه البيهقي (٢/ ٢٣٤) بسند مرسل صحيح.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي (١٥٢٦)، وقال الترمذي حسن صحيح.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤٤٤) في الصلاة، وأبو داود (٤١٧٥)، في الترجل، والنسائي (٥١٤٣) في الزينة.

امرأة تخرجُ إلَى المسجد تعصفُ ريحُهـا، فلاَ يقبلُ اللهُ منهَا صـلاةً حتَّى ترجعَ إلَى بيتِها، فتغتسلُ»(١) .

الشرط السادس: أن لا يشبه لباس الرجل:

وذلكَ ؛ لمَا ثبتَ من الأحـاديثِ التِي تتوعـدُ المرأةَ إذَا تشبـهتْ بالرجلِ فِي لباسٍ أو غيرهِ ـ باللعنِ والطردِ منْ رحمةِ اللهِ ، ومنهَا :

ففي «صحيح البخاري» عن ابن عبـاس قال : «لعنَ رسولُ اللهِ المتشبهينَ مِنَ الرِّجالِ بالنساءِ ، والمتشبهاتِ مِنَ النساءِ بالرجالِ»(٢).

وعنْ عبدِاللهِ بن عمر ـ رضِي اللهُ عنهُما ـ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «ثلاثٌ لاَ يدخلونَ الجنةَ، ولاَ ينظرُ اللهُ إليهِم يومَ الـقيامةِ: العاقُّ لوالِديه، والمرأةُ المـسترجلةُ المتشبةُ بالرجالِ، والديُّوث(٣)»(٤) .

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٧٣٥٦)، وابن ماجة (٤٠٠٢) عن عاصم بن عبيد الله عن مولى أبي رُهم عن أبي هريرة به، وعاصم ضعيف لكن تابعه عبد الرحمن بن الحارث بن أبي عبيد مولى أبي رهم عن جده عن أبي هريرة، أخرجه البيهقي (٣/ ١٣٣) وعبد الرحمن هذا قال عنه أبو زرعة: لا بأس به (٥/ ٢٢٤) وذكره ابن حبان في «الثقات» وللحديث طريق آخر مرسل فقد أخرجه أبو يعلى (٦٣٨٥)، وابن خزيمة (١٦٨٢) والبيهقي (٣/ ١٣٣) عن الأوزاعي عن موسى بن يسار عن أبي هريرة به، وموسى بن يسار هو الأردني، قال أبو حاتم: شيخ مستقيم الحديث، فالحديث حسن إن شاء الله وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٣١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٨٨٥) في كتاب اللباس، وأبو داود (٤٠٩٧)، والترمذي (٢٧٨٤)، وابن ماجة (١٩٠٤) وأحمد في«المسند» (١/ ٣٣٩).

(٣) الديوث: هو الذي يقر الخبث على أهله.

(٤) حسن: رواه أحمد (٦١٨٠) بسند حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن يسار مولى ابن عمر، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات» وقد روى عنه جماعة، والحديث صححه الحاكم، والذهبي (٤/ ٢٤٦) وله شواهد كثيرة يتقوى بها.

الشرط السابع: أن لا يشبه لبس الكافرات:

وذلكَ لَمَا ثبت منْ أنَّ مخالفةَ الكفارِ وتركَ التشبهِ بهِم - منَ المقاصدِ العليَا للشريعةِ الإسلاميةِ، ولماَ يترتبُ علَىٰ التشبهِ بالكفارِ منْ آثارٍ سيئةٍ علَىٰ عقيدةِ المسلمينَ وسلوكياتِهم[١].

ودليلُ ذلكَ قولُه تعالَىٰ: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

وأيضًا قولُه تعالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

ورَوىٰ أبُو داودَ وصحَّحه الألبانيُّ مرفوعًا: «من تشبَّه بقومٍ فهُو منهُم»[٢].

وأيضًا: عنْ عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العاصِ - رضِي اللهُ عنهُما - قال: رَأىٰ رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ ثوبينِ معصفرينِ، فقالَ: «إنَّ هذه ثيابُ الكفارِ فلاَ تلبسْها»[٣].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في اقتضاء الصراط المستقيم. وراجع رسالة (حكم الإسلام في شم النسيم) للمصنف.

(٢) حسن: رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه دحيم وأبو حاتم، وقال يحيىٰ بن معين: صالح فحديثه حسن إن شاء الله، وله شواهد يتقوىٰ بها، ولذلك صححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦/ ١٤٤).

الشرط الثامن: أن لا يكونَ لباسَ شهرة:

وذلكَ لحديث عبدالله بنِ عمرَ ـ رضِي اللهُ عنهُما ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «منْ لَبِسَ ثوبَ شهرةٍ في الدنيَا، ألبسهُ اللهُ ثوبَ مذلةٍ يومَ القيامةِ، ثمَّ ألهبَ فيه نارًا»[١].

ولباسُ الشهرةِ هوَ: كلُّ ثوبٍ يُقصدُ بهِ الاشتهارُ بينَ الناسِ، سواءٌ كانَ الثوبُ نفيسًا يلبسُه تفاخرًا بالدنيا وزينتِها، أوْ خسيسًا يلبسُه إظهارًا للزهدِ والرياءِ.

قال ابن الأثير: «الشهرةُ: ظهورُ الشيءِ، والمرادُ أنَّ ثوبَه يشتهرُ بينَ الناسِ لمخالفةِ لونه لألوانِهم، فيرفعُ الناسُ إليهِ أبصارَهم، ويختالُ عليهِم بالعُجبِ والتكبرِ».

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥٦٦٤)، وأبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجة (٣٦٠٦) عن شريك، عن عثمان بن المغيرة الأعشى، عن مهاجر الشامي عن ابن عمر به.
وهذا سند ضعيف لضعف شريك، ولكن تابعه أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكري عن عثمان بن المغيرة به.
أخرجه أبو داود (٤٠٢٩) وابن ماجة (٣٦٠٧)، فهو بهذه المتابعة حسن ولذلك حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٢٦).

محجبات متبرجات

وهناكَ ألبسةٌ يجبُ علَى المرأةِ المؤمنةِ أنْ تتجنبَها ؛ لأنَّها منَ التبرجِ منهَا :

١ - البرقعُ السعوديُّ الذِي يظهرُ العينينِ .

٢ - العباءةُ المزخرفةُ .

٣ - الكابُ اللبنانيُّ الذِي يحجمُ جسمَ المرأةِ .

٤ - البرقعُ الخليجيُّ الذي يُظهر نِصفَ الوَجْهِ .

٥ - الكعبُ العاليُ .

٦ - إظهارُ الذهبِ والقِرطِ .

٧ - العباءةُ المفتوحةُ .

٨ - الخمارُ المزخرفُ (المطرز) .

٩ - الجيبةُ والبلوزةُ .

١٠ - الألوانُ الملفتةُ .

نسألُ اللهُ تعالَى أن يسترَ بناتِنا وبنات المسلمينَ ، إنَّه سميعٌ عليمٌ .

الدعاء . . .



(٧)

أحكام النظر في الإسلام

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصرُ الموضوع •

١ ـ حكمُ النظرِ إلى النساءِ الأجنبياتِ.

٢ ـ حكمُ النظرِ إلى المرأةِ المحجبةِ.

٣ ـ حكمُ النظرِ إلى صورةِ المرأةِ الأجنبيةِ.

٤ ـ هل يجوزُ للطبيبِ أن يعالجَ المرأةَ؟

٥ ـ حكمُ وصفِ المرأةِ امرأةً أخرى لزوجِها.

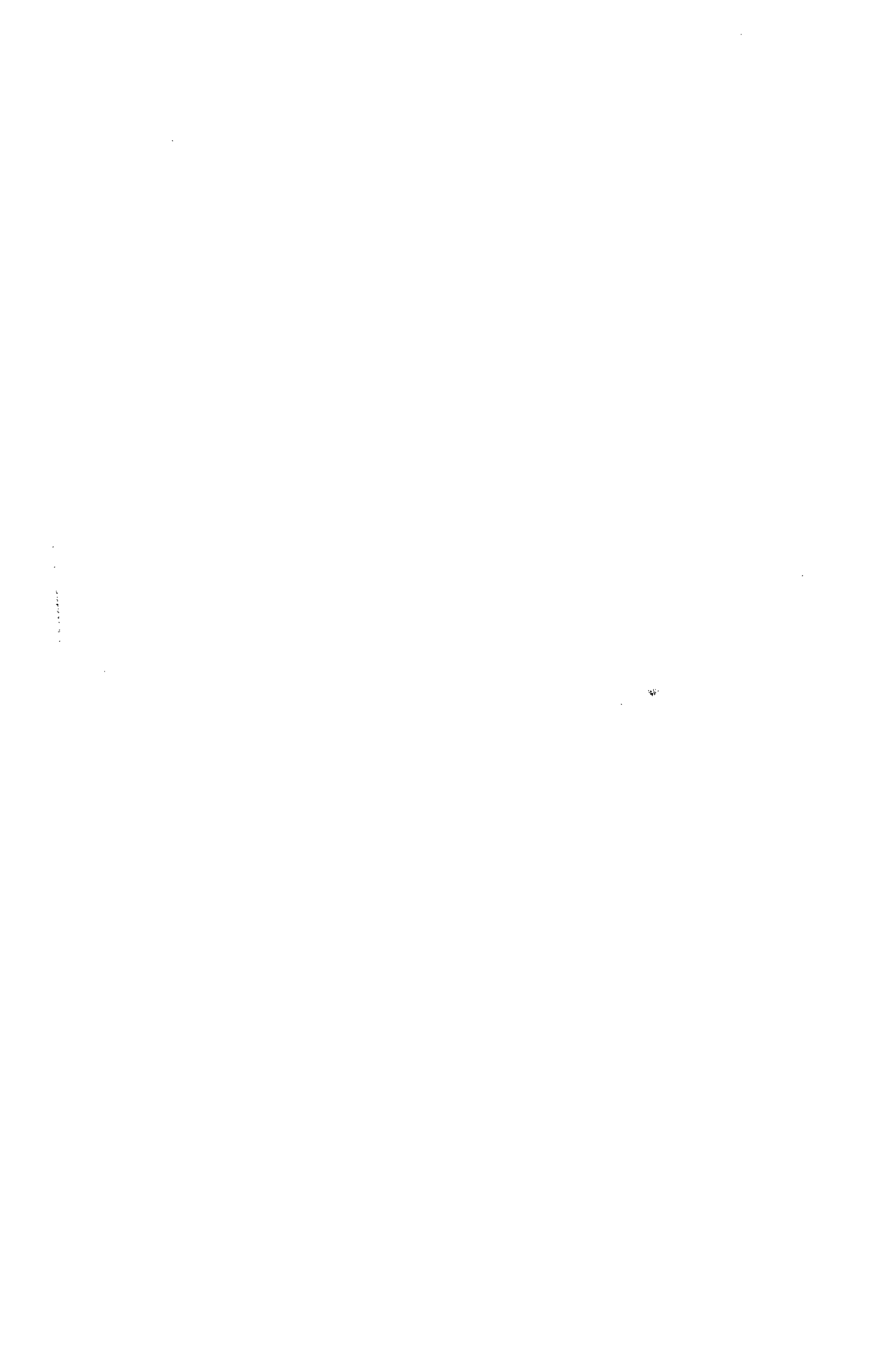
٦ ـ حكمُ نظرِ الخاطبِ إلى من يريد خطبتَها.

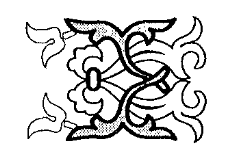
٧ ـ حكمُ النظرِ إلى الصبيةِ الصغيرةِ.

٨ ـ حكمُ نظرِ الصبيِّ إلى المرأةِ.

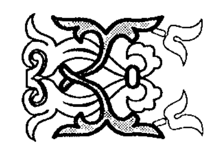
٩ ـ المواطنُ التي يجوزُ للرجلِ أن يراها من محارمِه.

١٠ ـ عورةُ الرجلِ على الرجلِ.





أحكام النظر في الإسلام [1]



المقدمة

اعلم أخي المسلم: أنك موقوفٌ بين يدي الله، ومسئولٌ عما جنته يداك، أو سمعته أذناك، أو نظرت إليه عيناك، أو نطق به لسانُك.

قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

واعلم أن البصرَ نافذةُ القلبِ؛ فعن طريقه ترتسمُ الصورةُ في القلبِ، ولذا أمرَ الله المؤمنين بغضِّ أبصارِهم حتى لا تفسدَ الصورُ قلوبَهم، وتتعلقَ بها أفئدتُهم.

فقالَ تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

ولكن كيف يغضُّ المسلمُ بصرَه عما حرَّم اللهُ؟

لا يتسنَّى للمسلمِ أن يغضَّ بصره إلا إذا علمَ أولاً ما الذي يحرُم عليه أن ينظرَ إليهِ، ولذلك جعلت عنوانَ هذه الخطبةِ: «أحكامُ النظرِ في الإسلام».

---

(١) «فقه النظر» مصطفى أبو الغيط.

وسوف نتناولُ ـ بتوفيقِ الله تعالىٰ ـ عدةَ مسائلَ منها :

١ ـ حكمُ النظرِ إلىٰ النساءِ الأجنبياتِ .

٢ ـ حكمُ النظرِ إلىٰ المرأةِ المحجبةِ .

٣ ـ حكمُ النظرِ إلىٰ صورةِ المرأةِ .

٤ ـ حكمُ النظرِ إلىٰ من يريدُ خطبتَها .

٥ ـ حكمُ استماعِ الرجل لزوجتِهِ وهي تصفُ له أخرىٰ .

٦ ـ حكمُ النظرِ إلىٰ الصبيةِ الصغيرةِ .

٧ ـ حكمُ نظرِ الطبيبِ إلىٰ بدنِ من يعالجُها .

٨ ـ حكمُ نظرِ الصبيِّ إلىٰ المرأةِ .

٩ ـ المواضعُ التي يجوزُ للرجلِ أنْ يراهَا منْ محارمِه .

١٠ ـ عورةُ الرجلِ علىٰ الرجلِ .

أولاً: حكمُ النظر للنساء الأجنبيات:

يحرمُ على الرجلِ تعمدُ النظرِ إلى المرأة الأجنبيةِ ولو بدونِ شهوةٍ؛ لقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

أما النظرُ إلى المرأة بشهوةٍ فهو الزِّنى الأصغرُ، فإن لكلِّ جارحةٍ زنىً، فمن نظرَ إلى امرأةٍ بشهوة فقد زنت عيناه، ومن صافح امرأةً بشهوة فقد زنت يداه، ومن استمع إلى امرأةٍ بشهوةٍ فقد زنتْ أذناهُ.

فقد روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديثِ أبي هريرةَ - رضيَ اللهُ عنه - قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**كُتب على ابن آدمَ نصيبُهُ من الزنى، مدركٌ ذلك لا مَحالةَ، فالعينان زناهما النظرُ، والأذنانِ زناهُما الاستماعُ، واللسانُ زناه الكلامُ، واليدُ زناها البطشُ، والرِّجلُ زناها الخطا، والقلبُ يهوى ويتمنىَّ، والفرجُ يصدقُ ذلكَ ويكذبهُ**»[1].

أما إذا وقعَ بصرهُ على امرأةٍ دون قصدٍ فليصرفْ بصرَه، ولا إثمَ عليه.

لما رواهُ مسلمٌ في «صحيحه» عن جريرِ بن عبد الله قالِ: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن نظرِ الفجاءةِ، فأمرني أن أصرفَ بصرِي»[2].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٤٣) مختصراً، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له، وأبو داود (٢١٥٢، ٢١٥٣، ٢١٥٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٢، ٥٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٨٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٥٩)، وأبو داود (٢١٤٨)، والترمذي (٢٧٧٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٧١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٨٩، ٩٠).

ثانيًا حكمُ النظرِ إلى المرأة المحجبة:

لا ينبغي للرجلِ أن يتأملَ قوامَ المرأةِ ولو محجبةً، لا يظهرُ منهَا شيءٌ؛ لأن ذلك ذريعةٌ إلىٰ الافتتانِ بها.

ولأن الشيطانَ يزينُها حتىٰ لو كانت محجبةَ؛ لما رواه الترمذيُّ بسندٍ صحيحٍ أن النبيَّ ﷺ قال: «**المرأةُ عورةٌ، إذا خرجتْ استشرفها الشيطانُ**»[1].

وفي «الصحيحين»: يقول النبيُّ ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ منَ النساء**»[2].

وقال ابنُ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ: «ما من نظرةٍ إلا وللشيطانِ فيها مطمعٌ».

اللهم قنا الفتنَ؛ ما ظهرَ منها وما بطنَ.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١١٧٣) بسند صحيح، ولذلك صححه الألباني في «الإرواء» (٢٧٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

ثالثًا: حكمُ النظر إلى صورة المرأة الأجنبية:[١]

يحرم النظر إلىٰ صورة المرأة الأجنبية ؛ سواء أكانت صورةً فوتغرافيةً ، أو في مجلةٍ ، أو علىٰ شاشةِ التلفازِ ، أو نحوِ ذلك ؛ لأنه سببٌ في الافتتان بها ، وسببٌ أيضًا لانطباع تلك الصورةِ الآثمة في قلبِ الناظرِ ، فَيفْسَد القلبُ بذلكَ .

ولقد صدقَ القائلُ:

كلُّ الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظمُ النارِ من مُستصغر الشررِ
كمْ نظرةٍ فتكتْ في قلبِ صاحبها ... فَتْك السهامِ بلا قَوس ولا وَتَرِ

وسئل شيخنا ابن باز ـ رحمه الله ـ عن حكم النظر إلىٰ صور النساء في المجلات؟

فقال : يحرم ذلك ؛ لما يترتب عليه من الفتنة ، ولأن الآيةَ عَمَّتْ كلَّ النساءِ ؛ مصوراتٍ وحَقِيقياتٍ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا . . .﴾ .

---

(١) المراة الأجنبية : هي التي يحل لك أن تتزوج بها .

رابعًا: هل يجوز للطبيب أن ينظر إلى شيء من بدن المرأة، أو يمسه للعلاج؟

لا يجوز للطبيبِ أن ينظرَ إلىٰ شيءٍ من بدنِ المرأةِ، ولا مَسُّه ولو بغرضِ العلاجِ إلا بشروطٍ:

١ ـ أنْ لا توجدَ طبيبةٌ تقومُ بذلك، فإن وُجدتْ حَرُمَ عليه علاجُها، ووجب أن يدلَّهم عليها.

٢ ـ أنْ لا يخلوَ بها، بل يدخلُ مع المريضةِ زوجُها أو محرمُها.

ففي «الصحيحَيْن» عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا: **«لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم»**[(١)].

٣ ـ أن لا يرىٰ من جسمِها إلا مقدارَ الحاجةِ، فإن زاد عنها حَرُمَ.

٤ ـ أن يُخشىٰ علىٰ المرأةِ الهلاكُ أو الضررُ الذي لا يُحتمَلُ.

٥ ـ أن يأمن الطبيبُ الافتتانَ بها عند مداواتها، فإن خشي الافتتان بها حَرُمَ عليه مداواتُها.

وذلك لأن درءَ المفاسدِ مقدَّمٌ علىٰ جلبِ المصالحِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١).

خامسًا: حكمُ وصفِ المرأةِ امرأةً أُخرى لزوجها:

لا يجوزُ للمرأةِ أن تصفَ امرأةً أخرىٰ لزوجها، فتقولُ مثلاً: زوجةُ فلانٍ شعرُها أملس، أو مجعدٌ، أو عيناها خضراوان، أو نحيفةٌ، أو بدينةٌ، أو طويلة أو قصيرة ونحو ذلكَ.

لما رواه البخاريُ وغيرهُ عن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**لا تباشرُ المرأةُ المرأةَ فتنعتَها**[1] **لزوجِها كأنهُ ينظُرُ إليهَا**»[2].

---

(١) فتنعتها: تصفها.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٤٠)، والترمذي (٢٧٩٢)، وأبو داود (٢١٥٠).

سادسًا: حكم نظرِ الخاطبِ إلى من يريدُ خطبَتَها:

يجوزُ لمن يريدُ أن يخطِبَ امرأةً أن ينظُرَ منهَا إلىٰ الوجهِ والكفينِ، لما رواه مسلمٌ عن أبي هريرَة قالَ: كُنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ، فأتاهُ رجلٌ، فأخبره أنه تزوجَ امرأةً من الأنصارِ.

فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليهَا؟**»، قال: لا، قال: «**فاذهبْ، فانُظر إليها؛ فإنَّ في أعينِ الأنصارِ شيئًا**»[١].

وروىٰ أحمدُ والترمذيُ، وهو حسن بشواهدِه ـ عن المغيرةِ أنَّه خطبَ امرأةً، فقال له رسول الله ﷺ: «**انظر إليهَا، فإنه أحرىٰ أن يؤدَم بينكُمَا**»[٢].

روىٰ أحمدُ بسندٍ حسن عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا خطبَ أحدكُم المرأةَ، فقدرَ أن يرى منهَا بعضَ ما يدعوهُ إليهَا فليفعَل**»[٣].

ماذا يرى منهَا؟

ذهب جمهورُ العلماءِ إلىٰ أن الخاطبَ لا ينظرُ إلاَّ إلىٰ الوجهِ والكفينِ فقط.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٢٤)، والنسائي (٣٢٤٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٩)، والحميدي (١١٧٢).

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٠٩٣)، وقال: هذا حديث حسن، والنسائي (٣٣٣٥)، وأحمد (١٨٣٧) من طريق بكر بن عبد الله المزني عن المغيرة بن شعبة به، وهذا سند صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين وإن كان يحيىٰ بن معين قد نفىٰ سماع بكر المزني من المغيرة، لكن الدارقطني أثبت سماعه منه كما في «العلل» (٧/ ١٣٩).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (١٤٥٨٦)، (١٤٨٦٩) بإسناد حسن.

فبالوجهِ يستدلُ علىٰ الجمالِ من عدمهِ.

وبالكفينِ يستدلُ علىٰ خصوبةِ البدنِ من عدمهِ.

هل يجوزُ أن يوكِّل امرأةً تنظرُ إليهَا ثمَّ تصفُها له؟

نعم، يجوزُ له ذلك بشرطِ أن تكونَ امرأةً أمينةً حتىٰ لا تصفهَا لغيره ممن لا يريدُ خطبتها، كمن كان مسافراً فكلف أخته ترىٰ له امرأةً بعينِهَا، وتصفُهَا لهُ.

سابعًا: حكم النظر للصبية الصغيرة:

«يجوزُ النظَرُ للصبيةِ الصغيرةِ حتىٰ تبلغَ تسعَ سنينَ، فإذا بلغت تسعًا جاز النظَرُ إليها أيضًا ما لم تُشْتَهَ، فإذا اشتهاها حرمَ عليه أن ينظَرَ إليهَا، فإذا بلغتْ حَرُمَ النظرُ إليهَا ولو بغيرِ شهوةٍ»[١].

ثامنًا: حكمُ نظرِ الصبيِّ إلى المرأة:

يجوز للصبيِّ المميِّزِ أن ينظرَ إلىٰ المرأةِ إلىٰ أن يبلغَ عشرَ سنينَ، فإذا بلغَ عشراً لا تبدي له إلا الوجهَ والكفينِ، وتغطي ما دونَ ذلكَ، فإذا بلغَ اثني عشرَ عامًا أي قاربَ البلوغ تحجبتْ عنه تمامًا؛ لأن حكمه كالبالغ حينئذٍ[٢].

تاسعًا: المواضعُ التي يجوزُ للرجل أن يراها من محارمه:

لا يجوز أن يرىٰ الرجل من محارمه كابنته، وأخته، وأمِّه، وعمته، وخالتِه، ونحوهِنَّ إلاَّ الوجه، والرأسَ، والعنَق، والذراعينِ، ونصفَ الساقينِ؛ لأنها مواضعُ الزينةِ من المرأةِ وهي المقصودةُ بقوله تعالَىٰ: ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ** ﴾ [النور: ٣١].

ولذلك لا ينبغي للمرأةِ أن تُظهرَ ثديَها، وترضعَ ولدهَا أمامَ محارمِها؛ كأخيِها وأبيها ونحوهِما.

---

(١) «شرح منتهى الإرادات» (٢/ ٦٢٥)، و«المغني» (٩/ ٥٠١).

(٢) «روضة الطالبين» (٤/ ٣٦٧)، و«المغني» (٩/ ٤٩٦).

عاشراً: عورةُ الرجلِ على الرجلِ:

يجوزُ أن ينظرَ الرجلُ إلى الرجلِ ما عدا من السرةِ إلى الركبةِ؛ لحديث: «الفخذُ عورةٌ»(١).

فبعضُ من يلعبُ الكرةَ يُظْهِرُ فخذه، وهذا لا ينبغي.

وبعضُ العمالِ والفلاحينَ يظهرونَ أفخاذَهُم أثناءَ العملِ، وهذا لا ينبغِي.

الدعاء. . .

---

(١) حسن لغيره: أخرجه أبو داود (٤٠١٤)، والترمذي (٢٧٩٥)، وأحمد (١٥٩٢٦ - ١٥٩٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٢١٤٣) وله طرق كثيرة لا يخلو طريق منها من مقال ولكنها تشهد بأن للحديث أصلاً ولذلك حسنه الترمذي، وأشار إلى صحته الطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٢٧٤)، وصححه الحاكم والذهبي، وعلقه البخاري في «صحيحه»، وصححه البيهقي، وقال الألباني في «الإرواء» (٢٦٩): الضعف محتمل، والقلب يطمئن لصحة الحديث.



(٨)

أحكام الديون

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ - خطرُ الدَّين.

٢ - فضلُ إقراضِ المحتاج.

٣ - فضلُ إنظارِ المعسر.

٤ - دعاءٌ لقضاء الدين.

٥ - استحبابُ التصدقِ على الرجلِ إذا علمَ الناسُ أنه مدين.

٦ - جوازُ طلبِ المدينِ من الدائنِ أن يضعَ عنه بعضَ الدَّين.

٧ - حكمُ كتابةِ الدَّين.

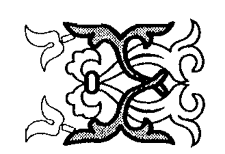
٨ - حكمُ من ادعى أن له دينًا على آخر، وليس له إلا شاهدٌ واحد.

٩ - حكمُ الانتفاع بالرَّهن.

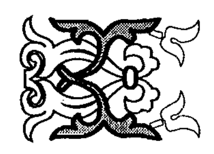
١٠ - حكمُ مَن عليه دينٌ يُحيطُ بزرعه هل يُخرجُ الزكاةَ؟

١١ - حكمُ إسقاطِ الدَّين عن الفقيرِ، وحسابِه من الزكاة.





أحكام الديون



مقدمة: إن الحمدَ لله . . .

أولاً: خطرُ الدَّين:

روىٰ مسلمٌ ـ رحمه اللهُ ـ في «صحيحِه» عن أبي قتادةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّ رسولُ اللهِ ﷺ قال: «**إن الجهادَ في سبيلِ الله، والإيمانَ بالله أفضلُ الأعمال**».

فقامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيلِ اللهِ تُكَفَّر عنِّي خطاياي؟

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**نعمْ، إن قُتِلتَ في سَبيلِ الله، وأنتَ صابرٌ محتسبٌ، مقبلٌ غيرُ مُدبرٍ**».

ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**كيفَ قلتَ؟**».

قال: أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيلِ اللهِ أتكفَّرُ عني خطاياي؟

فقَال رسولِ اللهِ ﷺ: «**نعمْ، وأنتَ صابرٌ محتسِبٌ، مقبلٌ غيرُ مدبرٍ، إلا الدَّين، فإن جبريلَ ـ عليه السلامُ ـ قالَ لي ذلكَ**»[1].

ففي هذا الحديث الشريف يبينُ لنا الرسولُ الكريمُ ﷺ أنَّ الشهادةَ في سبيل الله تكفرُ كلَّ الذنوبِ إلا الدَّينَ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٨٥) في «كتاب الإمارة»، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، والترمذي (١٧١٢) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣١٥٥)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٩٧، ٣٠٨)، ومالك (١٠٢٥)، والدارمي (٢٤١٢).

وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على خطرِ الدينِ، وعِظَمِ أمرِه.

ويظهرُ ذلكَ واضحًا مما رواه مسلمٌ أيضًا عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص - رضيَ اللهُ عنهما - أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**يُغفرُ للشهيدِ كلُّ شيءٍ إلا الدَّينَ**»(١).

ولقد تهاونَ كثيرٌ من الناسِ اليومَ بأمرِ الدَّين، فتراهُ يستدينُ لحاجةٍ، ولغيرِ حاجةٍ.

حتى إنَّ الرجلَ إذا أرادَ أن يبدأَ مشروعًا فإنْ كان معهُ ألفٌ استدانَ ألفًا آخرَ، وبدأه بألفينِ، وإن كان معه عشرةٌ، استدانَ عشرةً أخرى وهكذا.

وبعضُهم يستدينُ لشِراء الكمالياتِ، فترى كثيراً من الناسِ قد طوقَهُم الدينُ.

● **واعلمْ أنَّ منْ ماتَ مدينًا فهوَ علَى خطرٍ عظيم**: ففي الحديثِ الصحيحِ الذي رواه الترمذيُّ عن ثوبان - رضيَ اللهُ عنه - أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**منْ فارقَ الروحُ الجسدَ وهوَ بريءٌ من ثلاثٍ دخلَ الجنةَ: الكبُر، والدَّينُ، والغلولُ**»(٢).

والغُلولُ: هو السرقةُ من المالِ العامِ.

وروى الترمذيُّ وحسنه عن أبي هريرةَ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: قالَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٨٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٠)، والحاكم (٢/ ١١٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢٢٣٦٩)، من طريق قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان به، وأخرجه الترمذي (١٥٧٣)، وابن ماجة (٢٤١٢)، والدارمي (٢٥٩٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤١١).

رسولُ اللهِ ﷺ : «نفسُ المؤمنِ مُعلقةٌ بدينه حتَّى يُقضَى عنه»[١] .

وعند الإمامِ أحمدَ، والحاكمِ، وصححهُ ووافقهُ الذهبيُّ عن محمدِ بن عبدِ اللهِ بنِ جحشٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: كنا جلوسًا بفناءِ المسجدِ حيثُ توضعُ الجنائزُ، ورسولُ اللهِ ﷺ رأسهُ إلى السماءِ، فنظرَ ثمَّ طأطأَ بصرهُ، ووضع يده على جبهته ثم قال: «سبحان الله! سبحان الله! ماذا نزل من التشديد؟».

قال: فسكتنا يومَنا وليلتَنا، فلم نرها خيراً حتى أصبحنا.

قال محمد: فسألتُ رسول الله ﷺ: ما التشديدُ الذي نزل؟

قال: «في الدَّينِ ـ والذي نفسُ محمدٍ بيده ـ لو أنَّ رجلاً قُتل في سبيلِ الله ثم عاشَ، ثم قُتل في سَبيلِ اللَّهِ، ثمَّ عَاشَ، وعليه دَيْنٌ، فأُدخلَ الجَنَّةَ حتَى يَقضيَ دَيْنَه»[٢] .

بل كانَ النبيُّ ﷺ يمتنعُ عن الصلاةِ على المدين:

ففي «صحيح البخاريِّ» عن سلمةَ بنِ الأكوعِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: كنَّا جلوسًا عندَ النبيِّ ﷺ إذ أُتي بجنازةٍ.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٩٦٧٩، ١٠١٥٧)، والترمذي (١٠٧٩)، وابن ماجة (٢٤١٣)، وابن حبان (٣٠٦١) بأسانيد صحيحة، وحسنه الترمذي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٧٩).

(٢) صحيح بشواهده: أحمد (٥/ ٣٨٩)، والنسائي (٤٦٨٤)، والحاكم (٢/ ٢٤)، وفي سنده أبو كثير مولى محمد بن جحش وفيه خلاف لا يضر وقد وثقه ابن حبان، وقال الذهبي: شيخ، وقال الحافظ: ثقة، يقال له صحبة، وبقية رجاله ثقات، ولذلك حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٠٠).

فقالوا: صلِّ عليها.

فقال: «هل عَلَيهِ دَينٌ؟».

قالوا: لا.

قال: «فهلْ تَركَ شيئًا؟».

قالوا: لا، فصلَّىٰ عليها. ثم أُتي بجنازةٍ أخْرىٰ.

فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، صلِّ عليها.

فقال: «هل عليه دينٌ؟».

قيل: نعمْ.

قال: «فهلْ تَرَكَ شَيئًا؟».

قالوا: ثلاثةُ دنانيرِ. فصلِّ عليها.

قال: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ».

قال أبو قتادة: صلِّ عليه يا رسول الله، وعليَّ دينُه، فصلَّىٰ عليه[١].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يؤتىٰ بالرجلِ المتوفَّىٰ عليه الدينُ، فيَسألُ: هل ترك لدينهِ فضلاً؟ فإن حُدِّث أنه تركَ لدينهِ وفاءً صلَّىٰ عليه، وإلا قالَ للمسلمينَ: صلُّوا علىٰ صاحبِكم.

فلما فتَحَ اللهُ عليه الفتوحَ قالَ: «أنَا أولى بالمؤمنينَ من أنفسِهِم، فمن تُوفيَ من المؤمنينَ فتركَ دينًا فعليَّ قضاؤُه، ومَنْ تركَ مالاً فلوَرثَته»[٢].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢٨٩-٢٢٩٥)، والنسائي (١٩٦٠)، وأحمد (٤/ ٤٧)، والطبراني (٦٢٩٠)، وابن حبان (٣٢٦٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٩٩٨)، ومسلم (١٦١٩)، وأبو داود (٢٩٥٥)، والنسائي (٤/ ٦٦)، وابن ماجة (٢٤١٥)، وأحمد (٢/ ٢٨٧، ٢٩٠، ٤٥٣) وعبد الرزاق (١٥٢٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦٣).

ثانيًا: فضلُ إقراضِ المحتاج:

أحيانًا تحِلُّ بالمسلمِ فاقةٌ؛ فيبيتُ في الهمِّ، ويصبحُ بالغمِّ، ولا يدري كيف يتصرفُ، ولا يريدُ أن يطلبَ الصدقةَ، وإنما ينظرُ يمينًا وشمالاً، ويدور فكرُه ليقعَ على صديقٍ قديمٍ، أو أخٍ عزيزٍ، أو جارٍ كريمٍ ليطلبَ منه النجدةَ، يريد قرضًا حسنًا إلى أجلٍ مسمى: «**واللهُ في عَونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيه**»(١).

هنا يحثُّ الإسلامُ الأغنياءَ على إقراضِ إخوانِهم الفقراءِ، ورتبَ على ذلك أجرًا عظيمًا، فقد جعلَ منحَ المسلمِ القرضَ كعتقِ رقبةٍ لله.

فقد روى الترمذيُّ، وقال: حسنٌ صحيحٌ عن البراءِ بنِ عازبٍ -رضيَ الله عنه- قال سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ منحَ منيحةَ ورِقٍ، أو مَنِيحةَ لبنٍ، أو أهدى زُقاقًا، فهو كعتاقِ نسمةٍ**»(٢).

منيحةُ ورقٍ: إقراضُ الدراهمِ.

منيحةُ لبنٍ: إقراضُ الشاةِ للفقيرِ، يأخذُ لبنَها ثم يردُّها.

أهدى زقاقًا: هدايةُ الطريقِ للغريبِ والأعمى ونحوهما.

فجعلَ الإسلامُ إقراضَ المحتاج كعتقِ رقبةٍ، وهناكَ حديثٌ صحيحٌ في

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥، ٤٩٤٦)، والترمذي (٢٩٤٥)، ابن ماجة (٢٢٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٢، ٤٠٧)، والدارمي (٣٤٤)، وابن حبان (٨٥).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (١٩٥٧)، وقال حسن صحيح وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٦٦٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٥٩).

فضلِ عتقِ الرقابِ يبينُ أنَّ: «مَنْ أعتقَ رقبةً أعتقَ اللَّهُ بكلِ عُضوٍ منهَا عضوًا منه منَ النَّار»(١).

ثالثًا: فضلُ إنظارِ المُعْسرِ:

من المسلمينَ من يقترضُ لحاجةٍ، ثم يَحينُ موعدُ السَّدادِ، فلا يستطيعُ أن يَسُدَّ دينَهُ، والدائنُ يريدُ مالَه، فيقعُ المدينُ في حرجٍ شديدٍ؛ فيبيتُ في همٍّ، ويصبحُ في غمٍّ، ولذلكَ استعاذَ النبيُّ ﷺ من ذلكَ، فكانَ يقولُ: «اللَّهمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من ضَلَعِ(٢) الدَّينِ وَغَلَبَة الرِّجَال»(٣).

وبينما الدُّنيا قد أظلمتْ في وجهِ المدينِ، وهو يحاولُ أن يَسُدَّ دينَه، وضاقتْ به الأرضُ بما رحُبَتْ، وأُغلقتِ الأبوابُ، وانقطعتِ الحيلُ، وجاءَ موعدُ السَّدادِ، فإذا بالدائنِ يشعرُ به، ويعلمُ بحالهِ، فيرسلُ إليه: أخي، أَعلمُ أنَّ موعدَ السَّدادِ قدْ حانَ، ولكنِّي قد أخرتُكَ ستةَ أشهرٍ أخرىٰ لتدبرَ أموركَ.

وييسرَ اللهُ أمَرك، فإذا بالمدينِ يستفيقُ من غَفوتِه، ويُبدَّلُ حزنُه فرحًا، ويدعو لأخيهِ بالخيرِ والبركةِ.

وهنا يبشر الرسولُ الكريمُ هذا المقرِضَ ببشرىٰ عظيمةٍ، تشرئبُّ لها

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩)، والترمذي (١٥٤١)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٤٨٧٤، ٤٨٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) ضلع الدين: ثقل الدين وشدته.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٩٣)، وأبو داود (١٥٤١)، والترمذي (٣٤٨٤)، والنسائي (٥٤٦٦).

أعناقُ المؤمنينَ . . . وتشتاقُ لها قلوبُ العارفينَ .

ففي الحديثِ الذي رواه مسلمٌ عن أبي قتادةَ ـ رضيَ اللَّهُ عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : «**منْ سرَّه أن يُنْجيَهُ اللهُ من كُرَب يومِ القيامَةِ فلينفِّسْ عن مُعسرٍ، أو يَضَعْ عنْهُ**»[١] .

بل كلما صبرتَ علىٰ المقترضِ ، وأمهلتَه ، وأنظرتَه ، ازددتَ أجراً وثوابًا .

فقد روىٰ أحمدُ ، وابنُ ماجه ، بسندٍ جيدٍ عن بريدةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : «**مَن أنظَرَ**[٢] **مُعسراً**[٣] **فَلَه بكلِّ يومٍ مثله**[٤] **صدقةٌ**».

قال : ثم سمعتُه يقولُ : «**من أنظَرَ معسرًا فله بكل يومٍ مثْلَيه**[٥] **صدقةٌ**».

قلت : سمعتُك يا رسول الله تقولُ : من أنظرَ معسراً فله بكل يومٍ مثله صدقة ، ثم سمعتُك تقولُ : من أنظر معسراً فله بكل يومٍ مثليه صدقةٌ؟ فقال ﷺ : «**له بكلِ يومٍ صدقةٌ قبل أن يَحِلَّ الدَّينُ، فإذا حلَّ الدينُ فأنظره، فله بكلِّ يومٍ مثلَيه صدقةٌ**»[٦] .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٣٥٧، ٦/ ٢٨).

(٢) أنظر : أخَّر وأجَّل .

(٣) معسراً: الذي تعسرت أموره فلم يستطع السداد .

(٤) مثله : مثل المبلغ الذي أقرضه .

(٥) مثليه : ضعف المبلغ الذي أقرضه .

(٦) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٢٤١٨)، وأحمد في «المسند» (٢٣٠٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٦).

ولقد حرضَ اللهُ الأغنياءَ إذا أقرضوا الفقراءَ فلمْ يستطيعوا السَّدادَ في الوقت المحدد أن ينظروهم ويؤخروهم إلىٰ حينِ ميسرة، فإن تنازلوا لهم عن الدَّين وتصدقوا به عليهم كان خيراً لهم في الدُّنيا والآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

أي: إن كان المقترضُ ذا عسرةٍ، أي: صاحبُ فاقةٍ وحاجةٍ، ولا يستطيعُ أن يسددَ في الموعدِ المحددِ ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ فأنظروه، أي: أخروه إلىٰ أن يتيسرَ أمرُه، ويتمكن من السَّدادِ، ولا تطالبوا بحبسِه، وسجنه، وتلحفوا عليه في السؤال.

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قال ابنُ جرير ـ رحمَهُ اللهُ ـ: وأن تتصدقوا برءوسِ أموالِكم علىٰ هذا المعسرِ، خيرٌ لكم أيها القومُ من أن تنظروه إلىٰ ميسرتِه، لتقبضوا رءوسَ أموالكم منه إذا أيسرَ، إن كنتم تعلمونَ فضلَ الصدقةِ عليه. وما أوجبَ اللهُ من الثوابِ لمن وضعَ عن غريمه المعسرِ دينَهُ. اهـ. مختصراً.

قصة عجيبة:

روىٰ مسلمٌ عن عبادةَ بنَ الوليدِ بن عبادةَ بن الصامت قال: خرجتُ أنا وأبي نطلبُ العلمَ في هذا الحيِّ من الأنصارِ قبل أن يَهلكُوا، فكان أولُ من لقينا أبا اليسر صاحبَ رسولِ اللهِ ﷺ، ومعه غلامٌ له معه ضُمامةٌ من صحف، وعلىٰ أبي اليسرِ بُردةٌ ومُعافري، وعلىٰ غلامِهِ بردةٌ ومُعافري.

فقال له أبي: يا عمّ، إني أرىٰ في وجهك سفعةً من غضبٍ.

قال: أَجَلْ، كان لي على فلان بن فلان الحَرَامي[١] مال، فأتيتُ أهلَهُ، فسلمتُ، فقلتُ: ثَمَّ هو؟

قالوا: لا.

فخرج عليَّ ابنٌ له جفْر[٢]، فقلت: أين أبوك؟

قال: سمعَ صوتكَ؛ فدخلَ أريكةَ أمي.

فقلت: اخرج إليَّ، فقد علمتُ أينَ أنتَ، فخرج.

فقلت: ما حملكَ على أن اختبأتَ منِّي؟

قال: أنا ـ والله ـ أحدثُك ثم لا أَكذبُك، خشيتُ ـ والله ـ أن أحدثَك فأكذبَك، وأن أعدَك فأُخلفَك، وكنتَ صاحبَ رسول الله ﷺ. وكنتُ ـ والله ـ معسراً.

قالَ: قلتُ: آلله.

قالَ: آلله.

قلتُ: آلله.

قالَ: آلله.

قلتُ: آلله.

قالَ: آلله

قالَ: فأتى بصحيفةٍ، فمحاها بيدِهِ، فقال: إن وجدتَ قضاءً فاقضِ، وإلا أنت في حلٍّ.

---

(١) الحرامي: من بني حَرام.

(٢) جفر: صغير.

فأشهد بصر عيني هاتينِ، ووضعَ أصبعيه على عينيه، وسمعَ أذني هاتينِ، ووعاه قلبي هذا، وأشار إلى مناط قلبه - رسول الله ﷺ وهو يقول: «مَنْ أنظرَ معسراً، أو وَضَعَ عنه أظلَّه اللَّهُ في ظلِّه»(١).

وهكذا سارعَ الصحابيُّ الجليلُ أبو اليسر - رضيَ اللهُ عنه - إلى طمس «الشيك» وقال للمدينِ: أنت في حلٍّ من دَيني؛ رجاءَ أن ينال هذا الأجرَ العظيمَ، والثوابَ الجزيلَ.

- بل إن تجاوزك عن المعسرِ قد يكونُ سببًا في مغفرةِ الله لكَ يومَ القيامة ونجاتك من النارِ:

ففي «الصحيحين» عن حذيفةَ - رضيَ اللهُ عنه - قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«تلقتِ الملائكةُ رُوحَ رجلٍ ممن كان قبلَكم، فقالوا: أعملتَ منَ الخَيْرِ شيئًا؟**

قال: لا.

قالوا: تذكَّر.

قال: كنتُ أداينُ الناسَ، فأُنظرُ الموسرَ، وأتجاوزُ عن المعسرِ.

قال اللهُ جلَّ جلالُهُ: أنا أحقُ بذا منكَ، تجاوزوا عَنْ عبدِي»(٢).

وقد تجدْ الذي ييسر على المدينين أمورَه ميسرةً في الدنيا، وستكونُ كذلك في القبرِ والحسابِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٠٠٦)، وابن ماجة (٢٤١٩)، والطبراني (١٩/ ٣٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠)، واللفظ له.

ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «من نفَّس عن مؤمنٍ كربةً من كربِ الدنُّيا، نفسَ اللهُ عنه كربةً من كُربِ يومَ القيامةِ، ومن يسَّر على مُعسرٍ يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرةِ»[1] .

ـ وإذا كنت سمحًا في البيع والشراءِ، ومقاضاةِ الديون نلتَ رحمةَ اللهِ يومَ القيامة:

ففي البخاريِّ عن جابرٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «رَحِم اللهُ رجلاً سمحًا إذا بَاعَ، وإذَا اشترى، وإذا اقتضى»[2] .

رابعًا: دعاءٌ لقضاءِ الدينِ:

في «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يأمرُنَا إذا أخذنَا مضجعًا أن نقولَ: «اللَّهمَّ ربَّ السمواتِ، وربَّ الأرضِ، وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، فالقَ الحبِّ والنوى، ومنزلَ التوراةِ والإنجيلِ والفرقانِ: أعُوذُ بك من شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخذٌ بناصيته، اللَّهمَّ أنتَ الأولُ فليس قبلك شيءٌ، وأنتَ الآخَرُ فَليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاَّهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليس دونَك شيءٌ، اقض عنا الدَّينَ، وأغْننَا مِنَ الفقرِ»[3] .

---

(1) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٩٣٠)، وابن ماجة (٢٢٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٤٥).

(2) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٧٦)، والترمذي (١٣٢٠)، وابن ماجة (٢٢٠٣)، وأحمد (٣/ ٣٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩٠٣).

(3) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٣) وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٠٠)، وابن ماجة (٣٨٧٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨١، ٥٣٦)، وابن حبان (٥٥٣٧).

وفي حديثٍ آخر أن النبيَّ ﷺ قالَ لعليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: **«ألاَّ أُعلِّمُكَ دعاءً، لو كانَ عليك جبلٌ من الدَّين أدَّاه اللَّهُ عنك؟»**.

قلتُ: بلىَ يا رسولَ اللَّهِ.

قال: **«قُلْ: اللَّهمَّ اكفِني بحَلالِكَ عَنْ حَرامِكَ، واغْنِني بفضْلِكَ عمَّنْ سِوَاكَ»**[1].

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٦٣)، وحسنه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٨)، وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٥٦٣).

خامسًا: استحبابُ التصدقِ علَى الرجلِ إذا علمَ الناسُ أنه مدينٌ حتى يقضي دينهُ:

ففي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد الخدريِّ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: أُصيبَ رجلٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ فقال: «**تصدقوا علَيه**».

فتصدقَ الناسُ عليه، فلم يبلغْ ذلك وفاءَ دينه.

فقال ﷺ لغرمائِه: «**خُذُوا ما وجدتم، وليسَ لكم إلا ذَلك**»[1].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٥٦)، وأبو داود (٣٤٦٩)، والترمذي (٦٥٥)، والنسائي (٤٥٤٣، ٤٦٩٢)، وابن ماجة (٢٣٥٦)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٦، ٥٨)، وابن حبان (٥٠٣٣)، والبيهقي (٦/ ٤٩ـ ٥٠).

سادسًا: جوازُ طلبِ المدينِ منَ الدائنِ أن يضعَ عنه بعضَ الدَّينِ:

ففي «الصحيحينِ» عن عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالتْ: سمعَ رسولُ اللهِ ﷺ صوتَ خصومٍ بالبابِ، عاليةٌ أصواتُهم، وإذا أحدُهم يستوضعُ الآخرَ، ويسترفقه في شيءٍ، وهو يقولُ: واللَّه لا أفعلُ، فخرجَ عليهما رسولُ اللَّهِ ﷺ فقالَ: «أين المتألّي علَى اللَّه لا يفعلُ المعروفَ؟»، فقال: أنا يا رسولَ اللَّهِ، فله أيُّ ذلك أحب»[١].

قال النووي رحمهُ الله: في الحديث دليلٌ على أنه لا بأس بمثل هذا، ولكن بشرطِ أن لا ينتهيَ إلى الإلحاحِ وإهانةِ النفسِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٠٥)، ومسلم (١٥٥٧)، ومالك في «الموطأ» (١٣٤٥)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٦٩، ١٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٣٢).

سابعًا: حكمُ كتابةِ الدَّينِ:

الجمهورُ على أن كتابةَ الدَّين مستحبةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وكذلكَ الإشهادُ على هذه الكتابةِ مستحبٌّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وكلُّ ذلك حتى لا يختلفُوا عند القضاءِ بسبب الجحودِ أو النسيانِ ونحوهِما.

ثامنًا: حكُم من ادعى أَنَّ له دينًا على آخر وليس له إلا شاهدٌ واحدٌ:

من المعلوم أن الدَّينَ إذا لم يكنْ مكتوبًا فلا يثبتُ إلا بشاهدينِ، فماذا يفعلُ من ادَّعى أن له دينًا على آخر وليس معه كتابةٌ، ولكن معه شاهدٌ واحدٌ؟

الجواب: يدلي هذا الشاهدُ بشهادته، ثم يحلفُ صاحبُ الدَّينِ يمينًا مكانَ الشاهدِ الثاني، وبذلك يستحقُ دينَهُ.

والدليل: ما رواه مسلمٌ عن ابن عباسٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ قضى بيمينٍ وشاهدٍ[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧١٢)، و أبو داود (٣٦٠٩)، وابن ماجة (٢٣٧٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣١٥، ٣٢٣، ٣٤٨)، وغيرهم وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه أبو داود (٣٦١١)، والترمذي (١٣٤٣)، وابن ماجة (٢٣٦٨).

تاسعًا: حكمُ الانتفاع بالرهنِ:

فِي بعضِ الأماكن سمعنا بعادةٍ سيئةٍ؛ وهي أنَّ الرجلَ إذا أرادَ أنَّ يقترضَ مِن آخر مبلغًا كبيرًا أعطاه قطعةَ أرض رهنًا ينتفعُ بها، ويزرعُها حتىٰ يردَّ إليه القرضَ، فيردُّ إليه قطعةَ الأرضِ.

وهذا لا يجوزُ، بل هو قرضٌ جرَّ نفعًا مشروطًا فصار ربًا لا محالة.

جمهورُ العلماءِ علىٰ أنَّ الرهنَ لا ينتفعُ به إلا إذا كانَ حيوانًا؛ فينتفعُ به بالركوبِ أو بلبنهِ بقدرِ نفقته عليه.

ففي «صحيح البخاريِّ» أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«الرَّهْنُ يُركبُ بنفقتهِ، ويُشربُ لبنُ الدرِّ إذا كانَ مرهُونًا»**[١].

قال ابنُ قدامةَ رحمه اللَّه تعالى:

ولا ينتفعُ المرتهِنَ من الرهْنِ بشيءٍ إلا ما كان مركوبًا أو محلوبًا، فيركبُ ويحلبُ بقدرِ العلفِ[٢]. اهـ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥١١، وأبو داود (٣٥٢٦)، والترمذي (١٢٥٤)، وابن ماجة (٣٤٤٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٨، ٤٧٢)، والدارقطني (٣/ ٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩٣٥)، والبيهقي (٦/ ٣٨)، والبغوي (٢١٤١).

(٢) «المغني» (٦/ ٥٠٩-٥١١).

عاشراً: رجلٌ له زرعٌ وعليه دَيْنٌ يحيط بثمنِ الزرعِ.. هل عليه زكاة؟

ثلاثةُ أقوالٍ:

١ - يؤدي زكاةَ زرعِه أو ماشيتِه؛ لأنها أموالٌ ظاهرةٌ، والدَّينُ يمنعُ الزكاةَ في المال الباطن دون الظاهر، وهو قول مالك والأوزاعي.

٢ - يقضي ما أنفقَ على ثمرته (زرعه) ثم يُزكِّي ما بقي، وهو قولُ ابنِ عباسٍ[١].

٣ - يقضي دينَهُ وليس عليه زكاةٌ؛ لا في المال الظاهر ولا في المال الباطن؛ وهو قولُ ابنِ عمرَ[٢] وطاوسٍ، وعطاءٍ، ورجحه أبو عبيد في الأموالِ[٣]؛ لأنه فقيرٌ، والصدقة تؤخذُ من الأغنياءِ، وهو الراجحُ إن شاءَ اللهُ. لقوله ﷺ: «خيْر الصَّدَقةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهرِ غِنَى»[٤].

(١) حسن: رواه البيهقي (٤/ ١٤٨) بسند حسن.

(٢) حسن: رواه البيهقي (٤/ ١٤٨) بسند حسن.

(٣) «الأموال» لأبي عبيد (١٥٤٥).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٢٦)، والنسائي (٢٥٤٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٧٦، ٥٢٤)، والدارقطني (٣/ ٢٩٧)، وابن حبان (٣٣٦٣)، والبيهقي (٧/ ٤٧٠).

الحادي عشر: رجلٌ له دينٌ عند فقيرٍ، فهل يجوزُ أنْ يُسقطَ عنه الدَّينَ ويحسبُه من الزكاة؟

الجواب: سُئِلَ الإمامُ أحمدَ ـ رحمهُ اللهُ ـ عن ذلك؟

فقال: لا يجزئه ذلكَ.

وسُئِلَ شيخُ الإسلامِ، فقال: إسقاطُ الدينِ عن المعسرِ لايُجزئ عن الزكاةِ إلا إذا أسقطَ عنه قدرَ زكاةِ ذلك الدَّينِ فقط، كأن يكونَ الدينُ عشرةَ آلاف، فيُسقط عنه مائتين وخمسينَ منها، فهذا جائزٌ على قولِ الأحناف[1]، ورجحه ابن تيمية[2] رحمهم اللهُ.

الدعاء...

---

(١) انظر «المبسوط» للسرخسي (٢/ ٢٠٣).

(٢) انظر «الفتاوىٰ» (٢٥/ ٨٤).



(٩)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي

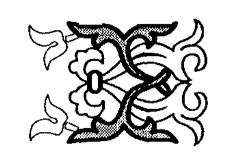


• عناصر الموضوع •

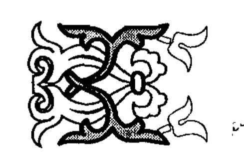
١ ـ فضلُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عن المنكر.

٢ ـ صفاتُ الآمرِ بالمعروفِ والناهي عن المنكر.





الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنا ومنْ سيئاتِ أعمالنا، منْ يهده الله فلاَ مضلَّ لهُ، ومن يضللْ فلاَ هاديَ لهُ، وأشهد أنْ لاَ إلهَ إلاَ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولهُ وبعد:

فإنَّ المجتمعَ المسلمَ قائمٌ علَىٰ التعاونِ علَىٰ البرِّ والتقوَىٰ، ومنْ هَذَا التعاونِ: أن تأخذَ بيدِ أخيكَ المسلمِ إلَىٰ الخيرِ، وأن تحذِّره منَ الشرِّ؛ كي يسعدَ فِي الدنيَا والآخرةِ.

ومنْ هُنَا شرعَ اللهُ عزَّ وجلَّ للمسلمينَ ـ شعيرةَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ.

فالمسلمُ الحقيقيُّ، لاَ يرىَ أخَاه مقصراً في طاعةٍ ويتركُه.

والمسلمُ الحقيقيُّ، لا يرىَ أخاهُ مرتكبًا لمعصيةٍ ويتركُه.

إنَّ المسلمَ يحبُّ الخير للمسلمينَ جميعًا، فيأمرُ بالمعروفِ وينهَىٰ عنِ المنكرِ.

أخوةَ الإسلامِ: ينبغِي للمسلمِ عندَ الأمرِ والنهْي أن يكونَ حكيمًا رفيقًا بإخوانه قالَ تعالىَ: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

أولاً: فضلُ الأمر بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر

قالَ سبحانَهُ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وفي «صحيح مسلم» منْ حديثِ أبِي مسعودٍ الأنصاريِّ - رضِيَ اللهُ عنهُ - قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «منْ دلَّ علَى خَيْرٍ فلهُ مثلُ أجرِ فَاعِلِه»(١).

الأمرُ بالمعروفِ والنهْيِ عنِ المنكرِ من صفاتِ المؤمنينَ:

قال تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

الأمرُ بالمعروفِ والنهْيِ عنِ المنكرِ إنقاذٌ لسفينةِ المجتمعِ:

عنِ النعمانِ بن بشيرٍ رضيَ اللّهُ عنهُما أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيهَا: كَمَثَلِ قَومٍ استهَمُوا علَى سَفِينة، فَصَارَ بعضُهم أعْلاها وبَعضُهم أسْفَلَهَا، وكانَ الذينَ في أسفلِها إذَا استَقَوا منَ الماء مرُّوا علَى منْ فَوْقهُم، فقَالُوا: لوْ أنَّا خَرَقنا في نَصِيبنا خَرقًا ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تركُوهُم ومَا أَرادُوا هَلَكوا جَمِيعًا، وإِنْ أخَذُوا علَى أيدِيهم نَجَوا ونَجَوا جَمِيعًا»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٢)، ومسلم (١٨٩٣)، واللفظ له، وأبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧١) وأحمد في «المسند» (٤/ ١٢٠، ٥/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤)، وابن حبان (٢٨٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٩٣، ٢٦٨٦)، والترمذي (٢١٧٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٣)، وابن حبان (٢٩٧)، والبيهقي (١٠/ ٩١، ٢٨٢)، والبغوي (٤١٥١).

ثانيًا: صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

١ ـ الإخلاصُ:

وذلكَ بأنْ يَقْصِدَ بهمَا وجهَ اللهِ تعالىٰ؛ ليحصُلَ المقصودُ وينالَ عظيمَ الثوابَ.

فإنَّ اللهَ تعالىٰ رتبَ عظيمَ الأجرِ علىٰ الأعمالِ التِي يرادُ بهَا وجهُ اللهِ.

قالَ تعالىٰ: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وَفِي «الصحيحين» مِن حديثِ عمرَ بن الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّمَا الأعمَالُ بالنيَّات...»(١).

والنيةُ هيَ: عملُ القلبِ، فإنْ كانتْ صالحةً ـ بأنْ قصدَ بذلكَ التقربَ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ ـ كانتْ سببًا فِي صلاحِ القلبِ، وتحصيلِ الأجرِ العظيمِ منَ الربِّ، فإنَّ صلاحَ القلبِ بصلاحِ العملِ، وصلاحَ العملِ بصلاحِ النيةِ.

وفِي «الصحيحين»: «يقولُ النبِّي ﷺ: «إنَّكَ لنْ تعْملَ عَمَلاً تبتغِي بهِ وَجْهَ اللَّهِ إلاَّ ازْدَدْتَ بهِ درجةً ورفْعةً»(٢).

وفيهما أيضًا: «إذَا أنفقَ الرجُلُ عَلَى أَهْلهِ صَدَقةً وهُوَ يَحْتسبُها فَهِي لهُ صَدَقةٌ»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٣٦)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢).

فالشأنُ كلُّ الشأنِ في النيةِ الصَّالحةِ، فرُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعَظِّمهُ النيةُ، وربَّ عملٍ كبيرٍ تُصَغِّرُه النيةُ.

فعلَى الآمرِ بالمعروفِ والناهِي عنِ المنكرِ أنْ يتجردَ منْ حظوظِ النفسِ منْ طلبِ شهرةٍ، وطلبِ منزلةٍ، أوِ الطمعِ في تحصيلِ وظيفةٍ، أو مالٍ أو منفعة دنيوية.

٢ ـ العلمُ:

يلزمُ الآمرَ والناهيَ أمرانِ:

١ ـ العلمُ بمَا يأمرُ بهِ وبمَا ينهَى عنهُ.

٢ ـ العلمُ بحالِ المأمورِ والمنهيِّ.

دليلُ الأول قولُه تعالَى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨].

دليلُ الثاني قولُه ﷺ: «**إنَّكَ تَقدمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كتَاب فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه عبادةُ اللَّهِ، فإذَا هُم عَرَفُوا اللَّهَ فأعلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرضَ عليهمْ خَمسَ صَلَواتٍ فِي يومِهم وليلتهم...**» ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حال المدعوين وأنهم أهل كتاب.

٣ ـ الرفقُ واللين:

لابدَّ أنْ يتحلَّى الداعيةُ بالرفقِ واللينِ؛ لكَي تُقبلَ دعوتُه، ويستجابَ لأمرِه.

ولقدْ امتنَّ اللهُ علَىٰ نبيِّه ﷺ بأنْ ألاَن لهُ قلبَه، فقالَ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وامتنَّ اللهُ تباركَ وتعالَىٰ علَىٰ المؤمنينَ ببعثَة رسولِه الكريمِ إليهِم، حيثُ وصفهُ بأربعِ صفاتٍ كلُّها خيرٌ وبركةٌ لهُم:

فقالَ سبحانهُ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

١ ـ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفونَ صدقَهُ وأمانتَهُ وفضلَهُ وشرفَهُ.

وفيهَا أيضًا تنبيهٌ علَىٰ أنه منهُم علَىٰ علمٍ بأحوالِهم ممَّا يقتضِي وضوحَ البيانِ، وتمامَ المعرفةِ بواقعِ الحالِ.

٢ ـ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يشقُّ عليْه مَا شقَّ عليهِم، فهُو لاَ يريدُ أنْ يُعَنتهُم ولاَ أنْ يُحمِّلَهم فوقَ طاقتِهم.

٣ ـ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ حريصٌ علَىٰ هدايتِهم، وتبصيرِهم بالحقِّ، ومحبةِ الخيرِ لهُم.

٤ ـ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ رأفة ورحمة دائمتان مع دعوته لهم.

قالَ ﷺ: «إنَّ اللَّه رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ فِي الأمرِ كُلِّه»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٩٥)، ومسلم (٢١٦٥)، وابن ماجة (٣٦٨٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٨٥)، وعبد الرزاق (١٩٤٦٠)، وابن حبان (٥٤٧).

قـــال ﷺ: «إنَّ الرِّفـقَ لا يكُونُ في شَـيءٍ إلاَّ زانه، ولاَ ينزعُ مـنْ شيءٍ إلاَّ شَانَه»[1].

قالَ ﷺ: «مَنْ يُحرمِ الرِّفقَ يُحرَمِ الخَيْرَ كُلَّه»[2].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٩، ٤٧٥)، ومسلم (٣٥٩٤)، وأبو داود (٢٤٧٨)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٨٥، ٢٠٦، ٢٢٢)، وابن حبان (٥٥٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٣)، ومسلم (٢٥٩٢)، واللفظ له وأبو داود (٤٨٠٩)، وابن ماجة (٣٦٨٧)، وأحمد (٤/ ٣٦٦)، وابن حبان (٥٤٨).

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ علَىٰ رسولِ اللهِ، وبعدُ:

٤ ـ الصبرُ علَى الأذَى:

ويقولُ تعالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ـ الحقُّ تكرههُ النفوسُ.

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

يقول النبي ﷺ: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[١]. يعني: يضيء لك الطريق في ظلمات المحن وغبش المصائب.

وقدْ أوضحَ اللهُ تباركَ وتعالَىٰ لنَا فِي قرآنِهِ ـ أنَّه معَ الصابرينَ معيةٌ خاصةٌ، يؤيدُهم، ويسددُهم، ويهديهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢٢١٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤).

يلزمُ المؤمنَ الصبرُ في ثلاثةِ مواطنَ هنَّ كلُّ حياتِه:

١ ـ الصبرُ علَىٰ الطاعةِ.

٢ ـ الصبرُ عنِ المعصيةِ.

٣ ـ الصبرُ علَىٰ الأقدارِ.

٥ ـ النظرُ في المصالح والمفاسد:

بحيثُ يكونُ النظرُ فيهمَا بميزانِ الشرعِ لاَ بهوَىٰ النفسِ، ولاَ بميلِ الطبع.

وهذَا الأمرُ يدورُ علَىٰ أربعةِ محاورَ:

١ ـ إذَا كانتِ المصلحةُ أعظمَ منَ المفسدةِ، أوِ المفسدةُ منتفيةً كانَ الأمرُ مأموراً بهِ.

٢ ـ إذَا كانتِ المفسدةُ أعظمَ كانَ الأمرُ محرمًا.

٣ ـ إنْ تساوتِ المصلحةُ والمفسدةُ لمْ يأمرْ ولمْ ينهْ؛ لأنَّ درءَ المفاسدِ مقدمٌ علَىٰ جلبِ المصالحِ.

٤ ـ إنِ اشتبهتْ عليْهِ الحالُ يسألُ أهلَ العلمِ.

٦ ـ الأمرُ والنهيُ بحسبِ الاستطاعة:

وذلكَ أنَّ كلَّ مؤمنٍ مأمورٌ شرعًا أنْ يأمرَ بالمعروفِ وينهَىٰ عنِ المنكرِ حسبَ الاستطاعةِ، يقولُ تعالىٰ: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن: ١٦].

ويقولُ جلَّ وعلاَ ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وثبتَ فِي «صحيح مسلم» أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ:

«مَنْ رَأى منكُم منكرًا فَليُغيرْهُ بِيَدِه، فإنْ لمْ يَستطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لمْ يَسْتَطِعْ فَبِقلْبِه وذَلكَ أَضعفُ الإِيمَانِ»(١).

مراتب تغيير المنكر:

١ ـ التغييرُ باليدِ: وذلكَ خاصٌّ بمنْ لهُ ولايةٌ عامةٌ أو خاصةٌ.

٢ ـ التغييرُ باللسانِ: لمنْ لمْ يتمكنْ منَ التغييرِ باليدِ، وتمكنَ منْ بيانِ الأمرِ.

٣ ـ التغييرُ بالقلبِ: وذلكَ إذَا لمْ يتمكنْ منَ المرتبتينِ الأولينِ.

ويشترطُ حينئذٍ مفارقةُ مكانِ المنكرِ «وذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

٣ ـ تنبيهات حول الأمر والنهي:

١ ـ لاَ يُشترطُ في الآمرِ والناهِي أنْ يكونَ كاملَ الحالِ في الاستقامةِ.

يقول النووي: «بلْ لاَ يشترطُ أنْ يكونَ ممتثلاً لما يأمرُ بهِ، مجتنبًا لَمَا ينهِي عنهُ، بلْ عليهِ الأمرُ وإنْ كانَ مخلاًّ بما يأمرُ بهِ أوْ كانَ متلبسًا بمَا ينهَى عنهُ».

وأنهُ يجبُ شيئانِ:

أحدهما: أنْ يأمرَ نفسهُ وينهَاها.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، والنسائي (٥٠٢٣، ٥٠٢٤)، وابن ماجة (١٢٧٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢٠، ٤٩، ٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦، ٣٠٧).

الثاني: أنْ يأمرَ غيرهُ وينهاهُ.

فإذَا أخلَّ بأحدِهما، كيفَ يحلُّ لهُ الإخلالُ بالآخرِ؟!

قال ﷺ: «إنَّ اللَّهَ ليؤيِّدُ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفَاجِرِ»(١).

٢ ـ المسلمُ ليسَ مكلفًا بهداية الناس، ولكن بالدعوة والتبليغ.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٥١٩)، والبيهقي (٨/ ١٩٧).

(١٠)

كيف تستثمر وقتك؟

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ - منظرٌ عجيب.

٢ - دقيقةٌ من عمرك.

٣ - الإنسانُ هو الوقت.

٤ - حرصُ السلفِ على اغتنامِ أوقاتِهم.

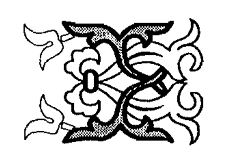
٥ - تنظيمُ العلماءِ لأوقاتِهم.

٦ - برنامَجٌ يَومِيٌّ لطالب علم.

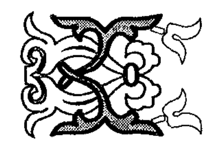
٧ - برنامجٌ يَومِيٌّ لمسلمٍ عَادي.

٨ - أين تقضي العطلةَ الصيفيةَ؟





كيف تستثمرُ وقتك؟



المقدمةُ . . .

وبعدُ . . .

هذا رجلٌ من عقلاءِ الناسِ، له عينانِ تبصرانِ، وأذنانِ تسمعانِ، ولسانٌ ينطقُ، وعقلٌ يفكرُ، لكنه يتصرفُ تصرفًا عجيبًا:

إنه يمسكُ بيده قطعًا من الذهبِ الثمينِ، لا يقلُّ ثمنُ إحداها عن عشرةِ آلافِ جنيهٍ، ولكنه يبيعُ الواحدة بجنيهٍ واحدٍ، وأحيانًا يلقيها على الأرضِ بلا ثمنٍ وينطلقُ ويتركُها!!

فقيلَ له: إن هذه الجواهرَ تساوي آلافًا كثيرة.

فنظرَ إليهِ غيرَ مهتمٍّ، وظلَّ يبعثرُ، ويبعثرُ، وبعدَ سنواتٍ إذا هذا الرجلُ بعينه أفقرُ مَا يكون، يطلبُ ربعَ الجنيهِ فلا يجدُه، وهو يتحسرُ على ما أنفقَه.

أتدري من هذا الرجل؟

ستفاجأ إذا عرفته، إنه أنتَ، نعم أنت يا من تبعثِرُ عُمُرَك، وتُضَيِّعُ وقَتك، وتفرِّط في دقائقه وثوانيه، فإذا جاء الموتُ تمنيتَ ساعةً فلم تجدْها، كم أيامٍ قضيتَها بلا فائدةٍ! وكم سهرةٍ سهرتهَا بلا نفعٍ!

وكم من جلسةٍ جلستَها لم تحصِّل منها حسنةً واحدةً!!

أيامٌ أغلىٰ من الذهبِ ـ لو عـقِلتَـهـا ـ، ولحظاتٌ أثمنُ من الجـوهرِ ـ لو فهمتَها ـ، وأنفاسٌ أنفسُ من اللؤلؤِ لو قدَّرتَها.

مرَّتْ وانقضتْ لايمكنُ إرجاعُها، فكلُّ صحيفةٍ تُطوىٰ لا تُفتحُ، وكلُّ يومٍ ينقضي لا يعودُ.

يقولُ الحسنُ البصريُّ:

ما من يوم ينشقُّ فجرُه إلا وينادي: «يابنَ آدمَ أنا يومٌ جديدٌ، وعلىٰ عملِكَ شهيدٌ، فاغتنمْني فإني لا أعودُ».

نعم، الوقتُ أغلىٰ من الذهبِ، فلو قيل لرجلٍ عمرُه ستون سنةً أعطِنا ما بقي من عمرِك وخذ ملءَ الدنيا ذهبًا وتموتُ الآن لرفضَ، وقالَ: ماذا أصنعُ بالمالِ إذا انتهىٰ العمرُ وانقضىٰ الأجلُ؟

دقيقةٌ من عمرِكَ؟

ولأن كثيراً من الناسِ لا يعرفونَ قيمةَ هذه الدقيقةِ أردتُ أن أبينَ لهم قيمتَها:

دقيقةٌ واحدةٌ تستغلُّها في الطاعةِ يوميًّا.. كم تساوي. تستطيعُ أن تسبِّحَ في الدقيقةِ الواحدةِ عشرَ تسبيحاتٍ، والتسبيحةُ بعشرِ حسناتٍ تساوي مائةَ حسنة فالدقيقةُ تساوي مائةَ حسنةٍ.

الدقيقةُ في الشهرِ = ١٠٠ × ٣٠= ٣٠٠٠ حسنةٍ.

الدقيقةُ في السنةِ = ١٠٠ × ٣٦٥= ٣٦,٥٠٠ حسنةٍ.

الدقيقةُ في العمرِ لو كان ٥٠ سنة = ٣٦,٥٠٠×٥٠= ١,٨٢٥,٠٠٠

دقـــاتُ قلبِ المرءِ قـــائلةٌ لـه ... إن الحـــيـــاةَ دقـــائقٌ وثـواني
فـارفعْ لنفسكَ بعدَ موتِك ذكرَها ... فـالذكـــرُ للإنسـانِ عـمـرٌ ثاني

سببُ اختيارِ هذا الموضوعِ:

والذي دفعني لاختيارِ هذا الموضوعِ أنَّ الشبابَ يتهيئون الآن لقضاءِ العطلةِ الصيفيةِ.

فمنهم من يفكرُ في مصيفٍ لقضاءِ الوقتِ.

ومنهم من يفكرُ في رحلةٍ لصرفِ الوقتِ.

ومنهم من يفكرُ في وسيلةٍ لإضاعةِ الوقتِ.

ومنهم من يفكرُ في طريقةٍ لقتلِ الوقتِ.

ولذلكَ جعلتُ عنوانَ هذهِ الخطبةِ:

«كيف تستثمرُ وقتَك».

نتكلم فيها بحولِ اللهِ وقوتهِ حولَ خمسةِ عناصرَ:

أولاً: الإنسانُ هو الوقتُ.

ثانيًا: حرصُ السلفِ الصالحِ على اغتنامِ أوقاتهم.

ثالثًا: برنامجٌ يوميٌّ لطالبِ العلمِ.

رابعًا: برنامجٌ يوميٌّ للمسلمِ العاديِّ.

خامسًا: أين تقضي العطلةَ الصيفيةَ؟

أولاً: الإنسانُ هو الوقت

الناسُ في هذه الدنيا مسافرونَ، وأولُ منازِلِهم المهدُ، وآخرُها اللحدُ.

والعمرُ مسافةُ السَّفَرِ، وسنواتُه مراحِلُه، وأيامُه منازلُه، وأنفاسُه خطواتُه، وطاعتُه بضاعتُه، وأوقاتُه رأسُ ماله، وشهواتُه قطاعُ طريقِه.

وربحُه الفوزُ بلقاءِ الله في دارِ السلامِ، والنعيمِ المقيمِ.

وخسرانُه البعدُ عن اللهِ في دارِ الشَّقَاءِ، والعذابِ الأليمِ.

فكلُّ يومٍ وليلةٍ مرحلةٌ من مراحلِ العمرِ، فلا يزال يطويها، مرحلةً بعد مرحلةٍ حتَّىٰ يصلَ إلىٰ عتبةِ القبرِ.

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظة ... وأيامُنا تُطوى وهُنَّ مراحلُ

ولم أرَ مثلَ الموتِ حقًّا كأنَّهُ ... إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ

وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصبا ... فكيف به والشيبُ للرأسِ شاغلُ

ترحَّل من الدنيا بزادٍ من التُّقى ... فعُمُركَ أيامٌ وهنَّ قلائلُ

وفي «صحيح مسلمٍ» عن حذيفةَ بن أسيد أن النبيَّ ﷺ قالَ: «**يدخلُ المَلَكُ على النطفةِ بعدما تستقرُّ في الرحمِ بأربعينَ أو خمسةٍ وأربعين ليلةً، فيقولُ: يا ربِّ أشقيٌّ أم سعيدٌ؟ فيكتبان، فيقولُ: أي ربِّ، أذكرٌ أو أنثى؟ فيُكتبان. ويُكتبُ عملُه، وأثرُه، وأجلُه، ورزقُه، ثم تُطوى الصحفُ، فلا يزادُ فيها، ولا ينقصُ**»[١].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٤٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٧)، والحميدي (٨٢٦).

فهل يُكْتَبُ العمرُ بالأعوامِ؟

كلاَّ، ولا بالشهورِ، ولا الأيامِ، ولا بالدقائقِ ولا الساعاتِ، إنما يُكتب بالأنفاسِ.

فيكتب مثلاً: سيعيش ٣٠ مليون نفسٍ.

فكلما تنفسْتَ نفساً نقصَ من عمرِك جزءٌ...

بقي لك عشرون نفساً، ١٥ نفساً، عشرةُ أنفاسٍ، خمسةُ أنفاسٍ، ثلاثةُ أنفاس، نفسٌ واحدٌ، لم يبقَ لك نفسٌ فتموتُ.

إنَّا لنفرحُ بالأيامِ نقطعُها　　وكلُّ يومٍ مضى يُدني من الأجلِ

فاعملْ لنفسِكَ قبلَ الموتِ مُجتهداً　　فإنَّما الربحُ والخُسرانُ في العملِ

وكثيرٌ من الناس لا يقدِّرُ قيمةَ وقتِه، فيغبنُ فيه، ويُضيِّعُهُ بلا فائدة فيخسرُ في الدنيا، ويندمُ في الآخرةِ.

ولذلك روىٰ البخاريُّ في «صحيحِه» عن ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهمَا ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: **«نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ: الصحةُ، والفراغُ»**(١).

الإنسانُ هو الوقتُ، فمن استغلَّ وقتَه في الطاعاتِ كان من الصالحينَ، ومن قضىٰ وقتَه في السيئاتِ كان من الخاسرين، ومن تركَ وقتَه بلا فائدةٍ كان من النادمين.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجة (٤١٧٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٤٤)، والدارمي (٢٧٠٧).

الأيامُ ثلاثةٌ: أمسٌ مضى لا تستطيعُ إرجاعَه.

غدٌ لم يأتِ لعلك لا تدركُه.

ويومُكَ فهو رأسُ مالِكَ فاجتهدْ فيه.

أترجو أن تكونَ وأنتَ شيخٌ كما قد كنت أيامَ الشبابِ

لقد خدعتْكَ نفسُك ليس ثوبٌ قديمٌ كالجديدِ من الثيابِ

ثانيًا: حرصُ السلفِ على اغتنامِ أوقاتِهم

لقد حرصَ السلفُ أشدَّ الحِرصِ على أوقاتِهم أن تمرَّ بلا فائدة، أو تُنفقَ في بطالة؛ لأنَّ العبد يفاجأُ بأثر الوقت يومَ القيامة.

فيقالُ للسعداءِ في الجنةِ: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢٤].

وينادى على الأشقياءِ في النارِ: ﴿**ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾ [غافر: ٧٥].

لقد بلغ من حرصِ بعضِ السلفِ على الوقتِ ألا يجدوا وقتًا لتناول الطعامِ.

عُبيدُ بن يعيشَ:

هذا عُبيدُ بن يعيشَ - شيخُ البخاريِّ ومسلمٍ - يقولُ عن نفسِه: «أقمتُ ثلاثين سنةً ما أكلت بيدي بالليلِ، كانتْ أختي تلقمُني، وأنا أكتبُ الحديثَ».

انظر إلى حرصِه على وقتِه.

الخطيبُ البغداديُّ:

كان من المحافظين على أوقاتِهم، حتى إنه كان يمشي وفي يده جزءٌ يطالعه، وذلك من حفظِه لوقته.

الإمامُ سليمٌ الرازيُّ:

المتوفى سنة ٤٤٧هـ ، وهو من أئمة الشافعيةِ في زمانه، حفي عليه القلمُ، فإلى أن قطَّه[١] جعلَ يحركُ شفتيه بذكرِ اللهِ، حتَّى لا تمرَّ هذه الثواني بلا طاعةٍ.

فلله دَرُّه! ما أحفظَه لوقتِه، وما أرضاه لربه، عرفُوا اللهَ فعرفهم، وأطاعوا الله فوفقَهم، وأنابوا إليه فأرشدَهم.

اعملْ وأنت من الدنيا على حذرٍ   واعلم بأنك بعد الموت مبعوثُ
اعلم بأنك ما قدَّمْت من عملٍ   مُحصىً عليك وما خلَّفتَ موروثُ

إمامُ الحرمينِ الإمامُ الجوينيُّ:

يقولُ عن نفسِه: أنا لا أنامُ ولا آكلُ عادةً، وإنما أنام إذا غلبني النومُ ليلاً كان أو نهاراً، ولا آكلُ إلا إذا اشتهيتُ الطعامَ».

وكانت لذتُه ونُزهتُه في مذاكرة العلم[٢].

أبو الوفا ابنُ عَقيلٍ الحنبليِّ:

من مؤلفاته كتابُ «الفنون» بلغَ ثمانمائة مجلدٍ.

يقولُ عن نفسِه: لا يحلُّ لي أن أضيعَ ساعةً من عمري، حتى إذا تعطلَ لساني عن مذاكرةٍ أو مناظرةٍ، وبصري عن مطالعةٍ، أعملتُ فكري في حال راحتي وأنا منطرحٌ، فلا أنهضُ إلا وقد خطرَ لي ما أسطِّرُه»[٣].

---

(١) قطه: براه.

(٢) «طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ١٧٤).   (٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٤٢).

مجدُ الدينِ ابنُ تيميةَ:

جدُّ شيخِ الإسلام ابنِ تيميةَ، كان حريصًا على وقته، حتى إنه كان إذا دخلَ الخلاءَ، قالَ لابنه: اقرأ في هذا الكتابِ وارفعْ صوتَك حتَّى أسمع[1].

وذلك من حرصِه على العلمِ، وحفظِه لوقتِه.

يقولُ الحسنُ البصريُّ:

لقد أدركتُ أقوامًا كانوا أشدَّ حرصًا على أوقاتهم من حرصكم على دراهمِكم ودنانيرِكم.

محمدُ بن الحسنِ الشيبانيّ:

كان لا ينامُ بالليل، وكان يضعُ عندَه دفاتَر، يقرأُ فيها، فإذا ملَّ من نوعٍ، نظرَ في نوعٍ آخرَ من الكتبِ وكان يزيلُ النومَ عنه بالماءِ»[2].

محمودُ بنُ عبدِالرحمنِ الأصبهانيّ:

كان يمتنعُ كثيرًا عن الأكلِ لئلاَّ يحتاجَ إلى الشربِ، فيحتاجَ إلى دخولِ الخلاءِ، فيضيعَ عليه الزمانُ[3].

كلُّ ذلك لأنهم كانوا يعلمون شرفَ الوقتِ، وقيمةَ الزمانِ، وأن اليومَ الذي يمضي لا يمكنُ أن يعودَ.

---

(١) السابق (٢/ ٢٤٩).

(٢) «١٢٥ طريقة لحفظ الوقت» (ص١١).

(٣) «الدرر الكامنة» (٦/ ٨٥).

أقبل على صلواتك الخمسِ كم مُصبحٍ وعساهُ لا يُمسي

واستقبلِ اليومَ الجديدَ بتوبةٍ تمحو ذنوبَ صبيحةِ الأمس

فليفعلنَّ بوجهِكَ الغضِّ البلى فعلَ الظلامِ بصورةِ الشمسِ

ثالثًا: تنظيمُ العلماءِ لأوقاتِهم

إن العلماءَ هم ورثةُ الأنبياءِ، وهم سادةُ الأولياءِ، أراد الله بهم خيرًا ففقَّههم في الدين، وهداهُم إلىٰ طريقهِ المستقيمِ، فجعلَهم لعبادهِ مرشدين، ولأحكامِه مبينين، فكم من جاهلٍ علَّموه.

وكم من تائهٍ أرشدوه.

وكم من عاصٍ أخذُوا بيدِه إلىٰ اللهِ ودلُّوه.

وكم من غافلٍ ذكَّروه.

فبهم يُقتدىٰ، وبآثارهِم يُقتفىٰ.

فتعالَ لتعرفَ كيف كان العلماءُ ينظِّمونَ أوقاتَهم لتقتديَ بهم، وتترسمَ خُطاهم.

البرنامجُ اليوميُّ لحمادِ بن سلمةَ رحمهُ اللهُ:

يقولُ موسىٰ بنُ إسماعيلَ: لو قلتُ لكم إني ما رأيتُ حمّادَ بنَ سلمةَ ضاحكًا لصدقتُ.

كان مشغولاً: إما يحدِّثُ، أو يقرأُ، أو يسبِّحُ، أو يصلي، وقد قسم النهارَ علىٰ ذلك.

قال يونسُ المؤدب: ماتَ حمادُ بن سلمةَ وهو يصلي[1].

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي

---

(١) «التذكرة» (١/ ٢٣)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٤٤).

عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

البرنامجُ اليوميُّ لمنصورِ بنِ زاذانَ رحمهُ اللهُ:

يقولُ هُشيمُ بن بَشيرٍ: لو قيلَ لمنصورٍ - رحمهُ اللهُ - إن مَلَكَ الموتِ على الباب ما كان عنده زيادةٌ في العملِ.

وذلك أنه كان يخرجُ من بيتِه فيصلي الغداةَ - أي الفجرَ - في جماعةٍ، ثم يجلسُ فيسبِّحُ حتى تطلعَ الشمسُ، ثم يقومُ فيصلي إلى الظهر، ثم يصلي إلى العصر، ثم يجلسُ يسبِّحُ إلى المغربِ، ثم يصلي العشاءَ، ثم ينصرف إلى بيته، فيُكتبُ عنه الحديثُ في ذلك الوقتِ - أي: بعدَ العشاءِ[1].

أخي: هل تستطيعُ أن تطبق هذا البرنامج يومًا واحدًا كلَّ شهر؟

تشبهُوا بالكرام وإن لم تكونوا ... مثلَهم إن التشبهَ بالكرامِ فلاحُ

البرنامجُ اليوميُّ لصفوانَ بن مُحْرِز رحمهُ اللهُ:

هذا العالمُ العابدُ صفوانُ بن مُحرزِ بن زيادٍ المازنيّ، المتوفَّى سنةَ ٧٤هـ كيفَ كانَ ينظمُ وقته؟

قال الحسنُ: كان صفوانُ يظلُّ صائمًا طوالَ نهارِه، ويفطرُ على رغيف، ويشربُ عليه الماءَ حتَّىَ يرتويَ، ثم يقومُ فيصلي حتَّى يصبحَ، فإذا صلَّى الفجرَ أخذَ المصحفَ فوضعَه في حِجْرِهِ يقرأُ حتى يترحلَ النهارُ، ثم يقومُ فيصلي حتى ينتصفَ النهارُ، فإذا انتصفَ النهارُ، نامَ إلى الظهرِ، فإذا صلَّى الظهرَ أحيا ما بينَ الظهرِ والعصرِ بالصلاةِ حتَّى يصلي العصرَ، فإذا

---
(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٧).

صلَّى العصرَ، أخذَ المصحفَ فوضعهُ في حجرِه، فلا يزالُ يقرأُ حتَّى تصفر، ثم إذا غابت الشمسُ أفطرَ. اهـ[١] .

ولذلك كان لكلامه أثرٌ في القلوبِ.

يقولُ مهديُّ بنُ ميمون عن غيلانَ بنِ جرير قالَ:

كانوا يجتمعون فيتحدَّثون بالأحاديثِ التي ترقُّ القلوبَ، فلا يجدون رقةً، فيقولون: يا صفوانُ، تحدَّث.

قال: فيقولُ: الحمدُ للهِ. . . فيرقُّ القومُ، وتسيلُ دموعُهم كأنها أفواهُ القِرَبِ[٢] . اهـ.

لله قومٌ أخلصوا في حُبِّه ... فرضِيَ بهم واختصَّهم خُدَّامًا

قومٌ إذا جَنَّ الظلامُ عليهمُ ... باتوا هنالك سُجَّدًا وقيامًا

خُمصُ البُطونِ من التعففِ ضُمَّرًا ... لا يعرفون سوى الحلالِ طعامًا

البرنامجُ اليوميُّ للعابد الزاهد عامرِ بنِ عبدِ قيس رحمهُ اللهُ:

هذا هو التابعيُّ الجليلُ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ، الذي كان يجتهدُ في العبادةِ، فقيلَ لهُ: إن الجنةَ لتُدرَكُ بدون ما تَصنعُ، وإن النارَ لَتُتقَى بدونِ ما تَصنعُ، فيقول: والله لأجتهدنَّ، ثم والله لأجتهدنَّ.

فإن نجوتُ فبرحمةِ اللهِ، وإن دخلتُ النارَ فبعدَ جهدِي[٣] .

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٥١).

(٢) «تهذيب الكمال» (١٣/ ٢١٢)، وقد نقلته بالمعنى.

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٠٢).

يقولُ المعلَّىٰ بنُ زيادٍ: كان عامرٌ ـ رحمهُ اللهُ ـ قد فرضَ علىٰ نفسه في كلِّ يومٍ ألفَ ركعةٍ، وكان إذا صلىٰ العصرَ جلسَ وقد انتفختْ ساقاه من طولِ القيامِ، فيقولُ: يا نفسُ، بهذا أمرتِ، ولهذا خُلقتِ، يوشكُ أن يذهبَ العناءُ.

ثم يقولُ لنفسهِ: قومي يا مأوىٰ كلِّ سوءٍ، فوعزةِ ربِّكِ، لأزحفنَّ بكِ زحوف البعيرِ، ثم يقومُ فينادي: اللهمَّ إن النار قد منعتْني من النوم فاغفرْ لي (١).

هذا هو عامرُ بنُ عبدالله تلميذُ عمرَ بن الخطابِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ كان يقولُ: أحببتُ اللهَ حبًّا سهلَ عليَّ كلَّ مصيبةٍ، ورضَّاني كلَّ قضيةٍ.

برنامجُه اليوميُّ:

قال الحسنُ: كان عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ إذا صلَّىٰ الصبحَ تنحَّىٰ في ناحيةِ المسجدِ، فقالَ: من أقرئه ـ أي: القرآنَ؟ فيأتيه قومٌ، فيقرئُهم، حتَّىٰ إذا طلعت الشمسُ وأمكنتْه الصلاةُ قامَ يصلِّي إلىٰ أن ينتصفَ النهارُ، ثمَّ يرجعُ إلىٰ منزلِه فيقيلُ ـ ينامُ القيلولةَ ـ ثم يرجعُ إلىٰ المسجدِ إذا زالتِ الشمسُ فيصلي حتَّىٰ يصلي الظهر، ثم يقوم فيصلي إلىٰ العصرِ.

فإذَا صلَّىٰ العصرَ تنحَّىٰ في ناحيةِ المسجدِ، ثم يقولُ من أقرئُه؟ فيأتيه قومٌ فيقرئُهم القرآنَ حتَّىٰ إذا غربتِ الشمسُ صلَّىٰ المغربَ، ثم يصلِّي حتَّىٰ يصلِّيَ العشاءَ، ثُم يرجعُ إلىٰ منزلِه، فيتناولُ أحدَ رغيفيه، فيأكلُ ثُم ينامُ نومةً خفيفةً، ثُم يقومُ يصلِّي حتَّىٰ السحرِ، ثم يتسحرُ بالرغيفِ الآخرِ، ثم يشربُ عليه شربةً من الماءِ، ثم يخرجُ إلىٰ المسجدِ» (٢).

(١، ٢) انظر السابق.

البرنامجُ اليوميُّ للحافظ عبدالغنيِّ المقدسيِّ رحمهُ اللهُ:

يقولُ تلميذُه الضياءُ المقدسيُّ: كانَ لاَ يُضيعُ شيئًا منْ زمانه، كانَ يصلِّي الفجرَ، ثمَّ يلقنُ القرآنَ، وربمَّا لقنَ الحديثَ، ثمَّ يقومُ فيتوضَّأ ويصلِّي إلَىٰ قبيل الظهرِ، ثمَّ ينامُ نومةً إلَىٰ الظهرِ، ثمَّ يصلِّي الظهرَ ويشتغلُ بالتسْميع أوِ النَّسخ إلَىٰ المغربِ، فإذَا غربتِ الشمسُ يفطرُ إنْ كانَ صائمًا، ثمَّ يصلِّي العشاءَ، ثمَّ ينامُ إلَىٰ نصفِ الليلِ أو بعدهُ، ثمَّ يقومُ فيتوضَّأ ويصلِّي إلَىٰ قريبِ الفجرِ، وربمَّا توضَّأ سبعَ مراتٍ أوْ أكثرَ، ويقولُ: تطيبُ لِي الصلاةُ ما دامت أعضائِي رطبةً، ثمَّ ينام نومةً يسيرةً قبلَ الفجرِ، وهذا دأْبه.

فهؤلاءِ الكرامُ عقلوا حديثَ رسولِ الله ﷺ الذي رواهُ الحاكمُ وصحَّحه الألبانيُّ: عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اغتَنم خَمْسًا قَبْلَ خَمْس، حَيَاتَكَ قَبلَ مَوتك، وصحَّتَكَ قَبلَ سَقَمكَ، وفَرَاغَك قَبْلَ شُغْلكَ، وَشَبَابَك قبْلَ هرَمكَ، وغنَاكَ قَبْلَ فقْرِكَ**»(١).

إذاَ كنتَ تعلمُ علمًا يقينًا ... بأنَّ جميعَ حياتك ساعةْ

فلمَ لاَ تكونُ شحيحًا بهَا ... وتجعلُهَا فِي صلاحٍ وطاعةْ

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٦)، وصححه علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي من طريق ابن عباس وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧)، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢)، ووكيع في «الزهد» (٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ١٨١٦)، وأحمد في «الزهد» (ص٤٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٢٠)، والخطيب في «اقتضاء العلم والعمل» (١٧٠) كلهم من طريق عمرو بن ميمون مرسلاً.

برنامج يومي لطالب العلم

١ - يصلِّي الفجرَ فِي جماعةٍ، ثمَّ يظلُّ فِي المسجدِ يذكرُ اللهَ حتىٰ تطلعُ الشمسُ، ثمَّ يصلِّي «٨» ركعاتٍ ضحَىٰ.

٢ - يبدأُ فِي حفظِ المقرَّر اليوميِّ مِن القرآنِ والحديثِ والمتونِ إلَىٰ الساعةِ العاشرةِ صباحًا.

٣ - ثمَّ يتناولُ طعامَ الإفطارِ، ثمَّ يتوضَّأ ويصلِّي ركعتينِ، ثمَّ ينامُ إلَىٰ قبيلِ الظهرِ.

٤ - يتوضَّأ ويذهبُ إلَىٰ المسجدِ قبلَ الأذانِ، ثمَّ يصلي أربعًا قبلَ الظهرِ وأربعًا بعدهُ.

ثمَّ يبدأُ فِي مذاكرةِ المواد التِي تعتمدُ علَىٰ الفهْم كالفقهِ والتوحيدِ والتفسيرِ ونحوِها.

٥ - ثمَّ يصلِّي العصرَ ويتغدَّىٰ، ويبدأُ في دراسةِ الموادِّ التاريخيةِ كالسيرةِ، ومواقفِ الصحابةِ، والتاريخ الإسلاميِّ إلَىٰ المغربِ.

٦ - يستمعُ إلَىٰ درسِ علْم بينَ المغربِ والعشاءِ، فإنْ لمْ يوجدْ فليستمعْ إلَىٰ شريطٍ لأحدِ الدعاةِ.

٧ - يصلِّي العشاءَ، ثمَّ يعودُ إلَىٰ بيتهِ، فيصلِّي السُّنة، ثمَّ يصلِّي «٤» ركعاتٍ بأربعةِ أرْباع، ثمَّ ينامُ مبكرًا.

٨ ـ يستيقظُ قبلَ الفجرِ بساعتينِ يصلِّي إحدىٰ عشرة ركعة ويتهجدُ، ويخشعُ ويبكي، ويدعُو ربهُ ويتضرعُ إليْه لمدة ساعة، ثم يذاكر ساعة، فإذَا دخَل وقتَ السَّحَر قُبيلَ الفجرِ بعشر دقائق جلسَ يستغفرُ ليكونَ ممنْ قالَ اللهُ فيهِم: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

برنامج يومي للمسلم العادي

نحنُ نُعلمُ أنَّ كثيراً منَ المسلمينَ لاَ يتفرغونَ لطلبِ العلْم؛ لأنَّهم مشغولونَ بطلبِ المعاشِ، فلهؤلاءِ نقترحُ هذَا البرنامجَ:

١ ـ يستيقظُ قبلَ الفجرِ بنصفِ ساعةٍ فيصلِّي ركعتينِ أو أكثر ولو بقصار السور ثم يوتر ويستغفرُ ربَّه حتَّىٰ يطلعَ الفجرُ.

٢ ـ يصلِّي الفجرَ فِي جماعةٍ، ويجلسُ فِي المسجدِ يذكرُ اللهَ ويقرأُ القرآنَ حتَّىٰ تطلع الشمسُ ويصلِّي ركعتينِ.

٣ ـ ينطلقُ إلىٰ معاشهِ معَ المحافظةِ علَىٰ الفرائضِ فِي جماعةٍ والسننِ القبليةِ والبعديةِ.

٤ ـ مداومةُ ذكرِ اللهِ أثناءَ العملِ ليزدادَ أجرُه، وتزكُو نفسُه، وتعلُو درجتُه.

٥ ـ يصلِّي «٤» ركعاتٍ قبلَ النَّوم، وينامُ طاهراً ذاكراً حتَّىٰ يغلبَه النُّعاسُ.

أين تقضي العطلة الصيفية؟

منَ الناسِ منْ يتهيَّأ لقضاءِ العطلةِ علَىٰ الشواطِئ، وفِي المصايف، فينفقونَ أموالَهم فيمَا لا ينفعُ، ويضيعونَ أوقاتَهم فيمَا لاَ يربحُ، وقدْ يرتكبونَ منْ معاصِي النظرِ، وسيئاتِ الاختلاطِ مَا لاَ يُحصَىٰ.

مَصيفٌ جديدٌ:

ولذَا نقترحُ علَىٰ إخوانِنا أنْ يقضُوا هذَا الصيفَ فِي مصيفٍ جديدٍ،

إنَّه مصيفٌ إيمانيٌّ تجمعُ فِيه بينَ مُتعةِ السفرِ، وحلاوةِ الإيمانِ، ولذةِ القربِ منَ الرحمنِ.

إنَّه عمرةٌ إلَىٰ بيتِ اللهِ الحرَام.

فبدلاً منْ أنْ تلبسَ (المايوه، والباكيني) تلبسُ ملابسَ الإِحرامِ البيضاء، الَّتي تدلُّ علَىٰ الصفاءِ والنقاءِ.

وبدلاً منْ أنْ تظلَّ علىَ شاطِئ البحرِ، تركبُ علىَ أمواَج البحرِ ثلاثةَ أيَّام تتمتعُ بالنظرِ إلَىٰ العالَم الجديدِ... سكونٌ... هدوءٌ... أسماكٌ غريبةٌ... مخلوقاتٌ عجيبةٌ.

تصعَدُ فوقَ السفينةِ ساعةَ الغروبِ لترَىٰ الشمسِ وهيَ تودعُ الكونَ بأشعَّتها الحمراء، وتتذكرُ عندهَا نهايةَ العُمُرِ، وانقضاءَ الأجلِ فتزهدُ فِي الدنيَا وترغبُ فِي الآخرةِ.

ثم تَصعدُ فوقَ السفينةِ بعدَ صلاةِ العشاءِ، وتتنقلُ ببصرِكَ بينَ أنْواعِ النجُّومِ الزاهرةِ، والكواكبِ النَّيِّرةِ، وتقولُ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فإذا ما نادى المنادي: اقتربنَا من الميقاتِ، فاغتسلْ، واخلَعِ المخيطَ، والبسْ ملابسَ الإحرامِ، وصلِّ ركعتي سنة الوضوء ثم قلْ: «لبيكَ اللهمَّ عمرةً، لبيكَ اللهمَّ لبيكَ، لبيكَ لاَ شريكَ لكَ لبيكَ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملكَ، لاَ شريكَ لكَ».

وتذكْر عندَها قولَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ لنبيهِّ وخليله إبراهيمَ عليهِ السلامُ: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وتذكرْ أنكَ إذَا أخلصتَ فِي عمرتِك، وصدقتَ فِي نسككَ رجعتَ منْ عمرتِك نقيًّا منَ الذنوبِ والخطَايَا.

فقدْ رَوىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عنْ أبِي هريرةَ ـ رضِي اللهُ عنهُ ـ أنَّ رسولُ الله ﷺ قالَ: «**العُمرة إِلَى العُمرةِ كفَّارةٌ لمَا بينهُما، والحجُّ المبرُورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلاَّ الجنَّةَ**»[1].

واعلمْ أنكَ إذَا أخلصتَ الدعاءَ في عمرتكَ استجابَ اللهُ لكَ، فقدْ روَىٰ ابنُ ماجَه وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب» عنِ ابنِ عمرَ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، والترمذي (٩٣٣)، والنسائي (٢٦٢١، ٢٦٢٢، ٢٦٢٨)، وابن ماجة (٢٨٨٨).

رضيَ اللهُ عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «**الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّه، والحَاجُّ، والمُعْتمرُ وفْدُ اللَّه، دَعَاهُم فَأجَابُوه، وَسَألوه فأعْطَاهُم**»(١) .

فإذَا مَا رأيتَ بيوتاتِ مكةَ فلبِّ: «لَبيَّكَ اللهمَّ. . .»، فإذَا مَا وصلتَ إلَىٰ الكعبةِ فطُفْ بهَا سبعًا داعيًا ذاكرًا شاكرًا.

وانظر إلىَ الكعبةِ واملأْ عينيكَ منهَا، وتذكرْ أنَّ الذِي رفعَ قواعدَها هوَ أبُوك إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ، هذه الكعبةُ التي جعلَها اللهُ قبلةَ المسلمينَ، وملتقَىٰ الصالحينَ، وأمانَ الخائفينَ(٢)، ومحطَّ رحالِ الصالحينَ.

١ ـ طُفْ حولَ الكعبةِ سبعةَ أشواطٍ.

٢ ـ ثمَّ صلِّ خلفَ المقَام ركعتينِ.

٣ ـ ثمَّ انزلْ زمزمَ لتشربَ وتتضلعَ، وتدعو، فقدْ روَىٰ الحاكم وصحَّحه الألبانيُّ عنْ ابن عباس ـ رضِيَ اللهُ عنهُ ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»(٣).

(١) حسن: أخرجه ابن ماجة (٢٨٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦١٣)، وحسنه البوصيري في «الزوائد» كما حسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٨٢٠).

(٢) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾.

(٣) صحيح لغيره: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٧٣)، وصححه ووافقه الذهبي وقالا إن سلم من ابن الجارودي، والدارقطني في «سننه» (٢٧١٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٠٢)، وفي «الإرواء» (١١٢٣)، وفي «الصحيحة» (٨٨٣) كلهم من طريق ابن عباس وفي الباب عن جابر بن عبد الله، أخرجه ابن ماجة (٣٠٦٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٥٧، ٣٧٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» =

٤ ـ ثمَّ اصعدِ الصَّفا وقلْ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ثم استقبل الكعبة وقل:

لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لاَ شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

أنجزَ وعدَهُ، ونصرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزَابَ وحدَه، ثمَّ تدعُو بمَا تحبُّ.

٥ ـ ثمَّ تمشِي بينَ الصَّفا والمروةِ، وتجرِي بينَ العلمينِ الأخضرينِ.

٦ ـ فإذَا وصلتَ المروةَ فعلتَ كمَا فعلتَ علَىٰ الصَّفا.

٧ ـ تسعَىٰ بينهُما سبعةَ أشواطٍ.

٨ ـ ثمَّ تحلقُ أوْ تقصرُ، والحلقُ أفضلُ.

وهكذَا تمتْ عمرتُك، تقبلَ اللهُ منكَ.

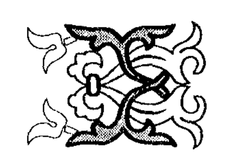
(٤/ ١٩/ ٦) الحج، (٥/ ٥٨/ ٣)، الطب والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ١٤٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٠٣) كلهم من طريق عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر وعبد الله بن المؤمل ضعيف «التهذيب» (٣٧٤٧)، وقد صرح أبو الزبير في رواية ابن ماجة بالتحديث، وقد أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٢٠٢)، من طريق إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر، وفي «شعب الإيمان» (٢٢١) كما في «التلخيص» من طريق محمد بن المنكدر عن جابر.

(١١)

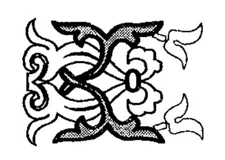
أين أنت غداً...؟

تأليف
وحيد بن عبد السلام بالي





أين أنت غداً ...؟!



إن الحمدَ للَّهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لاَ إلهَ إلاَ اللَّه وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾.

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أمَّا بعدُ، فإن أصدَقَ الحديث كتابُ اللَّهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

فناءُ الدنيا:

أين أنتَ الآنَ؟ ثم أينَ أنتَ غداً؟

أنت الآنَ في بيتٍ فَسيحٍ، وغداً في قبرٍ ضيقٍ وَحيش.

أنت الآنَ فوقَ الأرضِ، وغداً تكونُ تحتَ الترابِ.

أنتَ الآنَ في منظرٍ جميلٍ، وغداً تسيُل الأحداقُ على الوجناتِ.

غداً تنتفخُ في القبر ثم تنفجرُ، ويبدأ الدود في مهمته المنوطة به.

غداً ترتفُع اليدانُ، وتيبَسُ القدمانِ، وتشخَصُ العينانِ، وتتخرَّقُ الأذنانِ، وتنتفخُ البطنُ.

غداً تنزلُ من علياءِ قصرِكَ إلىَ ضيقِ قبركَ، ومن طول أمَلِكَ إلى انقضاءِ أجلِكَ، ومن التفكيرِ في الناسِ إلى التفكيرِ في نفسِكَ.

ورغمَ ذلكَ ما زلتَ مشغولاً بالدنيا عن الطاعةِ، وبالمالِ عن الاستقامةِ، وبالهوىٰ عن الالتِزامِ، وبتنميقِ الظاهرِ عن إصلاحِ الباطِنِ.

الميلُ إلى الدنيَا طبيعةُ فيكَ، لا تُعدَّلُ إلاَّ بضوابطِ الشرعِ، ولا تُبدَّلُ إلاَّ بأوامرِ الرب.

فاللهُ يناديك:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١-٨].

ما زلت مشغولاً بالمال والرسولُ يناديكَ:

«يقولُ ابنُ آدَمَ: مالِي مالِي، وهلَ لَكَ يابـن آدم من مالكَ إلا ما أكلتَ فأفنيت، أوَ لبستَ فأبليت، أو تصدقتَ فأمضَيتَ» (١).

وفي روايةٍ: «وما سوى ذَلكَ فهوَ ذاهبُ وتاركهُ للناسُ» (٢).

ما زلتَ مشغولاً بالدنيَا، والله يناديْكَ:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

ما زلتَ مشغوفًا بالدنيا، والحسنُ البصري يُعَرفُكَ حقيقتَهَا، فيقولُ:

هي دارٌ من صحَّ فِيها سَقِم، ومن أمِنَ فِيهَا نَدِم، ومن افْتَقَرَ فيـهَا حزِنْ، ومن استغنى فيها افتُتِن، في حلالِهَا الحسابُ، وفي حرامِهَا العقابُ.

ثم يخبرُكَ عن أهلِ الآخرةِ، فيقول:

رحمَ اللهُ أقـوامًا كـانتِ الدنيـا عندَهُم وديعـةً فـأدَّوهـا إلى من ائتـمنَهُم عليهَا، ثم راحُوا خِفافًا.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢)، والنسائي (٣٦١٥)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٤، ٢٦)، وابن المبارك في «الزهد» (٤٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٤٤)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٦٨، ٣٦٩).

ما زلتَ مشغولاً بالأملِ عن العملِ، تفرحُ إذا حققتَه، وتحزنُ إذا أخفقتَه.

فيناديكَ أحدُ السلف قائلاً:

يابن آدم، فرحتَ ببلوغِ أملِكَ، وإنما بلغتَه بانقضاء أجلك.

ما زلت مشغولاً بالدنيا، والآخر يناديك:

نسير إلى الآجالِ في كل لحظة ... وأيامُنَا تطوى وهنَّ مراحلُ

ولم أر مثلَ الموت حقًّا كأنَّه ... إذا ما تخطَّتْه الأمانيُّ باطلُ

وما أقبح التفريط في زمنِ الصبا ... فكيف بِهِ والشيبُ للرأسِ شاغلُ

ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى ... فعُمرُك أيامٌ وهنَّ قلائل

يا عبدَ اللهِ، اتقِ اللَّهَ، ولا تأخذ شيئًا إلاَّ بحقِّه...

يا عبدَ اللهِ، اتقِ اللَّهَ، ولا تظلم مسلمًا.

يا عبدَ اللهِ، اتقِ اللَّهَ، ولا تأكُل حرامًا.

يا عبدَ اللهِ، اتقِ اللَّهَ، ولاتقترفْ إثمًا.

يا عبدَ اللهِ، اتقِ اللَّهَ، وغُضَّ بصركَ.

يا عبدَ اللهِ، اتقِ اللَّهَ، وطهِّر عما حرَّمَ اللهُ سمعَك.

يا عبدَ اللهِ، اتقِ اللَّهَ، ونقِّ عن الرجسِ والدنسِ قلبَكَ.

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

يا عبدَ اللهِ، لا تتكبرْ على عبادِ اللهِ، ولا تشمخْ بأنفِكَ فخراً.

فالله يناديك:

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٣٧، ٣٨].

أين أنتَ غدًا يا عبدَ الله؟

أنت غـدًا مسـجى علىٰ فـراشِ الموتِ، وحـولَك الأهلُ والأصـحـابُ والأقـاربُ والأحـبـابُ، ولكنهُم لا يملكونَ لَكَ حـولاً، ولا طَولاً، ولا نفعًا، ولا ضرًّا.

يعجز الأطباءُ فيكَ، ويحتـارُ الحكماءُ في أمرِكَ، ثم يقولُ أذكـاهُم: إنَّا لنظنُ أنَّ أجلَه قد اقتربَ، وساعَته قد حانَتْ.

وإذا بكَ وقَـد شَـحَبَ لونُك، وضـعـفَتْ قـواكَ، وتصلبتْ رجـلاكَ وتخدرتْ يداكَ، وشخَصتْ عيناكَ.

ثم تقدَم إليكَ ملكُ الموتِ يخترقُ الصفوفَ.

ملكُ الموت الذي يدخُلُ علىٰ الرؤسـاءِ والأمـراءِ، والملوكِ والوزراءِ بلا استئذانٍ؛ لأنَّ معهُ إذنًا من الواحدِ الديانِ.

تقدَّم إليكَ ملكُ الموتِ ليقبضَ رُوحَكَ، وينقلَكَ منْ دارِ المُهلةِ إلىٰ دارِ الجزاءِ، فيـقـبضُ الروحَ من الرِّجلينِ إلىٰ الفـخذَينِ، ثمَّ إلىٰ البطنِ وأنتَ حينذاكَ بينَ الموتِ والحياةِ، نصفُكَ مع الأمواتِ، ونصفُكَ مع الأحياءِ.

تذكـر نفسَكَ في هذا الموطنِ وأنـتَ تودِّعَ أبناءَك الصغَـارَ بنظراتٍ، ولا تستطيعُ أن تتكلَّمَ.

بل تودِّعُ الأهلَ والأحبابَ والأقاربَ والأصحابَ بنظراتٍ ذاتِ اليمينِ

وذاتِ الشمالِ.

وكأنك تقولُ لهمُ: لمثلِ هذا فليعملِ العاملونَ... لمثلِ هذا فليصلِّ المصلونَ...، لمثلِ هذا فليتصدق المتصدقُونَ... لمثلِ هذا فليصُمُ الصائمونَ... لمثلِ هذا فليقُمُ الليلَ القائمونَ... لمثلِ هذا الموقِف الرهيبِ فليجتهِد المجتهدونَ.

أين من كنت تجاملهُم في معصيةِ اللهِ؟!

قد توارَوا منْ أمامِكَ.

أينَ سماعُ الأغنياتِ الماجنةِ، ومشاهدةُ الأفلامِ الفاجرةِ؟! ذهبت لذَتها، وبقيتْ حسرتُها.

أين أنت غداً؟!

أمامَ ملك الموتِ وهو يقبضُ روحكَ، فإذا وصلت الروحُ إلىٰ الحلقومِ، وهي أصعبُ ما تكونُ الروحُ فيها، وهي المنطقةُ التي أخبرَ الله عنهَا فقال: ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الواقعة: ٨٣ـ٨٥].

وقَال سُبحَانه: ﴿ **كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ﴾

[القيامة: ٢٦ـ٣٠]

فتذكَّر نفسَكَ وقد قبضَ ملكُ الموتِ روحَكَ، وتركَكَ جثَّةً هامدةً، فإذا بولدِكَ يقلِّبُك، وأمكَ تنظُرُ في عينيكَ، وأختكَ تضربُ صدركَ، ولكن هيهاتَ... هيهاتَ... إنه قد ماتَ... نعم مَاتَ...

لأنَّ القرارَ الإلهي قد صدرَ بأنه : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٩].

نعم ، إنه قد مات ؛ لأن الجبار تعالى قد أخبر بأنه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فلن ينفعك حينذاك إلا ما قدمتَ في هذه الحياة :

لا دارَ للمرء بعد الموتِ يسكُنهَا ... إلا التي كانَ قبلَ الموتِ يبنيهَا
فإن بناهَا بخير طابَ مسكنُهُ ... وإن بناهَا بشرٍّ خابَ بانيهَا

أخي :

إنا لنفرحُ بالأيام نقطعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يدني منَ الأَجلِ
فاعمل لنفسكَ قبلَ الموتِ مجتهداً ... فإنما الربحُ والخسرانُ في العملِ

الدعاء . . .



(١٢)

البر والصلة

(خطبة عيد الفطر)

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ - توديعُ رمضانَ.

٢ - برُّ الوالدينِ.

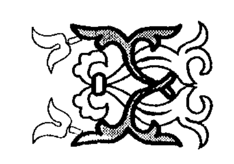
٣ - صلةُ الأرحامِ.

٤ - التذكيرُ بردِّ المظالمِ.

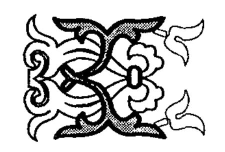
٥ - موعظةٌ شاملةٌ.







خطبة عيد الفطر



إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفِرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنَا ومن سيئات أعمالنَا، من يهده اللهُ فلا مضلَ لهُ، ومن يضلل فلا هاديَ لهُ، وأشهد أنَّ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ.

﴿ يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١].

توديع رمضانَ:

يا شهرَ رمضانَ غيرَ مودَّعٍ ودَّعناكَ، وغير مُقْلٍ فارقناكَ، كان نهارُك صدقةً وصيامًا، وليلُك تلاوةً وقيامًا، فعليك منا تحيةٌ وسلامٌ.

أَتُراك تعودُ بعدَها علينا، أو يدرِكُنا المنونُ فلا تئولُ إلينا.

أيُّها المسلمونَ إنَّكم في يومٍ تبسمتْ لكمْ فيه الدنيا، أرضُها وسماؤُها، شمسُها، وضياؤُها، هذا يومٌ يُفطرُ المسلمونَ، هذا يومٌ يفرحُ المؤمنونَ، هذا يومٌ تكملوا العدةَ وتكبروا الله علىٰ ما هداكُم، ولعلَّكُم تشكُرونَ.

بِرُّ الوالدينِ:

قالَ تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ [لقمان: ١٤].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

عن ابن مسعودٍ قال: سألت النبي ﷺ: أيّ العمل أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «الصلاةُ علَى وَقتِهَا»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «برُّ الوالدينِ» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهادُ في سبيلِ الله»[1].

فبرُّ الوالدينِ منْ أحبِّ الأعمالِ إلىٰ اللهِ، خاصةً في هذا اليومِ المباركِ.

وبرُّ الوالدينِ بالمالِ، وبرُّ الوالدينِ بالطَّاعةِ في المعروفِ، وبرُّ الوَالدينِ بالكلمةِ الطيبةِ، وبرُّ الوالدين بالاحترامِ والتقديرِ، وبالوُدِّ والزيارةِ،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

والنصح والإرشاد، والدعاء لهما بالتوفيق والهداية.

هذا في الحياةِ، أمَّا برُّهما بعد موتِهما فبالدعاءِ لهُما، والاستغفارِ لهُمَا، والتصدقِ عليهِما، وبزيارةِ قبريهِما.

صلةُ الأرحام:

قالَ تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

قالَ تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وعن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «منْ كانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، فليكرمْ ضيفَه، ومنْ كانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخرِ فليصلْ رحِمَه، ومنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقُلْ خيرًا أو ليصمُتْ» (١).

وعنه أيضًا مرفوعًا: «إنَّ اللهَ خلقَ الخلقَ حتى إذا فرغَ منهُم قامت الرحِمُ فقَالَت: هذا مقامُ العائذِ بكَ من القطيعَة، قال: نعم، أما تَرضينَ أنْ أصلَ من وصلَكِ وأقطعَ من قطعكِ؟ قالت: بلى: قال: فذلكَ لكِ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءُوا إنْ شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾» (٢).

فالواجبُ علىٰ المسلم صلةُ رحمه، خاصةً في هذا اليومِ المباركِ، صلة الرحم بالمالِ، والزيارة، والمودةِ، وقضاءُ الحوائجِ، ولكن لينتبه المسلمُ؛ كي لاَ يقعَ في المحرَّم أثناءَ صلةِ الرحمِ وزيارةِ الأقارب.

فلا تصافح ابنةَ عمِّكَ، ولا ابنةَ خَالِكَ وما شابههما من الأجنبيات.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٣٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

صلةُ الرَّحِم توسعُ الرزقَ وتُطيلُ العمر:

فقد ثبتَ فِي «الصحيحينِ» عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِهِ، ويُنسأ له في أثَرِهِ، فليصلْ رَحِمَهُ**»[١].

التذكيرُ بصدقة الفطرِ:

لقد شرَع الله تبارَك وتعالىٰ صدقَة الفطر طهرةً للصائمِ من اللغوِ والرفثِ وطعمةً للمسكين، فأغنوا المساكينَ في هذا اليومِ عن المسألة، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: «فرض رسول اللّه ﷺ زكاة الفطر: صاعًا من تمرٍ، أو صاعًا من شَعير علىٰ العبد والحر، والذكر والأنثىٰ، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تودَّىٰ قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة»[٢]، وأوصيكُم باليتامىٰ خيراً.

التزاورُ والتحابُ:

يستحبُ للمسلمينَ أن يتزاوروا، وأن يتحابُّوا، وأن يتآلفُوا في هذا اليومِ المباركِ، المسلمُ الذي بينَه وبينَ أخيهِ شحناءُ، ليعُدْ إلىٰ رشدِهِ، ويتقِي ربَّه، ويصالح أخاه، فقد صح عن رسول الله ﷺ «**أن الجنة تُفتح أبوابها يوم الاثنين ويومَ الخميس، فيغفُر لكلِّ عبد لا يشركُ بالله شيئًا إلاَّ رجلاً بينَهُ وبين أخيه شحناءَ**[٣] **فيقالُ: أَنظِرُوا**[٤] **هذينِ حتَّى يصطلحَا، أَنظروا هذينِ حتَّى يصطلحَا**»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤).

(٣) شحناء: عداوة.

(٤) أنظروا: أخروا.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥)، وأبو داود (٤٩١٦)، والترمذي (٢٠٢٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (١٧٤٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٨، ٣٢٩، ٣٨٩، ٤٠٠).

التذكير بردِّ المظالم:

أيهَا المسلمونَ! أيهَا الموحدونَ !مَن كانتْ لأخيهِ عندَهُ مظلمَةٌ، فليردَّها إليه قَبلَ أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيهِ، ولا خلالٌ، قبل أن يأتيَ يومٌ لا شفيعَ فيهِ، ولا حميم.

قبلَ أن تقفَ أمامَ المحكمةِ الإلهيةِ، المحكمةِ العادلةِ.

محكمةٌ قاضيها هو اللّه، وشهودُهَا: جوارحُكَ، وحكمُها هو العدل، وأمرُها هو الفصل، وفائزُهَا في الجنةِ، وخاسرُها في النَّار.

قال تعالىٰ: ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [غافر: ١٨ـ٢٠].

وقال ﷺ: «مَنْ ظلَمَ قِيدَ شبرٍ منَ الأرضِ طُوِّقَهُ من سبعِ أرضِينَ»[١].

وقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليملي للظالمِ فإذا أخذَهُ لم يفلتْه ثم قرأ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾**»[٢] [هود: ١٠٢].

يَا من ظلمَت جارَكَ! فاغتصبت أرضَه، يا منَ ظَلمتَ عاملكَ! فأكلتَ أجره، يا من ظلمتَ والدَكَ! فنقصتَه حقَّه، يَا من ظلمت مسلمًا

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

! فشهدت زوراً ضِدَّه، يا من ظلمتَ زوجتَكَ! فقصَّرتَ في حقهَا، يا من ظلمتَ رحِمَك! فلم تصلْهَا، يا من ظلمتَ نفسَكَ! فعنِ المعاصِي لم تردعها.

قد آن لك أن تتوبَ، قبل أن يدركَكَ الموتُ، فتتقطَّعْ نفسُكَ حسراتٍ، ويتفطر قلبُكَ ندمًا.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

موعظةٌ شاملةٌ:

عبادَ الله: إنَّ الإسلامَ يأمرُ بالإخلاصِ وينهىٰ عن الرياءِ، ويأمرُ بالاتباعِ وينهىٰ عن الابتداعِ، ويأمرُ بالبرِ وينهىٰ عن العقوقِ، ويأمرُ بالصلةِ وينهىٰ عن القطيعةِ، يأمرُ بالعدلِ وينهىٰ عن الظلمِ، يأمرُ بالصدقِ وينهىٰ عنِ الكذبِ، يأمرُ بالنصحِ وينهىٰ عن الغشِّ، يأمرُ بالأمانةِ وينهىٰ عن الخيانةِ، يأمرُ بحبِّ الخيرِ للمسلمينَ وينهىٰ عن الغلِّ والحقدِ والبغضاءِ والعداوةِ، فافعلوا ما أمركم اللهُ بهِ، وانتهوا عمَا نهاكُم عنهُ.

أقول قولي هذا، وأستغفر اللَّه لي ولكم.

(١٣)

زاد على الطريق

(خطبة قصيرة)

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ السنة النبوية.

٣ ـ السيرة العطرة.

٤ ـ حياة السلف الصالح.





زاد على الطريق



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

أيهَا المسلمونَ الكرامَ!

مقدمة:

مَا الطريقُ؟ وماذَا نعنِي بهِ؟

إنَّه طريقُ اللهِ - طريقُ الجنةِ . . . طريقُ السعادةِ الأبديةِ .

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . . . ﴾ [يوسف: ١٠٨].

السيارةُ في سفرِها الطويلِ لا تستطيعُ أن تمشِي بلاَ زادٍ، وكذلك الدابةُ . . . ولكنْ مَا الزادُ؟ وكيفَ نتزودُ منهُ؟

أولاً: القرآن الكريم

القرآنُ معينٌ لاَ ينضبُ، وبحرٌ زاخرٌ فيه: علومٌ، معارفُ، خبراتٌ، عظاتٌ، عبرٌ، قصصٌ، توجيهاتٌ، حدودٌ، نواهٍ، مبشراتٌ، طرقُ الدعوةِ، مثبتاتٌ، رقائقُ...

كلمَا تشتاقُ إليهِ نفسُ المؤمنِ تجدُه فِي القرآنِ:

تريدُ الهدايةَ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

تريدُ الرحمةَ: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]

تريد بيانًا من ربكَ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]

تريدُ شفاءً لأمراضِ القلوبِ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

تريدُ موعظةً تشفِي صدركَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

تريدُ نوراً وإرشاداً: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

تريدُ قصصًا: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

تريدُ معرفةَ الحلالِ والحرامِ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

تريدُ ترغيبًا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. [البقرة: ٨٢]

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

تريدُ ترهيبًا: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

هَذَا قليلٌ من كثيرٍ، وغيضٌ من فيضٍ، ونقطةٌ من بحرٍ.

ولذلكَ أسسَ هذَا القرآنُ أمةً تحدتِ التاريخَ . . . جابتِ الأرضَ . . . صنعتِ المعجزاتِ نشرتِ العدلَ . . . أعادتْ للإنسانِ كرامتَه وعزتَه.

مَنِ الذي جعلَ رُعاةَ الغنمِ قادةَ الأممِ إنَّه القرآنُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

من الذي جعلَ المتفرقينَ والمختلفينَ إخوةً متحابينَ إنَّه القرآنُ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

من الذي جمعَ بينَ الجنسياتِ وصهرهُم في بوتقةٍ واحدةٍ، سلمانُ الفارسيُّ، صهيبُ الروميُّ، بلالُ الحبشيُّ، أبُو بكرٍ القرشيُّ؟ . . . إنَّه القرآنُ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثانيًا: السنة النبوية

إنَّ الزادَ الثانِي الذِي يمكنُ أنْ يتزودَ منهُ المؤمنُ فِي طريقهِ إلَىٰ اللهِ تباركَ وتعالَىٰ: هوَ السنةُ المطهرةُ.

فيهَا أخلاقٌ... فيهَا عباداتٌ... فيهَا معاملاتٌ... فيهَا حدودٌ ومعالمُ... فيهَا آدابٌ.

فمنَ الأخلاقِ مثلاً:

١ـ «خلقُ الأخوةِ ومحبة الخيرِ للمسلمينَ».

«لاَ يؤمنُ أحَدُكم حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحبُّ لنفْسِه» (١).

٢ـ «خلقُ كظمِ الغيظِ والحِلْمِ عنِ الجاهلينَ»

جاءَ رجلٌ إلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وقالَ: أَوْصِني يَا رسولَ اللهِ، قالَ: **«لاَ تَغْضبْ»** (٢).

ومن العبادات:

١ـ تعليمُ الصلاةِ: **«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُموني أُصلِّي»** (٣).

٢ـ تعليمُ الحجِّ: **«خُذُوا عنِّي مَنَاسِكَكُم»** (٤).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٢٩٧)، وأبو داود (١٩٧٠)، والنسائي (٣٠٦٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٠١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٧٦).

٣ ـ ومنَ الحدودِ:

١ ـ حدُّ الرجمِ

٢ ـ وحدُّ التعزيرِ وغيرُهما.

٤ ـ ومنَ الآدابِ:

١ ـ آدابُ الأكلِ.

«يَا غُلامُ سَمِّ اللهَ، وكُلْ بِيَمِينكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[1].

٢ ـ آدابُ دخولِ المنزلِ والخروجِ منهُ، ودخولِ المسجدِ والخروجِ منهُ، وآدابُ النومِ، وآدابُ الزيارةِ، وآدابُ عيادةِ المريضِ، وغيرُ ذلكَ كثيرٌ تجدُه فِي سنةِ الحبيبِ ﷺ، اقرأْ مثلاً كتابَ «رياض الصالحين» أوْ كتابَ «صحيح الأدب المفرد» للبخاريِّ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

ثالثاً: السيرة العطرة

أمَّا المحطةُ الثالثةُ التي يتزودُ منهَا المؤمنُ في طريقِه إلَى اللهِ فهِي: سيرةُ النبي ﷺ.

هذه السيرةُ العطرةُ التِي تحملُ لنا ترجمةً عمليةً للقرآنِ الكريمِ، فقدْ سُئلتْ أمُّنا عائشةُ ـ رضِي اللهُ عنهَا ـ عنْ خلِق رسولِ اللهِ ﷺ فقالت: «**كَان خلقُهُ القرآنُ**»[١].

ولذلك فالمؤمنُ مأمورٌ بالاقتداءِ بنبيِّه وحبيبِه ﷺ.

﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

سيرةٌ نتعلمُ منهَا كلَّ مَا يصلحُنا فِي معركةِ الحياةِ:

١ ـ نتعلمُ منهَا التواضعَ: ارتدافَه علَى الدابةِ... كراهيتَه للقيامِ لَه.

٢ ـ نتعلمُ منهَا الحلمَ: قصتهُ معَ الأعرابيِّ الذِي جبذهُ بردائِه وقالَ: أعطِني منْ مالِ اللهِ الذِي عندكَ. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء»[٢].

٣ ـ نتعلمُ منهَا القوةَ والشجاعةَ: فِي حُنينٍ حيث لمْ يفرَّ ولمْ يجزعْ.

٤ ـ نتعلمُ منهَا العفوَ والصفحَ: «**اذهبُوا فأنْتمُ الطُّلَقَاءُ**» في فتح مكة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢، ١٣٤٣)، والنسائي (١٦٠٠)، وابن ماجة (١١٩١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

٥ - نتعلُم منهَا الحكمةَ فِي الدعوِة : «أَرأيتُم لَوْ أنِّي أخْبرتُكُم أنَّ خَيْلاً خَلْفَ هَذَا الوَادِي...»[١] .

٦ - نتعلمُ منهَا حسنَ التوكُّلِ : «مَا ظَنُّكَ بَاثْنينِ اللَّهُ ثالثُهمَا»[٢] .

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

رابعًا: حياة السلف الصالح

حياةُ السّلفِ الصالح حافلةٌ بكلِّ المعانِي السامية، والقيمِ الغالية، والأخلاقِ العالية، لاسيمَا الصحابةُ الكرامُ الذينَ تربَّوا فِي المدرسةِ الإيمانيةِ علَى يدِ مُعلمِ البشريةِ ﷺ.

نأخذ بعضًا من تلاميذِ هذهِ المدرسةِ؛ لنتعرفَ علَى بعضِ مواقفِهم وسيرتِهم وأخلاقِهم.

أبو عبيدة بن الجراح:

هوَ منَ الأوائلِ فِي هذه المدرسةِ؛ لأنَّه منَ العشرةِ المبشَّرينَ بالجنةِ.

الموقف الأول:

الولاء لله: فِي غزوةِ بدرٍ تعرضَ أبوعبيدةَ لاختبارٍ عجيبٍ، وبلاءٍ غريبٍ، حيثُ وجدَ أباهُ فِي صفوفِ المشركينَ يقاتلُ معهُم ضدَّ المسلمينَ، ماذَا يفعلُ؟ أيقتلُ أباهُ؟! إنَّه أبوُه!! حنانُ الأبوَّة.

سيصادمُ الفطرةَ، سيتغلبُ علَى الطبيعةِ!! نعم يقتلُ أبَاه.

لأنَّ الولاءَ لله. فضربُه بالسيفِ فشقَّه نصفينِ، وذلكَ لأنَّ إيمانَه وتقوَاه غلبَ فطرته وهواه[1].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٦).

الموقف الثاني:

خزائن الأمير: كانَ أبُو عبيدةَ أميرًا علَىٰ الشامِ في زمنِ عمرَ بنِ الخطابِ والشامُ. . . ومَا أدراكَ مَا الشامُ. . . جنَّةُ اللهِ فِي أرضِه. . .

أموالٌ، جمالٌ، أراضٍ خصبةٌ، نعمٌ وافرةٌ.

أهلُها يرفلونَ في النعيمِ، فمَا أدراكَ مَا أميرُهَا، وَمَا حياتُه؟

ومَا أحوالُه؟ ومَا سعةُ خزائنِه؟

تعالَ لترىٰ ذلك وتشاهده:

ذهبَ عمرُ؛ لزيارةِ الشامِ فاستقبلهُ الأمراءُ والقادةُ والجندُ، فسألَ عمرُ أولَ مَا سألَ علَىٰ الأميرِ؛ لأنهُ حينمَا رأىٰ القادةَ والجندَ والعظمةَ والأبهةَ توقَّع أنْ يكونَ أميرهُم أكثرَ منهُم عظمةً ونعيمًا. . أينَ الأميرُ؟ أينَ أبُو عبيدَة؟

فقالوا يأتِي الآنَ. . . ومَا هِي إلاَّ لحظاتٌ حتَّىٰ أتَىٰ علَىٰ ناقتهِ المخطومة، فسلَّم عليهِ عمرُ، وقالَ للناسِ انصرفُوا عنَّا، وسارَ مَعَ أبِي عبيدةَ حتَّىٰ وصلَ بيتهُ. . . ولكنَّه مَا إن دخلَ عمرُ البيتَ وجالَ فيهِ نظرُه إلاَّ وانهمرتْ عيناهُ بالبكاءِ! عمرُ يبكِي. . . نعمْ يبكِي ولماذَا؟ . . لأنَه رأىٰ بيتَ الأميرِ. . . رَأىٰ بيتًا ليسَ فيه متاعٌ. . . جفنةً للطعام. . . سلاحًا. . . فرسًا للحرب. . . غطاءً مطويًّا.

فقالَ أبوُ عبيدَة: مَا يبكيكَ يَا أميرَ المؤمنينَ؟

قالَ عمرُ: أينَ متاعُكَ يَا أبَا عُبيدةَ؟!

قَالَ أبُو عبيدَة: هَذَا يبلغُنا المقيلَ يَا أميرَ المؤمنينَ[١].

هكذَا كانَ سلفنَا الصالحُ: زهدٌ في الدنيَا، ورغبةٌ فِي الآخرةِ.

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣][٢].

الدعاء...

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٦).

(٢) راجع «صفة الصفوة»، و«صور من حياة الصحابة»، «أصحاب الرسول ﷺ» ترىٰ فيها أمثلة كثيرة.



(١٤)

آيات في الكائنات

(مواقف تدل على عجيب خلق الله)

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ مملكةُ النحلِ.

٢ ـ وفي النمل آيةٌ.

٣ ـ الهدهدُ يدعُو إلى اللَّهِ.

٤ ـ وفي الحمام آيةٌ.

٥ ـ كلبةٌ تشفقُ علىَ طفلٍ يتيمٍ.

٦ ـ كرمُ الديكِ.

٧ ـ الثعلبُ والبَراغيثُ.

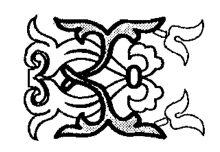
٨ ـ الفأرةُ تعرفُ كثافةَ الزيتِ.

٩ ـ رجالٌ تعلموا منْ دوابٍ.





آيات الله في الكائنات



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

إخوةَ الإسلامِ : لقدْ حثنَا اللهُ ـ تباركَ وتعالىٰ ـ علىٰ النظرِ في مخلوقاتِ اللهِ بعينِ العبرةِ والعظةِ للوقوفِ علىٰ قدرةِ اللهِ وعظمتِه .

فقالَ سبحانُه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

وقَال سبحانُه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣] .

وَقالَ عزَّ منْ قائلٌ : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وَقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥] .

وَقالَ سبحانَه : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ⦗١٧⦘ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ⦗١٨⦘ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ⦗١٩⦘ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

[الغاشية : ١٧ ـ ٢٠] .

مملكة النحل

وفي النحل آية:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

كيفَ تتكونُ المملكةُ؟

إناثُ النحلِ تلدُ فِي إقبالِ الربيعِ، وأكثرُ أولادها تكون إناثًا، وإذَا وقعَ فيها ذَكَرٌ لم تدعْه بينهَا، بلْ إمَّا أن تطردهُ وإمَّا أنْ تقتلهُ، إلا طائفةٌ يسيرةٌ منهَا تكونُ حولَ الملكةِ.

وَذلكَ لأنَّ الذكورَ منهَا لاَ تعملُ شيئًا ولاَ تكسبُ.

ثمَّ تجتمعُ الأمهاتُ وفِراخُها عندَ الملكةِ فتخرجُ بهَا إلىَ الرياضِ والبسَاتينِ فتجتنِي كفايتَهَا، فترجعُ بهَا الملكةُ، فإذَا انتهوا إلىَ الخليةِ وقفَت الملكةُ علىَ بابهِا ولمْ تدعْ ذكراً ولا نحلةً غريبةً تدخلُها.

فإذَا تكاملَ دخولُها دخلَت الملكةُ بعدَها، وتواجدَتْ النحلُ فِي أماكنِها.

فيبتدئُ الملكةُ بالعملِ كأنَّها تعلِّمُها إياهُ، فيأخذُ النحلُ في العملِ ويتسارعُ إليهِ.

وتتركُ الملكةُ العملَ وتجلسُ ناحيةً تشاهدُ النحلَ، فيأخذُ النحلُ فِي إيجادِ الشمعِ من لزوجاتِ الأوراقِ والزهورِ.

ثمَّ تقتسمُ النحلُ فرقًا:

فمنهَا فرقةٌ تلزمُ الملكةَ، ولاَ تفارقها، وهمْ حاشيةُ الملكةِ منَ الذكورِ.

ومنهَا فرقةٌ تهيئُ الشمعَ وتصنعُه.

وفرقةٌ تبنِي البيوتَ.

وفرقةٌ تسقِي الماءَ وتحملُه علَىٰ متونِها.

وفرقةٌ تكنسُ الخليةَ وتنظفُها منَ الأوساخِ والجيفِ، والزبلِ، وإذَا رأتْ نحلةً مهينةَ بطَّالةً قتلتْها حتَّىٰ لاَ تُفْسِدَ عليهنَّ بقيةَ العُمَّالِ.

وأولُ ما يُبنَىٰ فِي الخليةِ مقعدُ الملكةِ وبيتُها، فيُبنَىٰ لها بيتٌ مربعٌ يشبه السريرَ والتختَ، فتجلسُ عليهِ ويستديرُ حولَها طائفةٌ منَ النحلِ يشبهُ الأمراءَ والخدمَ والخواصَ...

ويجعلُ النحلُ بينَ يديهِ شيئًا يشبُه الحوضَ يصبُّ فيهِ العسلَ أصفَىٰ مَا يقدُر عليهِ، فيكونُ ذلكَ الحوضُ طعامَ الملكةِ وخواصها.

ثم تبنِي بيوتَها علىٰ هيئةِ المسدساتِ ليكونَ متينًا.

وجعلَ اللهُ فِي أفواهِ النحلِ حرارةً تنضجُ مَا جنتْهُ فتعيدُه حلاوةً ونضجًا، ثمَّ تمجُّه في القرصِ، ثمَّ تختمُ عليهِ بالشمعِ.

عملُ البوابِ:

فإذَا عادَتْ فرقُ النحلِ مِنْ المرعَىٰ وقفَ علىَ بابِ الخليةِ بوَّابٌ ومعهُ أعوانٌ، فكلُّ نحلةٍ تريدُ الدخولَ يشمُّها ويتفقدُها، فإذَا وجَد منهَا رائحةً منكرةً أوْ لطخةً منْ قذرٍ منعهَا منَ الدخولِ، وعزلَها ناحيةً إلىَ أنْ يدخل

الجميعُ، ثمَّ يعودُ إلىٰ المعزولاتِ فيشمَّهنَّ مرةً أخرَىٰ، فمَنْ وجدَه وقعَ علىٰ شيءٍ منتنٍ أوْ نجسٍ قتلَها، ومنْ كانتْ جنايتُه خفيفةً تركَها خارجَ الخليةِ.

هذَا دأبُ البوَّابِ كلَّ عشيةٍ.

طهارةُ ونظافةُ النحلِ:

النحلُ منْ أنظفِ الحيواناتِ، وأنقاهَا، ولذلكَ لاَ تلقِي زبلَها إلاَّ حينَ تطيرُ، وتكرهُ النتنَ والروائحَ الخبيثةَ.

فَمَنْ عَلَّم النحلَ هذا النِّظَامَ الدَّقِيق؟!

إنَّهُ اللَّهُ...

فيا عجبًا كيف يُعصَى الإله
أم كيف يجحدُه الجاحِدُ
وفي كلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ
تَدُلُّ عَلى أنَّهُ الواحِدُ

وفي النمل آية

النملةُ عاقلةٌ:

قال تعالىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ... ﴾ [النمل: ١٧-١٩].

فهذهِ نملةٌ جمعتْ فِي قولِها بينَ الأمرِ، والتحذيرِ، والاعتذارِ.

روىٰ الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ بسندٍ صحيحٍ عنْ ابنِ عباسٍ - رضيَ اللهُ عنهُمَا -: «أنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ عنْ قتلِ أربعٍ منَ الدوابِ: النملِ، والنحلِ، والهدهدَ، والصُّردِ[١]»[٢].

وَفي «الصحيحينِ» عنْ أبِي هريرةَ عنْ النبيِ ﷺ قالَ: «نَزلَ نبيٌّ منَ الأنبياءِ تحتَ شجرة، فقرصتهُ نملةٌ، فأمرَ بجهازِه فأُخرجَ، وأمرَ بقريةِ النَّملِ فَأَحرِقَتْ، فأَوْحَى اللهُ إليهِ: أنْ قرصَتْكَ نملَةٌ أحرقْتَ أمةً مِنَ الأممِ تُسَبِحُ، فَهَلاَّ نملةً وَاحِدةً»[٣].

---

(١) الصرد: طائر ضخم الرأس، أبيض البطن، أخضر الظهر، يصطاد صغار الطير.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٢٦٧)، وابن ماجة (٣٢٢٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٣٢)، بسند صحيح على شرط الشيخين ولذلك صححه الألباني في «الإرواء» (٢٤٩٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠١٩)، ومسلم (٢٢٤١).

النملةُ تدعوُ ربَّها:

روىٰ الإمامُ أحمدُ فِي «الزُّهدِ» عنْ أبِي هريرةَ مرفوعًا: «خَرَجَ نبيٌّ مِنَ الأنبياء بالنَّاسِ يستسقونَ، فإذَا هُمْ بنملة رافعة قوائمَهَا إلَى السَّماء تدعُو، مُسْتلقيةً علَى ظهرِهَا، فقَالَ: ارجعُوا، فقَد كُفِيتُم أوْ سقيتُمْ بغيرِكُمْ».

وَفِي روايةٍ: «أنَّهَا تَقولُ: اللهُمَّ إنَّا خُلقٌ من خَلقكَ، لَيسَ بنَا غِنىً عنْ سُقَياكَ وَرِزْقكَ، فإمَّا أنْ تَسْقينَا وترزُقنا، وَإمَّا أنْ تُهْلكنَا».

النملُ يكرَهُ الكذبَ، ويَعاقبُ الكذابَ:

يذْكرُ ابنُ القيِّم فِي «شفاء العليل» يقولُ:

حَدَّثني أنَّ نملةً خرجتْ منْ بيتِها فصادفَتْ شقَّ جرادةٍ، فحاولتْ أنْ تحملَهُ فلمْ تطقْ، فذهبتْ وجاءتْ مَعَها بأعوانٍ يحملنَهُ مَعَها، قالَ: فرَفَعتُ ذلكَ منَ الأرضِ، فطافتْ فِي مكانهِ فلمْ تجدْهُ، فانصرَفوا وتركُوهَا.

قالَ: فوَضَعتُه، فعادَتْ تحاولُ حملَهُ فلمْ تقدرُ، فذَهبتْ وجاءَتْ بهِمْ، فرَفَعتُه، فطافَتْ فلمْ تجدهُ، فانصرَفُوا وتركُوهَا، قالَ: فعَلْتُ ذلكَ مرارًا، فلمَّا كانَ فِي المرةِ الأخرَىٰ استدارَ النملُ حلقةً واحدةً حولَ هذهِ النملةِ وقطعُوهَا عضواً عضواً.

قالَ ابنُ القيِّم: فحكيتُ هذهِ الحكايةَ لشيخنَا، فقالَ: هذَا النملُ فطرَهُ اللّه علَىٰ قُبحِ الكذبِ، وعقوبةِ الكذَّابِ.

حرصُ النملِ:

وَالنملُ منْ أحرصِ الحيواناتِ، ويُضرب بحرصِه المثلُ.

وَيذْكرُ أنَّ سليمانَ ـ عليه الصلاةُ والسلام ـ استحضَرَ نملةً وسألها: كَمْ تأكُلُ النملةُ منْ الطعامِ كلَّ سنةٍ؟

قالَتْ: ثلاثُ حباتٍ منَ الحنطةِ.

فأمَرَ بإلقائِهَا في قارورَةٍ، ووضعَ معهَا ثلاثَ حباتٍ، وسدَّ فمَّ القارورةِ وتركَها سنةً، ثمَّ أمرَ بفتحِ القارورةِ عندَ فراغِ السنةِ، فوجدَ حبةً ونصفَ، فقالَ: أينَ زعمُكِ؟ أنتِ زعمتِ أنَّ قوتَك ثلاثُ حباتٍ في السنةِ.

قالتْ: نعمْ، ولكن لَمَا رأيتُكَ مشغولاً بمصالحِ أبناءِ جنسِكَ، حسبتُ الذِي بقي مِن عمرِي فوجدْتُه أكثرَ من المدةِ المضروبةِ، فاقتصرْتُ علىٰ نصفِ القوتِ استبقاءً لنفسِي.

فعجبَ سليمانُ مِن شدةِ حرصِها.

من حيلِ النملِ:

منْ عجيبِ أمرِ النملِ أنَّ الرجلَ إذَا خافَ علىَ طعامٍ منَ النملِ وضعَهُ فِي شيءٍ، ووضعَ ذلكَ الشيءَ فِي إناءٍ كبيرٍ بهِ ماءٌ، فتجدُ النملةَ تتسلقَ الحائطِ ثمَّ تمشِي علىَ السقفِ إلَى أنْ تحاذِي ذلكَ الشيءِ، ثمَّ تُلْقِي بنفسِها عليهِ.

قالَ ابنُ القيِّمِ: «وقدْ جربنَا ذلكَ مرارًا».

الهدهد يدعو إلى الله

قال تعالىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1].

[النمل: ٢٠-٢٦]

النبأُ: هُوَ الخبرُ الذي لهُ شأنٌ، والنفوسُ متطلعةٌ إلىٰ معرفته.

---

(١) علىٰ الخطيب أن يراجع تفسير ابن كثير، أو تفسير القاسمي، سورة النمل (٢٠-٢٦).

وفي الحمام آية

الحمامُ طيرٌ معروفٌ، مألوفٌ لدَىٰ الناسِ، ومنهُ مَا يُتَّخَذُ قديمًا لحملِ الرسائل وَهُو «الزاجلُ».

الوفاءُ عَلَى العهد:

الحمامُ موصوفٌ باليُمنِ والإلفِ للناسِ، ويحبُّ الناسَ ويحبونَهُ، ويألفُ المكانَ، ويثبتُ علَىٰ العهد والوفاء لصاحبه وإنْ أساءَ إليه، ويعُودُ إليهِ مِن مسَافاتٍ بعيدةٍ، وربمَا صُدَّ فتركَ وطنَهُ عشرَ حججٍ، وهُوَ ثابتٌ علىٰ الوفاء حتىٰ إذا وجد فرصة واستطاعة عاد إليه.

الشفقةُ علَى الولد:

والذكَرُ والأنثىٰ منْ الحمامِ إذا باضتِ الأنثىٰ بدأَ يتعاونانِ فِي بناءِ العُشِّ، ويجعلانِ حروفَه شاخصةً مرتفعةً لئلا يتدحرجَ عنهُ البيضُ، وَيكونُ حضنًا للحاضنِ.

ثمَّ يتعاودانِ المكانَ، يسخنانه، ويطيبانه، ويحدثانِ فيهِ طبعًا مشتقًّا من طباعِ أبدانِهِمَا ورائحتِهِمَا؛ لكَي تقعَ البيضةُ إذَا وقعتْ فِي مكانٍ هوَ أشبهُ بأرحامِ الحمامِ.

فإذَا انصدَع البيضُ عنْ فراخِه يبدآنِ أولاً بنفخ الريح في حلقِه حتَّىٰ تتسعَ حويصلتُه، علمًا منهُما بأنَّ الحويصلةَ تضيقُ عنِ الغذاءِ، فتتسعُ الحويصلةُ بعدَ التحامِها.

ثمَّ يعلمانِ أنَّ الحويصلةَ وإنْ كانتْ قدْ اتسعتْ شيئًا فإنَّها فِي أوَّلِ الأمرِ لاَ تحتمِلُ الغذاءَ؛ فيزقَانه بلعابهِما المختلطِ بالغذاءِ وفيهِ قوَىٰ الطعمِ.

ثمَّ يلتقِطان منَ الغيطانِ الحبَّ اللينَ، الرخوَ؛ لتتعودَ حويصلتُه علَىٰ الطعامِ.

ثمَّ يزقانهِ الحبَّ الشديدَ القويَّ والماءَ علَىٰ التدريجِ.

ثمَّ يمنعانِه بعضَ المنعِ ليلتقِطَ بنفسِهِ.

فإذَا قويَ علَىٰ اللقطِ منعاهُ تمامًا، فإذَا طلبَ منهُمَا ضربَاهُ ليعتمدَ علَىٰ نفسِه. مَن الذِي علَّمَهما ذلكَ؟!

إنَّهُ اللَّهُ. . . . . . !!

الحمامُ يتصدقُ!!

ذكَرَ الجَاحظُ أنَّ رجلاً كَان عندَهُ زوجُ حمامٍ مقصوصٍ، وزوجٌ طيارٌ، وللطيارِ فرخانٍ، ففتحَ لهمَا فِي أعلَىٰ الغرفَةِ كوةً للدخولِ والخروجِ وزقِّ فراخِهِمَا.

قالَ: فحبسَني السلطانُ فجأةً، فاهتممتُ بشأنِ المقصوصِ غايةَ الاهتمامِ، ولمْ أشُكَّ في موتِهِمَا؛ لأنهُمَا لاَ يقدرانِ عَلَىٰ الخروجِ والطيرانِ، وليسَ عندهُمَا ما يأكلانِ ويشربانِ.

قالَ: فلمَّا خلَّىٰ سبيلِي لم يكُن لي همٌّ غيرَهُما، ففتحْتُ البيتَ،

فوجدتُ الفراخَ قد كبرتْ، ووجدتُ المقصوصَ علَىٰ أحسنِ حالٍ، فعجبتُ.

فلمْ ألبَثْ أنْ جاءَ الزوجُ الطيارُ، فدنَا الزوجَ المقصوصَ إلَىٰ أفواهِهِمَا يستطعمانِه، فأطعمَهُمَا كمَا يطعمانِ أولادَهُمَا.

كلبةٌ تشفقُ على طفلٍ

قالَ الجاحظُ: وهَو أمرٌ مشهورٌ عندنَا بالبصرةِ، وقَع الطاعونُ في محلةٍ فمَاتوا جميعًا، فسدُّوا بابَ الدَّارِ، وكانَ قَدْ بقِي صبيٌّ صغيرٌ يرضَعُ لمْ يَفطنُوا لَه.

فلمَّا كانَ بعدَ مدةٍ تحوَّل إليهَا بعضُ الورثةِ، ففتحَ البابَ، فإذَا هوَ بصبيٍّ يلعبُ مع كلبةٍ صغيرةٍ، فراعَهُ ذلكَ، فلمْ يلبثْ أنْ أقبلتْ كلبةٌ كبيرةٌ كانتْ لأهلِ الدَّارِ، فلمَّا رآهَا الصبيُّ حبَا إليهَا، فأمكنَتْهُ من نفسِها فرضَعَ منهَا.

كرم الديك

وَالعجيبُ أنَّ الدِّيكَ إذَا وُضعَ أمامهُ حبٌّ نادَىٰ بصوتهِ، وفرَّقَ الحبَّ بأرجلِه ليأتِي الدجاجُ فيأكلُ معَه.

بلْ إنَّه ربمَا وجَد الحبةَ وهوَ في حاجةٍ إليهَا فيحْملُها فِي فمِه فإذَا رأىٰ دجاجةً ألقاهَا أمامَها لتأكلَها وهوَ سعيدٌ.

وقفة مع الثعلب

١ ـ كيفَ يتخلصُ منَ البراغيثِ؟

منْ عجيبِ أمرِ الثعلبِ أنَّه إذَا امتلأَ بالبراغيثِ أخذَ صوفةً فِي فمه، ثمَّ عمدَ إلىٰ ماءٍ غيرِ عميقٍ، فنزلَ فيهِ شيئًا فشيئًا حتىٰ ترتفعَ البراغيثُ إلىٰ الصوفةِ فيلقيهَا فِي الماءِ، ويخرجُ.

منْ ألهمَهُ ذلكَ؟!.... إنَّه اللَّهُ!!

منْ حيلِ الثعلبِ:

ومنْ عجيبِ أمرِه أنَّ رجلاً كانَ معهُ دجاجتانِ، فاختفَىٰ لهُ، وخطفَ إحداهُما وفرَّ فأكَلهَا، ثمَّ أرادَ أنْ يأخذَ الثانيةَ، فتراءىٰ لصاحِبِها منْ بعيدٍ وفِي فمه شيءٌ يشبهُ الطائرَ، وأطمعَهُ في استعادتِها بأنْ تركَها، وفرَّ، فظنَّ الرجلُ أنهَّا الدجاجةُ فأسرعَ نحوهَا، وخالفَهُ الثعلبُ إلىٰ أختِها فأخذَها وذَهَب.

ومنْ حيلِ الثعلبِ أيضًا:

أنَّه إذَا أصَابَ القنفذ قلَبهُ لظهرِهِ، فيجتمعُ القنفذُ حتَّىٰ يصيرَ كبةَ شوكٍ، فيبولُ الثعلبُ علَىٰ بطنهِ مَا بينَ مغرزِ عجبهِ إلىٰ فكيه، فإذَا أصابَه البولُ اعتراهُ الأسرُ، فانبسطَ فيسلخهُ الثعلبُ منْ بطنهِ ويأكلُ مسْلوخَه.

وفي القردة آية

روىٰ البخاريُّ في «صحيحه» عنْ عمروَ بنَ ميمونٍ الأوَدِيِّ قالَ: «رأيتُ في الجاهليَّةِ قرداً وقردةً زنيَا، فاجتَمَعَ عليهمَا القرودُ فرجَمُوهُمَا حتَّىٰ ماتَا».

عن عيسىٰ بن حطَّان قال: دخلت مسجد الكُوفة، فإذا عمرو بن ميمون الأوَدِيُّ جالسٌ وعندَهُ ناسٌ، فقال لَهُ رَجُلٌ: حَدِّثنا بأعجبَ شيءٍ رأيْتَهُ في الجاهليَّةِ. قال: كُنتُ في حَرْثٍ لأهلِ اليَمَنِ، فرأيتُ قُرُوداً كثيرةً قد اجْتَمعْنَ، قال: فرأيتُ قِرْداً وقِرْدَةً اضطجعَا، ثُمَّ أدخلَتِ القِرْدَةُ يَدَهَا تَحْتَ عُنُقِ القِردِ واعتنقتهَا، ثمَّ نامَا، فجاءَ قِردٌ فَغَمَزَها من تحتِ رأسِهَا، فاسْتَلَّتْ يَدَهَا من تحتِ رأسِ القِرْدِ، ثم انطَلَقَتْ مَعَهُ غيرَ بَعيدٍ فنكَحَها وأَنَا أنظُر، ثُمَّ رَجَعَتْ إلىٰ مَضجَعِهَا، فَذَهَبَتْ تُدْخِلُ يَدَهَا تَحتَ عُنُقِ القِرْدِ كَمَا كَانَتْ، فانْتَبَهَ القِرْدُ، فقَامَ إِلَيهَا فَشَمَّ دبرَها، فاجْتَمَعتِ القِرَدَةُ، فَجَعَلَ يُشيرُ إِلَيْهَا، فَتَفرَّقَتِ القِرَدَةُ، فَلَمْ أَلْبَث أن جِيءَ بِذَلكَ القِرْدُ بِعَيْنِه، أعرِفه، فانطلقوا بها وبالقِردِ إلىٰ موضعٍ كَثيرِ الرَّمْلِ، فحَفروا لَهُمَا حَفيرة، فجَعَلُوهُمَا فيها، ثمَّ رَجَمُوهُمَا حتَّىٰ قَتَلُوهُمَا، واللَّهِ لَقَدْ رأيتُ الرَّجْمَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مُحمداً ﷺ[1].

وفي رواية البخاريِّ أن عمرو بن ميمون رَجَمَهُمَا مَعَهُم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري مختصراً في مناقب الأنصار رقم (٣٨٤٩) وعزاه الحافظ في الفتح (٧/ ١٩٦) للإسماعيلي، هو في «التاريخ الكبير» للبخاري (٦/ الترجمة رقم ٢٦٥٩)، وهو في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٢٦٥) ومنه نقلت.

وَفِي الفأر آية

وَمِن عجيبِ أمرِ الفأرةِ أنَّها إذَا شربتْ من الزيتِ الذِي في أعلَىٰ الجرةِ، فنقصَ وعزَّ عليهَا الوصولُ إليهِ ذهبتْ وحملتْ فِي أفوَاهِها ماءً وصبتهُ فِي الجرةِ حتَّىٰ يرتفعَ الزيتُ فتشربَهُ.

مَنْ الذِي علَّمَ الفأرةَ أنَّ كثافةَ الزيتِ أعلَىٰ مِن كثافةِ الماءِ؟!...

إنَّهُ اللَّهُ!!... الذي خلق فسوىٰ.. وقدَّر فهدىٰ.

رجالٌ تعلمُوا منْ دوابٍ

قيلَ لرجلٍ: مَن علمكَ اللجاجَ في الحاجةِ، والصبرَ عليهَا وإنْ استعصتْ حتَّى تظفرَ بهَا؟

قالَ: مَنْ علَّم الخنفساءَ إذَا صعدتْ فِي الحائطِ تسقطُ، ثُمَّ تصعدُ، ثمَّ تسقطُ، مرارًا عديدةً حتَّىٰ تستمرَ صَاعدةً.

وقيلَ لآخرَ: مَن علمكَ البكورَ فِي حوائجكَ أوَّلَ النهارِ لا تخلُّ به؟

قالَ: مَنْ علَّمَ الطيرَ تغدُو خماصًا كلَّ بكرةٍ في طلبِ أقواتِها، لا تسأمُ ذلكَ.

وَقيلَ لآخرَ: مَنْ علَّمَكَ الهدوءَ والسكونَ والتماوتَ حتَّى تظفرَ بحاجتكَ، فإذَا ظفرتَ بهَا وثبتَ وثوبَ الأسدِ علَى فريسته؟

قالَ: مَنْ عَلَّمَ الهرةِ أن ترصد جحَر الفأرةِ، فلاَ تتحركُ ولا تتلوَّىٰ كأنَّها ميتةً، حتَّىٰ إذا برزتْ لهَا الفأرةُ وثبتْ عليهَا كالأسدِ.

وقيلَ لآخرَ: منْ علَّمَكَ الصبرَ والتحملَ؟

قالَ: الذي علَّم الجملَ الصبرَ علَىٰ حملِ الأثقالِ، وتحملِ مرارةِ الجوعِ وشدَةِ العطشِ.

وقيلَ لآخرَ: مَنْ عَلَّمكَ حسنَ الإيثارِ والسماحةَ والبذلَ؟

قالَ: الذِي علَّمَ الديكَ يصادفُ الحبةَ فِي الأرضِ وهوَ محتاجٌ إليهَا فلاَ

يأكلُها، بلْ يستدعِي الدجاجَ لهَا.

وإذَا وُضعَ لَه الحبُّ فرقَهُ هاَهنَا وهَاهنَا، وإنْ لمْ يكنْ هنَاكَ دجاجٌ؛ لأنَّه قدْ تعودَّدَ علَىٰ البذلِ والجودِ.

عفة الأسد

وَمِن عجيبِ أمرِ الأسدِ ألاَّ يأكلَ إلاَّ منْ فريسَتِهِ، وإنْ مرَّ بفريسةِ غيرِهِ لمْ يدنُ مِنهَا وإنْ جهدَهُ الجوعُ.

أسئلة

مَن عَلـم الدبَّ إذَا أصابَه جُرحٌ أنْ يأتِي إلَىٰ نبات قدْ علِمَهُ، وربمَا جهله صاحبُ الحشائشَ فيتَداوىٰ بِه فيبرأُ؟

ومَنْ علَّم الأنثَى منْ الفيلة إذَا دنتْ ولادتُها أنْ تأتِي إلَىٰ الماءِ فتلدُ فيه؛ لأنَّهَا لا تلدُ إلاَ قائمةً، فتخافُ أنْ يسقطَ علىٰ الأرضِ فينصدعُ.

ومَنْ علَّمَ الكلبَ إذَا عَاينَ الظباءَ أنْ يعرفَ المعتلَّ منْ غيره، والذكرَ منْ الأنثَىٰ، فيقصدُ الذكرَ معَ علمه أنه أشدُّ عَدْوًا منْ الأنثىٰ، وأبعدُ وثبةً، ويدعُ الأنثَىٰ؛ لأنهُ قَدْ علمَ أنَّ الذكرَ إذَا عدَا شوطًا أو شوطين حُقنَ بَوْلُهُ، وكلُّ حيوانٍ يدركهُ الفزعُ يُحْقَنُ ببوله، وإذَا حُقنَ لمْ يتمكَن منْ شدَّةِ العدوِ، فيدركَه الكلبُ، أمَّا الأنثىٰ فتحذفَ بولَها وهيَ تعدوُ.

ومَنْ علَّمَ الكلبَ إذَا كسَا الأرضَ الثلجُ أن يتأملَ الموضعَ الرقيقَ الذِي قد انخسفَ، فيعلمُ أنَّ تحتَه جحرَ أرنبٍ فينبشَهُ ويصطادَها، علمًا منهُ بأنْ حرارةَ أنفاسِها تذيبُ بعضَ الثلجِ فيرقُ؟

يَا مَنْ يرى مَدَّ البعوضِ جناحَها ... في ظُلمةِ الليلِ البهيمِ الأليلِ
ويرى نِياطَ عُروقِها في نحرِها ... والمخَّ في تلكَ العظامِ النُّحلِ
امنن علينا بتوبةٍ تمحُو بها ... ما كان منَّا في الزمانِ الأوَّلِ

الدُّعاءَ...

(١٥)

كيف تسير في طريق الله ؟

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ الاستسلامُ الكاملُ لله.

٢ ـ محاسبةُ النفس.

٣ ـ كيفيةُ محاسبةِ النفس.

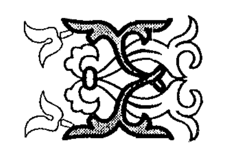
٤ ـ مراقبةُ الله.

٥ ـ الحرصُ على الحسنات.

٦ ـ الخوفُ من سوء الخاتمة (قصة).

٧ ـ من قَصَصِ التائبين (٣ قصص).





كيف تسير في طريق الله؟



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

إخوةُ الإسلام:

إذَا عرفنَا كيفَ نبدأُ . . . ومنْ أينَ ننطلقُ . . . فأينَ الطريقُ الذِي نسيرُ عليهِ إذًا؟

هذه معالمه:

١. الاستسلامُ الكامل لله جلَّ وعلا

قالَ تعالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والإسلامُ: معناهُ الاستسلامُ الكاملُ للهِ ـ تباركَ وتعالَىٰ ـ فِي جميعِ الأمورِ؛ صغيرِها وكبيرِها.

فمنَ الناسِ منْ يُسلمُ فِي العبادات . . ولكنَّه لاَ يُسلمُ فِي المعاملاتِ .

ومنَ الناسِ من يُسلمُ فِي المعاملاتِ . . . لكنَّه لاَ يُسلمُ فِي العباداتِ .

ومنَ الناسِ منْ يُسلمُ فِي أوقاتٍ . . . ولاَ يُسلمُ فِي أوقاتٍ .

لكنَّ ربَّ العزةِ ـ تباركَ وتعالىٰ ـ أمرنَا أنْ نأخذَ الإسلامَ جملةً وتفصيلاً

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ولقدْ وبخَ اللهُ قومًا أخذُوا بعضَ أوامرِ اللهِ وتركُوا بعضَها، فقالَ: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

٢. محاسبة النفس

نفسُك التِي بينَ جنبيكَ هِي الدابةُ التِي تحملكَ فِي طريقكَ إلَى اللهِ .

فإنْ أحسنتَ سياستَها، وأتقنتَ قيادتَها، أحسنَتْ بكَ المسيرَ، حتَّى تصلَ إلىَ مرضاتِ ربِّك .

والناسُ في ذلكَ ثلاثةُ أصنافٍ :

طرفانِ، ووسطٌ .

١ ـ فطرف أخذها بالشدة... فقتَر عليهَا فِي الطعامِ، والشرابِ، واللباسِ، والنومِ، والراحةِ .

«ثلاثةُ الرهطِ الذينَ أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالَ أحدُهم : أمَّا أنَا فأقومُ الليلَ كلَّه . . . وقالَ الثانِي : وأمَّا أنَا فأصومُ الدهرَ ولا أفطرُ، وقالَ الثالثُ : وأمَّا أنَا فلاَ أتزوجُ النساء، فنهاهُم النبيُّ ﷺ وقَال : «**أمَّا أنَا فَأقُومُ وأَرْقُد، وَأصُومُ وأفطِرُ، وأتزوَّجُ النِّسَاءَ، هَذِه سُنَتِي، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[١] .

وطرف ثانٍ: تركَ للنفسِ زمَامِها . . يعطِيها مَا تحبُّ . . . وأسرفَ لهَا فِي الراحةِ . . . فصعبتْ عليهِ . . وتمردتْ بينَ يديهِ . . فالنفسُ كالطفلِ إذَا أهملتَها اعوجَّت . . . وإذَا قوَّمتَها استقامتْ . . .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

وكلاَ الطرفينِ مخطئٌ.

والطريقُ الصحيحُ هوَ:

الطريقُ الوسطُ.

أنْ يحملَها علَى الطاعةِ بالتدريجِ.

أنْ يأتيهَا منَ البابِ الذِي تحبُّ.

إذَا ملَّت وكلَّتْ تركهَا: «**لِيُصَلِّ أحَدُكُم نَشَاطَهُ فإذا فَتَرَ فَلْيَقْعُد**»[١].

«سَاعَةٌ، وَسَاعَةٌ»[٢]، ينوعُ في العباداتِ، ولاَ يشددُ علَى نفسهِ فِي النوافلِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٥٠)، والترمذي (٢٥١٤)، وابن ماجة (٤٢٣٩).

٣. كيفية محاسبة النفس

إنَّ النفسَ بطبيعتِها تميلُ إلَىٰ الشهواتِ والملذاتِ والهَوىٰ، فلابدَّ إذنْ من محاسبةِ هذهِ النفسِ، ومنعِها عنِ الشرِّ، ودفعِها إلَىٰ الخير.

ولقدْ أقسمَ ربُّ العزةِ فِي كتابِهِ الكريمِ ثمانيةَ أقسامٍ متتاليةٍ علَىٰ أنهُ لاَ فلاحَ ولاَ نجاحَ إلاَ بتزكيةِ النفسِ وتطهيرِها.

فقال سبحانه: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ١-١٠].

قالَ قتادةَ:

قدْ أفلحَ منْ زكىٰ نفسهُ بالطاعةِ، وطهرهَا من الأخلاقِ الدنيئةِ، والرذائلِ.

محاسبة قبل العمل:

يسألُ نفسَه: ماذَا يريدُ بهذَا العملِ؟

أيريدُ وجهَ اللهِ.. أم شيئًا آخرَ.

فإنْ كانت الأولَىٰ مضَىٰ واستبشرَ، وإنْ كانت الثانيةَ وقفَ مرةً أخرَىٰ معَ نفسهِ يوبخُها، ويُذكرُها بربِّها ويبينُ لَها أنَّ الرياءَ لاَ خيرَ فِيه.

كيفَ تتخلصُ من الرياء؟

اعلمْ أنَّ الدافعَ علَىٰ الرياءِ هوَ الطمعُ فِي مدح الناس وخوفُ مذمَّتهم، ويمكنُ التخلصُ منَ الرياءِ بمَا يلِي:

١ ـ أنْ تعلمَ أنَّ مدحَ الناس لاَ ينفعُكَ إنْ كنتَ عندَ اللهِ مذمومًا، وذمَّهم لاَ يضركَ إنْ كنتَ عندَ اللهِ محموداً.

٢ ـ أنْ تعلمَ أنَّ المخلوقَ الضعيفَ الذِي تطلبُ مدحَه لاَ يملكُ لكَ ضرًّا ولاَ نفعًا، خاصَّة يومَ فقركَ الأكبرِ، وحاجتكَ العظمَىٰ.

٣ ـ أنْ تعلمَ أنَّ الرياءَ يُحبطُ العملَ، وربمَّا حوَّله إلَىٰ كفَّة السيئات.

٤ ـ إنْ كنتَ تخشَىٰ اطلاعَ النَّاس علَىٰ خبثِ باطنِك وسوادِ قلبِك فِي الدنيَا، فَاللهِ تَعالَىٰ مُطلعٌ علَىٰ ذلكَ، وسيفضحُك يومَ القيامةِ يومَ الجمع الأكبرِ، وعلَىٰ رءوس الأشهادِ... إن لم تتب قبل الممات.

محاسبةٌ أثناءَ العمل:

فإذَا دخلتَ فِي العملِ: كالصلاةِ، والصِّيام، والزكاة، والحجِّ... وغيرِها فعليكَ بمراقبةِ نفسكَ.. وتعهدِها.. فإذَا التفتَتْ إلَىٰ غيرِ اللهِ فعليكَ أن تردَّها... وتزمَّها وتخطئَها كيْ تعودَ إليهِ..

ويظلُّ حالُك كذلكَ حتَّىٰ تنتهِي منَ العملِ.

محاسبة بعد العمل:

فإذَا انتهيتَ منَ العملِ فلاَ تفاخرْ بهِ... ولاَ تذكرْه أمامَ أحدٍ... ولاَ تستحسنْه منْ قِبَلِ نفسِك.

بلْ تذكرْ تقصيرَك... وتفريطَك... وكنْ علَىٰ وَجَلٍ منْ عدمِ قبولِه.. واسْألِ اللهَ القبولَ.

٤. مراقبة الله

يقولُ عزَّ منْ قائلُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

ويقولُ سبحانهُ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

ويقولُ سبحانُه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

ويقولُ ابنُ المبارك:

إذَا مَا خلوتَ الدهرَ يومًا ... فلاَ تقلْ خلوتُ ولكنْ قل عليَّ رقيبُ

ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ... ولاَ أنَّ مَا تخفِي عليْه يغيبُ

ويقولُ غيرهُ:

إذَا مَا خلوتَ بريبةٍ فِي ظلمةٍ ... والنفسُ داعيةٌ إلَى العصيانِ

فَاسْتحِ منْ نظرِ الإلهِ وقلْ لهَا ... إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يرانِي

وفِي «الصحيحين»: «الإحْسَانُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإنْ لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

٥. الحرص الشديد على الحسنات

المسلمُ يتاجرُ معَ ربِّه، فكمَا أنَّ التاجرَ حريصٌ علَى أنْ تنمُو تجارتُه، ويزدادَ ربحُه، وتقلَّ خسارتُه.

فالمؤمنُ أشدُّ منْ ذلكَ:

يكثرُ منَ النوافلِ، ويتقنُ الفرائضَ.

فـ «كُلُّ تَسبيحَةٍ صَدَقَة، وكل تهليلةٍ صدقةٌ، أمَرٌ بالمَعرُوف صَدَقَةٌ، ونَهْيٌ عنْ مُنكَرٍ صَدَقَةٌ»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[البقرة: ٢٦١]

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٢٠)، وأبو داود (١٢٨٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٢٥)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٦٧).

الخوف من سوء الخاتمة

إنَّ المؤمنَ مشفقٌ علَىٰ نفسهِ. . . خائفٌ علَىٰ مستقبله. . . المستقبلِ الأبديِّ. . . إمَّا إلىٰ جنةٍ. . . وإمَّا إلَىٰ النارِ. . إمَّا نعيمٌ لاَ ينفدُ. . . وإمَّا لهبٌ، ولظَىٰ. . . وحيَّاتٌ. . وعقاربٌ. . وضريعٌ. . . وحسرةٌ.

اللهمَّ ارحمنَا.

شاب مات على المخدرات:

قالَ أحدُ الدعاةِ:

لقدْ كَانَ لنَا جارٌ لاَ يُصلِّي إلاَّ قَليلاً، فالتقيتُ بِه مرةً فِي المسجدِ، وَعلمتُ أنَّ لهُ أصدقاءَ سوءٍ يجرونهُ إلىٰ المعاصي جرًّا.

فأخبرتُ بعضَ الشبابِ الصالحينَ أنَّنا نريدُ أنْ نبعدَه عنهم، فالتقينَا بِه وأخذناهُ معنَا إلَىٰ البيتِ نحدثُه ونؤانسُه، ثمَّ اتفقنَا أن نخرجَ إلىٰ البرِّ[1] فِي عطلةِ الأسبوعِ وفعلنَا. . بلْ. . استمرَّ ذلكَ كلَّ عطلةٍ. . .

والتزمَ صاحبنُا وحافظَ علىٰ الصلاةِ. . . وبدأ يحفظُ فِي القرآنِ. . وتركَ الغناء، وظهرتْ عليهِ علاماتُ الصلاحِ، وظلَّ هكذَا شهرينِ. . .

ولكنْ لظروفٍ مَا انتقلتُ منْ جوارِهِ إلَىٰ أطرافِ المدينةِ. . ولمْ أتمكنْ من الاتصالِ بهِ لعدمِ وجودِ الهاتفِ فِي بيتِي الجديدِ.

لكننِي سألتُ عنهُ فأخبرُوني أنَّه عادَ إلىٰ حياتهِ الأولَىٰ.

---

(١) البر: يعني الصحراء.

تركَ القرآنَ . . . تركَ الصلاةَ . . . تركَ الصالحينَ .

عادَ إلىٰ رفقاءِ السوءِ . . . الأغانِي . . . الموسيقىٰ . . .

فقررتُ أنْ نزورَه مرةً أخرَىٰ ، ونعاودُ الكَرَّة ولكنْ . . . وقبلَ أنْ أذهبَ اتصلَ بِي أحدُ الأصدقاءِ يخبرُني أنَّ صاحبنَا قَدْ ماتَ . . . ماتَ . . . وكيفَ . .

سافرَ معَ رفقاءِ السوءِ إلَىٰ شرقِ آسيَا . . . وتناولَ هناكَ جرعةً كبيرةً منَ المخدراتِ فماتَ بهَا . . .

وعادَ إلَىٰ المملكةِ فِي تابوتٍ . . . ومعهُ تقريرٌ . أنَّ سببَ وفاتِه كانتْ بسببِ المخدراتِ ! !

٦. من قصص التائبين

١ ـ شابٌّ تابَ علَى يدِ رجلٍ منْ أهلِ الحسبة:

يقولُ ذلكَ الشابُّ:

أمامَ تلكَ المرآةِ القابعةِ فِي الزاويةِ الشرقيةِ منْ غرفتِي، كنتُ أسرِّحُ شعْرِي فِي أصيلِ يوم قائظٍ. . . وكانتْ نغماتُ الموسيقَى تملأُ الجوَّ صخبًا، وضجيجًا. . . وفجأةً خفقَ قلبي خفقانًا شديدًا لم أعرف سببَه، اتجهتُ إلَى المسجِّل وأسكتُّ الموسيقَى. . تلكَ الموسيقَى الغربيةَ. . التِي لاَ أفهمُ منهَا شيئًا.

وكنتُ علَى موعدٍ معَ أحدِ الأصدقاءِ لنتجهَ إلىَ الأسواقِ لنعاكسَ الفتياتِ كعادتِنا.

وأثناءَ خُروجِي منَ البيتِ نادتنِي أمي: يَا أحمدُ، لقدْ رأيتكَ البارحةَ فِي المنام، ولكنِّي تجاهلتُها. . لحقتنِي وأمسكتْ ذراعِي. . . . ألاَ تضعَ لهذَا الاستهتارِ. . وضَيَاع الوقتِ حدًّا.

لكنَّني نظرتُ إليهَا ثمَّ انطلقتُ صامتًا.

فصديقِي ينتظرُني بسيارتهِ. . فوجدتُه مشعلاً سيجارَته. . أيُّ سوقٍ تريدُ أن تذهبَ وصوتُ الأغانِي مرتفعًا. . لكنِّي صَمَتُّ.

صَمَتُّ. . لأنَّ كلماتِ رجلِ الحسبةِ مَازالتْ ترنُّ فِي أُذنِيَّ.

«أخِي أليسَ مِنَ العَيبِ أن تضيعَ شبابَك لاهثًا. . ساعيًا وراء بناتِ المسلمينَ، وأن تساهمَ في إفسادِ المجتمعِ، وأنْ تدعمَ مخططاتِ

الأعـداءِ. . . وأنـتَ منْ فلذاتِ أكـبـادنِا. . ومنْ أبنائِنا، أخِي، . . ألاَ تتقِي الله» .

كلمـاتٌ نزلتْ عليَّ كأنَّهـا صاعـقـةٌ. . ليتـهُ هددنِي. . أوْ قـادنِي إلَىٰ الشرطةِ لكانَ أهونَ علَىٰ نفسِي منْ هذَا التأنيبِ الرهيبِ.

ونحنُ فِي وسطِ الطريقِ. . .

فـقلتُ لصـديقِي. . . . أرجعنِي إلَىٰ البـيتِ. . لنْ أذهبَ إلَىٰ السـوقِ اليومَ. . . أَرْجعنِي.

فَأرْجَعَنِي. . وكانتِ المفأجاةُ الرهيبةُ. . . فقدْ رأيتُ بيتًا ممتلئًا بالرجالِ والنساءِ. . أخِي يبكِي. . . .

أخِي. . مَا الذِي حدثَ. . . مَا الذِي جرَىٰ. . .

أمُّك يَا أحمدُ. . أُمك؟

ماذَا بِها؟

ماتتْ أمكَ. . ماتتْ!!

عجيبٌ كيفَ. . ومتىَ. . بنوبةٍ قلبيةٍ.

فعلمتُ أنَّ الحيـاةَ تنتـهِي فِي لحظةٍ، فتبتُ إلَىٰ اللهِ، وتـركتُ أصـدقـاءَ السوءِ، واستقمتُ علىٰ الطريقِ.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٩-٢٢].

٢ ـ توبة شاب في بلاد الكفر:

كَـانَ شَـابًّا ميسورَ الحَالِ منعم فِي رفاهيةٍ تامةٍ. . وبعدمَا انتهىٰ مِن دراسته الجامعيةِ أهدَىٰ لهُ والدُه سيارةً. . . وقالَ: تعملُ معِي فِي شركتِي الخاصَّة.

لكنَّ صديقِي المرفَّه أيضًا قالَ: لابدَّ منْ سفرنَا إلَىٰ الخَارج لنتمتَع كمَا يتمتعُ الناسُ، وحاولتُ إقناعَ والديَّ فنزلاَ علَىٰ رغبتِي.

وسافرتُ أنَا وصديقِي إلَىٰ أسبانيَا ونزلنَا فِي أحدِ الفنادقِ وجرَّني صديقِي إلىٰ حاناتِ الشربِ والفاحشةِ والمخازِي.

ثمَّ سافرنَا إلىٰ غرناطةَ وطليطلةَ من مُدن أسبانيَا وكانَ بصحبتِي فتاةٌ غيرُ مسلمةٍ فأخذتنِي لنشاهدَ الآثارَ الإسلاميةَ فِي أسبانيَا وجلستْ تشرحُ لِي عَنْ أحوالِ المسلمينَ ومَا خلَّفوه منْ آثارٍ ومتاحفَ فدخلنَا أحدَ القصورِ هناكَ لنرىٰ الآثارَ الإسلاميةَ.

وعلَىٰ محرابِ هذَا القصرِ الإسلاميِّ «مسجدًا» رأيتُ مكتوبًا آياتٍ منَ القرآنِ الكريمِ.

فلمَّا وقعَ نظرِي علَىٰ ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ٣٢].

ذرفتْ عينَاي بالدُّموع.

فسألتنِي الفتاةُ. . . فقلتُ: لقدْ تذكرتُ ذكرياتٍ مؤلمةً.

وقررتُ العودةَ إلَىٰ «جدةَ» وتغييرَ مجرىٰ حياتِي.

وتبتُ إلَىٰ اللهِ تباركَ وتعالَىٰ.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

٣ ـ توبة رجُلٍ منْ أهلِ الرياضِ علىَ يدِ ابنته الصَغيرة:

يحكِي قصَّتهُ فيقولُ:

كنتُ أسهرُ حتَّىٰ الفجرِ معَ رفقاءِ السوءِ فِي لهوٍ ولعبٍ وضياعٍ تاركًا زوجتِي المسكينةَ وهيَ تعانِي الوحدةَ والضيقَ..

وكمْ نصحتنِي هذهِ الزوجةُ الصالحةُ... لكنِّي لمْ أستجبْ!!

وفِي إحدىَ الليالِي جئتُ منْ إحْدَىٰ سهراتِي العابثةِ، وكانتِ الساعةُ تشيرُ إلَىٰ الثالثةِ صباحًا، فوجدتُ زوجتِي وابنتِي الصغيرةَ وهمَا تغطَّان فِي سُباتٍ عميقٍ.

فاتجهتُ إلىَ الغرفةِ المجاورةِ لأكملَ مَا تبقَّىٰ منْ ساعاتِ الليلِ فِي مشاهدةِ بعضِ الأفْلام الساقطةِ منْ جهازِ الفيديُو...

وفجأةً... وأنَا منهمكٌ في المشاهدةِ... يُفتحُ البابُ.. بابُ الغرفةِ فإذَا هِي ابنتِي الصغيرةُ التي لم تتجاوزْ الخمسَ سنواتٍ.

فنظرتْ إليَّ نظرةَ تعجبٍ واحتقارٍ وقالتْ:

«يَا بابَا.. عيبٌ عليكَ.. اتق اللهَ» كررتْها ثلاثَ مراتٍ، ثمَّ أغلقتِ البابَ ومضتْ.

أصابنِي ذهولٌ شديدٌ فأغلقتُ الفيديُو، وجلستُ حائرًا وكلماتُها ترنُّ فِي أذنيَّ فخرجتُ خلفَها فوجدتُها قدْ عادتْ إلىٰ فراشِها.

ومَا هِيَ إلا لحظاتٌ حتَّىٰ انطلقَ صوتُ المؤذنِ مِن المسجدِ القريبِ ليمزقَ سكونَ الليلِ الرهيبِ مناديًا لصلاةِ الفجرِ.

توضأتُ وذهبتُ إلَىٰ المسجد وأقيمت الصلاةُ وكبَّر الإمامُ وركَعَ وسَجَدَ وما أن سجدتُ ووضعتُ جبهتِي علَىٰ الأرضِ حتَّىٰ انفجرتُ بالبكاءِ نعمْ بالبكاءِ فهيَ «أولُ سجدةٍ أسجدُها للهِ منذُ سبعِ سنينَ».

شعرتُ فيهَا بأنَّني قَدْ وُلِدتُ من جديدٍ لقد أحسستُ بأنَّ الإيمانَ بدأَ يسرِي فِي جسدِي.

وبعدَ الصلاةِ رجعت إلَىٰ البيتِ قليلاً، فلمْ أذقْ طعمَ النومِ فذهبتُ إلَىٰ العملِ فاستغربَ صاحبِي حضورِي مبكرًا.. فقصصتُ عليهِ القصةَ فقالَ: احمدِ اللهَ أنْ سَخَّرَ لكَ هذهِ البنتَ الصغيرة التِي أيقظتكَ مِن غفلتكَ، ولمْ تأتِك منيتُك وأنتَ علَىٰ تلكَ الحَالِ.

ولَمَّا حانَ وقت الظهرِ كنتُ مرهقًا حيثُ لمْ أنمْ منذُ وقتٍ طويلٍ.. فتسلمَ صاحبِي عملِي. وعدتُ إلَىٰ بيتِي لأنالَ قسطًا منَ الراحةِ، وأنَا فِي شوقٍ لرؤيةِ ابنتِي الصغيرةِ التي كانتْ سببًا فِي هدَايتي التِي دلتني علَىٰ طريقِ اللهِ بكلماتِها.

دخلتُ البيتَ فاستقبلتنِي الزوجُة باكيةً مَا الذِي حدَث؟

لقَدْ ماتتْ ابنتُك؟

كانَ الخَبرُ كالفاجعةِ بلْ كالصَّاعقةِ.. وانفجرتُ بالبكاءِ.

فلمَّا هدأتُ اتصلتُ بصاحبِي وغسَّلناهَا وكفنَّاها . . وصلَّينا عليهَا .

ثُمَّ ذهبنَا لندفنَها فقَال لِي صديقِي : لابدَّ أنْ تنزلَ أنتَ فِي القبرِ فتضعَها بنفسِك فحملتُها وعينَاي تذرفانِ ودفنتُها فِي لحدِها وأَنا أتصورُ أنَّني دفنتُ النورَ الذِي أضاءَ لِي الحياةَ .

دفنتُ من دلَّنيَ علَىٰ طَريقِ اللهِ .

البنتُ البارةُ أدتْ مَا عليْها وبقِي أنْ أستقيمَ علَىٰ هدَىٰ اللهِ فأسألُ اللهَ أنْ يثبتَني علَىٰ طريقِه .

يقولُ الشاعرُ :

فيَا غافلاً فِي غَمْرةِ الجَهْلِ والهوَىٰ ... صريعُ الأمانِي عنْ قريبٍ ستَندمُ

أَفقْ قدْ دنَا اليومَ الذِي ليسَ بعدَه ... سوَى جنةٍ أوْ حرِّ نارٍ تضرَّمُ

وبالسُّنةِ الغرَّاء كنْ مستمسِكًا ... هيَ العُروةُ الوثقَى التِي ليسَ تُفصَمُ

الدعاء . . .



(١٦)

عقبات على طريق الدعوة

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ فضلُ الدعوةِ إلى الله.

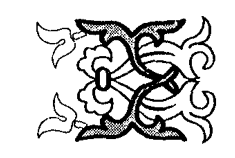
٢ ـ عقبةُ السُّخرية والاستهزاء.

٣ ـ عقبةُ الجدال بالباطل.

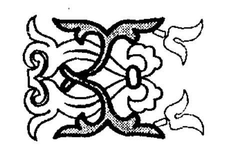
٤ ـ عقبةُ الابتلاء.

٥ ـ عقبةُ إلصاقِ التهم.

٦ ـ عقبةُ الإغراء.



عقبات على طريق الدعوة



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

فضلُ الدعوة:

إنَّ الدعوةَ إلىٰ اللَّهِ ـ تباركَ وتعالىٰ ـ شرفٌ عظيمٌ، ومرتبةٌ كبرىٰ، يرفعُ اللَّه الداعيةَ إليه درجاتٍ ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة: ١١].

والداعيةُ إلىٰ الله تعالىٰ قائلٌ بأحسنِ قولٍ، وداعٍ بأفضلِ دعوةٍ، وقائمٌ بخيرِ عقيدةٍ قالَ تعالىٰ: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت: ٣٣].

ولقد بشَّرَ اللَّهُ الداعيةَ المخلصَ بالفلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ، قال سبحانَهُ: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والداعيةُ إلىٰ الله تعالىٰ يُحصِّل من الأجورِ ما لا يُحصىٰ، ومن الخير ما لا يَفْنىٰ، فقد روىٰ مسلمٌ في «صحيحه» من حديث أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّ رسولُ الله ﷺ قالَ: «**مَن دعاَ إلىَ هُدًى كانَ لهُ منَ الأجرِ مثلُ أجورِ من تبعهُ، لا ينقُصُ ذلك من أُجورِهم شيئًا...**»(١).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وقال حسن صحيح، وابن ماجة (٢٠٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٧)، والدارمي (٥١٤).

وفي «الصحيحين» من حديثِ سهلَ بنَ سعدَ الساعدي ـ رضي اللهُ عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعليِّ بنِ أبي طالبٍ يومَ خيبَر: «**لأنْ يهدي اللَّهُ بكَ رَجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعم**»(١).

ولكن هناك عقباتٌ تعترضُ الشابَ المسلمَ عندمَا يبدأُ في طريقِ الاستقامةِ والالتزام وأول هذه العقبات:

١ ـ عقبةُ السُّخريةِ والاستهزاء:

من القريبِ والبعيدِ، والعدوِّ والصديقِ، والقرينِ والرفيقِ، لاسيما إن كان قبلَ استقامتهِ يماشي أصدقاءَ السوءِ، وأترابَ الفسوقِ، فيقولونَ لَهُ: صرتَ شَيخًا.. أصبحتَ وليًّا.. لن يدخلَ أحدٌ الجنةَ إلاَّ أنتَ... وغيرَها من ألفاظ السخريةِ، لكن لسانُ حالِ الشابِّ الملتزم يقولُ لهم: ﴿**إن تَسْخَرُوا منَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾ [هود: ٣٨].

ولهذه السخريةِ سببانِ هما:

١ ـ أنهم يحسدونَ هذا الشابَّ على ما أنعم اللهُ عليه من نعمة الهداية، لكن مولاك سبحانَه يتولَّىٰ الردَّ عليهم، فيقول: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٥٤] وقدَّم الله الكتاب والحكمة لأنهما أعظمُ من الملكِ والمالِ.

٢ ـ أنهم يشعرونَ بالنقصِ الذي يعتريهم إذا قورن بالاستقامةِ التي التزمَ بها الشابُّ المسلمُ، فيثبطونَ من همتهِ، ويوهنونَ مِن عزيمتِه، لعله يرجعُ مثْلَهم.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

بل إنهم يشعرونَ بعرائِهم منَ الفضائِلِ، وخلوهِم من المكارم، إذا رأوا حُلَّةَ الإيمان، وسربالَ التقوىٰ يتلألأُ علىٰ مُحيًّا هذا الشابِّ الملتزم.

وقد صدقوا في هذا الشعورِ.

إذا المرءُ لم يلبسْ ثيابًا من التقَى تقلَّبَ عُريانًا وإن كان كاسيا
وخيرُ لباسِ المرءِ طاعةُ ربِّه ولا خيرَ فيمن كانَ للهِ عاصيا

لكنني أناديك أيها الشابُّ الملتزمُ.. يا أملَ الأمةِ.. ويا ضياءَ الظلامِ... ويا هاديًا إلىٰ سنةِ خيرِ الأنامِ:

قل لهم: لقد ودَّعتُ المعاصي إلىٰ غير رجعةٍ.

لقد تقيأتُ الجاهليةَ كلَّها.

لقد أسدلتُ الستار عن ماضٍ أليمٍ، واستقبلتُ حياةً سعيدةً.

فكيفَ أستبدلُ الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

ثم صور لهم حالك قائلاً:

عبدٌ سرى في ليلة ظلماءِ هربًا بتقْواه منَ الفحشاءِ
هربًا من الفتنِ التي حاطتْ بهِ من فتنة السَّراء والضَّراءِ
عبدٌ فتى في مستهلِّ شبابه عرَفَ الهدَى وطريقَهُ بصفاءِ
قرأ القرآنَ تفهمًا وتدبرًا وكذا اهتدى للسنة الغرَّاءِ
ورأى حياةَ الصالحينَ سعيدةً بالخيرِ في الإصْباح والإمْساءِ
ويقولُ يا ربَّاه عبدُكَ مؤمنٌ أدْعُوك فاقْبلني وضعفَ دعائي

٢ـ عقبةُ الجدالِ بالباطلِ:

فلما رأوا منه تمسكًا بالحقِّ، وثباتًا على الإيمان، انتقلوا معه إلى حيلة أخرى لعلَّها تجدي، أو تثبطُ، أو توهنُ، ألا وهي الجدال بالباطلِ.

كما جُودل النبيُّ ﷺ من قَبل ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، ويقولون:

الإيمانُ في القلبِ وليسَ في المظهرِ... هل طبقتَ كلَّ شيءٍ وما بقيَ إلا اللحيةُ وتقصيرُ الثوبِ، وغضُّ البصرِ، والامتناعُ عن سماعِ الأغاني، وعدمُ أكل الرِّبا، وترك الغيبةِ والنميمةِ، وعدم مصافحةِ الأجنبيةِ.. والمحافظة علَى الصلاةِ فِي وقتِها، وتطبيق السنةِ في الطعامِ والشراب... ما بقيَ إلا هذا؟!!

قُل لهم: وماذا بقيَ من الدين إذًا؟!!

سيقولون لك: لقد كنت بالأمس القريب تشربُ الدخانَ، وتسمع المسلسلاتِ، وتعاكسُ الفتياتِ، وتترك الصلواتِ...

قل لهم: فعلتُها إذًا وأنا من الضالين.

ثم دَعْهم والجأ إلى ربِّكَ قائلاً:

يا ربِّ إن عظمتْ ذُنُوبي كثرةً فلقدْ علمتُ بأن عفوَكَ أعْظمُ
إنْ كانَ لاَ يرجُوكَ إلا مُحْسنٌ مَنْ ذا الذي يدعُو ويرجو المجرِمُ
ما لي إليكَ وسيلةٌ إلا الرَّجا وجميلُ عفوِك ثُمَّ إنِّي مسلمُ

ولكن كيف تردّ على هؤلاء المجادلين؟

إن أفضل ردٍّ على هؤلاءِ المجادلين هو الابتسامةُ المشرقةُ مع الصمتِ، فقد روى أبو داودَ عن أبي أمامةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربَضِ الجنةِ لمن ترك المراءَ وإنْ كانَ مُحِقًّا»[1]، وزعيم: أي ضامن.

نعم، إنَّ صمتَك عنه خيرٌ من مجادلتِه كما قيل:

إذا نطقَ السَّفيه فلا تجبه فخيرٌ من إجابتِه السكوتُ
سكتُّ عن السَّفيه فظنَّ أنِّي عَييتُ عن الجوابِ وما عييتُ

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٤٩)، وفي إسناده أيوب بن موسى، قال عنه الذهبي في «الميزان» روى عنه أبو الجماهر وحده.
ووثقه الذهبي وسكت عنه أبو حاتم، وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق.
قال الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣): بل هو بوصف الجهالة أولى، لأن الراوي لا ترتفع عنه الجهالة برواية الواحد، لكن للحديث شواهد يتقوى بها ثم سردها. ا. هـ.

٣ ـ عقبةُ الابتلاء:

فإذا رأىٰ أهلُ الباطلِ منه تمسكًا بالحقِّ، وثباتًا علىٰ الصدقِ، بدأتِ البلاءاتُ وتتابعتُ المحن.

بلاءٌ في النفسِ. . . وبلاءٌ في الوظيفةِ. . . وبلاءٌ في الرزقِ. . وبلاءٌ في الخوفِ. . وبلاءٌ في الولدِ. . . وبلاءٌ في الأهلِ.

هكذا تتوالىٰ البلاءاتُ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ـ١٥٧].

ولك أسوةٌ بالصالحينَ من قبلكَ، فقد صُبَّ عليهم البلاءُ صبًّا فصبروا، واحتسبوا، ونالوا الأجرَ في الدنيا، والسعادةَ في الآخرةِ.

لما آمن أصحابُ الأخدودِ باللَّهِ الواحدِ المعبودِ، قامَ الملكُ الجبَّارُ العاتي بتهديدِهم، لردِّهم عَن الحقِ، فرفضوا، وأبوا إلا الإيمان، فأمر زبانيته فحفروا الأخاديدَ، وأشعلوا النيرانَ وتلقوهم علىٰ أفواه الطرق، وخيَّروهم بين الإيمانِ مع التحريقِ، أو الحياةِ الرغيدةِ مع الكفرِ.

فباعوا الدنيا بالآخرة، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ. . .﴾

[البقرة: ٢٠٧]، أي: يبيع نفسَهُ للهِ.

واستعلوا بإيمانِهم، ولم يتنازلوا عن عقيدتِهم، ولو كان الثمنُ حياتَهم.

فهم عبادُ مَنْ؟

عبادُ الله.

ويدافعون عن دين مَنْ؟

عن دينِ اللهِ.

وهم جنودُ مَن؟

جنودُ اللهِ.

إذا قُتلوا أو ماتوا فسيلقون مَنْ؟

سيلقون اللهَ.

سيلقون محبوبَهم الأعظمَ، وإلههم الأكبرَ، وسيدهم الأجلَّ.

فمم يخافون؟ ولِمَ يتراجعون؟ وماذا يريدون؟

يريدون الجنة.. هي مصيرُهم ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ**﴾ [البروج: ١١].

يريدون وجهَه.. سيرونه كما يرون البدر ليس دونه سحابٌ.

يريدون رفقةَ الأنبياء.. ﴿**فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩].

فأخذوا يقدمون رقابَهم للهِ ولسانُ حالهم يقول:

ولستُ أبالي حين أُقتَلُ مسلمًا ... على أي جنبٍ كان في اللهِ مصرعي

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يشأ ... يبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

٤ ـ عقبةُ إلصاق التُّهم:

فإذا تخطى المسلمُ هذه العقبةَ الكئودَ، فلم يُصبْه شررُها، ولم يُعمه غبشُها، ولم يتراجعْ أمامَ بطشِها، لجأ المبطلونَ إلى عقبة أخرى علّها تُعرقلُ مسيرتَه، أوْ تزلزلُ عقيدتَه، ألا وهي إلصاقُ التُّهم كما هي عادةُ أسلافِهم مع النبيين والمصلحين حيثُ رموهم بالجنونِ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

ورمَوهم بالافتراءِ على اللَّهِ: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١].

ورمَوهم بالسحرِ والكهانةِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

ورمَوهم بالتسمع لكل ما يقالُ وعدمِ الفطنة ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

أما أحفادُهم في العصورِ المتأخرةِ فيرمُون الصالحينَ بالتشددِ والتعصبِ، والتزمُّتِ والتطرفِ لكن لا تعبأ بهم وقلْ لهم:

لا تلمزونا يا خفافيشَ الدُّجَى ... بتطرفٍ وتسرعٍ وتشددِ
لا تقذفُونا بالشذوذ فإننا ... سرنا على نهجِ الخليلِ محمَّدِ
ولكلِّ قولٍ نستدل بآيةٍ ... أو بالحديثِ المستقيمِ المسندِ
والنسخَ نعرف والعمومَ وإننا ... متفطنون لمطلقٍ ومقيِّدِ

فإن قالوا لك: فإلام تدعو أيها الشابُّ؟ فقلْ لهم:

ندعو إلى التوحيد طولَ حياتنا في كل حين في الخفا والمشهد
ونحارب الشركَ الخبيثَ وأهلهُ حربًا ضروسًا باللسان وباليد
وكذلك البدعَ الخبيثةَ كلَّها نقضي عليها دونَ باب المسجد
هذي طريقتُنا وهذا نهجُنا فعلامَ أنتم دوننا بالمرصد

٥ ـ عقبةُ الإغراء:

إذا صبرَ العبدُ أمامَ هذه العقباتِ، وثبت أمامَ هذِه الابتلاءاتِ جاءته عقبةٌ أشدُّ من العقباتِ الأولىٰ إنها عقبةُ الإغراءِ.

«إن أردت مُلكًا علينا ملكناك.. وإن أردتَ مالاً جمعنا لك حتىٰ تصيرَ أغنانا...» هكذا قال الكفار لرسولِ الله ﷺ، واليومَ يقولهَا المبطلونَ لأهلِ الحقِّ، عندها تُظهِر لهم حقيقة أمرك وتقول لهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٥].

وقلْ لهم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقل لهم:

لا نطلبُ الدنيا ولا نسعَى لها اللهُ مقصدُنا ونعمَ المقصد
إنا لنسْعَى في صلاحِ نفوسِنا بعلاج أنفسِنا المريضةِ نبتدي

وهكذا تسير قافلةُ الإيمانِ في طريقِها إلىٰ اللهِ، لا تستوقفها عقبةٌ، ولا تصدها فتنةٌ، ولا يرهبُها بلاءٌ، ولا يفتنها عداءٌ.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

(١٧)

سمات الأمة الإسلامية

(خطبة عيد الأضحى)

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عَنَاصِرُ الموضُوع •

١ ـ إخلاصُ العبادةِ لله.

٢ ـ دروسٌ منْ قصةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ.

٣ ـ سماتُ الأمةِ المسلمةِ.

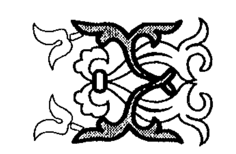
٤ ـ الماضِي المجيدُ.

٥ ـ نظرةُ الأعداءِ إليكُم.

٦ ـ أحكامُ الأُضحيةِ.

٧ ـ رسالةٌ إلى كلِّ أختٍ مسلمةٍ.





سمات الأمة الإسلامية

إنَّ الحمدَ للَّه، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله منْ شرورِ أنفسنا ومنْ سيئات أعمالنا، منْ يهده اللهُ فَلا مضلَّ له ومنْ يضللْ فَلا هاديَ لَهَ، وأشهدُ أنَّ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وبعدُ. . .

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

١. إخلاصُ العبادةِ للهِ

اعلموا عبادَ الله: أنَّ وظيفةَ المسلمِ في هذه الحياة هي إخلاصُ العبادة للهِ جلَّ وعلا، قالَ سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ: أن يعرفَ أسسَ هذه الوظيفةِ كي يؤديهَا على أكملِ وجهٍ وأفضلِ أداءٍ.

العبادةُ: هي ما يحبُّه اللهُ ويرضاهُ مِن الأقوالِ والأفعالِ والاعتقاداتِ.

ولكنَّ كثيراً مِن الناس قد يُخطئون الطريقَ، فيصرفونَ بعضَ العباداتِ لغيرِ اللهِ فيقعُون في الشِّركِ، وهُمْ لا يعلمُونَ.

فالنذر: عبادةٌ يجبُ أنْ تكونَ للهِ وحدهُ لاَ شريكَ لهُ.

فلا يجوزُ أنْ تقولَ: نذرتُ للبدويِّ أو للدسوقيِّ، ولا يجوزُ أنْ تقولَ: يا ربِّ نذرتُ للدسوقيِّ خروفًا، إنْ شفيتَ ولَدِي. فهذا كلُّه باطلٌ لا يجوزُ.

والدعاءُ عبادةٌ فلاَ يجوزُ أنْ تقولَ: «شَاءَ اللهُ يَا حسينُ» أو «يا ربِّ ببركةِ البدويِّ يسِّرْ أمري».

كلُّ هذهِ ألفاظٌ شركيةٌ، يجبُ أنْ يجتنبَها المسلمُ.

ولا يجوزُ أنْ تطوفَ بقبرِ البدويِّ أوْ الدسوقيِّ أو غيرِهما؛ لأنَّه «لاَ طوافَ إلا بالكعبةِ» واللَّهُ يقولُ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

فمِن تمامِ إخلاصِ العبادةِ: ألاَّ تتوكلَ إلاَّ علىٰ اللهِ، ولا تَنذرْ إلاَّ للهِ، ولا تستعنْ إلا باللهِ، ولا تخفْ إلا مِن اللهِ.

فإنْ قالَ قائلٌ: هؤلاءِ أناسٌ صالحونَ، فلمَاذا لا نتوسلُ بهِم إلىٰ اللهِ؟

نقولُ: هؤلاءِ الموتىٰ - حتَّىٰ وإنْ كانوا صالحينَ - فلأنفسِهم فقط لا ينفعونَك بشيءٍ، إنَّما الذي ينفعُك إيمانُك.. تقْواكَ... عملُك الصالحُ.

فإنْ قالَ قائلٌ: فهلْ يجوزُ أنْ نطلبَ منهُم المددَ فنقولُ: «مَدَد يا جِيلانيُّ مثلاً».

الجوابُ: لا يجوزُ ذلكَ؛ لأنَّ الذي يَمُدُّ العبادَ بالقوةِ والصحةِ والرزقِ وغيرِ ذلك هو الله وحدهُ، قالَ سبحانه ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠].

فالمددُ مِن عَطاءِ ربِّك، وليسَ مِن عَطاءِ غيرِه .

أيُّها المسلمُونَ ! تنبَّهوا لهـذِه الزلاَّتِ التي تخدشُ نقاءَ العقيدةِ، وعلِّموها أبناءَكم، وبناتِكُم، وزوجاتِكم، وأمهاتِكم، فهي منتشرةٌ في النساءِ أكثرُ .

٢. دروس من قصة إبراهيم

الـدرسُ الأولُ: ظلَّ إبراهيمُ عليهِ السلامُ لا يُنجبُ، حتَّىٰ اشتاقَ إلىٰ الأولادِ والذريةِ، فتوجَّه إلىٰ اللهِ تباركَ وتعالَىٰ قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

فاستجابَ اللهُ دعاءَه.

حيثُ رأتْ زوجتُه سارَّةُ شوقَ إبراهيمَ للولدِ، فأهدتْ إليهِ خادمتَها «هاجرَ» وزوَّجته إياها؛ رجاءَ أنْ يرزقَ منها ولداً.

وظل إبراهيمُ يدعُو ربَّه ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فاستجاب الله دعاءه ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

فلمَّا وضعتْ هاجرُ ابنَه البكرَ «إسماعيلَ» فرحَ به فرحاً شديداً، وهنا جاء موعدُ الاختبارِ الأولِ، حيثُ أمرَ اللهُ إبراهيمَ أنْ يحملَ زوجتَه هاجرَ وابنها إسماعيلَ إلىٰ أرضٍ قاحلةٍ لا حياةَ فيها ولا ماءَ ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فحملهُما إلىٰ المكانِ الذي أُمر بهِ، ثمَّ وضعهما في هذه الصحراء تحتَ دَوحةٍ ـ شجرة ـ كما ثبت في البخاري ثم انطلقَ قافلاً، وقلبه يتقطَّعُ لفراقِ زوجته وابنه الذي كانَ يشتاقُ إليه.. كان في انتظارِه.. يتركُه هنا رضيعاً حيثُ لا أنيسَ ولا جليسَ.. لكنَّه أَمْرُ اللهِ ولابدَّ مِن التنفيذِ... بل لابدَّ مِن الطاعةِ والتسليم.

فقالتْ له زوجتُه: يا إبراهيمُ! أينَ تذهبُ وتتركُنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ وجعلَ لا يلتفتُ إليها، فقالت: آللهُ أمرَك بهذا؟

قالَ: نعمْ.

قالتْ: إذنْ لا يضيعُنا. ثم رجعَتْ.

فهذهِ روايةُ البخاريِّ.

وفي روايةٍ أُخرىٰ للبخاريِّ أيضًا: «قالتْ: يا إبراهيمُ إلىٰ مَن تتركُنا؟

قالَ: إلىٰ اللهِ.

قالتْ: رضيتُ باللهِ»[1].

إنه التسليمُ الكاملُ للهِ عزَّ وجلَّ، إنه الرِّضا بقضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

الدرسُ الثاني:

ظلَتْ هاجرُ بابنِها إسماعيلَ في الصحراءِ، فلمَّا نفدَ الماءُ هرولَتْ بينَ الصَّفا والمروةِ سبعَ مراتٍ؛ تبحثُ عَن الماءِ وفي المرةِ الأخيرةِ سمعَتْ صوتًا، فجاءتْ إلىٰ ابنِها فإذَا مَلَكٌ كريمٌ... إنه جبريلُ عليهِ السَّلامُ يضربُ بجناحِهِ الأرضَ، فنبعَ الماءُ مِن باطنِ الأرضِ بقدرةِ اللهِ، وجاءَتْ قبيلةُ جُرهم؛ لتستأذنَ مِن هاجرَ أنْ تنزلَ معهَا علىٰ الماءِ فوافقَتْ بشرطِ أن لا يكونَ لهمْ حقٌّ في الماءِ، وليشربوا كما يشربُ الناسُ، ولَمَّا كبرَ إسماعيلُ تزوجَ منهُم وتعلَّم منهم العربيةَ، فجاءَ إبراهيمُ ليرىٰ ابنَه، فلم يجدْه، فقالَ لزوجتِه: كيفَ حالُكم؟ فاشتكَتْ شدةَ الحياةِ، وجَهدَ العيشِ.

فقالَ لهَا: إذَا جَاءَ إسماعيلُ، فأقرئيهِ منِّي السلامَ، وقُولي له يغيرُ عتبةَ دارِه.

فلمَّا جاءَ أخبرَتْه، فقالَ: هذا أبِي يأمرُني بطلاقِك، الحقِي بأهلِكِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

وتزوَّج أخُرىٰ، وبعدَ مدةٍ جاءَ إبراهيمُ؛ ليزورَه فلمْ يَجدْه، فسألَ عنهُ قالَتْ: خرجَ للصيدِ، ثُم سألهَا عَن حالِهم: فأثنَتْ علىٰ اللَّهِ وقالَتْ نحنُ بخيرِ حالٍ.

فقالَ لها: إذا جاءَ إسماعيلُ، فأقرئيهِ السلامَ، وقُولي لهُ: يمسكُ عتبةَ دارِه.

فلمَّا جاءَ أخبرتْه، فقالَ لهَا: هذا أبي، يأمرُني بإمساكِكِ والمحافظةِ عليكِ.

ومرَّت الأيامُ ودارت اللَّيالي، وفي ليلةٍ من الليالي يَرىٰ نبيُّ اللهِ إبراهيمُ منامًا عجيبًا، إنه يذبحُ ابنَه العزيز عليهِ. . . الحبيبَ إلىٰ قلبِه. . . ورُؤىٰ الأنبياءِ وحيٌ.

فيذهبُ إلىٰ ابنِه وهو شابٌّ يسْعىٰ ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

وهذا اختبارٌ صعبٌ، فلو ماتَ مِن بين يَدَيه؛ لكانَ أهونَ عليه. . . ولكنَّه هو الذي يذبحُه بنفسِه. . يا لَهَا مِن نفسٍ صبورة . . . جسورةٍ ولكن لابدَّ مِن تنفيذِ أمْرِ اللهِ.

لأنَ كلَّ شيءٍ في سبيل اللهِ يهونُ، حتَّىٰ لو كانتِ النفسَ. . . أو الولدَ الذي ظلَّ ينتظرُه سنين عددًا.

فماذا كانَ جوابُ «الشابِّ الحليم».

﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

بل أنتَ سيدُ الصابرِينَ يا إسماعيلُ.

مَن يتحملُ ما تحمَّلت؟!

مَن يُطيق ما أطقْتَ؟!

استسلامٌ للذبح . . بلِ استسلامٌ لأمرِ اللهِ، لا أدرِي واللهِ مِن أيِّهما أعجب؟

أمن صبْرِ إسماعيلَ واستسلامِه للذبح إرضاءً للهِ، أَمْ من صبْرِ إبراهيمَ وإمساكِه بالسكينِ بيدِه لذبح ابنِه بنفسِه.

ولسانُ حَالِ إبراهيمَ يقولُ: «إنَّ للهِ مَا أخذَ وله ما أعطَى وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مُسمَّى»

وذهبَا إلى المكانِ المحددِ؛ لتنفيذِ أمرِ اللهِ ولسانُ حالِهما يقولُ: «لبيكَ اللهمَّ لبيكَ لبيكَ لاَ شريكَ لكَ لبيكَ إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملكَ لاَ شريكَ لك».

أينَ قلبُ الوالدِ الحنونِ؟!

قدْ أذعنَ للهِ واستسلمَ.

بلْ أينَ قلبُ الولدِ . . ألاَ يخافُ الموتَ؟! قدْ خضعَ للهِ واستسلمَ.

استسلمَ الوالدُ والولدُ للهِ . . بل أسلَمَا جميعًا لأمرِ اللهِ . . ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ [الصافات: ١٠٣].

إيْ واللهِ هذا هو الإسلامُ الحقيقيُّ.

أن نقدمَ أغلى ما نملكُ للهِ ربِّ العالمينَ.

يا مَنْ تشربُ الدخانَ . . لاَ نقولُ لكَ: اذبحْ ولدَك . . بل استسلِمْ وألقِ السيجارةَ عن فمِك.

يا مَنْ تقترضُ مِن البنكِ بالرِّبا . . . لا نقولُ لكَ: اذبحْ ولدَك ولكنْ استسلِم ورُدَّ المالَ للبنكِ وأقلعْ عنِ الرِّبا .

يَا مَنْ تسمعُ الأذانَ ولا تجيبُه . . لا نقولُ لكَ: اذبحْ ولدَك . . بل استسلِمْ للهِ وأقِمْ فرضَ اللهِ .

يا من تتبرجينَ فِي الشوارعِ . . . لا نقولُ لكِ: اذبحي ولدَكِ ولكن استري جسدَكِ بالحجابِ الذي أمركِ به اللهُ .

يا من تسهر أمام التلفاز المدمِّر للأخلاق، استسلِمْ للهِ وأغلِقْ هذا الجهازَ .

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: وضعَ جبينَ إسماعيلَ على التلِّ: وهو المكان المرتفعُ مِنَ الأرضِ .

فكبَّه على وجهِه للتلِّ، وجعل رقبتَه إلى أعلى؛ كي لا ينظرَ إلى وجهِه أثناءَ الذبح . . . يالَه مِن موقفٍ عصيبٍ . . . يعجزُ اللسانُ عن وصفِه . . . ويقفُ القلمُ عَن تسطيرِه .

إنَّ إبراهيمَ لنْ يذبحَه بيدِه . . إنه سيذبحُه بقلبِه . . بوجدانِه . . بشعورِه . . . بأحاسيسه، إنه الإيمانُ . . نعَمْ إنه الإيمانُ . . . الإيمانُ يتكلمُ . . . يتحركُ . . . ينفذُ أمرَ ربِّه .

ومسك السِّكينَ فعلاً وبدأ يذبحُ . . . اللهُ أكبرُ نجحَ الخليلانِ . . فاز النبيانِ . . . ظهرَ الصدقُ ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥] .

كانوا من المحسنِين في إيمانهم . . . في استسلامِهم . . . في تنفيذِ أمرِ ربِّهم .

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

ونزل جبريلُ بكبشٍ ؛ ليذبحَه إبراهيمُ فداءً لابنِه إسماعيلَ ، ولتظلَّ الأضحيةُ سنةً إلىٰ قيامِ الساعةِ .

نريقُ الدمَ في هذا اليومِ إحياءً لسنةِ أبينا إبراهيمَ . . . وإرضاءً لربِّ العالمينَ .

٣. سمات الأمة المسلمة

أمةَ الإسلام:

إنكم أمةٌ مختارة . . . أمةٌ مصطفاةٌ . . . أمةٌ متميزةٌ .

متميزةٌ في عقيدتِها . . . متميزةٌ في منهجها .

متميزةٌ في عبادتِها . . . متميزةٌ في أخلاقِها .

متميزةٌ في معاملاتِها . . . متميزةٌ في دعوتِها .

العقيدة:

عقيدتُكم عقيدةٌ راسخةٌ لا تتزلزلُ، شامخةٌ لا تتضعضعُ، واضحةٌ لا تتوارىٰ .

فعقيدتُكم في الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وعقيدتُكُم في أسمائه: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعقيدتُكُم في صفاتِه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

وعقيدتُكم في قضائِه وقدره: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩، ٥٠].

وعقيدتُكم في حُكمه وأمره:

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وعقيدتُكم في علمه:

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص: ٦٩].

وعقيدتُكم في غيبه:

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢ ـ المنهجُ:

أما منهجُكم يا أمةَ الإسلامِ: فخيرُ منهج، وأوضحُ سبيلٍ، وأقومُ طريقٍ.

أبانَ عنهُ ربُّ العزةِ يومَ نادىٰ:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٣ ـ العبادةُ:

أما عبادتُكم: فأشرفُ عبادةٍ.. وأزكىٰ قربة... وأعظم طاعة.

ولذا فقد أمركم اللهُ بالتوجُّهِ بها إليه وحدَه لا يشاركُه فيها شريكٌ، ولا يقاسمُه فيها قسيمٌ.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

٤ ـ الأخلاق:

وأما أخلاقُكم يا أمةَ الإسلامِ فأطهرُ خلقٍ وأرفعه . . . وأعلى مقامًا وأحسنه.

أرشدَكم اللهُ إلى حُسنِ الأخلاقِ فقالَ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣].

أَرشدَكم إلى حُسنِ المعاملةِ حتى مع أعدائكم فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وَبيَّنَ رسولُكم أنَّ حُسنَ الخُلقِ دليلٌ على كمالِ الإيمانِ فقالَ ﷺ: «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا»(١).

وكيفَ لا تكونونَ بهذِه المنزلَةِ مِن الأخلاقِ الرفيعةِ، وقد كان قائدُكم . . ومعلِّمُكم . . . وقدوتُكم ﷺ في قمتها.

يوم قال عنه خالقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وإنَّما عبَّر بلفظِ «على» الدالَّ على علوِّ المنزلةِ ورفعةِ المقامِ.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٧٤٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي بسند حسن من أجل محمد بن عمرو بن علقمة الليثي فهو صالح الحديث كما قال يحيى بن سعيد القطان وأبو حاتم. فحديثه لا ينزل عن الحسن، ولذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وله شاهدان عن عائشة وابن عباس يرتقي بهما إلى درجة الصحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٣٠).

٥ ـ المعاملاتُ:

أمَّا معاملاتُكم يا أمةَ الإسلامِ:

فقد نبعَتْ بالأخوةِ يومَ قالَ ربُّكم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

ونبضَتْ بالرحمةِ يومَ قالَ: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفاضَت بالسماحةِ يومَ قال:

﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

الدعوة:

أمَّا دعوتُكم يا أمةَ الإسلامِ:

فأساسُها العلم: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وطريقُها الحكمةُ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وسبيلُها الصبرُ: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧].

وشعارُها الدعاءُ للعاصينَ:

يومَ علَّمكم أبوكُم إبراهيمُ فقالَ: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

٤. الماضي المجيد

أمةَ الإسلامِ:

إنكم أمة، أحمديةُ المنهج... عُمَرِيةُ الحكْمِ... صَلاَحيَّةُ الجهادِ.

دُستورُها... كتابُ الله.

قُدوتُها.. رسولُ اللهِ ﷺ.

قِبلتُها... بيتُ اللهِ.

مآبُها... جنةُ اللهِ.

أمةَ الإسلامِ:

إنَّ لكم تاريخًا مشرقًا.. وماضيًا مضيئًا، ألستُم أنتُم الذين قُدتُم الدُّنيا بالإسلام وسُدتم العالَمَ بالقرآن؟!

وأظللتُمُ الورىٰ بالعدلِ والإيمانِ.

قولوا: بَلىٰ.

بلْ قولُوا:

نحنُ بالإسـلامِ كنا خيـرَ مَـعْشـر وحكَمْنا باسـمـه كِـسْرَى وقَـيْصَـر

وزرعنا الـعـدلَ في الـدنيـا فـأثمَـر ونشـرْنـا في الورَى الـلهُ أكـبـرْ

اللهُ أكبرُ... اللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ.

اللهُ أكبرُ. اللهُ أكبُر.. وللهِ الحمدُ.

فإذا أنكرَ عليكُم مُنكرٌ أو جحدَ فضلَكم جاحدٌ، فقولُوا:

سائلُوا التاريخَ عنا ما وعَى من حمَى حق فقيرٍ ضُيّعا
من بنى للعلمِ صرحًا أرفعا منَ أقَام الدينَ والدنيا معا

سيجيبُك المسلمُونَ
ألستُم أحفادَ الصدِّيقِ المبارَكِ؟!
وعُمرَ الفاروقِ؟!
وابنِ عبدِالعزيزِ الزاهدِ؟!
والمعتصمِ المجاهدِ؟!
ومحمدٍ الفاتحِ؟!
وابنِ المباركِ الواعظِ ؟!

نحنُ بالإيمانِ أحيينا القلوبْ نحنُ بالإسلامِ حررْنا الشعوبْ
نحنُ بالقرآنِ قوَّمنا العيوبْ وانطلقنْا في الشمالِ والجنوب

* * *

نحنُ بالأخلاقِ نوَّرنا الحياة نحن بالتوحيدِ أعلَينا الجِباه
نحنُ بالفرقانِ علَّمنا الرعاةْ نحنُ بالتكبيرِ زلزلنَا الطغاة

الله أكبُر . . . الله أكبُر . . . الله أكبرُ .
اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ .

أمةَ الإسلامِ :

لقد جمعَ دينُكُم بينَ القلوبِ ، وآخى بينَ النفوسِ ، وغضَّ الطرْفَ عن العناصرِ والأنسابِ .

أخـي في الـهِنـدِ أوْ في المـغـــــربِ أنـا مــنـك أنــتَ مـنِّــي أنـتَ بــي
لا تسلْ عَـن عُنصــري عَن نسَــبي إنَّـهُ الإســــــــــلامُ أمِّـي وأَبـي

٥. نظرة الأعداء إليكم

أمةُ الإسلامِ:

إنَّ أعداءَكم يعرفُون مصدرَ قوتِكم... وسببَ صمودِكم... وأساسَ وحدتِكم.

وقفَ أحدُهم يقولُ يومًا:

لن تستطيعوا السيطرةَ على المسلمِين إلا بأمرينِ:

تمزيقِ هذا الكتابِ مِن صدورِ المسلمِين.

وتدميرِ هذه الكعبةِ التي حَولَها يجتمعُون.

لكنَّا نقولُ: خيَّب الله ظنَّك.. وأخفقَ أملَك.. وردَّ كيدَكَ في نحرِك.

نحن صُممنا وأقسَمْنا اليمينْ أن نعيشَ ونموتَ مسلمين
مستقيمِين على الحقِّ المبينِ متحدينَ ضلالَ المبطلينْ

يومَ فاحَ حقدُهم.. وظهرَ كيدُهم فقالَ قائلُهم:

لابدَّ مِن تشكيلِ جيشٍ قوي؛ لاحتلالِ المدينةِ، وهدمِ المسجدِ النبويِّ مِنها لإرغامِ العربِ والمسلمينَ علىَ الخضوعِ لنَا، والركوعِ علَى أقدامِنا.

قالَ ذلك لأنه لا يعرفُ مَن أنت؟

وما طبيعتُك؟ وما هُويتُك؟

قل له:

أنا إن سألتَ القومَ عني مَن أنا … أنا مؤمنٌ سأعيشُ دومًا مؤمنًا

فليعلمِ الفجارُ أني هاهُنا … لن أنحني لن أنثني لن أركَنا

أنا مسلمٌ هل تعرفونَ المسلما؟ … أنا نور هذا الكونِ إنْ هو أظلَما

أنا في الخليقة ريٌّ مَن يشكو الظَما … وإذا دَعى الداعي أنا حامي الحِمَى

أنا مصحفٌ يمشي وإسلامٌ يُرى … أنا نفحةٌ علويةٌ فوقَ الثرى

الكون لي ولخدمتي قد سُخِّرا … ولِمَن أنا؟ أنا للذي خلقَ الورَى

مالي سوى نفسٍ تعزُّ على الشِّرا … قد بعتُها لله والله اشتَرى

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

٦. أحكامُ الأضحية

ضحُّوا عبادَ الله عَن أنفسكم وأهليكم، فإنَّ ذلك مِن تعظيم شعائرِ اللهِ ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

واعلمُوا أنَّ الأضحيةَ لا تجوزُ إلا بأربعةِ شروطٍ:

الشرطُ الأولُ: أن تكونَ من بهيمةِ الأنعامِ.

أيْ: مِن الإبلِ أو البقرِ أو الغنم.

الشرطُ الثَّاني: أنْ تكونَ قد بلغَتْ السنَ المعتبرةَ شرعًا.

فالضأن ما بلغ ستة أشهر، والماعز سنة، والبقر سنتَين، والإبلُ خمسَ سنواتٍ لا يجزئُ أقلُّ مِن ذلك[١].

الشرطُ الثالثُ: أن تكونَ سليمةً مِن العيوبِ.

لحديثِ البراءِ بن عازبٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**أربعٌ لا تجوزُ في الأضاحيِّ: العوراءُ البينُ عورُها، والمريضةُ البينُ مرضُها، والعرجاءُ البينُ ظلعُها**[٢]،

---

(١) كنت قد رجَّحتُ قديمًا أن الضأن ما بلغ سنة والماعز ما بلغ سنتين وذكرتُ ذلك في الأخطاء الشائعة» (١/ ٤١٩) ط/ الثانية في الخطأ (٣٨) من أخطاء العيدين وكنتُ قد تبعتُ في ذلك الإمام النووي رحمه الله في «المجموع»، وابنَ الأعرابي في تعريف الجذع من الضأن، والثني من الماعز، ثم زدتُ المسألة بحثًا فرجعتُ عن هذا القول إلى قول الجمهور وهو ما أثبته هنا، فليُعدَّل في كتاب الأخطاء، وراجع «المغني» (١٣/ ٣٦٨) و«الإفصاح» (١/ ٣٤٨)، و«طرح التثريب» (٥/ ٩٤).

(٢) الظلع: العرج.

والعجفاءُ التي لا تُنقي»[(١)][(٢)].

والعجفاءُ هي: الهزيلةُ التي اشتدَّ هُزالُها.

الشرطُ الرابعُ: أنْ يكونَ الذبحُ بعدَ صلاةِ العيدِ، فلا يجوزُ قبلَها ويمتدُّ الذبحُ إلىٰ آخرِ أيامِ التشريقِ علىٰ الراجح من كلام أهلِ العلم.

آدابُ الذبْح:

وهناكَ آدابٌ ينبغي مراعاتُها عندَ الذبْح:

١ - أنْ يحدَّ السكينَ بعيداً عنها.

٢ - أن يُسمِّيَ عند الذبح ويكبِّرَ.

٣ - أنْ يقولَ عندَ الذبحِ: اللهمَّ هذا عنِّي وعَن أهلِ بَيتي.

٤ - أنْ لاَ يُعطيَ الجازرَ منهَا شيئًا علىٰ سبيلِ الأجرةِ، وإنما يجوزُ أن يعطيَه علىٰ سبيلِ الهديةِ.

٥ - أنْ يفطرَ من أضحيتِه ولو مِن كَبدِها.

٦ - أنْ يَأكل ويتصدقَ ويُهدِي.

---

(١) لا تنقي: لا مخ لها لهزالها.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧) وقال حسن صحيح، والنسائي (٤٣٦٩)، وابن ماجة (٣١٤٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٤، ٢٨٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٩١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩١٩، ٥٩٢٢)، والحاكم (١/ ٤٦٧، ٤٦٨) وصححه، والبيهقي (٩/ ٢٧٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٦).

٧. رسالة إلى كل أخت مسلمة

أيتُها الأختُ المسلمةُ :

أنت مربيةُ الأجيالِ . . أنتِ صانعةُ الرجالِ .

أنتِ نصفُ المجتمع ثم إنكِ تلدينَ لنا النصف الآخرَ فأنتِ مجتمعٌ بأسْرِه .

إنَّ المرأةَ هيَ أولُ قلب نبضَ بالإسلام بعدَ قلبِ محمدٍ ﷺ . . نعمْ إنَّه قلبُ خديجةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها .

إنَّ للمرأةِ أن تفتخرَ بأنها أولُ شهيدةٍ في الإسلامِ . . نعمْ إنهَا سُميةُ رضِيَ اللهُ عنهَا .

فالمرأةُ قارةٌ في بيتِها ، لكنَّها تُخرِّجُ لنا العلماءَ الأجلاءَ ، والقادةَ والزعماءَ ، والمجاهدينَ الفضلاءَ .

فهي جالسةٌ في بيتِها تهزُّ المهدَ بيمينِها ، وتزلزلُ عروشَ الكفر بشمالِها .

فكاد لها أعداءُ الإسلامِ . . . فتغنَّوا بحريتهِا وهُم يريدُون استعبادَها .

ونادَوا بإخراجِها من بيتِها وهُم يريدُون إهانتَها .

وراودُوها عن كشفِ وجهِها ، وخلع حجابِها فمَن أطاعَتْهم مِنهنَّ . . قادوها إلى أسوأ مِن ذلك . . قادُوها إلى الكشفِ عن ساقَيْها وذراعَيْها ونحْرِها . . .

ثم ساقُوها إلى الشواطئِ ، لتضعَ ما تبقى من ثيابِها هناك . . . ! !

إنها خُطواتُ الشيطانِ ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ

زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ [الأنعام: ١١٢].

لا أيَّتُها الطاهرةُ... عُودي إلىٰ دينكِ وارجِعي إلىٰ بيتِكِ.. وارتدِي حجابَكِ، وامسحِي عن وجهكِ عارَ التبرج والسفورِ، عودي إلىٰ حيائِك، أيتها الحرةُ.

ارجِعي إلىٰ ربِّك أيتُها المؤمنةُ، ولا تنساقي وراءَ الدعاوَىٰ الباطلةِ.

أختاهُ يا أمةَ الإله تحشَّمي ... لا ترفعِي عنكِ النقابَ فتندَمي
صوني جمالكِ إنْ أردتِ كرامةً ... كيلا يجورَ عليك أدنَى ظالمِ
لا تُعرضي عَن هَدي ربِّك ساعةً ... عَضِي عليه مدَى الحياة لتغنمي
حُلَلُ التبرج إنْ أردتِ رخيصةٌ ... أما الحجابُ فثوبُ كُلِّ مكرمِ
أنا لا أحبُّ بأنْ أراكِ طليقةً ... شرقًا وغربًا في الجنوبِ ومشأمِ
لكنَّني أُمسي وأُصبح قائلاً ... أختاهُ يا أمةَ الإلهِ تحشَّمي

أما دعاة التبرج والسفور فقولي لهم:

أنا الفتاةُ المسلمة ... مصونةٌ مكرمةْ
عفيفةٌ محتشمة ... بين الورى محترمَةْ

* * *

بالدين والفضيلةْ ... وعِفتي الأصيلة
وشِيمتي النبيلةْ ... أنالُ كلَّ مكرمة

* * *

أسيرُ للأمامِ ... على هُدى الإسلامِ

نهجُ الكتابِ السامي أنا به ملتزمةْ

* * *

يأبى عليَّ الدينُ والخلقُ المتينُ
تبرجًا يشينُ أو سيرة مُتهمةْ

* * *

أعتزُّ بالحجابِ وسابغِ الثيابِ
رفيعةُ الآدابِ أحيا بها منعمةْ

الدعاء . . .



(١٨)

علاج انحراف الشباب

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ الانحرافُ والاستقامةُ.

٢ ـ دورُ اللسانِ بينَ الانحرافِ والاستقامةِ.

٣ ـ دورُ البصرِ بينَ الانحرافِ والاستقامةِ.

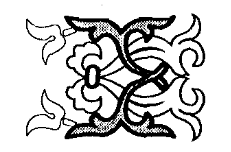
٤ ـ دور القلب بين الانحراف والاستقامة.

٥ ـ أسبابُ الانحرافِ.

٦ ـ صورٌ من الانحرافِ.

٧ ـ صورٌ من الاستقامةِ (نصرانيٌّ يعلنُ إسلامَهُ).

٨ ـ علاجُ الانحرافِ.



انحرافُ الشبابِ



وعلاجه في ضوء القرآن والسنة

بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

١ ـ كلمةٌ عن دورِ الشبابِ في الأمة:

أهميةُ الشبابِ ـ دورهُم في أمةِ الإسلامِ ـ مكانتُهُم في الجيلِ.

٢ ـ الانحرافُ والاستقامةُ:

من هو المستقيم؟

هو السائرُ علىٰ طريقِ اللهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا . . .﴾ [فصلت: ٣٠].

لا يمكنُ أن تتمَّ الاستقامةُ إلاَّ بعدَ التوحيدِ ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾. قل لِي في الإسلامِ قولاً لا أسألُ عنه أحداً بعدَكَ: **«قل آمنتُ باللهِ ثم استقِم»**(١).

٣ ـ دورُ اللسانِ في الانحرافِ أو الاستقامة:

يقول النبي ﷺ: **«أكثرُ خطايا ابنِ آدمَ في لسانِهِ»**(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨)، والترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجة (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان (٩٤٢).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني (١٠٤٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٤٠)، وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٨) رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح، وأبو الشيخ في «الثواب» والبيهقي بإسناد حسن، وقال الألباني في «الصحيحة» (٥٣٤): إسناده جيد علىٰ شرط مسلم.

عن أبي هريرةَ - رضي الله عنه - قال: «سئلَ رسول الله ﷺ عن أكثرِ ما يدخلُ الناسَ الجنةَ، فقال: «**تقوى الله، وحسنُ الخلقِ**»، وسئل عن أكثرِ ما يدخلُ الناسَ النارَ، فقال: «**الفمُ، والفرجُ**»[1].

يقول النبي ﷺ: «**من صمتَ نجَا**»[2].

اللسانُ رحبُ الميدانِ، ليسَ له مردٌّ، ولا لمجالِه منتهىٰ وَحَدٌّ، لهُ في الخيرِ مجالٌ رحبٌ، وله في الشرِّ ذيلٌ سحبٌ، فمن أطلقَ عذبةَ اللسانِ، وأهمَلَهُ مرخِي العنانِ، سلكَ به الشيطانُ في كل ميدانٍ، وساقَهُ إلىٰ شَفَا جرفٍ هارٍ، إلىٰ أن يضطَّرهُ إلىٰ دارِ البوارِ، ولا يَكبُّ الناسَ في النارِ علىٰ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٧٩٠٧، ٩٠٩٦، ٩٦٩٦)، من طريق داود بن يزيد عن أبيه عن أبي هريرة.

وهذا سند ضعيف فإن داود بن يزيد هو: ابن عبد الرحمن الأودي وهو ضعيف، ولكنه لم يتفرد به، بل تابعه أخوه إدريس بن يزيد وهو ثقة وثقه ابن معين والنسائي وغيرهما فقد رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجة (٤٢٤٦)، من طريق عبد الله بن إدريس حدثني أبي عن جدي عن أبي هريرة.

ولذلك قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب، وكذا حسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٠٤).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٥٩، ١٧٧)، والدارمي (٢٧١٣)، من طرق عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ به وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

قلت: وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف لسوء حفظه واختلاطه بعد احتراق كتبه «التهذيب» (٣٦٥٥) لكن رواه عن بعض العبادلة الذين حديثهم عنه صحيح.

منهم عبد الله بن المبارك فقال في كتاب «الزهد» (٣٨٥) أنبأ عبد الله بن لهيعة به عبد الله بن وهب فرواه في «الجامع» (١/ ٤٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٧)، وفي «الصحيحة» (٥٣٦).

مناخرِهم إلا حصائدُ ألسنتهِم.

ولا ينجو من شرِّ اللسانِ إلا من قيدَهُ بلجامِ الشَّرعِ، فَلا يطلقُهُ إلاَّ فيما ينفعُهُ في الدنيَا والآخرةِ، ويكفُّهُ عن كلِّ مَا يخشَىٰ غائلَتهُ في عاجلِهِ وآجلِهِ.

٤ ـ دورُ البصرِ في الاستقامة والانحراف:

النظرُ هوَ المرآةُ التي تنفذُ منهَا الصّورُ إلىٰ القلبِ لترتسِمَ في النفسِ، ويتشكلُ التفكيرُ حينئذٍ من هذا المنطلقِ.

يقولُ امرؤُ القيسِ في وصفِ سرعةِ فرسِهِ:

مكر مفر مقبل مدبر معًا   كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من علِ

ويقولُ شاعرٌ بدويٌّ يمدحُ الخليفةَ:

أنتَ كالكلبِ في حفاظِكَ للودِّ   وكالتيسِ فِي قِراعِ الخطُوبِ

٥ ـ دورُ القلبِ في الاستقامة والانحراف:

في «الصحيحينِ»: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغةٌ، إذا صَلَحَتْ صلَحَ الجسدُ كُلُه، وإذا فسدَتْ فسَدَ الجسدُ كُلهُ، ألا وهيَ القلبُ**»[1].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

مداخل الشيطان لإفساد القلوب

أهمية القلب:

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، الذي تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبي ﷺ: «ألا وإنَّ في الجسدِ مضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ»[١] فهو ملكها وهي المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما يأتيها من هدايته ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسئول عنها كلها؛ لأن كل راع مسئول عن رعيته. اهـ[٢].

ولذا كان القلب هو محل الاختبار والابتلاء، وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الفتَنُ عَلَى القُلُوبِ كَعَرْضِ الحَصير عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبُهَا نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ سوداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكتَتْ فيه نُكْتَة بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصير على قَلْبَين، قَلْبٌ أبيضُ مثل الصَّفَا، فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دَامَت السَّمَوَاتُ والأرضُ. والآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كالكوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلاَّ ما أُشْرِبَ مِن هَوَاهُ**»[٣].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري رقم (٥٢) في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم رقم (١٥٩٩) في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم رقم (١٤٤) في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ :

فشبه عَرْضَ الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا، كعرض عيدان الحصير وهي طاقاتها شيئًا فشيئًا، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عُرضت عليه فتنة أُشربها، كما يشرب الإسفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تُعرض عليه حتى يسودَّ وينتكس، وهو معنى قوله: «كالكوز مُجَخِّيًا» أي: مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسوَدَّ انتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطيران متراميان به إلى الهلاك:

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر فلا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض، حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقًّا.

الثاني: تحكيمه هواه علي ما جاء به النبي ﷺ، وانقياده للهوى واتباعه له.

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصابحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه وقوته.

* والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. اهـ.

ولذلك يجب على المسلم أن يراقب قلبه ويتعرف أحواله ويتخولە بالموعظة بين الحين والآخر، وليعلم أنه بصلاحه تكون السعادة الأبدية، وبفساده يكون الشقاء والبلاء والخسران المبين.

٦ ـ أسبابُ الانحراف:

(١) إهمالُ الوالدينِ لابنهما:

إن أهملَ ولده في الدراسةِ عاتبَه أُشدَّ العتابِ، لكن إن أهملَ في الصلاةِ. . . لم يهتم.

حضورُ المدرسةِ أم حضورُ الصلاةِ لأيِّهما تهتَمُّ؟

من مِنا يجمعُ أبناءَه يومًا في الأسبوعِ ويقرأُ عليهِم شيئًا من سيرةِ الرسولِ ﷺ.

تخرَّجَ جيلُ المسلمينَ اليومَ يتشَبهُ بالشرق تارةً، وبالغربِ أخرىٰ؛ لأنهُ حيرانٌ، لا يدري أينَ القدوةَ.

لو أعلمُوا عمرَ الفاروقَ نسبَتهُم   وأخبَرُوه الرزايا أنكرَ النسَبَا

من زمزمٍ قد سقينَا الناسَ قاطبةً   وجيلُنا اليومَ من أعدائه شرِبَا

ولذا وُجِدت فئامٌ من الشبابِ اليومَ مثلهُم كمثلِ الذي ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الشابُّ الذي ليسَ لديه نازعٌ دينيٌّ كالسيارةِ بلا فرامل.

(٢) أصدقاءُ السوءِ:

«المرءُ على دينِ خليلِه، فلينظُرْ أحَدُكُم من يُخَالِل»[١].

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وقال: حسن غريب. وأحمد (٨٠٢٨)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧).

لا تسل عن المرءِ وسلْ عن قرينه فإن القرينَ بالمقارنِ يقتدي

عليكَ باختيارَ الصديقِ الذي يذكِّركَ إذا نسيتَ، وينبهُكَ إذا غفلتَ، ويعينكَ إذا كَسَلتَ.

قصةُ الحسنِ من المغتابِ:

بلغ الحسنَ البصري أن رجلاً اغتابه، فأرسل إليه طبقًا من رطب وقال: بلغني أنك أهديتَ لي من حسناتِك، فأردتُ أن أكافئك، ولن أستطيعَ أن أكافئك على التمامِ فسامحني.

(٣) البعد عن مجالسِ الذكر:

يسببُ قسوةً في القلبِ، وجفاءً في النفسِ.

لأنَّ مجالسَ العلمِ تُقَوي الإيمانَ.

(٤) مشاهدةُ الأفلامِ الخليعةِ والأغاني والموسيقى:

يُنقِصُ الإيمانَ.

الغناءُ ينبتُ النفاقَ في القلبِ كَمَا ينبتُ الماءُ البقلَ.

المشاهِدُ للفيلمِ معذَّبٌ لنفسِهِ؛ لأنهُ يشْتَاقُ إلى فِعلِ الفَاحِشَةِ، ولا يستطيعُ أن يصلَ إليهَا...

الأفلامُ تعلمُ الشبابَ طرقَ العشقِ الحرامِ.

(٥) غلاءُ المهور وتعقيدُ الزواجِ:

إذا تَعسَّرَ طريقُ الحلالِ أمامَ الشَّابِّ فماذَا يصنعُ؟

غلاءُ المهورِ عقبةٌ في طريقِ استقامَةِ الشبَابِ.

وعلاج ذلك بالصيام، فإنه له وجاء.

(٦) الفراغُ:

«نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ منَ الناسِ: الصحَةُ، والفراغُ»[١].

«إنْ لم تشغَلْ نفسَك بالخيرِ شَغَلتكَ بالباطِلِ».

(٧) الجهلُ:

سببٌ كبيرٌ من أسبابِ الانحرافِ.

الجاهلُ يسيرُ في ظلماءَ، ويتخبطُ في عشواءَ.

وطالب العلم يمشي في النور بقدر علمه فيعرف أين يضع قدمه، وماذا يحل له، وماذا يحرم عليه وللتعلم طريقان: الأول: طلب العلم على يد العلماء، وقراءة الكتب وسماع الأشرطة ونحو ذلك.

الثاني: سؤال أهل العلم عن كل أمرٍ يريد أن يفعله.

٧ ـ صورٌ من الانحراف:

١ ـ رجلٌ أسلمَ ثمَّ ارتَدَّ:

في «الصحيحينِ» عن أنسٍ قالَ: كانَ رجلاً نصرانيًّا أسلمَ، وكتبَ للنبي ﷺ وقرأ البقرةَ وآل عمرانَ، ثمَّ ارتَدَّ إلى النصرانيةِ، ثم ماتَ، فقامَ النصارى ودفنوهُ، فلما أصبَحُوا وقد لفظتهُ الأرضُ، فقالَ النصارى: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابِهِ، فدفنوهُ ثانيةً وأحكمُوا دفنَهُ، فأصبحُوا وقد لفَظتهُ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٢)، الترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجة (٤١٧٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٥٨)، والدارمي (٢٧٠٧)، وابن المبارك في «الزهد» (١)، والطبراني في «الكبير» (١٠٧٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٦).

الأرضُ، فقالُوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابُهُ، فدفنُوهُ ثالثةً وعمَّقوا له في الأرضَ بحيثُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يصلَ إليه، فأصبَحُوا وقد لفظتهُ الأرضُ... فعلمُوا أن هذا الأمرَ من عندِ اللهِ تعالى[1].

هكذا تكونُ نهايةُ المنحرفينَ عن منهجِ اللهِ.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

٨ ـ شابٌّ نصرانيٌّ أسلمَ:

شابٌّ نصرانيٌّ يدعىٰ شاكر جورج، ولد (١٩٣٨) بلبنانَ، أخذ دراستَهُ الابتدائيةَ والإعداديةَ في الدينِ المسيحِي، وكانَ كاثوليكيًّا متعصبًا.

يقولُ: شاءَ اللهُ أن أدخلَ الجامعةَ الأمريكيةَ، وسكنتُ في القسمِ الداخِلي منهَا، وكان معنا شابٌّ مسلمٌ، هو الوحيدُ المسلمُ بيننَا، يدعىٰ: «محمد الشحيمي».

وكانتْ بيني وبينَه مودةٌ، فوجدت في يدِهِ قصةٌ، فقلتُ: أعطِنِي هذهِ القصةَ، فقالَ: هذهِ ليستْ قصةٌ.

قلتُ: مَا هيَ؟

قالَ: هذَا جزءٌ منَ القرآنِ ـ جزءُ عَمَّ.

قلتُ: أعطينيهِ أقرأهُ؟

قالَ: لا.

قلتُ: لِمَ؟

قالَ: لأنَّه لا يمسُه إلاّ المطهرونَ، اذهب فاغتسلْ ثم خذهُ اقرأهُ.

قال: ففعلتُ، ثم أخذتُ أقرأُ فيهِ، وأنا أشعُرُ بأنَّ هذَا الكلامَ يجذبُني من داخِلي، ويدخُلُ في وجداني.

فأخذتُ أقرأُ حتىٰ وصلتُ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ...﴾.

قلتُ: يا محمدُ، ما مناسبةُ هذه الآيةِ؟

قالَ: أنا لا أعرفُ شيئًا في الدِّينِ، ولكن يمكن أن آخذك إلىٰ شيخٍ فقيهٍ في الدينِ.

قالَ: فاتفقنَا أن نذهبَ إليه في العطلةِ الأسبوعيةِ «يومَ الأحدِ».

قالَ: فرحبَ بي، وأجلسَني، وكان شَيخًا وقوراً، وكانتْ الابتسامةُ لا تفارقُ شفتيهِ.

فقلتُ: أيها الشيخُ، ألا تعلمَني معَنى هذهِ الآيَات؟

فقالَ: «يَا بُني، هذَا القرآنُ أنزَلهُ اللهُ علىٰ محمدٍ ﷺ بواسطةِ جبريلَ، ثم أخذ النبي يبلغُ بعضَ أشرَافِ قريشٍ من الكفارِ، فجَاءهُ رجلٌ فَقيرٌ أعمىٰ يسترشدُ عن أمرِ دينهِ فأعرض عنهُ حتَّىٰ ينتهِيَ منْ تَبْليغِ الأشرافِ فعَاتَبَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الآيَات...»

قالَ: فَلمَّا ذَهبتُ إلىٰ الكَنيسةِ سألتُ القسيسَ:

هلْ أنَا إنسَانٌ؟

قالَ: نَعم، أنتَ إنسانٌ.

قلتُ: لوْ أنني تحولتُ في يومٍ إلىٰ جمادٍ هل تظلُّ صفاتُ الإنسانيةِ مصاحبةً لي أم أفقدُها؟

قالَ: بل تفقدُهَا.

قلتُ: فكيفَ نقولُ نحنُ النصارىٰ إن اللهَ انتقلَ إلىٰ إنسانٍ، واجتمعَ بالعذراءَ ولم يفقدْ صفاتِ الألوهيةِ؟

قالَ: الذي أوحىٰ لكَ بهذا الكلامِ شيطانٌ.

قلتُ: أريدُ أن تقنعَني؟

قالَ: تعالَ بعدَ غدٍ.

قالَ: وفي اليومِ المحددِ مرضَتْ والدتِي؛ فلم أستطعِ الذهابَ، ولكني

ذهبتُ لزيارتِها، فقالت أمي: هلموا يا أولادِي نصلِّي لمريمَ العذراءَ.

فقلتُ: يا أمي، لو كان اليسوعُ إلهًا لماذا لم يدفع عن أمهِ الموتَ؟

هل لو جاءَ أحدٌ يخطفُكِ من أمامِي أتركُه؟ قالت: لا، قلتُ: فَلِمَ تركَها؟

فقالتْ: أنتَ مجنونٌ.

قالَ: فلم أصلِ للعذراءَ، ولكني ذهبتُ إلى أبِي.

وقلتُ: يا أبي، أقرأُ في الإنجيلِ أن اليسوعَ يستطيعُ أن يعيدَ الهيكلَ في ثلاثةِ أيامٍ، هل هذا صحيحٌ؟

قالَ: نَعم.

قلتُ: لَمَّا مَاتَ اليسوعُ ثلاثةَ أيام من ضَبطَ العالمَ في هذهِ الأيامِ؟!

قال: لي أخٌ اسمُهُ جورج مهندسٌ طيارٌ.

وأخٌ اسمهُ جوزيف محامٍ.

قال: قلتُ لجوزيف: إن الوصايا العشر المنسوبةَ إلى عيسى هي في الحقيقة لموسى، قال: وما يدريكَ؟

قلتُ: لأن ديانة موسى فيها شريعةٌ وأحكامٌ، أما ديانةُ عيسى فليسَ فيها أحكامُ، وأنت تعلم ذلك لأنك محام، قال: نعم.

قال: لم أجد شفاءً لقلبي، ولا جوابًا لأسئلتي في مُحيطي الأسَري.

قال: فاتصلتُ بأحدِ المسلمينَ وأردتُ أن أعلنَ إسلامي، لكننِي على خوفٍ ووجلٍ من النصارى.

قالَ: اذهب إلى فلانٍ وكلمه، فهو مسلمٌ، وله عائلةٌ قوية تستطيع أن

تحميكَ من بطش النصارىٰ.

قالَ: فوافقَ الرجلُ، وذهبت للمحكمة الشرعيةِ، وأعلنتُ إسلامي.

قالَ: كان أبي ذا مركزٍ اجتماعي، فرفعَ قضيةً بأنني مجنونٌ، قالت: فحكمت المحكمة بأنني مجنون، ومسكوني، وأدخلوني مستشفىٰ الأمراض العقلية.

قال: فجلست في مستشفىٰ المجانين فترة، ثم استدعاني الطبيب لما لم يرَ مني حركات المجانين.

فذكرتُ له قصتي، فأطلقَ سراحي، وأعطاني شهادةً بأنني بكامل قواي العقليةِ.

قال: فعدتُ إلىٰ المحكمةِ مرةً أخرىٰ لتسجيلِ اسمي معَ المسلمينَ، ولكن قبل الجلسةِ جاءني القسيسُ، وخاطبني قائلاً: هذا شيك بـ ١٥ ألف ليرة لبنانية تأخذهُ بشرطِ أن تقول كلمةً واحدةً.

قلت: ما هي؟

قالَ: تقول إنني نطقتُ بالشهادةِ وكنتُ سكرانًا.

قالَ: فأخذتُ الشيكَ.

قالَ: فلما دخلت علىٰ القاضي قلت له: الذي يدخل في الإسلام كم تعطوه؟ قال: لا نعطيه شيئًا، بل نتركه لله.

قلتُ: ولكن هذا أعطاني شيكًا بخمسة عشرة ألف ليرةً لبنانيةً علىٰ أن أقول إني كنتُ سكرانًا، وهذا هو الشيكُ قد تبرعتُ به لبيتِ أيتامِ المسلمينَ. فوقعَ القسيسُ مغشيًّا عليه، وأعلنتُ إسلامي.

وفي يوم وأنا خارجٌ من المسجدِ يومًا قربت مني سيارةٌ، ثم نزلَ منهَا اثنان ومعهُما أخي وفي يدِهِ خنجَر، وأخذ يضربنِي بالخنجرِ حتىٰ أرداني علىٰ الأرضِ، ومضت السيارةُ وحُملت إلىٰ المستشفىٰ حتىٰ تم شفائي.

قال: فانتقلتُ إلىٰ الأردن، وفي يوم آخر حدثَ نفسُ الأمرِ حيثُ اقتربت السيارةُ مني ومعهم أخِي أيضًا، فلمَّا رأيتهُم أسرعتُ هربًا فلم يدرِكونِي.

ثم ذهبت إلىٰ الكويت بعيداً عنهم.

ولكن بقيت مشكلةٌ أخرىٰ وهي أن ابنة خالتِي كانت قد أرادت الإسلامَ، واتفقتُ معها إن أسلمت تزوجتُها، ولكنها ضعيفةٌ، لا تستطيعُ أن تفِر.

وفي يومٍ من الأيامِ جاءني خطابٌ منها تقول فيه: «نحنُ في خطرٍ إما أن تحصِد زرعكَ وإلا حُصِد».

وكانُوا قد عزمُوا علىٰ تزويجِها من نصرانِي.

قال: فعزمت علىٰ تخليصها.

فركبتُ في سيارةٍ من الكويت إلىٰ الأرُدن، ولكن السيارة اصطدمت، ولم أشعُر بشيءٍ إلا وأنا في المستشفىٰ، ولكني فوجئتُ بأختي وابنةِ خالتي جاءتا لزيارتِي، قال: ورسمنا خطةً وتزوجتُها وأخذُتها معي إلىٰ الكويتِ.

٩ ـ علاجُ الانحرافِ:

١ ـ اهتمامُ الآباءِ بالأبناءِ.

٢ ـ مصاحبةُ الصالحينَ.

٣ ـ كثرةُ تلاوةِ القرآنَ.

٤ ـ حضورُ جلساتِ الذكرِ.

٥ ـ طلبُ العلم.

٦ ـ كثرةُ الذكرِ.

٧ ـ الإكثارُ من هذا الدعاءِ:

«اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنتَ خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاَها».



(١٩)

كيف تبدأ في طريق الله؟

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ الباعث على هذا الموضوع.

٢ ـ بداية المهتدين.

٣ ـ وقفة مع القلب.

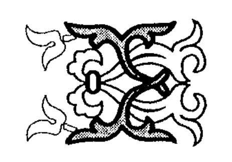
٤ ـ وقفة مع اللسان.

٥ ـ وقفة مع العين.

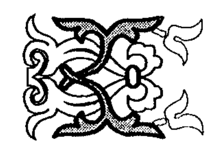
٦ ـ وقفة مع الأذن.

٧ ـ وقفة مع البطن.





كيف تبدأ في طريق الله؟



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

١ ـ الباعثُ على هذا الموضوعِ:

أيها المسلمونَ الفضلاءُ:

شابٌّ انغمسَ في المعاصِي فترةً، ثم عادَ إلىٰ اللهِ واهتدَىٰ . . . فكيفَ يبدأُ؟

رجلٌ خلطَ عملاً صالحًا وآخر سيِّئًا . . . يريدُ أن يستقيمَ . . فكيفَ يبدأُ؟

رجلٌ يستقيمُ علىٰ الحَق فترةً . . . ثم يغلبُهُ شيطانُهُ فيتلوثُ ببعضِ المعاصِي . . ثم يفيء إلىٰ أمرِ اللهِ . . فكيفَ يبدأُ؟

شابٌّ متهاونٌ . . مقصرٌ، . . . مفرطٌ . . . ولكنهُ فوجئ بموتِ قريبٍ . . . أو فَقْد صديقٍ . . . أو رحيلِ عزيزٍ . . . فثابَ إلىٰ رشدِهِ . . . فكيفَ يبدأُ؟

شاب لا يهتَم إلا بأمورِهِ الدنيويةِ . . . مفرطٌ في أمرِ دينِهِ . . جاءَ ليلةً إلىٰ فراشِهِ لينَامَ . . فلم يأتِهِ نومٌ . . . ولم يغمض له جفنٌ . . . مرةً علىٰ يمينِهِ . . . وأخرىٰ علىٰ يسَارِهِ . . . دونَ جدوَىٰ . . . فقامَ وتوضَأَ . . وصَلَىٰ ركعَتينِ . . . فإذَا بقلبِهِ يخشعُ . . ودمُوعُه تَنهمِرُ . . . وفَرائصُهُ تَرتَعدُ . . وكانَتْ البدايةُ . . ولكن كيفَ يبدأُ؟

رجلٌ صَلى خلفَ إمَامٍ حسَنِ الصوتِ.. فخَشَعَ قَلبُه.. ولَكن كيفَ يبدأُ؟

رجُلٌ سمعَ شَريطًا مُؤثرًا... فتَأثَّر بِهِ... ولَكن كيفَ يبدأُ؟

لهَؤلاءِ ولغيرهِم أقَدمُ محَاضَرتِي هَذِهِ.

عَلَّها تَلينُ بهَا القلوبُ.. وتَدمعُ بهَا العُيونُ.. وتبصرُ الطَريقَ... وتوقفُ على مَعالمهِ.

٢ ـ بدايةُ المهتدينَ:

منهجٌ عظيمٌ . . . وطريقٌ قويمٌ . . . وصراطٌ مستقيمٌ . . . وضَعَهُ لكَ علَماءُ القلوبِ . . وأطباءُ النفوسِ . . . لتَسيرَ عليهِ .

وهوَ «التخليةُ والتحليةُ» .

أرأيتَ لَو أن كُوبًا بِهِ مادَةٌ فاسدةٌ (قارٌ أو زفتٌ) وأردتَ أن تملأهُ لَبَنًا . . ماذَا تصنعُ؟

تسكُبُهُ . . . أولاً .

ثم تغسلهُ حتىٰ يطهرَ . .

ثم تملؤه .

فكذلِكَ القلبُ يتفرغُ من الموادِّ الفاسدةِ أولاً مثلَ :

١ ـ الشهواتُ، حبُّ الدنيَا، الكبرُ، الغرورُ، اتباعُ الهوَىٰ، طولُ الأمل، العجبُ . . . التكاسل عن الطاعة .

٢ ـ ثم يغسلُ بتوبةٍ صادقةٍ ـ حتىٰ يصيرَ طاهراً نقيًّا .

وهذِهِ هيَ التخليةُ .

٣ ـ ثم يحلىٰ بالفضائل مثلَ :

١ ـ الخشوعُ، الخضوعُ، محبةُ الخيرِ للمسلمين، الرغبةُ في الجنةِ، الخوفُ من النارِ . . . تعظيمُ أمرِ اللهِ . . . إلخ .

٣ ـ وقفةٌ معَ الأصدقاءِ :

في بداية الطريق لا بد أن تتخلىٰ تمامًا عن أصدقاء السوء الذين كانوا سببًا في بعدك عن طريق اللَّه .

ثم تبدأ في انتقاء أصدقاء صالحين يدلونك على الخير ويشجعونك عليه، وينهونك عن الشر ويحذرونك منه.

وهذه وصية الحبيب ﷺ لك حيث قال: «لا تُصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيّ»(١)، وقال: «المرءُ عَلَى دِينِ خَلِيله فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكم مَن يُخالِل»(٢).

٤ ـ وقفةٌ مع القلب:

كيفَ يدخلُ الشيطانُ إلى القلبِ؟

قصةُ العابدِ، والأخوةُ الثلاثةُ الذينَ تركُوا أختَهم عندَه(٣).

يدخلُ بخطواتٍ خفيةٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١].

من أمراضِ القلوبِ التي يجبُ أن تنقى منها:

١ ـ حبُّ الدنيَا:

لقد زينَ الشيطانُ الدنيَا وزخرفَها في قلوبِ كثيرٍ منا ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

وقد حدثَ شيء كثيرٌ من هذا ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد (٣/ ٣٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وقال حسن غريب، وأحمد (٢/ ٣٠٣)، والحاكم (٤/ ١٧١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧).

(٣) راجع «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» (ص: ١٦١).

ولو عَرَفَ الناسُ حقيقةَ الدنيَا ما أقامُوا لها وَزنًا .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ [الحديد: ٢٠] .

ولقَد حذرَنَا الرسُولُ ﷺ منَها :

روَىٰ مسلمٌ عن أبي سَعيدٍ: «إن الدنيَا حُلوةٌ خضرة، وإن اللـهَ مستَخلفَكُم فيهَا فَينظرُ كيفَ تَعملُونَ... فَاتقُوا الدنيَا واتقُوا النسَاءَ»(١).

ورَوَىٰ مسلمٌ عن عبدِالله بنِ الشخِيرِ قَالَ: أتَيتُ رسولَ الله ﷺ وهوَ يقرأُ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرِ ﴾ [التكاثر: ١] .

قَالَ: «يقولُ ابن آدمَ: مَالي، مَالي، وهل لكَ مـن مالكَ إلا مَا أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدقتَ فأبقيتَ»(٢).

الحسنُ البصرِي يقولُ: «رحِمَ اللهُ أقوامًا كَانت الدنيَا عندَهم وديعَة فأدوها إلىٰ من ائتمنَهم عليَها، ثم راحُوا خفَافًا» .

٢ ـ طولُ الأملِ: ولكن ما السببُ في حبِّ الدنيَا؟

إنه طُولُ الأملِ . . . إذا دخَلَ القلبَ طولُ الأمَلِ . . . سوَّف صاحبُه

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٤٢)، والترمذي (٢١٩١) وابن ماجة (٤٠٠٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٩، ٢٢، ٤٦، ٤٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٦٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٨)، والترمذي (٢٣٤٢)، والنسائي (٣٦١٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٤٩٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٤، ٢٦)، وفي «الزهد» (١٧، ٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٣٣، ٥٣٤، ٤/ ٣٢٢، ٣٢٣).

في العـمَلِ، وخرَّب أخـراَهُ . . . وعـمَّر دنـيَاه، وفي الحـديث عن أبي هريرة قال: قالَ ﷺ: «**لا يَزالُ قلبُ الكبيرِ شابًّا في اثنتين: في حب الدنيَا، وطول الأَمَلِ**»(١) .

وذَكـرَ البـخـاري عن علي بن أبي طالبٍ: «ارتحَلتْ الـدنيَـا مـدبرةٌ، وارتحلتْ الآخرةُ مقبلةٌ، ولكل واحـدةٍ منهـمَا بنونَ. . . فكـونوا من أبناءِ الآخرةِ، ولا تكُونُوا من أبناءِ الدنيَا . . . فإن اليومَ عـمَلٌ ولا حسَابُ . . وغداً حسَاب ولا عَمل» .

وقد قِيلَ:

إنا لـنفـرَحُ بالأيـامِ نقْطَـعُـهَـا ... وكلُّ يـومٍ مـضَى يدني مـنَ الأجَلِ
فاعـملْ لنفسكَ قَبلَ الموتِ مجتـهداً ... فـإنما الـربحُ والخسـرانُ في الـعَـملِ

وفي «البخاري» عن ابنِ عمرَ قالَ: «أخَذَ رسُولُ اللهِ ﷺ بمنكَبي فقَالَ: «**كُن في الدنيَا كأنكَ غريبٌ، أو عَابرُ سبيلٍ**».

وكان ابنُ عمرَ يقولُ: «إذَا أمسَيتَ فلا تنتظرَ الصباحَ . . . وإذَا أصبَحتَ فَلاَ تنتظرَ المسَاءَ، وخُذ من صحتكَ لمرَضِكَ، ومن حَياتِكَ لموتِكَ»(٢) .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٦)، والترمذي (٢٣٣٨)، وابن ماجة (٤٢٣٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٨، ٣٩٤، ٤٤٣، ٤٤٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢١٩، ٣٢٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٦٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجة (٤١١٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٣٤٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٦٩).

٣ ـ الكبرُ: داءٌ مهلكٌ... ومَرضٌ عضالٌ... ومنحنىٰ خطيرٌ.

يصرفُ اللهُ المتكبرَ عن آياتِهِ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

بل يطبعُ علَىٰ قلوبِهِم: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

وفي مسلم عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ من كانَ في قلبِهِ مثقالَ ذرةٍ من كبرٍ»(١).

أسبابُ الكبرِ:

المالُ، السلطانُ، القوةُ، العلمُ، الجمالُ.

فينبغِي أن تفتشَ في قَلبِكَ، وتُطَهرهُ من الكبرِ(٢).

٤ ـ اتباعُ الهَوى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. ومن تحكَّمَ فيه هواهُ قادَهُ إلىٰ الخسرانِ والهوانِ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨، ١٩٩٩)، وابن ماجة (٥٩)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٤، ٥٤٦٦).

(٢) راجع «الوقاية» (١٩٠ ـ ١٩٨) ففيه حكايات عن المتكبرين.

٥ ـ احتقارُ الذنوبِ: روىٰ أحمدُ بسندٍ حسنٍ عَن سهلِ بن سعدٍ مرفوعًا: «**إياكُم ومحقراتُ الذنوبِ، فإنما مثلُ محقرات الذنوبِ كمثلِ قومٍ نزلُوا بطنَ وادٍ، فجاءَ ذا بعودٍ، وذا بعودٍ، حتى حملوا ما أنضحوا به خبزَهم، وإن مثلُ محقراتِ الذنوبِ متى يؤخذُ بهاً صاحبُهَا تُهلكُهُ**»(١).

٥ ـ وقفةٌ مع اللسان: اللسانُ إما أن يقودكَ إلىٰ الجنةِ، وإما أن يقودكَ إلىٰ النارِ؛ ولذلكَ يقولُ النبي ﷺ: «**أكثرُ خطَايا ابن آدمَ في لسانه**»(٢).

ويقولُ أيضًا: «**من يضمنُ لي مَا بينَ لحييه، وما بين رجليهِ أضمن له الجنةَ**»(٣) يعني اللسانَ والفرجَ.

١ ـ الكذبُ:

١ ـ عن ابن مسعودٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «**عليكُم بالصدقِ؛ فإن الصدقَ يهدي إلى البـرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنةِ، وما يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرى الصدقَ حتى يكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقًا.**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٣١)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٢)، و«الأوسط» (٧٣١٩)، و«الصغير» (٩٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧٢٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٠٣) كلهم من طريق أنس بن عياض قال حدثني أبو حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد به وإسناده صحيح وهو من ثلاثيات الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٨٦) وفي «السلسلة الصحيحة» (٣٨٩).

(٢) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٠٤٤٦)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٨) وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٠٠)، وقال رجاله رجال الصحيح وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٠١)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٥٣٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ١٦٦).

وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفُجورَ يهدي إلى النارِ، ولا يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرى الكذبَ حتى يكتبَ عندَ الله كذابًا»[(١)].

٢ ـ «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدثَ كذبَ، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا اؤتمنَ خانَ»[(٢)].

٢ ـ الغيبةُ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

٣ ـ النميمةُ: نقلُ الكلامِ بين الناسِ على جهة الإفسادِ.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ⑩ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ نمامٌ»[(٣)].

وعن ابنِ عباسٍ أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بقبرينِ يعذبان، فقالَ: «إنهما يعذبانِ، وماَ يعذبَانِ في كبيرٍ، بلى إنه كبيرٌ، أما أحدُهمَا فكَانَ يمشي بين الناسِ بالنميمةِ، وأما الآخرُ فكانَ لا يستترُ من بولِه»[(٤)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٤)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، والترمذي (٢٦٣١)، والنسائي (٥٠٣٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٨٥، ٢٨٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، وفي «الأدب المفرد» (٣٢٢)، ومسلم (١٠٥)، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي (٢٠٢٦)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٤)، والحميدي في «مسنده» (٤٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٦٥)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٤٧)، وغيرهم وقد ورد لفظ نمام وقتات وهما بمعنى واحد.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجة (٣٤٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٢٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٢٨).

٤ ـ اللعنُ: عن ابنِ عمرَ مرفُوعًا: «لا يكونُ المؤمنُ لعانًا»[(١)]. وعن سمرةَ مرفوعًا: «لا تلاعنوا بلعنةِ الله، ولا بغضبِه، ولا بالنارِ»[(٢)].

٥ ـ الجدلُ: وعن أبي أمامةَ مرفُوعًا: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربضِ الجنةِ لمن تركَ المراءَ وإن كانَ محقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنةِ لمن تركَ الكذبَ وإن كانَ مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمن حَسُنَ خلقُهُ»[(٣)].

٦ ـ وقفةٌ معَ العينِ:

النظرُ إلى الأجنبية بشهوةٍ.

النظرُ إلى المسلم بحسدٍ.

النظرُ إلى المسلم بغرورٍ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٩)، والترمذي (٢٠١٩)، وقال: حسن غريب وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٨٣) وفي الباب عن عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢)، والترمذي (١٩٧٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢) وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٧٤).

(٢) حسن لغيره: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٠)، وأبو داود (٤٩٠٦)، والترمذي (١٩٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح وأحمد في «المسند» (٥/ ١٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٥٨، ٦٨٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالا إلا أنه فيه تدليس الحسن البصري ولم يصرح بالتحديث ولكن تابعه سليمان بن سمرة عند الطبراني في «الكبير» (٧٠١٣، ٧٠١٤)، وهو مقبول كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٦٤٥)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٨٩٣).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٣).

النظرُ في بيوت الناسِ.

النظرُ إلى المسلم بحقدٍ.

كل هذه النظرات يجبُ أن يبتعدَ عنها المسلمُ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

عن أبي هريرةَ أن النبي ﷺ قالَ: «كُتبَ على ابنِ آدمَ نصيبهُ من الزنا، فهو مدركٌ ذلكَ لا محالةَ، العينان زناهما النظرُ، والأذنان زناهما الاستماعُ، واللسانُ زناهُ الكلامُ، واليدُ زناها البطشُ، والرِّجلُ زناها الخطَا، والقلبُ يهوى ويتمنى، ويصدقُ ذلكَ الفرجُ أو يكذبهُ»[1].

كل الحوادث مبدؤها من النَّظرِ
ومعظم النَّار من مستصغر الشَّرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر

٧ ـ وقفةٌ معَ الأذنِ:

سماعُ الأغاني.

سماعُ الغيبةِ.

إقرارُ المنكرِ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٢٣)، وللحديث طريق آخر بلفظ مختصر عن أبي هريرة أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢).

كلُّ هذهِ من معاصي الأذنِ فاحذرهَا.

قال ابنُ مسعود: «الغناءُ ينبتُ النفاقَ في القلبِ كما ينبتُ الماءُ الزرعَ».

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ قالَ: **«ليكوننَّ في هذه الأمة خسفٌ، وقذفٌ، ومسخٌ، وذلكَ إذا شربوا الخمورَ، واتخذوا القَينات، وضربوا بالمعازفِ»**[(١)] .

اتفقَ الأئمةُ الأربعةُ على تحريم الغناءِ.

٨ ـ وقفةٌ مع البطنِ:

أكلُ الربَا، أكلُ الرشوةِ، أكلُ مالِ اليتيمِ، الإمعانُ في الشبعِ.

أكل الربا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة:٢٧٨]، «لعنَ رسولُ اللهِ آكلَ الربَا، وموكلَهُ، وكاتبه، وشاهديه» وقالَ: **«هُمْ سواءٌ»**[(٢)] .

أكلُ الرشوةِ: **«لعنَ اللهُ الراشي والمرتشي»**[(٣)] .

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١٥٣/ ١)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» وذكر له شواهد عن جمع من الصحابة (٢٢٠٣)، وفي «صحيح الجامع» (٥٤٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٩٨)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٤)، والبيهقي (٥/ ٢٧٥)، ولم يذكر أحمد الزيادة، وفي الباب عن عبد الله بن مسعود أخرجه مسلم (١٥٩٧)، وأبو داود (٣٣٣٣)، والترمذي (١٢٠٦)، والنسائي (٣٤١٦)، وابن ماجة (٢٢٧٧)، وغيرهم وفي الباب عن عمر وعلي وأبي جحيفة.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧) وقال حسن صحيح، وابن ماجة (٢٣١٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤، ١٩٠، ١٩٤، ٢١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٧٧)، والحاكم (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٥٨٠).

أكلُ مـال اليتـيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وعد من الكبائر: «وأكل مال اليتيم»[١].

الإمعـان في الشبع: «ما مـلأ ابنُ آدمَ وعاءً شـرًّا من بطنه، بحـسبِ ابن آدمَ لُقيـمات يُقمن صُـلبه، فإن كـان لا محالة فـثلثٌ لطعامِه، وثلـثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه»[٢].

قالَ عمرُو بن قيس: «إياكُم والبطنةَ؛ فإنها تُقَسي القلبَ».

قالَ ابن أدهمَ: «من ضَبطَ بطنَه ضبطَ دينَه».

قـالَ الشـافـعي: «الشبعُ يثقـلُ البدنَ، ويزيلُ الفطنةَ، ويـجلبُ النومَ، ويضعفُ صاحبَهُ عن العبادةِ».

أخي المسلم الكريم: عرفتَ فالزم... وهذا هو الطريقُ فابدأْ...

واللهُ معكَ.. يسددكَ... ويثبتكَ.

الدعاءُ...

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩)، وأبو داود (٢٣٨٧٤)، والنسائي (٣٦٧٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٦١)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ٢٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجة (٣٣٤٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٤٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٧٤)، وفي «الإرواء» (٧/ ٤١، ٤٢).



(٢٠)

تربية الأولاد في الإسلام

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

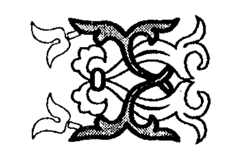
١ ـ فضل الولد الصالح.

٢ ـ اختيار الزوجة الصالحة.

٣ ـ دور البيت في تربية الأبناء.

٤ ـ دور المدرسة في تربية الأبناء.





تربية الأولاد في الإسلام



إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنا ومنْ سيئاتِ أعمالنا، منْ يهدِه اللهُ فلاَ مضلَّ لهُ، ومنْ يضللْ فلاَ هاديَ لهُ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ، أمَّا بعدُ:

١. فضل الولد الصالح

إنَّ كلَّ مؤمنٍ صادقِ الإيمانِ يتمنَّىٰ أنْ يرزقَهُ اللهُ الأولادَ الصالحينَ الذينَ يعبدُونَ اللهَ ولا يشركونَ بهِ شيئًا، ويستقيمونَ علىٰ أمرِ اللهِ، ويسيرُونَ علىٰ هدي رسولِ اللهِ ﷺ.

وهذهِ أمنيةٌ تمنَّاها حتىٰ الأنبياءُ عليهُم الصلاةُ والسلامُ.

اسمعْ إلىٰ إبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ وهوَ يقولُ: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٠].

فاستجابَ اللهُ ـ جلَّ وعلاَ ـ دعاءَه ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ [الصافات: ١٠١].

وهذَا زكريَّا عليهِ السلامُ ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ [مريم: ٣-٦].

فاستجابَ اللهُ دعاءَه ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: ٧].

فإذا كانَ الأنبياءُ قَد تمنَّوا الأولادَ الصَالحينَ فلاَ غروَ أنْ يتمنَّاهُ كلُّ مسلمٍ.

ولكنْ لكلِّ شيءٍ سببٌ، فمَا هيَ الأسبابُ التي يسلُكُها المسلمُ للحصولِ على الولدِ الصالحِ؟

٢- اختيار الزوجة الصالحة

فإذَا وفقكَ اللهُ لزوجةٍ صالحةٍ ربَّتْ لَكَ ولدكَ تربية إيمانية نافعة، ولذلكَ ينبغِي للشبابِ الذينَ لم يتزوجُوا أن يبحثُوا عن المرأةِ الدَّينةِ الأصيلةِ النبيلةِ، ولا يكونُ همُّهم المظهرَ الخارجيِّ، أو الشهاداتِ التي حصلتْ عليهَا المرأةُ.

أمَّا الذينَ تزوجُوا فيتضرعُوا إلى اللهِ أن يصلحَ لهمْ زوجاتِهم، وأنْ يُخرجَ منْ أصلابِهم الذريةَ الصالحةَ ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ [الفرقان: ٧٤].

٣.دور البيت في تربية الأبناء

إنَّ البيتَ هوَ المدرسةُ الأولىٰ التِي يتخرجُ فيهَا الطفلُ، فهوَ يتأثرُ بسلوكِ أبِيه وأمِّه ومظهرِهما، وألفاظِهما وحركاتِهما وسكناتِهما.

فعلَىٰ الوالدينِ أنْ يسلكَا معَ الأبناءِ عدةَ وسائلَ للتربيةِ، فمنهَا:

١ ـ القدوة:

فعلَىٰ الوالدينِ أن يتقيَا اللهَ فِي أبنائِهما، فلاَ يتلفظا أمامَهم بفحشٍ، ولا ينطقانِ أمامَهم بزُورٍ، فإنَّ الولَدَ يسجِّل ويُترجِم، ويستمعُ ويكوِّنُ شخصيته.

والولدُ دائمًا يحبُّ أنْ يتشبَّه بأبِيه فِي مظهرِه، وقيامه، وجلُوسه، وكَلمَاتِه، بل وعَمَلِه أيضًا، فَعَلَىٰ الوالدِ أنْ يكُونَ قدوةً طيبةً لأبنَائِه.

فَتصورْ مَعِي رجُلاً يكذِبُ أمَامَ أبنَائِه، ثم ينهَاهُم عنِ الكَذِبِ... هل سيسمَعُونَ لهُ؟!

وتصورْ رجُلاً لا يصَلي ويأمرُ أبناءه بالصلاةِ... هل سيستجيبونَ لهُ؟!

وتصورْ رجُلاً مُدخنًا يشربُ السجَائرَ أمامَ أبنائِه، ثم ينهَاهُمْ عنِ التدخينِ.. هل سيطيعُونَ أمرَهُ؟!

وتصوَّر امرأةً لاَ تصلِّي.. ثم إنهَا تأمرُ ابنتَها بالصَّلاة.

وتصوَّر امرأةً متبرجةً.. ترَاها ابنتُها وهيَ تتزينُ إذَا خرجتْ إلىٰ الشَّارع.. فماذَا يكونُ سلوكُ البنتِ؟ هل سيخطرُ الحجابُ ببالِها أم ستقلدُ أمَّها؟

٢ ـ التربية بالملاحظة:

لا بدَّ أنْ تلاحظَ سلوكَ ولدِك، لترشدَه دائمًا فتنبهُه إذَا غفلَ، وتقوِّمَه إذَا اعوجَّ، وتسألُ عنهُ إذَا غابَ.

ففِي الصَّباحِ توقظُه لصلاةِ الفجرِ.

وعندمَا يعودُ منَ المدرسةِ تسألُه عن صلاةِ الظهرِ وهكذَا.

إذَا سمعتَهُ يكذبُ فانهرهُ، وبيِّن له عاقبةَ الكذبِ الوخيمةَ، وأنَّها منْ علاماتِ النفاقِ: فعن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أربعٌ منْ كُنَّ فيهِ كانَ منَافقًا خَالصًا، ومن كَانتْ فيه خَصلةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصلةٌ منَ النفاقِ حتى يدَعَها: إذَا اؤتمن خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدرَ، وإذا خَاصَمَ فَجرَ»[1].

إذا سَمِعته يغْتابُ زميلَه أو صديقَهُ فبيِّنْ لهُ أن ذلكَ حرامٌ، وذَكِّرَه بقولِه تعالَىٰ: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وأنَّ الغِيبةَ محرمةٌ لا تجوزُ.

٣ ـ التربية بالصداقة:

إن الولدَ يأخذُ عمَّن هوَ فِي مثلِ سنِّه، فاحرصْ أنْ يصادقَ ولدُك الأولادَ المستقيمينَ، وأن يمشيَ معَ المصلِّين، وأن يتجنبَ الساقطينَ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، وأبو داود (٤٦٨٨)، والترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي (٥٠٢٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٩، ١٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦)، وأبو عوانة في «مسنده» (١/ ٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٥٢٢).

والمنحرفينَ؛ لأنَّ الولدَ يتأثرُ بأصدقائِه: «**الرجل على دينِ خليلِه، فَلينظُرْ أحَدكُم مَنْ يُخَالِلُ**»[١].

لابدَّ أنْ تتابعَ ابنَك، وتَعرفَ مدخلَه ومخرجَه، أينَ يذهبُ؟ ومعَ من يسيرُ؟ وفي أيِّ مكانٍ يقضِي وقتَ فراغِه؟

ولذلكَ أمرنَا النبيُّ ﷺ بمصاحبةِ المؤمنينَ، ومجانبةِ الفاسقينَ، فقالَ ﷺ: «**لا تصاحِب إلا مُؤمنًا، ولا يأكلُ طعَامَك إلا تقيٌّ**»[٢].

وقدْ قِيلَ قديمًا:

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه   فإن القرين بالمقارن يقتدي

واعلمْ أنَّه قد غلبَ علَىٰ كثيرٍ من شبابِ اليومِ الجهلُ والميوعةُ والانحلالُ والتشبهُ بالكفارِ في مظهرِهم وقصاتِ شعورِهم، بل وفيمَا يستمعُونه منْ الأغانِي والموسيقَىٰ المحرمةِ.

فتعجب حينمَا تجدُ الولدَ يستمعُ إلىٰ أغنيةٍ أجنبيةٍ تصحبُها موسيقَىٰ صاخبةٌ تشمئزُّ منهَا الأذنُ، وتنفرُ منهَا الطباعُ السليمةُ، برغم أنه لا يعرفُ الإنجليزيةَ، وإنما هوَ التقليدُ الأعمَىٰ.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وقال حسن غريب، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٧١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥)، و«الصحيحة» (٩٢٧).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٨)، والدارمي (٢٠٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٨٤)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١).

حتىٰ إنكَ تمشِي في بعضِ أحياءِ المدنِ الإسلاميةِ اليومَ فلاَ تكادُ تصدِّقُ عينيكَ. . . هل أنتَ الآنَ تمشِي بينَ مسلمينَ. . . عربٍ أحفادِ أبِي بكرٍ وعمرَ؟!! وأبناءِ خالدِ بنِ الوليدِ، وسعدِ بن أبِي وقاصٍ!!

فما بالهُم قد تغيرتْ مظاهرُهم. . وسلوكُهم. . وعاداتُهم وقِيمُهُم. . . وأخلاقهُم، بل وقلوبُهم أيضًا؟!

لَو أعلمُوا عمَر الفارُوقَ نسبتَهم وأخبرُوه الرَّزَايا أنكرَ النسَبَا

مِن زمزمٍ قَد سَقَينا الناسَ قَاطِبةً وجِيلُنا اليَومَ من أعدَائِه شَرِبَا

٤ ـ التربية بالإرشاد والتوجيه:

إنَّ الابنَ يتَمنىٰ أن يسمَعَ من أبِيهِ نصيحةً، أو منْ أمِّه توجيهًا لينيرَ لهُ دروبَ الحياةِ.

مَن منَّا ـ أيها الآباءُ ـ يجمع أبناءَه يومًا في الأُسبُوع ليقرأَ عليهِم شيئًا من سيرةِ نبيِّهم وقدوتِهم ﷺ ليقتدُوا به ويحبُّوه؟

مَن منَّا من يجلسُ بين أبنائِه يومًا في الشهرِ ليحدثَهم عن بطولاتِ الصحابةِ والتابعينَ وأبطالِ الإسلام المشهورينَ؟

إذاَ جلستَ بينَ أبنائكَ فارفع قدَر المؤمنينَ من العلماءِ والدعاةِ والشبابِ الصالحينَ ليتعودُوا علَىٰ احترامِهم وتقديرِهم، وليقتدُوا بهم.

وإذَا ذكرتَ الماجنينَ من المغنينَ والمغنياتِ والراقصينَ والراقصاتِ، فاخفض من قدرِهم واغضُضْ من شأنِهم، ليتعودُوا علىٰ احتقارِهم وازدرائِهم.

إذَا سمعتَ ابنَك ينادي أخَاه بلفظ: «يَا ولَد» فقل لهُ: ناده باسمِه «يَا محمدُ - يَا أحمدُ»، أو «يَا أخِي محمد - يا أخِي أحمد» ليتعلمَ الأدبَ.

إذَا جاءَك ضيفٌ أخرِجْ ولدَك ليقابلَه معكَ، ويرحبَ بهِ، فيتعلَم إكرامَ الضيفِ.

إذَا أردتَ أن تضعَ صدقةً فِي صندوقِ المسجدِ فأعطِها لولدِك يضَعَها هوَ ليتعلمَ الإنفاقَ.

علِّم ولدَك يقول عندَ النومِ: «**باسمِكَ ربِّي وَضعتُ جَنبي وبكَ أرفعهُ**»[1].

علِّم ولدَك يقول عندَ الاستيقاظِ: «**الحمدُ للهِ الذي أحيانا بَعدَ مَا أمَاتَنَا وإليه النشُورُ**»[2].

علِّم ولدَك أذكارَ الصَّباحِ والمساءِ.

أرسلْ ولدَك إلى الكُتَّاب ليَحفَظَ القرآنَ وحبِّبه في تَعلمِهِ: «**خيركُم منْ تعلمَ القرآنَ وعلَّمَهُ**»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤)، وأبو داود (٥٠٥٠)، والترمذي (٣٤٠١)، وابن ماجه (٣٨٧٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧٤، ٢٤٦)، والدارمي (٢٦٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٣٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١٢)، وفي «الأدب المفرد» (١٢٠٥)، وأبو داود (٥٠٤٩)، والترمذي (٣٤١٧)، وابن ماجة (٣٨٨٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٧)، والدارمي (٢٦٨٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٣٢) كلهم من طريق حذيفة وفي الباب عن أبي ذر أخرجه البخاري (٦٣٢٥)، ومسلم (٢٧١١).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، وابن ماجة (٢١١، ٢١٢)، وأحمد في «المسند» (١/ ٥٨، ٦٩)، والدارمي (٣٣٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١١٨).

قلْ لهُ: يا بُنَي، نكونُ جميعًا في المسجدِ فيتقدمَ شَابٌّ مِن أصغَرنَا سنًّا ليصَلي بنا فنأتمَّ بِهِ ولا نُخَالفُه، إذَا ركَعَ ركَعنَا وإذَا سجَدَ سَجَدنَا، فَهوَ قائدُنا في الصَّلاة، مَا الذِي رفَعهُ لهذهِ المنزلَةِ؟

إنَّه القرآنُ.

تعلَّم القرآنَ يَا ولدِي يعلُو قدرُك، وينبلُ رأيُك، ويحترمُك الناسُ، وتقتربُ من ربِّكَ عزَّ وجلَّ: «أهلُ القرآنِ هُمْ أهلُ الله وخاصتُهُ»[١].

واحذَرْ أيهَا الأبُّ المسلمُ أن تترُكَ ولدَكَ يجلسُ أمَامَ هذَا الجهَازِ الخبيثِ، فإنه يبُثُّ السمُومَ والأخلاقَ الرذيلَةَ في نُفُوسِ أبنَائِنَا.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٢١٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٧، ١٢٨)، والدارمي (٣٣٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٠) بلفظ «إن لله أهلين من الناس قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته».

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وحدَهُ، والصلاةُ والسلامُ على من لا نَبي بعدَهُ.

وبعدُ:

إخوةَ الإسلامِ، بعدما تعرَّفنَا على دورِ البيتِ في تربيةِ الأبناءِ فتعالَوا معنًا لنتعَرَفَ علَى دورِ المدرسةِ في التربيةِ والتوجيه والإعدادِ والإرشادِ.

دورُ المدرسة في تربية الطفْل:

اعْلم أنَّ الولدَ يقضِي مَا يَزِيدُ عَلى خمْسِ سَاعَاتٍ يوميًّا فِي المدرَسةِ، أيْ: مَا يُعَادِلُ ٣٠ ساعةً أسبُوعيًّا، أي: مَا يُعَادِلُ ١٢٠ سَاعةً شَهريًّا وهيَ كفيلةٌ بتغَيير سُلُوكِ الأطْفَالِ، وغرسِ مجمُوعَةٍ من الأخلاقِ والمبادِئِ فِي نُفُوسِهم.

ومِن هُنَا تَأتِي مَسئوليةُ المدرسِ المسلمِ.

أخي المدرس:

نَحنُ ندفَعُ إليكَ بفلذَاتِ أكبَادنَا، فاتقِ اللهَ فيهم، ونُعطيك مُهجَنَا فاحْفَظِ اللهَ فيهم، أبنَاؤُنا أمَانةٌ في عُنقكَ سوفَ تُسألُ عنهَا أمَامَ الله يومَ القيامَةِ، فعليكَ أنْ تبنيَ منهُم جيلاً راشدًا، وخَلَفًا صَالحًا، ولا يَكونُ كُلُّ همِّكَ حَشوَ أذهَانِ الطلابِ ببعضِ المعْلُومَاتِ الجَافةِ ليفرغَها في ورَقةِ الاختبَارِ فَقَط، فليستْ هذِهِ هيَ الغَايةُ التِي من أجلِهَا كانتْ وزَارَةِ التَّربيةِ والتعليمِ.

فَعَلَيكَ أخِي المدرسَ بالأمُورِ الآتيةِ لكي تَكونَ دعوتُكَ نَاجحَةً بينَ طلابكَ:

أولاً: السمت الإسلامي للمدرس:

١ ـ لابدَّ أنْ يكونَ مَظهرُكَ إسلاميًّا، وسلُوكُكَ إسلاميًّا.

فتكونَ مَثلاً: مُطلَقَ اللحيةِ ليقتديَ بكَ الطلَبَةُ.

وأنتِ أيتُهَا الأختُ المدرسةُ ينبغِي أن تَكونِي محجبَةً ليقتديَ بكِ الطالبَاتُ.

٢ ـ إياكَ أن تكونَ مدخنًا فيتعلَمَ أبنَاؤنَا منكَ هذهِ العَادةَ الخبيثَةَ والخُلُقَ السيئَ؛ فتحملَ آثَامَ مَنْ تَبعَكَ منْهُم إلىٰ يومِ القيَامَةِ.

٣ـ احذَرْ أنْ تَضرِبَ ولَدًا علىٰ وجهِهِ، فإنَّ الضربَ علىٰ الوَجهِ قد نَهَىٰ عنهُ النبيُّ ﷺ.

٤ـ إذا دَخلتَ الفَصلَ فكُنْ طَليقَ الوجهِ، ولا تُكشِّر، فقَد قَالَ ﷺ: «**لا تحقرَنَّ من المعرُوفِ شيئًا ولَو أن تلقَ أخَاكَ بوجه طَليق**»[1].

٥ ـ إذَا دخلتَ الفَصلَ فَلا تبدأهُم بتَحايَا الجاهليةِ «صباحُ الخيرِ»، أو «مسَاءُ الخيرِ»، ولكنْ بتحيةِ الإسْلامِ «السلامُ عليكُم».

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٢٦)، والترمذي (١٨٣٣)، وابن ماجة (٣٣٦٢)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٤٩، ١٥٦، ١٦١، ١٧١)، وابن المبارك في «الزهد» (٦٠٦)، والدارمي (٢٠٧٩)، والحميدي في «مسنده» (١٣٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥١٣، ٥١٤، ٥٢٣).

٦ ـ إذَا قابلتَ أحدَ الطلبةِ خارجَ الفصلِ فابدأهُ بالسلامِ وصافحهُ، يحبُّكَ الطلابُ: «مَا من مسلمينَ يلتَقيانِ فيتصَافحَانِ إلا غُفر لهمَا قبلَ أن يتفرَقَا»(١).

٧ ـ ابدَأْ حصتكَ بحَمدِ الله تعَالىٰ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علَىٰ رسُولِ اللهِ ﷺ؛ ليقتديَ بكَ الطلابُ فِي جَميعِ أمُورِهِم.

٨ ـ فِي نهَايةِ دَرسِكَ قلْ دعاءَ خَتْمِ المجلسِ: «سُبحَانَكَ اللهُم وبحَمدِكَ، أشهد أنْ لا إلهَ إلا أنتَ، أستَغفرُكَ وأتُوبُ إليكَ»(٢)؛ ليكُونَ كفارةً لمَا كانَ منكَ في هَذهِ الحِصةِ.

٩ ـ سَلِ الطُّلابَ عن صَلاةِ الفَجرِ، ومن رَأيتَهُ منهُم معَكَ فِي صلاةِ الفَجرِ فكَافئِه، وشجعهُ أمَامَ زُملائِهِ حتىٰ يقتدُوا بِهِ.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٥٢١٢)، والترمذي (٢٧٢٧)، وابن ماجة (٣٧٠٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٩، ٣٠٣)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٩٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٧)، وفي «الصحيحة» (٥٢٥).

(٢) حديث صحيح لغيره: وفيه أن موسىٰ بن عقبة لم يسمعه من سهل بن أبي صالح، هكذا قال الإمام البخاري في إعلاله لهذا الحديث وذكر هذا الحاكم في «كتاب المعرفة لعلوم الحديث» باب العلل (١١٣، ١١٤)، أخرجه الترمذي (٣٤٣٣)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٢٣٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٩، ٤٩٤، ٤٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٦)، وصححه ووافقه الذهبي والبغوي في «شرح السنة» (١٣٤٠)، وله شاهد من حديث جبير بن مطعم أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٥٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٧)، وله شاهد أيضًا من حديث أبي برزة، أخرجه أبو داود (٤٨٥٩) والدارمي (٢٦٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٧)، وله شاهد من حديث رافع بن خديج أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٤٤٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٩٢).

ثانيًا: استخدام العلوم المقررة في الدعوة إلى الله:

مدرس التاريخ:

يقومُ المدرسُ بربطِ محتوياتِ المقررِ الدراسِي وبينَ مبَادئِ الإسلامِ وآدابهِ بلمحَاتٍ سَريعَةٍ، وإشَارَاتٍ خَاطفَةٍ.

لا يَكتَفِي بسَردَ الوقَائعِ التارِيخيةَ، وإنما يُذكِّرُ الطلابَ بأن التاريخَ حياةُ أمم، ومنه يأخذُون العبرَ والعظاتِ، فلا يفوِّت موقفًا إلا وقد استَنبطَ منه خُلقًا كريمًا، أو عظةً طيبة، فيقول: انظرُوا إلىٰ عاقبة الصدقِ كيفَ كانتْ طيبة.

وانظرُوا إلىٰ عاقبةِ الظلمِ كيفَ كانَت وخِيمَةً.

مدرس العلوم والجغرافيا:

يربطُ مادتَهُ بقدرةِ اللهِ - تبارَكَ وتعَالىٰ - في الكونِ، ويربطُ الظواهرَ الطبيعيةَ بعظمةِ الخالقِ - سبحانَهُ وتعَالىٰ.

مدرس التربية الإسلامية:

لا يجعل التربيةَ الإسلاميةَ مادةً جافةً يحفظُهَا الطلابُ للامتحَانِ، بَل يحثُّ الطلابَ عَلىٰ ترجمةِ مَا يتعَلمُونَهُ من آدابٍ وأخلاقٍ ترجمةً عمليةً في وَاقعِ حَياتِهم.

مدرس اللغة العربية:

ينبغِي أنْ يجعَلَ مَوضوعَاتِ التعبِيرِ موضُوعَاتٍ دينيةً تربويةً هادفةً، وأمثلةَ القواعدِ أمثلةً تربويةً أخلاقيةً، وأن يربطَ بينَ النصُوصِ والأدبِ،

وبينَ التربيةِ والأخلاقِ ما استطَاعَ إلىٰ ذَلكَ سبيلاً .

وأن ينبه طُلابَه علَىٰ مَا يَجدَه فِي المنهَجِ مخَالفًا لتعَاليمِ الإسلامِ .

مدرس اللغات الأجنبية:

ينتبهُ مدرسُو اللغاتِ الأجنبيةِ منَ المخالفاتِ الأخلاقيةِ المبثوثةِ في الكتبِ المدرسيةِ ، حيثُ تُطبعُ معظمُ هذهِ الكتبِ في أورُوبَا فتجدَ فيهَا موضُوعَات عن موسيقَىٰ الدسكُو ، وشربِ الخمرِ ، والرقصِ والحفلاتِ الماجنةِ وغيرِ ذلك ، وهنا يأتي دور المدرس المسلم ليبين للطلاب حُرمة هذه الأشياء التي دسها أعداءُ الإسلامِ لأبنائِنا ليُفسدُوا أخلاقَهم .

مدرس المحاسبة والسكرتاريا:

يبينُ لطلابِهِ أن مَا يسَمىٰ بالفَوائدِ البنكيةِ اسمهَا في الإسلامِ (الربَا) وهيَ محَرمَة شرعًا .

وهكذَا يكونُ المدرسُ داعيةً في مدرستِهِ بين طلابِهِ .

فيُخرِّج لنا جيلاً صَالحًا نَافعًا لنفسهِ ولمجتمعهِ .

اللهم اهد أبناءنَا ، وأبنَاءَ المسلمينَ ، وحببْ إليهم الإيمَانَ ، وزَينهُ في قلوبِهم ، وكَرهْ إليهُم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ .

(٢١)

واجبنا نحو القرآن

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

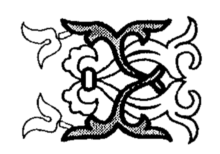
١ ـ فضلُ القرآنِ الكريمِ.

٢ ـ آدابُ تلاوةِ القرآنِ.

٣ ـ حالُ السلفِ معَ القرآنِ.

٤ ـ كيفَ تحفظُ القرآنَ؟





واجبنا نحو القرآن



مقدمة:

إنَّ الحمدَ للهِ ، نحمدُهُ ونستغفرُهُ، ونعُوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنَا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وبعد:

أيها المسلمون الكرام:

ينبغي أن تعرفوا واجبكم نحو كتابِ ربِّكم.

هذا الكتابُ الذي أنزلَه اللهُ ليخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ، ومن الضلالِ إلى الهدَى؛ ومن العَمَى إلى البصيرةِ.

من تمسكَ به نجَا، ومن اتبعَ أوامرَهُ هُدِي، ومن عملَ بأحكامِهِ استقامَ، ومن تلاه أُجِرَ وأُثيبَ، ومن سارَ خلفَهُ سعدَ في الدنيَا والآخرةِ.

أولاً: فضلُ القرآن الكريم

١ ـ القرآنُ يَهديك ويُرشدُك ويأخذ بيدكَ إلى الله:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قال ابنُ الأنباري: القرآنُ يهدي لأفضلِ الخصالِ.

قال قتادةُ: إنَّ هذا القرآنَ يدلُّكم على دائِكم ودوائِكم، فأما داؤكم فالذنوبُ، وأما دواؤكم فالاستغفارُ.

روىٰ الإمامُ أحمدُ وحسنه الألبانيُّ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أُوصيكَ بتقوى الله، فإنه رأسُ كلِّ شيءٍ، وعليكَ بالجَهَادِ فإنَّه رهبانيةُ الإسلامِ، وعليكَ بذكرِ اللهِ، وتلاوةِ القرآنِ فإنه روحُك في السماءِ وذكرُك في الأرضِ»[(١)].

٢ ـ القرآنُ يشفي أمراضَ قلبك ويشرحُ صدركَ:

قالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

قال ابنُ كثيرٍ: ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: زاجرٌ عن الفواحشِ.

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: من الشبه والشكوكِ، وهو إزالةُ ما فيها

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٨٢)، من طريق حسين ثنا ابن عياش يعني: إسماعيل عن الحجاج بن مروان الكلاعي وعقيل بن مدرك السلمي عن أبي سعيد الخدري . . . الحديث»، وذكره الهيثمي في «المجمع» وعزاه للإمام أحمد وأبي يعلىٰ (٤/ ٢١٥)، وقال رجال أحمد ثقات، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٦٥)، وفي «الصحيحة» (٥٥٥).

من رجسٍ ودنسٍ.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: يحصلُ به الهدايةُ والرحمةُ من اللهِ تعالَىٰ.

وإنما ذلك للمؤمنينَ المصدقينَ الموقنينَ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

من: لبيانِ الجنسِ، فالقرآنُ كلُّه شفاءٌ.

شفاءٌ من الضلالِ... بما فيه من الهدىٰ.

شفاءٌ من الجهلِ... بما فيه من بيانِ الأحكامِ والعلمِ.

شفاء من السقمِ... بما فيه من البركةِ.

روىٰ عبدُ بنُ حُميدٍ وصححه الألبانيُّ عن أبي شريح الخزاعي - رضي الله عنه - قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**أبشرُوا، أبشرُوا، أليس تشهدون أن لا إله إلا اللهُ، وأني رسولُ اللهِ؟**».

قالوا: نعم.

قالَ: «**فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ طرفُه بيدِ اللهِ، وطرْفُه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تَضلوا، ولن تَهلِكوا بعدَهُ أبدًا**»(١).

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٦/ ١) «كتاب فضائل القرآن» ومن طريق عبد بن حميد في «المنتخب» من «المسند» (١/ ٨٥)، وأخرجه محمد بن نصر في «قيام الليل» (ص٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٢٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح وله شاهد من حديث جبير بن مطعم أخرجه البزار (١٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٥٣٩)، و«الصغير» (٢/ ٩٨) وقال الهيثمي (١/ ١٦٩) فيه أبو عبادة الزرجي وهو متروك الحديث وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤)، وفي «الصحيحة» (٧١٣).

٣ ـ القرآنُ يرفعُكَ إلى درجة الخيرية:

روى البخاري عن عثمانَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**خيرُكُم من تعلمَ القرآنَ وعلَّمَهُ**»[١].

وفي «صحيح مسلم» عن عمرَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إن اللهَ يرفعُ بهذا الكلامِ أقوامًا ويضعُ به آخرينَ**»[٢].

٤ ـ القرآنُ يرفعُ درجتَكَ في الجنة:

روى الإمامُ أحمدَ وصححه الألبانيُّ عن أبي سعيد الخدري ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يُقالُ لصاحبِ القرآنِ إذا دخلَ الجنةَ: اقرأْ واصعد، فيقرأُ ويصعد لكل آيةٍ درجةً حتى يقرأَ آخرَ شيءٍ معه**»[٣].

٥ ـ تاجر مع الله بتلاوة القرآن:

روى الترمذيُّ وقال: حسنٌ صحيحٌ، عن ابنِ مسعودٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، وابن ماجة (٢١١، ٢١٢)، وأحمد في «المسند» (١/ ٥٨، ٦٩)، والدارمي (٣٣٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١١٨).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨١٧)، وابن ماجة (٢١٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٥)، والدارمي في «سننه» (٣٣٦٥).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٣٧٨٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٣/ ١) «فضائل القرآن» وفي الباب عن عبد الله بن عمرو أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٣/ ٣) «فضائل القرآن» والحاكم (١/ ٥٥٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٢١، ٨١٢٢)، بلفظ «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها».

قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتابِ الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِهَا، لا أقولُ (ألم) حرفٌ ولكن ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»**(١).

٦ ـ كثرةُ تلاوتكَ القرآنَ تحببك في الله:

روىٰ البيهقي في «الشعب» وحسنه الألبانيُّ عن ابنِ مسعودٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«من سرَّه أن يحبَّ اللهَ ورسولَهُ فليقرأ في المصحَفِ»**(٢).

٧ ـ إذا قرأتَ القرآنَ وعملتَ به رفعَكَ اللهُ في الدنيَا وكرَّمكَ في الآخرة:

روىٰ الترمذيُّ وحسنه الألبانيُّ عن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«يجيء القرآنُ يومَ القيامة فيقولُ: يا ربِّ حلِّه، فيُلْبَسُ تاجَ الكرامةِ، ثُم يقولُ: يا ربِّ زده فيلبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقولُ: يا ربِّ ارضَ عنه، فيرضَىٰ عنه، فيقولُ: اقرأ وارقَ، ويزدادُ بكلِّ آيةٍ حسَنةً»**(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٥)، وصححه أيضًا الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).

(٢) حسن: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٨٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤٢)، وفي «صحيح الجامع» (٦٢٨٩).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٢٩١٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقد روي موقوفًا علىٰ أبي هريرة: أخرجه الدارمي (٣٣١١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٣٠).

٨ ـ من حفظَ البقرةَ وآلَ عمرانَ: فإنهما يحاجَّانِ عنه يومَ القيامة:

ففي «صحيح مسلم» عن أبي أمامةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ : «اقرءوا القرآنَ فإنَّهُ يأتي يومَ القيامَة شفيعًا لأصحَابه،اقرءُوا الزهراوينِ: البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنَّهمَا تأتيانِ يومَ القيامة كأنَّهما غمامتانِ أو غيايتانِ، أو كأنَّهما فرقَانِ من طيرِ صوافٍّ يحاجَّانِ عَن أصحَابهمَا، اقرءوا سُورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ، وتركهَا حسرةٌ، ولا تستطيعُهَا البطلةُ»[1] .

٩ ـ إذا حفظتَ آيةً واحدةً في يَومٍ خيرٌ لَكَ من أن تربحَ ثلاثةَ آلافٍ:

روىٰ مسلم في «صحيحه» عن عقبةَ بنِ عامرٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أيكُم يُحبُّ أن يغدوَ كلَّ يومٍ إلى بطحانَ أو العقيقِ، فيأتي منه بناقتينِ كوماوينِ زهراوينِ، في غيرِ إثمٍ ولا قطعِ رحمٍ،فلأنْ يغدوَ أحدُكم إلى المسجدِ فيتعلمَ، أو يقرأَ آيتين من كتابِ اللهِ خيرٌ لهُ من ناقتينِ، وثلاثًا خيرٌ له من ثلاثٍ، وأربعًا خيرٌ له من أربعٍ، ومن أعدادِهن من الإبلِ»[2] .

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠٤)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٤٢، ٧٥٤٣، ٧٥٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠٣)، وأبو داود (١٤٥٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٧٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١١٥).

ثانيًا: آدابُ تلاوةِ القرآن

١ ـ الوضوء:

يستحبُّ الوضوءُ لتلاوةِ القرآنِ، إذا كانَ سيقرأُ من حِفْظِه، ويجبُ إذا كان سيقرأُ من المصحف.

لقولِ النبي ﷺ لما رواه الطبرانيُّ وصححه الألبانيُّ عن ابن عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال: **«لا يمسُّ القرآنَ إلا طاهرٌ»** (١).

٢ ـ استقبالُ القبلة:

لأنها قبلةُ الصلواتِ؛ ولأنَّها من الأدَبِ مَعَ اللهِ عند تلاوةِ كتابِهِ، وعن أبي هريرة مرفوعًا: **«إنَّ لكل شيء سيدًا، وإن سيِّد المجالس قبالة القبلة»** (٢).

٣ ـ السِّواك:

يُستحبُّ للإنسانِ أن يستَاكَ عندَ تلاوةِ كتابِ اللهِ تعالَىٰ ليطهرَ فمَهُ قبل

(١) صحيح: أخرجه الدارقطني (١/ ١٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٣٢١٧)، وفي «الصغير» (١١٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/ ٨٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٨٠)، وللحديث طرق أخرىٰ كثيرة راجع «الإرواء» (١٢٢).

(٢) حسن بطرقه وشواهده: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٣٦١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٧٦) عن ابن عمر وفيه حمز بن أبي حمزة وهو متروك وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٣٥٤)، وفي الباب عن ابن عباس أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٢٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٧٠)، وفيه محمد بن معاوية كذبه الدارقطني وقال الهيثمي (٨/ ٥٩) عن أبي هريرة إسناده حسن ورواه الطبراني في «الأوسط» (٢٣٥٤).

تلاوةِ كتابِ اللهِ فـ «السِّواكُ مطهرةٌ للفم مرضاةٌ للربِّ»[١].

وروىٰ البيهقيُّ في «الشعب» وصححه الألبانيُّ عن سمرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «طَيِّبُوا أفواهكُم بالسِّواكِ فإنَّها طرقُ القرآنِ»[٢].

٤ ـ الترتيل:

ينبغي للمسلمِ أن يقرأَ القرآنَ مرتلاً كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

ولما رواه البخاريُّ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لَيْسَ منَّا من لَمْ يَتَغَنَّ بالقرآنِ»[٣].

قال المناوي: أي يحسِّن صوتَه به شريطةَ أن لا يزيدَ حرفًا ولا ينقصَ حرفًا، فالتغني: هو التِّلاوةُ علىٰ قواعدِ التجويدِ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري بصيغة الجزم «كتاب الصوم» باب (٢٧)، والنسائي (٥)، وابن ماجة (٢٨٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٧، ٦٢، ١٢٤، ٢٣٨)، والدارمي (٦٨٤)، والحميدي (١٦٢)، وابن خزيمة (١٣٥)، وابن حبان (١٠٦٧)، وفي الباب عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه البيهقي في «الشعب» كما في «صحيح الجامع» (٣٩٣٩)، عن سمرة وفي الباب عن علي أخرجه البزار (٢/ ٦٠٣)، وقال الهيثمي رواه البزار ورجاله ثقات (٢/ ٩٩) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٣٩، ٣٩٤٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٢٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢١٨)، وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص أخرجه أبو داود (١٤٦٩، ١٤٧٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٧٥، ١٧٩)، والحميدي (٧٦)، وابن حبان في «صحيحه (١٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٢٩).

٥ ـ التلاوة بخشوع:

قال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وروى ابنُ ماجه وصححه الألبانيُّ عن جابرٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «إنَّ من أحسنِ الناسِ صَوتًا بالقرآنِ الذي إذا سَمِعتَهُ يقرأُ رأيتَ أنه يخشَى اللهَ»(١).

٦ ـ الإخلاصُ في القراءة:

فلا يريدُ بها إلا وجهَ اللهِ، لا يُريدُ بهَا دنيَا يصيبُهَا، أو منصبًا ينالهُ أو سمعةً أو منزلةً عند النَّاسِ؛ لأن التلاوةَ عبادةٌ، والعبادةُ لا تقبلُ إلا مع الإخلاصِ.

روى النسائيُّ وحسنه الألبانيُّ عن أبي أمامةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ تعَالَى لا يقبلُ من العملِ إلا ما كَانَ خالصًا وابتغى به وجهُهُ»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٩].

٧ ـ الدعاءُ عندَ القرآنِ:

يستحبُّ للقَارئِ إذَا مَرَّ بآيةٍ فيهَا ذكْرُ الرَّحْمةِ أو الجنةِ سَألَ اللهَ من

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجة (١٣٣٩)، وابن المبارك في «الزهد» (١١٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠٢)، وللحديث شاهد مرسل أخرجه الدارمي (٣٤٨٩).

(٢) حسن: أخرجه النسائي (٣١٤٠)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٥٦)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٥٢).

فضلِه، وإذَا مرَّ بآيةٍ فيهَا ذِكرُ العَذَابِ أو النَّارِ استَعَاذَ باللهِ من ذَلكَ.

ففي «صحيح مسلم» أنَّ حذيفةَ صَلىٰ خلفَ النبيِّ قيامَ الليلِ فقرأَ بالبقرة والنساءِ وآلِ عمرانَ، كلمَا مرَّ بآيةٍ فيهَا رحمةٌ سَألَ، أو آيةٍ فيهَا عذابٌ استعَاذَ[1].

٨ ـ يستحبُّ أَنْ لا يختمُ القرآنَ في أكثرَ من أربعينَ يومًا:

لما ثبتَ في «الصحيحينِ» أن النبي ﷺ قالَ لعبدِالله بن عمرو: «**اقْرأْ القرآنَ في كلِّ شهرٍ، اقْرأه في عشرينَ ليلةً، اقْرأه في عشرٍ، اقرأه في سبعٍ، ولا تزِدْ علَى ذَلكَ**»[2].

وعند الترمذيِّ وحسنه الألبانيُّ عن ابنِ عمرَ مرفوعًا: «**اقْرأ القرآنَ في أربعينَ**»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٧٢)، وأبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢)، والنسائي (١٠٠٧، ١٠٠٨)، وابن ماجة (١٣٥١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٧)، والدارمي (١٣٠٦)، وابن حبان (٢٦٠٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (١١٥٩)، وأبو داود (١٣٨٨، ١٣٨٩)، والترمذي (٢٩٤٦)، والنسائي (٢٣٩٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٥٨، ١٦٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥٩٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٥٦، ٧٥٧).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٢٩٤٧)، وقال حديث حسن غريب وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١١٥٤)، وفي «الصحيحة» (١٥١٢).

ثالثًا: من أخبار الصالحين

١ ـ عروةُ بنُ الزبير:

قالَ ابنُ شوذب: كان عروةُ يقرأُ ربعَ القرآن كلَّ يومٍ في المصحفِ نظرًا، ويقومُ به الليلَ، فما تركَه إلا ليلةَ قطعتْ رجلُه، وكان وقعَ فيها الأكلةُ فنشرتْ، وكانَ إذا كانَ أيامُ الرطبِ يثلمُ حائطه، ثم يأذنُ للناسِ فيه، فيدخلونَ يأكلونَ ويحملونَ.

٢ ـ قتادةُ بنُ دعامة:

قال سلامُ بن أبي مطيع: كانَ قتادةُ يختمُ القرآنَ في سبعٍ، فإذا جاءَ رمضانُ ختَمَ في كلِّ ثلاثٍ، فإذا جاءَ العشْرُ ختَمَ في كلِّ ليلة.

٣ ـ عثمانُ بنُ عفانَ:

كان عثمانُ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ يقرأُ القرآنَ كلَّه في ركعةٍ[١].

٤ ـ منصورُ بنُ زاذانَ:

كان يقرأُ القرآنَ كلَّه في صلاةِ الضحىٰ.

وكان يبكي حتىٰ يبل عمامته من دموعِه.

٥ ـ الإمامُ حمزةُ بنُ حبيبٍ الزياتُ:

أحدُ القراءِ السبعة.

كان عابدًا، خاشعًا، قانتًا لله.

---

(١) خبر صحيح: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٢٥).

قال حمزةُ ـ رحمه اللهُ: نظرتُ في المصحفِ حتىٰ خشيتَ أن يذهبَ بصري.

وكان ـ رحمه اللهُ ـ يقرئ القرآنَ حتىٰ يتفرقَ الناسُ، ثم ينهضُ فيصلِّي أربعَ ركعاتٍ، ثم يصلِّي ما بين الظهرِ والعصرِ، وما بينَ المغربِ والعشاءِ.

وحدَّث بعضُ جيرانه أنه لا ينامُ الليلَ، وأنهم يسمعونَ قراءتَه يرتلُ القرآنَ.

٦ ـ أبو جعفر القارئ: يزيد بن القعقاع ـ رحمَه اللهُ ـ.

أحدُ القراءِ العشرةِ.

قال شيبةُ[١] : ألا أريكم منه عجبًا؟

قالوا: بلىٰ، فكشف عن صدرهِ، فإذا دوَّارة بيضاءُ مثلُ اللبنِ.

فقال أبو حازم وأصحابُهُ: هذا واللهِ نورُ القرآنِ.

قال سليمانُ: فقالتْ لي أمُّ ولدِهِ: بعدما ماتَ صارَ ذلك البياضُ غرةً في جبينه.

٧ ـ أبو بكرِ بنُ عياشٍ:

قال يحيىٰ الحمانيُّ: لمَا حضرتْ أبا بكرٍ الوفاةُ، بكت أختُه فقالَ لها: ما يبكيكِ؟ انظري إلىٰ تلك الزاويةِ، فقد ختمَ أخوكِ فيها ثمانيَ عشْرةَ ألف ختمةٍ.

وقال لابنهِ: يا بنيَّ، إياكَ أن تعصيَ اللهَ في هذهِ الغرفةِ، فإني ختمتُ

(١) شيبة: ختنه، وهو زوج ابنة أبي جعفر.

فيها اثني عشرةَ ألف ختمةٍ.

٨ ـ أبو حنيفةَ:

قال ابنُ المباركِ: كان أبو حنيفَةَ يجمعُ القرآنَ في ركعتينِ.

وقالَ: أربعةٌ من الأئمةِ ختمُوا القرآنَ في ركعتينِ.

عثمانُ بن عفانَ، وتميمُ الداريُّ، وسعيدُ بن جبيرٍ، وأبو حنيفةَ.

٩ ـ الإمامُ عبدُالله بنُ إدريسَ الأوديُّ:

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: كان ابنُ إدريسَ نسيجَ وحدِه.

قال النوويُّ: روينا عنه أنه قال لابنتِه حين بكتْ عند حضورِ موتِه: لا تبكي، فقد ختمتُ القرآنَ في هذا البيتِ أربعة آلاف ختمةٍ.

١٠ ـ أحمدُ بنُ حنبلٍ:

روىٰ أبو نعيمٍ في «الحِلية» عَن عبدِالله بنِ أحمدَ قال: كان أبي يصلِّي كلَّ يومٍ ثلاثمائة ركعةٍ، فلمَّا مرضَ من تلك الأسواطِ أضعفَتْه، فكان يصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ مائةً وخمسين ركعةً، وكان قاربَ الثمانين[1].

١١ ـ الإمامُ ابنُ تيميةَ:

لما سُجن بالقلعة ختَمَ القرآنَ ثمانينَ ختمةً أو إحدىٰ وثمانينَ، ثم انتَهَىٰ إلىٰ قولِه تعَالىٰ في سُورة القمرِ: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]. فماتَ رحمَهُ اللهُ.

---

(١) خبر صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٨١).

رابعًا: كيف تحفظ القرآن؟

١ ـ إخلاصُ النيةِ.

٢ ـ الحفظُ من طبعة واحدةٍ.

٣ ـ الحفظُ على يد قارئ مُجيدٍ.

٤ ـ الحفظُ بعدَ الفجرِ.

٥ ـ تقليلُ المحفوظِ.

٦ ـ تكرارُ المحفوظِ «٥» مراتٍ في الصلواتِ، و ١٠ مراتٍ خارجَها.

٧ ـ مراجعةُ الماضي مع الحاضرِ، وتصلِّي بهمَا ركعتينِ بعد العشاءِ.

٨ ـ إذا أنعمَ اللهُ عليكَ بحفظِ جزءٍ كاملٍ تتوقفُ أسبوعًا كاملاً للمراجعة حيث تُسمعُ الجزءَ مرتين يوميًّا.

٩ ـ إذا أكرمَكَ اللهُ بحفظِ جزءٍ تراجعُ من الماضِي ربعًا يوميًّا مَع الحفظِ الجديد، وتصَلي بهمَا ركعَتينِ بعدَ العشاءِ، وإذَا أكرَمَكَ بحفظِ جزئينِ تراجعُ ربعَينِ، وهكَذَا بعددِ الأجزاءِ وتصَلي بهِم بعدَ العشاءِ.

١٠ ـ تَخفيفُ الطعَامِ والكَلامِ والمنَامِ.

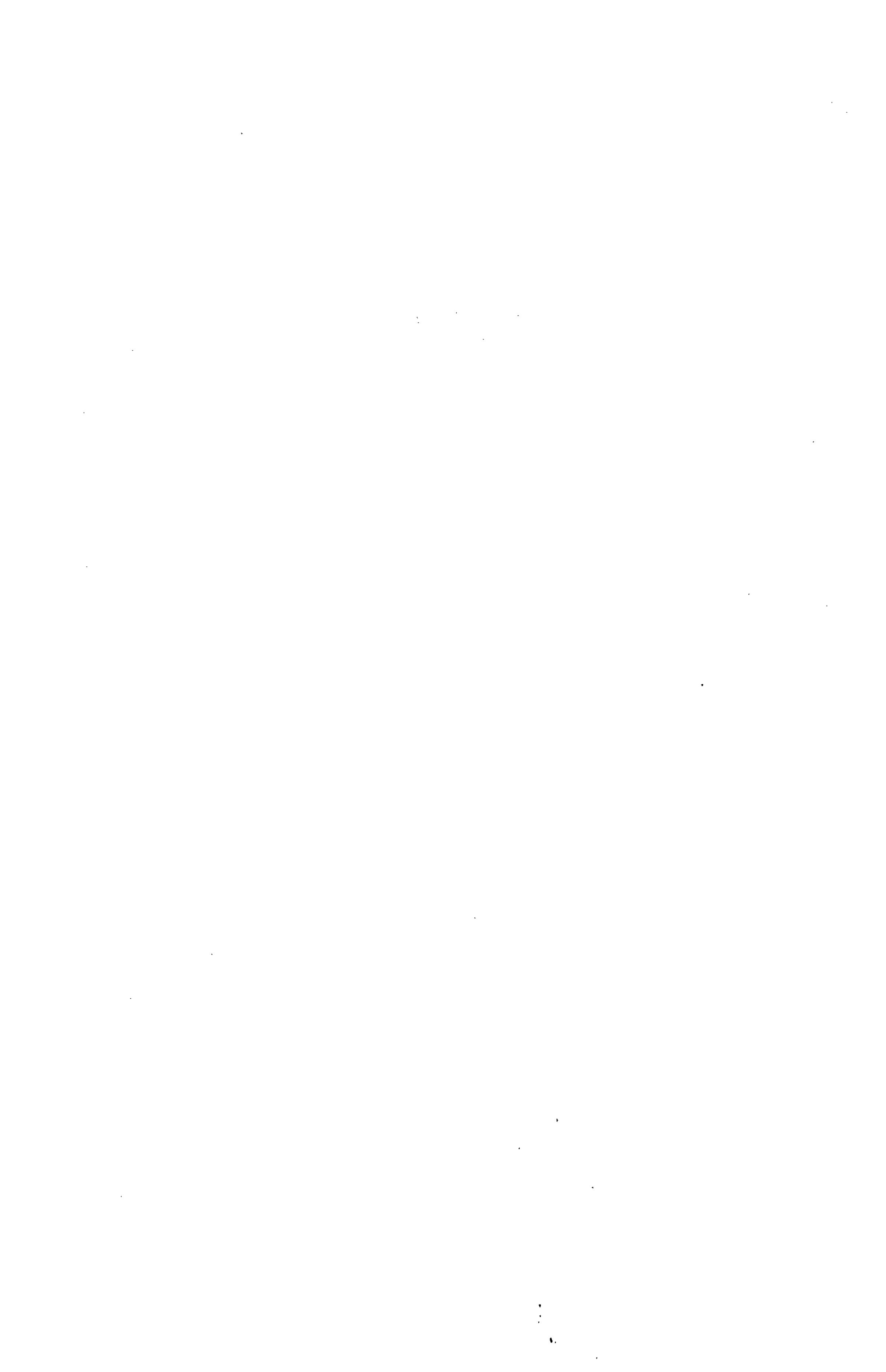
١١ ـ الدعَاءُ بأن يُحفظَكَ اللهُ القرآنَ.

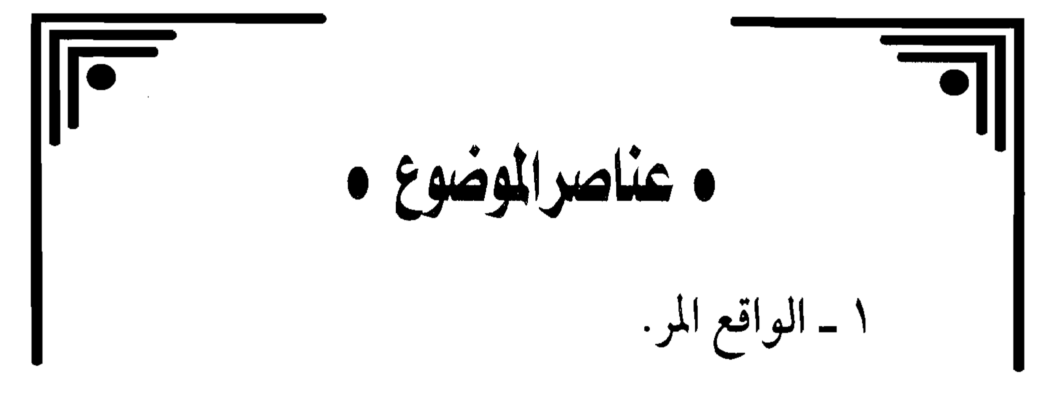
(٢٢)

كشف مخططات الأعداء

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





• عناصر الموضوع •

١ ـ الواقع المر.

٢ ـ خطط الأعداء للسيطرة على المسلمين.

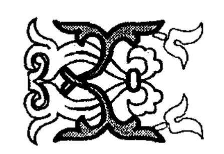
٣ ـ وعد الله بالنصر والتمكين.







كشف مخططات الأعداء



إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنَا، ومن سيئاتِ أعمَالنا، منْ يهدِه اللهُ فلا مُضلَ لَهُ، ومنْ يضلِلْ فَلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمَدًا عبدُه ورسولُه.

وبعدُ:

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَى، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضَلالةٍ في النارِ.

أولاً: الواقع المر

إنَّ الناظرَ في واقعِ المسلمينَ اليومَ يرَىٰ أحداثًا أليمةً تُدمِي القَلبَ وتفتتُ الكبدَ.

فالتضييقُ والحصارُ، بل والقتلُ للمسلمينَ فِي الشيشَانِ المسلمةِ التِي تريدُ أنْ تنَالَ استقلالَها، كمَا نالتْ غيرُها من جمهورياتِ الاتحادِ السوفيتِي القديمِ، لكنَّه يُسمحُ لكلِّ الجمهوريات أن تنَالَ استقلالَهَا علَىٰ اختلافِ مناهجِهِم إلا المسلمينَ، فليسَ لهُم الحقُّ في الاستقلالِ، والاستقرَارِ، لا لشيءٍ إلا لأنهُم مسلمونَ.

والدماءُ التِي تسيلُ علَىٰ أرضِ كشميرِ المسلمةِ، الولايةِ الإسلاميةِ المجاورةِ للهنودِ البوذيينَ عُبَّادِ البقرِ، الذين يريدُونَ أن يسيطرُوا علىٰ المسلمينَ، ويخضعُونَهم لعُبَّادِ البقرِ، والمسلمونَ يرفضُونَ، فيحدثُ لهُم ما تشاهدُونه، وتسمعُونه مِن القَتلِ والتشريدِ.

والاغتيالاتُ العلنيةُ للرموزِ الإسلاميةِ في فلسطينَ المسلمةِ من قِبَلِ اليهودِ المحتلينَ الذينَ سرقُوا الأرضَ، ودنَّسُوا العرضَ، وتسَلطُوا علىٰ المسجدِ الأقصَىٰ.

والاحتلالُ القائمُ الآنَ لدولةٍ مسلمةٍ من قِبَل جحافلِ الكفارِ والمشركينَ وهيَ العراقُ المسلمةُ، ونشرُ صورِ التعذيبِ والإهانةِ، وتدنيسِ العرضِ والشرفِ والكرامةِ لكَي يستسلمَ المسلمونَ في العراقِ

لكنَّهم لنْ يستسلمُوا وسيظلُّونَ يجاهدونَ الاحتلالَ حتى يخرجَ مذءُومًا مدحُورًا إن شاء اللَّه.

كلُّ هذه الأحداثِ تجعلُ بعضَ المسلمينَ ييأسُ منْ روحِ اللهِ، ويشكُّ في وعدِ اللهِ للأمةِ الإسلاميةِ بالتمكينِ في الأرضِ.

ويكاد يُصابُ بالإحباطِ واليأسِ والقنوطِ.

ثانيًا: خطط الأعداء للسيطرة على المسلمين

لاَ نستطيعُ أن نتكلمَ عن وسائلِ النهوضِ بأمتنَا الإسلامية إلا بعدَ أن نتعرفَ علىٰ أسبابِ الضعفِ والتدهورِ الذِي وصَلتْ إليه الأمةُ الإسلاميةُ اليومَ.

إنَّ مَا تعانيه أمتُنا الإسلاميةُ اليومَ من أزماتٍ متلاحقةٍ وضرباتٍ متتابعةٍ ليسَ وليدَ يومٍ وليلةٍ، وإنما هُو حَصادُ سنواتٍ طويلةٍ مِنَ المكرِ والخداعِ والتخطيطِ من قِبَلِ الأعداء لإضعافِ قوىٰ المسلمينَ.

لقد نظرَ أعداءُ الإسلامِ إلىٰ تاريخِ أمتنا الإسلاميةِ، فوجَدُوها سادتَ الدنيَا، وحطمتِ الدولَ الكبرىٰ في زَمانِها منَ الفرسِ والرُّومِ، وانتصرتْ في معاركَ كثيرةٍ مع أعدائِها معَ قلةِ عددِ المسلمينَ وكثرةِ عددِ الكافرينَ.

فعلمُوا أن سرَّ قوةِ الأمةِ في إيمانِها، وسَببَ انتصَارِها هو تمسكُهَا بإسلامِها.. فعملَ الخبثاءُ فِي الخفاءِ علَىٰ تخلِّي الأمةِ عنْ إسلامِها تحتَ مسمياتٍ مختلفةٍ، كالتقدمِ والتطورِ، ومواكبةِ الغربِ... ونحوَ ذلكَ منَ المسميَاتِ التِي ظَاهرُهَا فيه الرحمةُ، وباطنُها من قِبلِه العذابُ، وسلكُوا فِي ذلكَ عدةَ مسالكَ:

١ ـ تصديرُ الأفكارِ المسمومةِ، والآراءِ الرديئةِ إلىٰ بلادِ المسلمينَ فتجدُ منَ المسلمينَ مَن يشكِّكُ في بعضِ الأحاديثِ الصحيحةِ لأنَّها لا توافقُ عقلَه المريضَ، وتجدُ كَاتبًا يكتبُ في الجرائدِ السيارةِ وينكرُ حَدًّا من حُدودِ اللهِ وهوَ حدُّ الرجمِ ولا يَدرِي المسكينُ أنَّ رَجمَ الزانِي المُحصَنِ قد أجمعَ

عليه العُلماءُ قديمًا وحديثًا.

وترَىٰ آخرَ قد تَلقَىٰ تعليمَهُ العلمَانيَّ في بلادِ الكفارِ، ثمَّ جاءَ إلىٰ بلادِ المسلمينَ لينكرَ الحدودَ جملةً وتفصيلاً، ويزعُمُ أنَّها لا تواكبُ العصرَ.

وإن نسيتُ فلا أنسَىٰ موقِفَ ذلكَ الشابِّ في إحدَىٰ الدولِ الإسلاميةِ الذي سَافرَ إلىٰ بلادِ الكفارِ ليتلقَىٰ دراسَاته العليَا هنَاكَ وبعدَمَا عادَ إلىٰ بلده بعدَ مدةٍ طويلةٍ رأَىٰ الناسَ يصلونَ، فقَالَ لأبيِه وقومِه: مازِلتُم في هذَا التخلفِ؛ تسجدُونَ عَلىٰ الأرضِ، لقد تحررتُ من هذَا التخَلفِ، فلَنْ أضعَ جبهتِي علَىٰ الأرضِ بعدَ اليومِ.

فأصِيبَ بصدَاعٍ شديدٍ في رأسِهِ، فدَارَ عَلىٰ الأطباءِ، فلم يجدُوا لهُ علاجًا، فكَانَ لاَ يهدأُ الصداعُ حتَّىٰ يسجدَ علَىٰ الأرضِ.

٢ ـ تصديرُ الموضَاتِ الخليعَةِ والملابِسِ الرقيعَةِ إلىٰ بَنَاتِ المسلمينَ لإفسَادِ الشبَابِ والفتَياتِ، وترويجِ ذلكَ عبرَ وسائلِ الإعلامِ بواسطَةِ بعضِ المسلمينَ الذينَ يسعَوْنَ وراءَ الربحِ الحرامِ، الذينَ يؤثرُونَ الدنيَا علَىٰ الآخرةِ، عُبَّادِ الدِّرهمِ والدينَارِ.

٣ ـ إلهاءُ الشبابِ بقضَايَا تافهةٍ، وتشجيعُ التعصبِ لهَا لإشغالِهم عنْ قضَايَا أمَّتهم الأساسيةِ. . . فتراهُم يشغلُون الشبابَ بقضَايَا الكرةِ حتَّىٰ تسمعَ هتافاتٍ مدويةً عندَ دخولِ الهدفِ، وترَىٰ تعصبًا مقيتًا لبعضِ النوادِي واللاعبينَ، فإذَا سمعَ الشابُّ من ينتقصُ النادِي الذِي يشجِّعه انبرَىٰ يدافعُ عنهُ بحماسةٍ وقوةٍ ويسفِّه رأيَ الآخرِ ويتعصبُ لذلكَ تعصبًا شديدًا.

فِي حِينِ أنَّه لوْ سـمعَ مَـنْ يسبُّ الدينَ أو الرسـولَ ﷺ لاَ ترَىٰ منهُ هذه الحرارةَ وتلكَ الحماسة في الدفَاع عن دينِه ، والذبِّ عن نبيِّه . . فقدْ أفلحَ الأعداءُ فِي هذهِ النقطةِ إلَىٰ حَدٍّ كبيرٍ .

٤ ـ تشجِيعُ التعليمِ العلمانيِّ والحدُّ من التعليمِ الدينيِّ قدرَ الإمكانِ للعملِ علَىٰ تجهيلِ المسلمينَ بدينِهِم وشريعَتِهم لتسهلَ السيطرةُ عليهِم .

٥ ـ بثُّ الخلافِ بينَ البلادِ الإسلاميةِ والشعوبِ العربيةِ لإضعَافِهَا والعَملِ علىٰ عَدمِ اتحادِهَا وتماسُكِها .

٦ ـ تصويرُ القدراتِ الحربيةِ ، والإمكانياتِ القتاليةِ للأعداءِ بشيءٍ من المبالغَةِ في وسائلِ الإعلامِ لبثِّ الرعبِ في قلوبِ المسلمينَ والعَملِ علىٰ هزيمتِهِم النفسيةِ ، لكَي لاَ يجدُوا أمامَهم بُـدًّا من الاستسلامِ والارتماءِ في أحضَانِ الكفارِ .

ولكنَّ هذِه القدرَاتِ الحربية المزعومة لمْ تفلحْ في دفعِ القتلِ عنهُم أو التقليلِ من خسَائرهِم علىٰ أرضِ العراقِ حيثُ لا يمرُّ أسبوعٌ إلا ويقتلُ منهُم أحدٌ حتَّىٰ إنَّ الهزيمةَ النفسيةَ أدتْ إلىٰ انتحارِ بعضِ جنودِ العدوِّ ، وهروبِ آخرينَ من ميدانِ القتالِ .

ثمَّ إنَّ المسلمينَ يؤمنونَ بقولِ اللهِ تعَالَىٰ : ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

كم من فئةٍ قليلةٍ مؤمنةٍ غلبتْ فئةً كثيرةً فِي العدَدِ ، كثيرةً في العدةِ ، بإذنِ اللهِ . . فإذَا أيدَ اللهُ المؤمنينَ فلا يُهزمونَ ولا يُقهرونَ .

قالَ تعَالَىٰ: ﴿ إن ينصرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أبدًا مهمَا ملكَ منَ القوةِ المادية، والأسبَابِ الأرضيةِ، وقالَ سبحانَهُ: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عندِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

ولم يكلِّفنا ربُّنا أنْ نعدَّ للأعداءِ مثلَ عُدَّتهمْ وقوَّتهم وإنَّما أمرَنَا أن نعدَّ لهمْ مَا في قُدرتِنَا واسْتطاعَتنا فقطْ معَ التمسك بدينِ اللهِ والتوكلِ عَلىٰ اللهِ، فقالَ سبحانَهُ: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ثالثًا: الوعد بالنصر والتمكين

إنَّ الباطلَ مهمَا انتفشَ فلابدَّ أنْ ينكمشَ، وإنَّ الظالمَ مهمَا علاَ فلابدَّ أنْ يسقطَ، وإنَّ الحقَّ مهمَا حُوصِرَ فلابدَّ أنْ ينتصرَ.

وإنَّ وعدَ اللهِ مهمَا تأخرَ فلابدَّ أنْ يتحققَ.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٥-٥٩].

فهذَا وعدٌ أكيدٌ منَ اللهِ الذي يملكُ البلادَ والعبادَ وهوَ القويُّ العزيزُ أنهُ سيمكِّن للأمَّةِ الإسلاميةِ في الأرضِ فتكونَ هيَ الأمةَ الظاهرةَ، والقوةَ القاهرةَ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

﴿كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

والظهورُ هوَ العلوُّ في الأرضِ، وسوفَ يكونُ علوًّا بالحقِّ، ونشرًا للخيرِ، وإرساءً للعدلِ، وهدايةً للبشريةِ.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

فلقدْ وعدكُم اللهُ يَا أمةَ الإِسْلام بثلاثةِ أشياءَ:

الوعد الأول: الاستخلاف: وهوَ أنْ يستخلفَكمْ علَىٰ أراضيهم وممالِكهم، فتكونَ لكُم الغلبةُ علَىٰ أرضِ الكفارِ فتملكُونهَا.

الوعد الثاني: التمكين للدين:

وهوَ نوعانِ:

١ـ تمكينٌ للدينِ فِي القلوبِ، منْ توحيدٍ، ومحبةٍ، وإخلاصٍ، ورغبةٍ، ورهبةٍ، ورجاءٍ، وخوفٍ، وإنابةٍ، وإخباتٍ، ونحوَ ذلكَ. حتَّىٰ يستمكنَ الدينُ منَ القلبِ، ويفيضَ عَلَىٰ الجوارحِ، ويظهرَ في الأحاسيسِ والمشاعرِ، فلاَ يتحركُ العبدُ حركةً إلاَّ لدينِ اللهِ.

والنوعُ الثاني: تمكينٌ للدينِ في الأرضِ، فتُحكَمُ الأرضُ بدينِ اللهِ فِي جميعِ نواحِيها.

فيحكمُ الدينُ الأرضَ اقتصاديًّا، وأخلاقيًّا، وسلوكيًّا ويخضعُ الجميعُ لدينِ اللهِ ولحكمِ اللهِ.

الوعدُ الثالثُ: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

إنَّ كثيراً منَ المسلمِينَ اليَومَ كلمَا ذُكرَ لهُم قوةُ الكفارِ الحربيةِ والنوويةِ ووسائلُهم المتقدمَةُ فِي الحربِ دبَّ الخوفُ فِي قلبِهِ، ودَخَلَ الرعبُ فِي نفسِهِ، فإذَا حققتُم مَا شرَطَ اللهُ في هذِه الآيَاتِ أبدَلكُم اللهُ بهذَا الخَوفِ أمنًا، وبهذَا الرعبِ طمأنينةً، وتوكُّلاً، وإنَابةً، وأوقَعَ اللهُ فِي قُلوبِ الكَافرينَ الرعبَ منكُم، والخوفَ منِ اتحادِكُم، وتمسكِكم بدينِكُم.

شروط الاستخلاف والتمكين ستة

١ ـ الإيمان الصادق:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ [النور: ٥٥] الذينَ حَققوا الإيمانَ علَى أرضِ الواقعِ، فلاَ يخافونَ إلا اللهَ، ولاَ يرجُونَ إلاَ اللهَ، ولاَ يتوكلُونَ إلاَ علَى اللهِ، ولاَ يعملُونَ عملاً إلاَّ ابتغاءَ وجهِ اللهِ.

٢ ـ العمل الصالح:

﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

هذَا هوَ الشرطُ الثَّانِي منْ شُروطِ الاستخلافِ والتمكِينِ، فإيمَانٌ بلاَ عملٍ صالحٍ لا يَأتِي بالتمكِينِ.

إيمانٌ معَ أكلِ الربَا، أو إيمانٌ معَ شربِ الخمرِ، وإيمانٌ معَ تبرُّجٍ وسفورٍ لا يمكنُ أنْ يأتِي بالتمكينِ.

٣ ـ إخلاص العبادة لله:

﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].

فإخلاصُ العبادةِ للهِ منْ أسسِ قيَامِ الدولةِ الإسلاميةِ، أمَّا إذَا شابَ العبادةَ رياءٌ أو شركٌ أو استغاثةٌ بغيرِ اللهِ، أو طوافٌ بغيرِ الكعبةِ، أو نذرٌ لغيرِ اللهِ، ونحوَ ذلكَ منْ مظاهرِ الشركِ فإنَّ ذلكَ منْ معوقاتِ التمكينِ للمسلمينَ فِي الأرضِ.

٤ ـ إقامة الصلاة:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾

فكأنَّ اللهَ تعَالَىٰ قَدْ مكنَ للمسلمينَ فِي الأرضِ، فيقولُ لهُم: يَا أيهَا الممكنونَ فِي الأرضِ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [النور: ٥٦].

فإقامة الصلاةِ فِي وقتِها، وتوقفُ جميعِ المؤسساتِ والشركَاتِ والمصَانعِ وقتَ الصلاةِ، شرطٌ منْ شروطِ الانتصَارِ علَىٰ الأعدَاءِ، تلكَ هي النظرةُ الشرعيةُ.

أمَا الذينَ ينظرُونَ إلىٰ هذَا الأمرِ نظرةً ماديةً بحتةً فيعتبرونَ ذلكَ تعطيلاً لاقتصادِ الأمة، وإهدَاراً لأموال الأمة فقدْ جانَبُوا الصوابَ، وابتعَدُوا عَنْ الحقيقةِ، فقدْ تكثرُ الأموَالُ بلاَ بركةٍ، فتَأكلهَا الآفَاتُ والأزمَاتُ، والأمراضُ.

٥ ـ إيتاء الزكاة:

﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

فهذَا هوَ الشرطُ الخامسُ من شروطِ النصرِ علَىٰ الأعدَاءِ: وهوَ أداءُ الزكاةِ، وهوَ ركنٌ تعبديٌّ ماليٌّ ينزعُ مِنْ قلوبِ الأغنياءِ داءَ البُخلِ والشُّحِّ، فإنَّ الذي يبخَلُ بمَالِهِ أشدُّ بخلاً بنفسِهِ وروحِهِ عندَ الدعوَةِ إلىٰ جهَادِ الكفَارِ والمشركِينَ.

٦ ـ طاعة الرسول ﷺ:

﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦].

فطَاعةُ الرسولِ المطلقةُ، والائتمارُ بأوامِرِهِ، والانتهَاءُ عنْ نواهِيهِ سببٌ

منْ أسبابِ النصرِ، وشرطٌ منْ شروطِ التمكينِ، بلْ طاعةُ الرسولِ هيَ طريقُ الهدايةِ الحقيقيةِ، قالَ تعالَىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

قد يقولُ قائلٌ: هلْ منَ الممكنِ إذا طبقَ المسلمونَ هذهِ الشروطَ الإيمانيةَ أن ينتصرُوا بعدمَا وصلَ الأعداءُ إلىٰ مَا وصلُوا إليهِ مِنَ التقدمِ العلميِّ، والتسلحِ الحربيِّ الذي لاَ يملكُ المسلمُونَ اليومَ معشارَه.

منْ أجلِ ذلكَ قَالَ اللهُ تعَالَىٰ بعدَ هذهِ الآيةِ مباشرةً: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾ [النور: ٥٧].

ثم ذكرَ ربُّ العزةِ بعدَ ذلكَ آياتِ الاستئذانِ، وأمرنَا بتعليمِ الأطفالِ آدابَ الاستئذانِ.

لماذَا ذكرَ ذلكَ بعدَ آياتِ التمكينِ، ومَا علاقةُ تعليمِ الأطفالِ الاستئذانَ بالتمكينِ في الأرضِ؟

في هذَا إرشادٌ للمؤمنينَ الذينَ يريدونَ أنْ ينتصرُوا علَىٰ أعدائِهم وأنْ يملكُوا الأرضَ أنْ يربُّوا أولادَهُم عَلىٰ الآدابِ الإسلاميةِ، والمعانِي الإيمانيةِ، ليكبرَ الأولادُ علَىٰ ذلكَ فيسودُوا الدنيَا ويُمكنُوا فِي الأرضِ كمَا تمكنَ آباؤهُم، وفيهَا تحذيرٌ منْ عدمِ تربيةِ الأبناءِ علَىٰ الإسلامِ فيتخلَىٰ عنهُم ربهُم، فيهونُوا علَىٰ أعدَائِهم ويُهزمُوا ويُذلُّوا.

ثم ذكرَ بعدَ ذلكَ آياتِ الحجابِ والنهيِ عنِ التبرجِ، فقالَ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

وفِي هذَا إشارةٌ إلىٰ دورِ المرأةِ فِي المجتمعِ المسلمِ إذَا أرادَ أنْ يتمكنَ فِي الأرضِ، وأنْ يسلكَ طريقَ النصرَ، فلاَ يمكِّنَ اللهُ لمجتمعٍ مسلمٍ نساؤُه متبرجات سافرات عاصيات.

فعَلىٰ المرأةِ المسلمةِ أنْ تجتهدَ فِي الالتزامِ بالحجابِ والسيرِ عَلىٰ شرعِ اللهِ... وفقَ اللهُ الجميعَ لطاعتِهِ.

الدعَاء...

(٢٣)

علاج قسوة القلب

تأليف
وحيد بن عبد السلام بالي



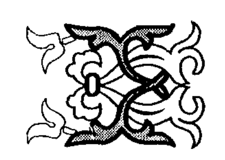
• عناصر الموضوع •

١ -مظاهر وأعراض قسوة القلب.

٢ -أسباب قسوة القلب.

٣ -علاج قسوة القلب.





علاج قسوة القلب



أولاً: مظاهر قسوة القلب:

١ ـ التكاسلُ عن الطاعاتِ.

٢ ـ عدمُ التأثرِ بالقرآنِ.

٣ ـ عدمُ الإكثارِ من ذكرِ اللهِ.

٤ ـ عدمُ الغضبِ إذَا انتهكتْ محارمُ اللهِ.

ثانيًا: أسباب قسوة القلب:

١ ـ الابتعادُ عن الأجواءِ الإيمانيةِ.

٢ ـ الابتعادُ عن حَلقاتِ العلمِ الشرعيِّ.

٣ ـ الإغراقُ في الدنيَا.

٤ ـ طولُ الأَمَلِ.

٥ ـ الإكثارُ منَ الطعامِ والكلامِ.

ثالثًا: علاجُ قسوة القلب:

١ ـ تدبرُ القرآنِ.

٢ ـ استشعارُ عظمةِ الرحمنِ.

٣ ـ حلقاتُ العلمِ الشرعيِّ.

٤ ـ تنويعُ العباداتِ.

٥ ـ كثرةُ ذكرِ الموتِ.

٦ ـ كفالةُ اليتيمِ.

٧ ـ الانكسارُ بينَ يدَيِ اللهِ.

علاج قسوة القلب

١ ـ أهمية القلب:

القلبُ هوَ ملكُ الأعضاءِ، بصلاحهِ تصلحُ الأعضاءُ، وبفسادهِ تفسدُ.

قالَ ﷺ: «ألاَ وإنَّ في الجسَد مضغةً، إذا صلَحتْ صلَحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذَا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّهُ، ألاَ وهيَ القَلبُ»[١].

والقلب محل نظر الرب جلَّ وعلا:

فقد قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ لاَ ينظرُ إلَى صُورِكُم وأموَالِكُم، ولكنْ إنَّمَا ينظُرُ إلَى قلوبِكُم وأعمَالِكُم»[٢].

كثرة تقلب القلب:

والعجيبُ أنَّ هذَا القلبَ كثيرُ التقلبِ، فقدْ يكونُ القلبُ اليومَ قويَّ الإيمانِ، وغداً ضعيفَهُ، بل قد يكون اليوم مخبتًا، وغدًا غافلاً، واليوم فاسقًا، وغدًا مؤمنًا تقيًّا.

يصوِّرُ النبيُّ ﷺ هذَا التقلبَ فيقولُ فيمَا روَاهُ أحمدُ عنْ أبِي موسَىٰ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي (٤٤٦٥)، وابن ماجة (٣٩٨٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٩، ٢٧١)، وابن حبان (٧٢١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٦٤)، وابن ماجة (٤١٤٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٣٩، ٢٨٤، ٢٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٩٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٨، ٧/ ١٢٤).

الأشعريِّ أنَّه ﷺ قالَ: «إنَّما سُمِّي القلبُ من تقلبه، إنما مثَلُ القلبِ كَمَثَلِ ريشةٍ معَلقةٍ في أصلِ شجرَةٍ يُقَلِّبها الريحُ ظَهراً لِبطنٍ»(١).

دعاء النبي ﷺ:

ولذلكَ كانَ النبيُّ ﷺ يدعُو ويقولُ: «اللهمَّ يَا مصرِّفَ القلوبِ صرفْ قلوبَنَا على طاعتِكَ»(٢).

مظاهر قسوة القلب:

١ ـ من مظاهر قسوة القلب ترك الطاعات أو التكاسل عنها بعد ما كان محافظًا عليها:

كمنْ كانَ يقرأُ في اليومِ ثلاثةَ أجزاءٍ منَ كتابِ اللهِ فتكاسلَ حتَّىٰ صارَ لاَ يتلُو في اليومِ إلا رُبعينَ أو ثلاثةً.

ومنْ كانَ محافظًا علَىٰ قيَام الليلِ فتكاسلَ حتَّىٰ صارَ لاَ يقومُ مِن الأسبوُع إلاَّ ليلةً أو ليلتينِ.

ومنْ كانَ يداومُ علَىٰ صلةِ رحمِه، فصارَ لاَ يزورُهُم إلا نَادراً.

٢ ـ ومن مظاهر قسوة القلب: عدم التأثر بآيات القرآن الكريم:

فتراهُ بعدمَا كانَ يسمعُ القرآنَ فيخشعُ قلبهُ، ويزدادُ إيمانُه، ويقشعرُّ جسدهُ، صارَ لاَ يتأثرُ بوعدِ القرآنِ ولاَ وعيدِه، ولاَ يعتبرُ بقصصِه وأمثالِه،

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٦٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٨، ١٧٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١١٤).

ولا يخَافُ إذَا ذُكِرت آياتُ العذَابِ والجحيمِ والقيامةِ والحشرِ والساعةِ .

بلْ هوَ متكَاسلٌ عن تلاوةِ القرآنِ، وإذَا قرأَ فهوَ غَافلٌ عمَّا فيهِ فيغلِبُه النومُ، ويملُّ منْ التلاوةِ سريعًا .

فإذَا ذُكرتِ الدنيَا وجدتَه خبيراً بشئونِها، عالمًا بأحوالِها، يتكلمُ الساعَاتِ الطوَالَ لاَ يملُّ ولاَ يكلُّ .

وهذهِ منْ أعظَمِ علاماتِ ضعفِ الإيمانِ وقسوةِ القلبِ .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] .

٣ ـ ومن مظاهر قسوة القلب: الغفلة عن ذكر الله:

فتجدُه لاَ يكثرُ منْ ذكرِ اللهِ تعَالَىٰ في الصبَاحِ والمسَاءِ والجلسَات وغيرَ ذلكَ، وإنما يقتصرُ علَىٰ الذكرِ بعدَ الصلاةِ، بلْ وبعضُهُم يتثاقَلُ حتَّىٰ عنْ التسبيحِ بعدَ الصلاةِ، فتراهُ إذَا سلمَ الإمامُ قَامَ سريعًا كأنهُ يجلسُ علىٰ جمرٍ، لاَ يشعرُ للذكرِ بلذةٍ، ولاَ للتسبيحِ بحلاوةٍ، وإنما لذتُه وحلاوتُه فِي ذكرِ الدنيَا وأحوالِهَا .

فهذاَ منْ ضعفِ الإيمانِ وموتِ القلبِ: «مَثَلُ الذي يَذكُرُ ربَّه والذي لاَ يذكُرُ ربه مَثَلُ الحَيِّ والميت»[1] .

٤ ـ ومن مظاهر قسوة القلب عدم الغضب إذا انتهكت حرماتُ الله:

فتراهُ يرَىٰ المنكرَ بعينيهِ، ويسمعُه بأذنَيهِ فلاَ يغيرُه ولوْ بكلمةٍ، بلْ ربَّما جلسَ معهُم وهمْ يسمعونَ الأفلامَ الماجنةَ، والمسلسلاتِ الفاجرةَ .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) .

وربما يجلسُ معهُم وهُم يغتابُونَ الناسَ ويأكلُونَ في لحومِهِم.

وذلكَ لأنَّ غَيرة الإيمانِ قدْ انطفَأتْ في قلبِهِ، وخبَت جذوتُها، ولوْ كانتْ هنَاكَ بقيةٌ لاقشعرَّ جسدُه من المعصيةِ، ولفارقَ مكانَها إنْ لمْ يتمكنْ منْ تغييرهَا.

فعنِ العُرسِ بنِ عَميرةَ الكنديِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**إذَا عُملت الخطيئةُ في الأرضِ كانَ منْ شهدَهَا فكَرهَهَا** - وقالَ مرةً: **أنكَرَهَا** - **كَانَ كَمَن غَابَ عنهَا، وَمَن غَابَ عنهَا فَرضِيهَا كَانَ كَمَن شَهدَهَا**»[1].

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٣٤٥)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٨٩).

ثانيًا: أسباب قسوة القلب

١ ـ الابتعاد عن الأجواء الإيمانية:

إنَّ المؤمنَ القريبَ من إخوانه، المجالسَ لهم يعلُو إيمانُه، ويزدادُ يقينُه، والبعيدَ عنهم يَضعُفُ إيمانُه.

ومن مظاهرِ القربِ من الصالحينَ: حضورُ صلاةِ الجماعةِ.

قال ﷺ: «ما من ثلاثة في قَريـة، ولاَ بَدو لا تُقَامُ فيهُم الصلاةُ إلا استحوذَ عليهُم الشيطانُ، فعليكُم بالجَماعةِ، فإنما يأكُلُ الذئبُ من الغَنَمِ القَاصيةِ»(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: إخوانُنَا أغلَىٰ عندَنَا منْ أهلِينَا، فأهلُونَا يذكرُونَنَا الدنيَا، وإخوانُنا يذكرونَنَا بالآخرةِ.

٢ ـ الابتعاد عن القدوة الصالحة:

إنَّ الشخصَ الذِي يتعلمُ علَىٰ يدِ رجلٍ صالحٍ يجمعُ بينَ العلمِ والعملِ، كلمَا اقتربَ منهُ نهلَ من علمِه وأخلاقِه، وكلَّما ابتعدَ عنهُ شعرَ بقسوةٍ فِي قلبِه وضعفٍ فِي إيمانِه.

٣ ـ الابتعاد عن حلقات العلم الشرعي:

إنَّ الابتعادَ عنْ حلقاتِ العلمِ الشرعيِّ يضعفُ الإيمانَ، ويشعرُ المبتعدَ

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٦)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٩٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٨٦)، وابن حبان في «صحيحه (٢١٠١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٥٤)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).

بقسوةٍ في قلبِهِ، والاقترابَ منهَا يقوِّي الإيمانَ: «مَا اجتمَعَ قومٌ فِي بيت من بيوُتِ الله يتلُونَ كتَابَ الله، ويَتَدارَسُونَهُ بينَهُم إلاَّ نَزَلَتْ عليهُم السَّكِينَةُ، وَغَشِيتهُم الرَّحمَةُ، وحَفَّتهُم المَلائكَةُ، وذَكَرَهُم اللهُ فيمَنْ عندَهُ»(١).

وفِي روايةِ الترمذيِّ: «مَا اجتمَعَ قومٌ فِي مسجدٍ يتلُونَ...»(٢).

فوائد طلب العلم:

فطلبُ العلمِ يقوِّي الإيمانَ، ويقرِّب العبدَ منَ الرحمنِ، ويُبعدُ عنِ المسلمِ وسَاوسَ الشيطانِ، ويُبَصِّرُ المسلِمَ بما يحبُّه اللهُ فيفعَلُه، ومَا يبغَضُه فيجتَنِبَه، والعَالِمُ بالأحكَامِ يستغفرُ لهُ كلُّ شيءٍ حتَّى الحيتانُ فِي البحرِ.

وقولُه: «يَتْلُونَ كتَابَ الله»، ليسَ المقصُودُ التلاوةَ فقطْ، بَلْ كلَّ علْمٍ مستنبطٍ منَ القرآنِ مثْل: التفسيرِ، والحديثِ، والفقهِ، والتوحيدِ، والسيرةِ، وغيرِهَا.

٤ ـ الإغراق في الانشغال بالدنيا:

فمنَ الناسِ منْ كَانَ هَمَّه الدينُ التزامًا واستقامةً، يفرحُ إذَا التزمَ شخصٌ، ويستبشرُ إذَا ماتتْ بدعةٌ وقامتْ سنةٌ، فطالَ عليهِ الأمَدُ، فقسَى قلبُه وانشغلَ بالدُّنيَا، فصارَ لا يفرحُ بانتصَارِ الإسْلامِ، ولاَ بالتزَامِ الناسِ، ولكنْ يفرحُ بدينارٍ اكتسبهُ، ودرهمٍ حصَّله، وعلاوةٍ حصلَ عليهَا، وبيتٍ بنَاهُ، وتجارةٍ ابتدَأهَا، فهذه انتكاسةٌ عظيمةٌ، واللهُ المستعَانُ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥، ٤٩٤٦)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجة (٢٢٥)، والدارمي (٣٤٤)، وغيرهم.

(٢) صحيح: تقدم فيما قبله.

٥ ـ طول الأمل:

ومنْ أسبابِ ضعفِ الإيمانِ غلبةُ طولُ الأملِ على القَلْب: فينسى الآخرَةَ ويعمَلُ للدنيا، قَالَ تعَالَى: ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الحجر: ٣].

وقالَ عليٌّ ـ رضِي اللهُ عنهُ: «أخوفُ مَا أخَافُ عليكُم اتباعُ الهَوَىٰ وطولُ الأملِ، فأمَّا اتبَاعُ الهَوَىٰ فيصدُّ عنِ الحقِّ، وأمَّا طولُ الأملِ فينسِي الآخرةَ».

٦ ـ الإفراط في الطعام والمنام والكلام:

«**لاَ تُكثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلبِ**»[1] .

ثالثًا: علاج ضعف الإيمان وقسوة القلب:

١ ـ وجوب متابعة القلب، وتجديد الإيمان:

قَالَ ﷺ: «**إنَّ الإيمَانَ ليَخلَقُ في جَوفِ أحَدِكُم كمَا يَخلَقُ الثَّوبُ، فَاسأَلُوا اللهَ أنْ يُجدِدَ الإيمانَ في قُلوبِكُم**»[2] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٢)، والترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجة (٤١٩٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣١)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٠٦)، وفي «صحيح الجامع» (٧٤٣٥).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» للهيثمي (١/ ٥٢)، وقال إسناده حسن، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع (١٥٩٠)، و«الصحيحة» (١٥٨٥).

وقال ﷺ: «مَا منَ القُلُوب قَلبٌ إلاَّ ولَهُ سَحَابة كسَحَابةِ القَمَرِ، بينَمَا القَمَرُ مضيءٌ إذْ علَتْهُ سَحَابةٌ فَأظلَمَ، إذْ تَجَلتْ عنهُ فأضَاءَ»(١) .

٢ ـ تدبر القرآن:

من شعرَ بقسوةٍ في قلبِهِ، وضعفٍ في إيمانه فليفتحْ كتابَ الله، وليقرأ فِيه مترسلاً، متدبرًا، متفكرًا في آياتهِ، فلنْ يقومَ ـ إن شاءَ اللهُ ـ إلاَّ وقدْ انجلتْ سحابةُ الظلمةِ عنْ قلبِهِ.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فإذَا وجدتَ آيةً تأثرَ بهَا قلبُك، وخشعتْ بها نفسُك، فاعلمْ أنَّ فيهَا دواءَك، فكررها حتىٰ تستقرَّ في نفسكَ، وتعالجَ داءَ قلبِكَ.

وتكرارُ الآيات في الصَّلاة ليسَ بدعًا من القولِ، فقد قامَ النبي ليلَةً بقوله تعَالىٰ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٢) [المائدة: ١١٨].

والقرآنُ فيه:

عقيدةٌ وتوحيدٌ، ووعدٌ ووعيدٌ، وأخبارٌ وقصصٌ، وآدابٌ وأخلاقٌ، وأوامرٌ ونواهٍ.

فعليكَ أن تعتقدَ عقيدتهُ.

---

(١) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٩٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٨٢)، و«الصحيحة» (٢٢٦٨).

(٢) حسن: أخرجه النسائي (١٠١٠)، وابن ماجة (١٢٥٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٠١٠).

وتستبشرَ بوعدِه.

وتخشَىٰ وعيدَهُ.

وتؤمنَ بأخبارِه.

وتتعظَ بمواعظِه.

وتعتبرَ بقصصِه.

وتتأدبَ بآدابِه.

وتتخلقَ بأخلاقِه.

وتنفذَ أوامرَهُ.

وتنتهِيَ عن نواهيهِ.

٣ ـ استشعار عظمة الله:

التفكرُ في أسماءِ اللهِ وصفاتِهِ ومعرفة معانيهَا وكيفيةِ الإيمانِ بهَا، فإنَّ ذلكَ يقوي الإيمانَ، ويجعلُ العبدَ علَىٰ صلةٍ بالرحمنِ، فإنَّ التفكرَ فِي (الرحمنِ الرحيمِ) يشعرُ المؤمنَ بالطمأنينةِ، والتفكرَ في (الرقيبَ) يشعرُ المسلمَ بالمسئوليةِ تجاهَ أقوالهِ وأفعالِه.

والتفكرَ فِي (التواب) يشعرُ المسلمَ بعدمِ اليأسِ، وأنَّ اللهَ يتوبُ عليهِ إنْ تابَ وأنابَ، وهكَذَا[1].

(١) راجع: «أسماء اللَّه وصفاته» للأشقر، «القواعد المثلىٰ في الصفات والأسماء الحسنىٰ» لابن عثيمين.

٤ ـ طلب العلم الشرعي:

كلَّما ازدَادَ المسلم علمًا ازدَادَ منَ الله قُربًا، وخَشيَةً، وإنَابةً، واستكَانَةً، قالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقالَ سُبحانَهُ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٥ ـ مطالعة سيرة السلف الصالحين:

منَ الأمورِ التِي ينبغِي للمؤمِنِ أنْ يهتمَّ بهَا الكتبُ التِي تسردُ قصصَ الصحابةِ والتابعينَ والعلماءِ والصالحينَ.

مثل: «البداية والنهاية»، «صفة الصفوة»، «صور من حياة الصحابة»، و«الزهد» لابن المبارك، «مختصر سير أعلام النبلاء»، فإنَّ ذلكَ يجعلُ المسلمَ يعيشُ في المجتمعِ الأولِ بفكرِهِ وشعورِهِ ووجدانِهِ.

٦ ـ تنويع العبادات:

منْ رحمةِ اللهِ بنَا أن نوَّع لنَا العباداتِ لتأخذَ النفسُ بمَا تستطيعُ منهَا.

فمنهَا عباداتٌ بدنيةٌ مثلُ: نوافل الصلاة، والصيام.

ومنهَا الماليةُ مثلُ: الصدقة، وإطعام الطعام.

ومنهَا القوليةُ مثل: الذكر، وتلاوة القرآن.

ومنهَا القلبيةُ مثل: الخوف، والخشية، والتفكر في مخلوقات الله.

فمثلاً: لتعلمْ أنَّ الإصلاحَ بينَ الناسِ عبادةٌ تقربكَ إلىٰ اللهِ.

قضاءُ حوائجِ الناسِ ومساعدتُهم عبادةٌ تتقربُ بهَا إلىٰ اللهِ.

قيادةُ الأعمىٰ عبادةٌ . . . إمَاطَةُ الأذىٰ عبادةٌ . . . تربيةُ الأولادِ عبادةٌ . . . غضُّ البصرِ عبادةٌ .

إرشادُ السائلِ عبادةٌ . . تعلمُ العلمِ عبادةٌ .

اتباعُ الجنائزِ عبادةٌ . . تغسيلُ الميتِ عبادةٌ .

الصلاةُ علَىٰ الميتِ عبادةٌ . . . وإكرامُ الضيفِ . . . وصلة الأرحام . . . إلخ .

٧ ـ كثرة ذكر الموت:

وذلكَ بزيارَةِ القبورِ للعظةِ والاعتبارِ ، والتفكرِ والادكارِ ، فقدْ قالَ النبيُّ ﷺ : **«كُنْتُ قدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ ألاَ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُرِقُّ القَلْبَ، وتُدْمِعُ العَيْنَ، وتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، ولاَ تقُولُوا هُجراً»**[1] .

وقراءةُ الكتبِ التِي فيهَا ذكرُ الموتِ مثلَ: «أهوال القبور» ، «صحيح التذكرة» ، «رحلة إلىٰ الدار الآخرة» للمصري ، وسكب العبرات للعفاني .

٨ ـ كفالة اليتيم:

واعلمْ أنَّ كفالةَ الأيتَام والمسحَ علَىٰ رءوسِهِم ، وتذكرَ آبائِهِم مما يُلَيِّنُ القلبَ ، ويُقوِّي الإيمانَ ؛ لأنكَ حينمَا تضعُ يدَكَ علَىٰ رأسِ اليتيمِ تتذكرُ أنَّه

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٥)، من طريق أنس وللحديث شاهد من طريق بريدة أخرجه مسلم (٩٧٧)، وأبو داود (٣٢٣٥)، والترمذي (١٠٥٤)، النسائي (٢٠٣١)، وابن ماجة (٣٤٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٣٩٠، ٥٢٩١، ٥٤٠٠)، بلفظ «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» .

قدْ يصيبَ أبناءَكَ مَا أصَابَهم، وقدْ ترحلُ وتفارقُهُم فتزهدُ فِي الدنيَا وترغبُ فِي الآخرةِ.

وقَدْ رَوَىٰ أحمدُ، وحسَّنه الألبانيُّ عنْ أبي هريرةَ: «أنَّ رجلاً شَكَا إلَىٰ رسولِ اللهِ قسوةَ قلبِهِ؟

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لهُ: «**إذَا أردتَ أنْ يلينَ قلبُك فأطعِمِ المسكينَ، وامسحْ رأسَ اليتيم**»[1].

وكافلُ اليتيمِ يدخلُ الجنةَ، وتكونُ منزلتُه قريبةً منْ منزلةِ النبيِّ ﷺ، فقدْ روَىٰ البخَاريُّ عنْ سهلِ بنِ سعدٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنَا وكَافلِ اليَتيمِ فِي الجَنَّةِ هكَذَا**»[2].

٩ - قيام الليل:

منَ الأمورِ التِي تجددُ الإيمانَ: الانكسارُ للهِ، ومنَاجاتُه، والذِّلةُ بينَ يديْهِ.

«**أَقْرَبُ مَا يكُونُ العبدُ منْ ربِّهِ وهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[3].

١٠ - المحافظة على الجلسة المباركة:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٣)، وحسنه الشيخ الألباني بطرقه في «السلسلة الصحيحة» (٨٥٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٣٠٤)، وأبو داود (٥١٥٠)، والترمذي (١٩١٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٣).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٢)، وأبو داود (٨٧٥)، والنسائي (١١٣٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٢٧)، والبيهقي (٢/ ١١٠).

صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرِ اللهَ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمسُ، ثُمَّ صلَّى ركعتينِ كانتْ لهُ كأجرِ حجَّةٍ وعُمرةٍ تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ»(١) .

وعندَ الطبرانيِّ فِي «الكبير»، وصحَّحهُ الألبانيُّ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ صلَّى الفجرَ فهوَ فِي ذمَّةِ اللهِ، وحسَابُهُ علَى اللهِ»(٢).

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٥٨٦)، وقال هذا حديث حسن غريب وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٤٦).

(٢) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨١٨٨)، و«الأوسط» (٤٠٢٥)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٤٥).



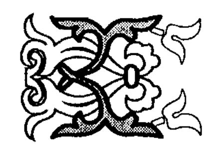
(٢٤)

في صحبة العلماء

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





في صحبةِ العلماءِ

بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

فضلُ العلمِ والعلماء:

رُوىٰ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» وصححه الألبانيُّ عن أبي أمامةَ - رضيَ اللهُ عنه - قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«إنَّ اللهَ وملائكتَهُ، حتى النملةَ في جحرِهَا، وحتى الحوتَ في البحرِ؛ ليصلون على معلمِ الناسِ الخيرَ»**[1].

روىٰ ابنُ ماجه وحسَّنه الألبانيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ - رضيَ اللهُ عنه - قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«سيأتيكُم أقوامٌ يطلبُونَ العلمَ، فإذَا رأيتُمُوهُم، فقولُوا لهُم: مَرحبًا بوَصيةِ رسولِ اللهِ، وأفْتُوهُم»**[2].

روىٰ الترمذيُّ وصححه الألبانيُّ عن أبي أمامةَ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«فَضلُ العَالِمِ علَى العَابِدِ كَفَضلِي علَى أدنَاكُم»**[3].

وروَىٰ أبو نعيمٍ في «الحليةِ» وصححه الألبانيُّ عنْ معاذِ بنِ جبلٍ - رضيَ اللهُ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والدارمي (٢٨٩)، والطبراني في «الكبير» (٧٩١٢)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٨، ٤٢١٣).

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجة (٢٤٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٩٠٤)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٥١)، و«الصحيحة» (٢٨٠).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والدارمي (٢٨٩)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٨، ٤٢١٣).

عنه - قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فَضلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كفَضلِ القَمرِ ليلةَ البدرِ علَى سَائِرِ الكَواكَبِ»[1].

وروىٰ الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والترمذيُّ وحسنَهُ ابنُ القيمِ والألبانيُّ عن أبِي الدردَاءِ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يبتَغِي فيه علمًا، سَلَكَ اللهُ به طَرِيقًا إلَى الجَنَّة، وإنَّ المَلائكَةَ لَتَضَعُ أجنحتَهَا رضًا لطالبِ العلمِ، وإن العالمَ ليستغفرَ له مَن في السموات ومنْ في الأرضِ حتَّى الحيتان في الماءِ، وفضلُ العالمِ علَى العَابدِ كفضلِ القَمرِ علَى سَائرِ الكَواكبِ، إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، إنَّ الأنبياءَ لم يورثُوا دينَارًا ولاَ درهَمًا، إنما ورَّثوا العِلمَ، فمَن أخذَهُ أخذَ بحظ وافرٍ»[2].

قال ابنُ دُريد لطلبةِ العلم:

أهلاً وسهلاً بالذين أُحبُّهم	وأودُّهم في اللهِ ذي الآلاءِ
أهلاً بقومٍ صالحينَ ذوي تقًى	غُرُّ الوجوهِ وزَين كلِّ ملاءِ
ومدادُ ما تجري به أقلامُهُم	أزكى وأفضلُ من دمِ الشهداءِ
يا طالبي علمَ النبي محمدٍ	ما أنتمُ وسواكمُ بسواءِ

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢١٢).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجة (٢٢٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٢، ٤٠٧)، والدارمي (٣٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨) كلهم من طريق أبي الدرداء وفي الباب عن أبي هريرة وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

خبرٌ من قصر الخلافة:

كانَ الخليفةُ المأمونُ قدْ وكلَ الفرَّاءَ يلقنُ ابنيهِ النحوَ، فلمَّا كانَ يومًا أرادَ الفراءُ أنْ ينهضَ إلىٰ بعضِ حوائجِهِ فابتدَرا إلىٰ نعلِ الفراءِ يقدمَانِها لهُ، فتنازَعَا أيهمَا يقدمُهَا، ثم اصطلَحَا علَىٰ أنْ يقدمَ كلٌّ واحدٍ منهمَا فردةً، فقدمَاهَا، وكانَ المأمونُ لهُ علَىٰ كلِّ شيءٍ صَاحبُ خبرٍ، فرفَعَ إليهِ ذلكَ الخبرَ، فوجَّه إلىٰ الفراءِ فاستدعَاهُ.

فلما دخلَ عليه قالَ له: من أعزُّ الناسِ؟

قال: ما أعرفُ أحدًا أعزَّ من أميرِ المؤمنين.

قال: بلىٰ، من إذا نهضَ تقاتلَ علىٰ تقديمِ نعليهِ وليَّ عهدِ المسلمين، حتىٰ رضيَ كلٌّ واحدٍ منهما أن يقدمَ له فردةً.

قالَ: يا أميرَ المؤمنين، لقَدْ أردتُ منعَهُمَا من ذلكَ ولكنْ خشيتُ أنْ أدفعَهما عن مكرمةٍ سبقَا إليها، وأكسرُ نفوسهُمَا عن شريفةٍ حصلا عليها.

وقد روي عن ابن عباس أنه أمسكَ للحسنِ والحسينِ - رضي الله عنهما - ركابيهِمَا حتىٰ خرجا من عنده، فقالَ له بعضُ من حضرَ: أتمسكُ لهذين الحدَثين ركابيهِمَا وأنتَ أسنُّ منهما؟!

فقال له: اسكتْ يا جاهلُ، لا يعرفُ الفضلَ لأهل الفضلِ إلا ذَوو الفضلِ.

قال له المأمونُ: لو منعتَهما عن ذلك؛ لأوجعتُك لومًا وعُتبًا، وألزمتُك ذنبًا، وما وضعَ ما فعلاه من شرفِهما؛ بل رفعَ من قدرِهما، وبيَّن عن جوهرِهما، ولقد ثبتَتْ لي مخيلةُ الفراسةِ بفعلِهما، فليس يكبرُ الرجُل

وإن كان كبيراً عن ثلاث: تواضعه لسلطانه، ووالدِه، ومعلِّمه العلمَ.

وقد عوضتُهما بما فعلاه عشرين ألف دينارٍ، ولك عشرةُ آلاف درهمٍ على حُسن أَدبِك لهما[1].

دعوةٌ مستجابةٌ:

روى الإمامُ أحمدُ بسندٍ حسنٍ عن عبدِالله بن مسعودٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قال: كنتُ أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعيطٍ، فمرَّ بي رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ فقال: «يا غلامُ، هل مِنْ لبنٍ؟»

قلتُ: نعمْ، ولكنِّي مؤتَمنٌ.

قال: «فهَلْ من شاة لم ينزُ علَيها الفحلُ؟».

فأتيتُه بشاةٍ فمسحَ ضَرعَها، فنزل لبنٌ، فحلبَ في إناءٍ، فشرِبَ وسقى أبا بكرٍ، ثم قال للضرع: «اقلُص» فقلصَ. ثم أتيتُه بعدَ هذا.

فقلت: يا رسولَ اللهِ، علمني من هذا القولِ، فمسحَ رأسِي، وقالَ: «يرحَمُكَ اللهُ، إنكَ غلَيمٌ معلَّمٌ»[2].

اسمع إلى استجابة الدعوة:

روى البخاريُّ عنِ ابنِ مسعودٍ قالَ: «والذي لا إله غيرُه ما أنزلتْ سورةٌ

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٥).

(٢) حسن: وفيه عاصم بن بهدلة وهو صدوق، أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٩، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٦٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٨٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١/ ١٦٣) «كتاب الفضائل» والطبراني في «الكبير» (٨٤٥٥، ٨٤٥٦، ٨٤٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٠٤، ٧٠٦١)، وقال الذهبي في «السير» (٩٢)، في ترجمة ابن مسعود صحيح الإسناد.

من كتَابَ اللهِ إلاَّ أناَ أعلمُ أينَ نزلتْ، ولا أُنزلتْ آيةٌ من كتابِ اللهِ إلا وأنا أعلمُ فيمن نزلتْ، ولو أعلمُ أحداً أعلمَ مني بكتابِ اللهِ تبلغُه الإبلُ لركبتُ إليه»(١).

سافر شهراً كاملاً في طلب حديث واحد:

روىٰ الإمامُ أحمدُ وصححه الحاكمُ والذهبي عن جابرِ بن عبدِالله الأنصاري ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: بلغنِي عن رجلٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ حديثٌ سمِعه من رسولِ الله ﷺ، فاشتريتُ بعيراً، ثم شددتُ رحلي، فسرتُ إليه شهراً، حتىٰ قدمتُ الشام، فإذا هو عبدُاللهِ بن أُنَيس، فقلت للبوابِ: قل له: جابرٌ علىٰ البابِ، فقال: ابنُ عبدِاللهِ؟

قلتُ: نعمْ.

فخرج عبدالله بن أُنيس فاعتنقني.

فقلتُ: حديثٌ بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ، فخشيتُ أن أموتَ أو تموتَ قبل أن أسمعَهُ.

فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يحشرُ الله الناسَ يومَ القيامة عُراة غُرْلاً بُهْمًا**»، قلنا: ما بُهمًا؟

قال: «**ليس معهم شيء**».

«**فيناديهم بصوتٍ يسمعُه مَنْ بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ: أنا الملكُ، أنا الديانُ، لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة يدخل الجنة وأحدٌ من أهل النار يطلبه**

(١) خبر صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٠٢).

بمظلمة ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النارِ يدخلُ النارَ، وأحدٌ من أهل الجنةِ يطلبه بمظلمة، حتى اللطمة».

قال: قلنا: كيف هو؟! وإنما نأتي الله تعالىٰ عُراةً غُرْلاً بُهمًا.

قال: «بالحسناتِ والسيئاتِ»(١).

كُتَّابٌ عجيبٌ:

الضحاكُ بنُ مزاحمٍ رحمه اللهُ.

يقول عنه سفيانُ الثوريُّ: كان الضحاكُ يُعلِّم ولا يأخذ أجرًا.

وذكر الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء»: أن الضحاكَ ـ رحمه الله ـ كان فقيه مكتبٍ كبيرٍ إلىٰ الغايةِ، فيه ثلاثةُ آلافِ صبيٍّ، فكانَ يركبُ حماراً ويدورُ علىٰ الصبيانِ»(٢).

جاعَ ثلاثةَ أيامٍ في طلبِ العلمِ:

ذكرَ ابنُ سعدٍ في «الطبقات» عن أبي شهابٍ الحناطِ قال: بعثتْ أختُ سفيانَ الثوريِّ معي بجرابٍ إلىٰ سفيانَ، وهو بمكةَ، فيه كعكٌ وخشكنانجُ، فقدمتُ مكةَ فسألتُ عن سفيانَ، فقيل لي: إنه ربما يقعدُ دبرَ الكعبةِ مما يلي بابَ الحناطين.

---

(١) صحيح لغيره: رواه البخاري بصيغة تمريض في «صحيحه» كتاب التوحيد باب (٣٢)، وقال يذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس وأخرجه في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٩٥)، والحاكم في «المستدرك» وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٤٣٧، ٤٣٨)، وفي الباب عن ابن عباس مختصراً أخرجه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠)، والنسائي (٢٠٨١)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٠).

(٢) «السير» (٤/ ٥٩٩).

قال أبو شهابٍ: فأتيته هناك ـ وكان لي صديقًا ـ فوجدتُهُ مستلقيًا، فسلمتُ عليه، فلم يسائلني تلك المسألةَ[١]، ولم يُسلِّم عليَّ كما كنتُ أعرِفُه[٢] منه.

فقلتُ له: إن أختك بعثت إليكَ معي بجرابٍ فيه كعكٌ وخشكنانجُ.

قال: فعَجِّل به عليَّ، واستوىٰ جالسًا!

فقلت: يا أبا عبد الله، أتيتُك وأنا صديقُك، فسلمتُ عليك فلم تردَّ عليَّ ذاك الردَّ، فلما أخبرتُك أني أتيتُك بجرابِ كعكٍ لا يساوي شيئًا جلستَ وكلمتَني؟!

فقال: يا أبا شهابٍ لا تلُمني، فإن هذه لي ثلاثةُ أيامٍ لم أذُق فيها ذواقًا.

قال أبو شهابٍ: فعذرتُه[٣].

رؤيا صالحةٌ للإمامِ مالك:

ذكرَ الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» عن خلفٍ قال: دخلتُ علىٰ الإمامِ مالكٍ رحمه اللهُ، فقالَ لي: انظر ما ترىٰ تحتَ مصلاَّي، فنظرتُ، فإذا أنا بكتابٍ.

فقال: اقرأه، فإذا رؤيا بعثَها بعض إخوانِه، يقولُ: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، في مسجدٍ قد اجتمعَ عليه الناسُ، فقالَ لهم: إني قد خبأتُ

---

(١) أي: لم يسألني عن أحوالي كعادته.

(٢) أي: رد السلام بصوت بطيء، ولم يهش ويبش كعادته معي.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (٦/ ٣٧٢).

تحت منبري طيبًا أو علمًا، وأمرتُ مالكًا أن يفرقَه علىٰ الناسِ، فانصرف الناسُ وهم يقولون: إذًا ينفذُ مالكٌ ما أمره به رسولُ اللهِ ﷺ، ثم بكىٰ، فقمتُ عنه[1] .

مفاجأةٌ:

ذكر القاضي عياضٌ في «ترتيبُ المداركِ» أنَّ محمدَ بنَ القاسمِ المصريَّ رحلَ إلىٰ المدينةِ النبويةِ؛ يطلبُ العلمَ علىٰ يدِ الإمامِ مالكٍ سبعَ عشرةَ سنةً، يقولُ: فبينما أنا عندَ الإمامِ مالكٍ إذ أقبل حُجَّاجُ مصرَ يسلِّمون علىٰ الإمامِ مالكٍ وبينهم شابٌّ ملثمٌ، فسلَّمَ علىٰ الإمامِ مالكٍ ثم قال: أفيكم ابنُ القاسمِ فأشاروا إليَّ، فأقبلَ يقبلُ عينيَّ، ووجدتُ منه ريحًا طيبة، فإذا هي رائحةُ الولدِ، وإذا هو ابني، وكان ابن القاسم تركَ أمَّه حاملاً به، وكانت ابنة عمه، وقد خيَّرها عند سفرِه؛ لطول إقامتِه فاختارت البقاءَ»[2].

الإمامُ محمدُ بن سحنون القيروانيُّ:

هو الإمامُ الفقيهُ المالكيُّ، كان مشغولاً في تأليف كتاب إلىٰ الليل فأحضرت أمتُه الطعام، فقال لها: أنا مشغولٌ فلما طال عليها، جعلت تلقمُه الطعامَ حتىٰ أتت عليه واستمرَّ في كتابِه إلىٰ أن أذنَ الصبحُ، فقال: أين الطعام، قالت: ألقمتُه لك.

---

(١) «سير النبلاء» (٨/ ٦٢)، و«الحلية» (٦/ ٣١٧).

(٢) «ترتيب المدارك» (٣/ ٢٥٠) نقلاً عن «صلاح الأمة»، (١/ ١٩٨) بتصرف.

قال: ما شعرتُ بذلك[١] .

الإمامُ أبو يوسفَ القاضي:

هو الإمامُ العلَمُ، القاضي الفاضلُ، يحكي عن نفسهِ فيقولُ: «مات ابنٌ لي فلم أحضر جهازَه ولا دفنه وتركتُه على جيراني وأقربائي مخافة أن يفوتَني من أبي حنيفةَ شيءٌ ـ يعني درس علمٍ ـ لا تذهبُ حسرتُه عني»[٢] .

رسالةٌ من الجنِّ:

ذكرَ الذهبيُّ في «سيرُ أعلامِ النبلاءِ»عن محمدِ بنِ يعقوبَ قال: سمعت عليَّ بنَ الحسينِ يقول: كان الإمامُ محمدُ بنُ سلامٍ البيكنديُّ في منزلِه، فدقَّ بابه، فخرجَ فقال الشخص: يا أبا عبدِ اللهِ أنا جنيٌّ رسولُ مَلكِ الجنِّ إليك؛ يسلمُ عليكَ ويقولُ: لا يكونُ لك مجلسٌ إلا يكونَ مِنا في مجلسِك أكثرُ من الإنسِ.

قالَ محمدُ بنُ يعقوبَ: هذه حكايةٌ مستفيضةٌ عندَنا مشهورةٌ[٣] .

الإمام وكيع بن الجراح:

قال الإمامُ أحمدُ: كانَ وكيع إمامَ المسلمينَ في زمانِه وكانَ من بحورِ العلم وأئمة الحفظ.

---

(١) «ترتيب المدارك» (٣/ ١١٤).

(٢) «مناقب أبي حنيفة» للمكي (١/ ٤٧٢) نقلاً عن «صلاح الأمة» (١/ ٢١٧).

(٣) «السير» (١١/ ٦٢٩).

وقال: ما رأيتُ مثلَ وكيع في الحفظِ والإتقانِ مع خشوعٍ وورع.

برنامجُه اليومي:

يقولُ ابنه سفيانُ بن وكيع: كان أبي يجلسُ لأصحابِ الحديثِ من بكرةٍ إلىٰ ارتفاع النهار، ثم ينصرفُ فيقيلُ، ثم يصلي الظهرَ، ثم يذهبُ إلىٰ الرعاةِ حيث يريحون نواضحَهم فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلىٰ حدودِ العصر، ثم يرجعُ إلىٰ مسجده، فيصَلي العصَر ثم يجلسُ يدرسُ القرآنَ ويذكرُ اللهَ إلىٰ آخرِ النهارِ، ثم يدخلُ منزله، فيقدمُ له إفطارُه، ثم يقومُ فيصلي ورده من الليلِ، ثم ينامُ.

وعن أبي زرعةَ قال: سمعتُ أبا جعفرٍ الجمَّال يقولُ: أتينا وكيعًا، فخرج بعد ساعة، وصلىٰ، عليه ثيابٌ مغسولةٌ فلما بصَرنا به؛ فزعنا من النور الذي رأيناه يتلألأُ من وجهه فقال رجلٌ بجنبي: أهذا مَلَكٌ!

فتعجبنا من ذلك النورِ!

دواءٌ للحفظ:

ما كان وكيعٌ رحمه اللهُ يمسكُ كتابًا، وإنما يملي الأحاديثَ من حفظِه.

قال علي بنُ خشرمٍ: فسألته عن أدويةٍ للحفظِ.

فقال: إن علمتُك الدواءَ استعملتَه؟

قلتُ: إي واللهِ.

قال: تركُ المعاصي؛ ما جربتُ مثلَه للحفظِ.

الإمام إسحاقُ بن راهَويه:

هو الإمامُ الفقيهُ المحدِّث الحافظُ شيخُ البخاريِّ.

أملىٰ علىٰ طلابِه أحدَ عشرَ ألفَ حديثٍ من حفظِه، ثم أحضرَ الكتابَ فقرأها عليهم، فما زاد حرفًا، ولا نقص حرفًا.

قال الذهبيُّ: هذا والله الحفظ.

رؤيا:

روىٰ أبو نعيمٍ في «حلية الأولياء» عن علي بن سلمةَ الكرابيسي ـ وهو من الصالحين ـ: «رأيتُ ليلةَ ماتَ إسحاقُ الحنظلي، كأن قمرًا ارتفع من الأرضِ إلىٰ السماءِ من سكة إسحاقَ، ثم نزلَ فسقطَ في الموضع الذي دفن فيه إسحاق.

قال: ولم أشعر بموتِه، فلما غدوتُ؛ إذا بحفار يحفرُ قبرَ إسحاقَ في الموضع الذي وقع فيه»[1].

عباد الله: هكذا رفعَ اللهُ قدرَ العلمِ والعلماءِ ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فاطلُبوا العلمَ تنالُوا خيري الدنيا والآخرةِ.

واطلُبوا العلمَ تنالُوا الخشيةَ الحقيقيةَ للهِ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٤)، «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٥٥)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٥٨، ٣٨٣).

واصبروا على طلبِ العلمِ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وجلسَات العلمِ هي أفضلُ الجلساتِ لذكرِ اللهِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

(٢٥)

المصيف في ميزان الإسلام

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ الحكمةُ من خلقِ الليلِ والنهارِ.

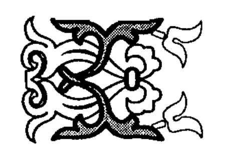
٢ ـ ماذا يحدثُ في المصيفِ.

٣ ـ ماذا تقولُ لربك غداً؟

٤ ـ نداءٌ من القلبِ.







الحكمةُ من خَلق الليلِ والنهارِ:

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومَن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، وبعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالىٰ، وخيرَ الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ، وبعدُ:

قال تعالىٰ مبينًا الحكمةَ من خلق الزمنِ، وماذا يجبُ علىٰ الإنسانِ أن يعملَ في الليلِ والنهارِ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢) وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٢-١٥].

يقول الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ: يمتنُّ تعالىٰ علىٰ خَلقه بآياته العظام، فمِنها مخالفتُه بين الليلِ والنهارِ؛ ليسكنوا في الليلِ، وينتشروا في النهارِ؛

للمعايشِ والصنائعِ والأعمالِ والأسفار، وليعلموا عددَ الأيامِ والجمعِ والشهورِ والأعوامِ، ويعرفوا مُضيِّ الآجالِ المضروبةِ للديونِ، والعباداتِ، والمعاملاتِ، والإجاراتِ ونحوَ ذلك[1] . اهـ.

ولهذا قال: ﴿ لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: لتسعَوا في الأرضِ، فتطلبوا رزقًا من فضل ربكم.

﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ أي: بمضيِّ الليلِ والنهارِ تتمكنوا من حسابِ الأيامِ والشهورِ والأعوامِ، فيُعطى الأجيرُ حقَّه، وتعملوا بالنهار، وتسكنوا بالليلِ.

ولو كانَ الزمنُ كله نهاراً لملَّ الناسُ، وتَعِبوا وما صلَحتْ حياتُهم، ولو كان الزمنُ كله ليلاً لتعطلَت مصالحُهم، وقوله: ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ أي: جعلنا الليل مظلمًا فمحونا ضوءه، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ أي: جعلَنا النهارَ مضيئًا.

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ أي: فصَّلنا لكم كلَّ ما تحتاجون إليه من أمر معاشكم ومعادكم.

فاللهُ - عز وجل - خلقَ الزمنَ ليسعى الناسُ على معايشِهم، فيقتاتوا ما يعينهُم على عبادةِ اللهِ وطاعتِه، فالسعيُ على المعاشِ وسيلةٌ للإعانةِ على العبادةِ.

فالزمنُ لطاعةِ الله... والزمنُ لعبادةِ الله... والزمنُ للتقرُّبِ إلى اللهِ، لا لمعصيتهِ ولا لمخالفةِ شرعه، فكلُّ أقوالِك وأفعالِك، وحركاتِك

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٦).

وسكناتِك، مُسجلةٌ عليك بالليل والنهار، ترىٰ ذلك يومَ القيامةِ في كتابٍ منشور، فإذا رأيتَ طاعةً استبشرتَ، وإذا وجدتَ فيه معصيةً حزِنتَ وندِمتَ.

ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣] .

أي: ستجدُ كتابَ أعمالِك ملازمًا لك، لا يفارقُك لا في القبرِ ولا في الحشرِ، (منشورًا) أي: مفتوحًا يقرؤه كلُّ الناسِ، يا فرحتاه إذا كان مملوءًا طاعاتٍ وحسناتٍ.

ويا حسرتاه إذا كان مملوءًا معاصي وسيئات.

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء: ١٤] محاسبًا.

ماذا يحدثُ في المصيف:

تبين مما مضىٰ أن اللهَ تعالىٰ خلَقَ الليلَ والنهارَ؛ ليعملَ المسلمُ فيهما بطاعةِ الله تبارك وتعالىٰ، ولكن ماذا يحدثُ الآن؟

الآنَ ونحنُ مقبلونَ علىٰ الإجازةِ الصيفيةِ ترىٰ شيئًا عجيبًا، ترىٰ كثيرًا من المسلمين، يُجَهِّزون ثيابًا جديدةً، وفُرُشًا، وطعامًا وشرابًا؛ استعدادًا للسفرِ، ولكن إلىٰ أينَ؟

لعلك تظُنُّ أنَّهم سيسافرونَ لأداءِ العمرةِ والطوافِ بالكعبةِ، والشُّرب من زمزمَ، وزيارةِ المسجدِ النبوي كلاَّ. . هم لا يفكرون في ذلك.

أو لعلك تظنُّ أنهم سيسافرونَ لزيارة أقاربِهم وصلةِ أرحامِهم. . كلاَّ. . . كلاَّ.

إنهم سيسافرون لقضاءِ عدةِ أيامٍ على شاطئٍ من شواطئِ البحارِ المالحةِ، ويسمونها «المَصْيَف»، وهي بالعربية «المَصِيفِ».

ماذا يصنعُ الناسُ في المصيف؟

يستأجرون شُقةً صغيرةً على الشاطئِ يسمونها (شاليه) أو (عِشَّة) ليقضوا فيها أسبوعًا، أو أسبوعين.

ماذا يصنعون فيها؟

ليختموا القرآن تلاوة؟!... كلاَّ!!

ليقيموا الليلَ تهجدًا وتعبُّدًا.. مع الدعاء للمسلمين المستضعفين أن ينصرَهم اللهُ؟!... كلاَّ!!

ليبحثوا عن الأرامل والأيتام ليساعدوهم، ويعاونوهم، وينفقوا عليهم، ويدخلوا على قلوبِهمُ الفرحةَ والبهجةَ؟!

ليبحثوا عن عصاةِ المسلمينَ.. فيدعونهم إلى الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة؟!

ليس شيئًا من ذلك.

إذًا ماذا يصنعون؟؟

يذهبُ الرجلُ ويصطحبُ معه زوجتَه وأبناءَه وبناته وقد أعدوا ملابسَ للسباحةِ، فالرجلُ يلبَسُ تِبَّانًا[1] يواري العورَةَ المغَلَّظة فقط، ويسمونه (مايوه)، والمرأةُ تلبس ذلك أيضًا لكنه أسترُ قليلاً وتسميه (المايوه الباكيني)

---

(١) التبان: هو سروال قصير يواري العورة المغلظة فقط. «لسان العرب».

وكذلك الأولادُ والبناتُ، ثم يتجهون في صبيحة كلِّ يومٍ بهذا اللباسِ الفاضح إلىٰ شاطئِ البحر؛ ليتنزلوا في الماءِ المالحِ، يلعبون ويسبحونَ. . . وليسوا وحدَهم، بل معهم مئاتٌ من الأُسَر الآخرين من المسلمين والنصارىٰ واليهود.

لا تستطيعُ أن تفرِّق بينهم، لا في منظرٍ ولا في سلوك.

الرجالُ والنساءُ والشبابُ والفتياتُ ينظرُ بعضهم إلىٰ عوراتِ بعض. . . منظرٌ قبيحٌ تشمئزُّ منهُ القلوبُ المؤمنةُ.

لو رأيتَهم وهم يتَّجهون إلىٰ البحر بهذا العُرِي الفاضحِ جماعات وفرادَىٰ. . . رجالاً ونساءً لاستطعتَ أن تُجيبَ علىٰ هذا السؤالِ المحيِّر. . . نحن مسلمون. . . فلماذا سلَّطَ اللهُ علينا أعداءنا فأذاقونا سوءَ العذاب. . . ودنَّسوا أعراضَنا ووطِئوا بأقدامهم أرضنا. . وأذلُّونا. . وغلبونا. . وقهرونا؟!

«ربنا لا تسلط علينا بذنوبِنا من لا يخافُك ولا يرحمُنا»!.

ثم يخرج المصطافون من المياه المالحةِ إلىٰ الشاطئ؛ ليتمرغوا علىٰ الرمالِ الناعمةِ كأنَّهم جمالٌ جرباءُ. . . يا له من منظرٍ مُحزنٍ، مخزٍ، مؤلمٍ.

فكم في ذلك المكانِ من علاقاتٍ آثمة، ونظراتٍ خائنة. . وعوْراتٍ بادية، والشياطينُ تحتوشُهم من كل جانبٍ، وتزيِّنُ لهم المنكرَ، وتحبِّبُ إليهم الفحشاءَ، وتؤُزُّهم إلىٰ المعاصي أزًّا.

فترىٰ الرجل قد نسيَ رجولته، وترك عِرضه عُرضة للنظراتِ الفاجرة، واللمساتِ الآثمة.

أيها المصطافُ المسلمُ:

أهذا يُرضي اللهَ؟!

أهذا يُرضي رسولَ اللهِ؟!

قل لـي بربِّـك: أتُحبُّ أن يُعرضَ هذا يومَ القيامةِ في ميزانِ أعمالك؟ أتحبُّ أن تراه مكتوبًا في كتابك؟ أتحبُّ أن يُعرضَ هذا أمام رسول الله ﷺ يوم القيامة؟

وماذا تقول لربك حينما يقول لك: ألهذا خلقتُك؟ وبهذا أمرتُك؟

وأنت أيتُها المسلمةُ: ماذا تقولين لربك غدًا حينما يقول لك: أمرتُك بالحجابَ فخلعتيه، وأمرتُكِ بستر العورةِ فأبديتيها، وأمرتُكِ بالطاعةِ فعصيتِ، أغضبتيني لشهوةٍ عاجلةٍ ولذة فانيةٍ.

ماذا تقول لربك غدًا؟:

فاليومَ ذهبتِ الشهواتُ، وبقيتِ الحسراتُ، اليومَ انقضتِ الأعمالُ وبقيتِ السجلاتُ: سيئاتٌ... شهواتٌ... حسراتٌ... ظلماتٌ... صراخٌ... بكاءٌ... صياحٌ... ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

أيها اللاهي، أيها اللاعبُ، اسمع إلى القرآنِ وهو يقولُ: ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤].

أيها المصطافُ المسلمُ: أهذا العملُ يقرِّبك من اللهِ أم يباعدُك عن اللهِ؟

أيتُها المصطافةُ المسلمة: أأنتِ راضيةٌ عما تفعلين؟

يا ربَّ الأسرة: أهذه هي الأمانةُ التي حمَّلكَ اللهُ؟ «كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالرجلُ في بيته راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته، والمرأةُ في بيت زوجها راعية وهي مسئولةٌ عن رعيتها»(١).

مسئول!!!

سيسألكَ اللهُ: لماذا ذهبتَ إلى المصيفِ؟!

فماذا ستجيبُ؟ وبِمَ ستنطقُ؟

لا كذبَ.. لا خداعَ.. لا غشَّ.. لا رياءَ.. لا تصنُّعَ.

فاللهُ يقولُ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

يا صاحب الشهامة والكرامة: صُنْ زوجتَك وبناتِك عن عيونِ الناس.. صُنْ شرفَك.. صُنْ عِرضَك.. صُن كرامتَك.

أيتُها الأختُ المسلمة: أينَ حياؤكِ؟!.. أين عفتُكِ؟!.. أين كرامتُكِ؟! أين خوفُكِ من الله؟!

الله... الله... الذي يعلم السرَّ وأخفى.

اللهُ... الذي يعلمُ خلَجَاتِ الصدورِ، وخفايا النفوسِ.

اللهُ... الذي خلقكِ، فسواكِ فعدَلكِ.

اللهُ... الذي وهبَكِ الصحةَ والعافيةَ ولو شاء لأخذهما فجلستِ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥، ٥٤، ٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٨٩، ٤٤٩٠، ٤٤٩١) كلهم من طريق ابن عمر.

مريضةً . . طريحةَ الفِراش .

اللهُ . . . الذي وهبكِ الجمالَ ولو شاءَ لَسَلَبَه فتركك شوهاءَ، تتقززُ منكِ النفوس، وتنفِرُ عنكِ القلوب .

اللهُ . . . الذي وهبكِ اللسانَ والشفتين ولو شاء لسلب نطقهما . . فظللتِ بكماء لا تنطقين، خرساءَ لا تتكلمين .

يا أيها الإنسانُ مهلاً ما الذي	بالله جلَّ جلاله أغراكا
يا مُدركَ الأبصارِ والأبصارُ لا	تدري له ولكُنْهِه إدراكا
يا منبتَ الأزهارِ عاطرةَ الشَّذا	هذا الشَّذا الفوَّاحُ نفحُ شذاكا
إن لم تكن عيني تراكَ فإنَّني	في كلِّ شيءٍ أستبينُ عُلاكا

أيتُها الأختُ المسلمة: تُوبي إلى الله . . عودي إلى الله . . ارجعي إلى الله . . اندمي على ما فعلتِ .

واللهُ كريمٌ يقبل توبةَ التائبين، ويغفرُ ذنوب المستغفرين . . ويمحو سيئاتِ النادمين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

شبهة وجوابها:

من الناس من يقول: سأذهب بزوجتي وأولادي إلى المصيف في مكان

بعيدٍ عن أعينِ الناظرين.

أقـول: ستجدُ كثيرين يفكرونَ مثلَ هذا التفكير وستلتقون هناك ويقعُ المحظور.

ومن الناسِ من يقـول: سَنَتَمَشَّىٰ أنا وزوجتي وأولادي علىٰ الشاطئ، ولن ننزلَ البحرَ، ولن نخلع ثيابنا.

أقول: هذا لا يجوزُ لأمور:

أولاً: لن تستطيعَ أن تغُضَّ بصَرَكَ عن اللُّحوم المكشوفةِ هنا وهناك فتقع في زنا العين أنت وأسرتُك الكريمة.

ثانيًا: إنك سترىٰ معاصيَ تُرتكبُ، ومحارمَ تُنتَهك، فهل تستطيع أن تأمرَ بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر؟ بالطبعِ لا، إذًا ستأثمُ علىٰ إقرارِ المنكر.

ثالثًا: ليس المصيفُ من الضروراتِ التي لابدَّ منها.

فكثيرٌ من الأُسرِ المسلمةِ الطيبةِ تعيشُ بلا مصيف ولا شواطئ، وهم في سعادةٍ غامرة.. وراحةٍ نفسيةٍ.. وقربٍ من اللهِ.

رابعًا: إن أرضَ اللهِ واسعةٌ، وهناك من المباحاتِ الكثيرُ الذي تستطيعُ أن تروِّحَ به عن نفسك.

١ ـ فالسَّيرُ في المزارع والحقول، والنظر إلىٰ الخُضْرةِ مما يقوي البصرَ ويُريحُ النفسَ.

٢ ـ والجلوسُ مع الصالحينَ، وتبادُل أطرافِ الحديثِ مما يُريح الصدرَ، ويُسعدُ النفسَ.

٣ ـ والجلوسُ للاستماع إلىٰ شريطٍ مؤثرٍ لأحدِ الدعاة إلىٰ الله مما يُريح الصدرَ، ويُسعدُ النفسَ.

٤ ـ والاستماعُ إلىٰ شريطٍ للقرآن الكريم لمن رزقهم الله الأصواتَ الشجية، والنبراتِ الندية.. مما يسعدُ القلبَ، ويُريحُ النفسَ.

٥ ـ وقراءةُ تاريخ الأُمة المسلمةِ.. والتقلبُ في أحداثها مما يريحُ الصدرَ، ويسعدُ النفسَ («الكامل في التاريخ» لابن الأثير).

٦ ـ وقراءةُ قصصِ الصالحين، ومواقفِ الزاهدين، وبطولاتِ الصحابة والتابعين مما يُريحُ الصدرَ، ويسعدُ النفسَ (صفة الصفوة ـ البداية والنهاية).

٧ ـ وتقليبُ النظر في السماء بالليل، والتفكرُ في قدرة الله في القمر والنجوم ونحو ذلك مما يريحُ الصدرَ، ويسعدُ النفسَ.

نداء من القلب...

يا مَن تتجهزون الآن للذَّهاب إلىٰ المصيفِ لا يليقُ بمن يركعُ لله ويسجدُ لله أنْ يذهبَ هذا المذهبَ الخبيثَ!

يا من تؤمنُ بأنَّ اللهَ يراك . . . سيراكَ وأنت علىٰ الشاطئ . . سيراكَ وأنت بالمايوه . . . سيراك وأنت تنظرُ إلىٰ العوراتِ . . سيراكَ وأنت علىٰ معصيته .

إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيبُ

ولا تَحسبنَّ الله يغفل ساعةً ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيبُ

يا مَن تتمشَّىٰ الآن علىٰ الشاطئ عُريانًا: استحِ من اللهِ . . استحِ من المَلَكَين . . . استحِ من الناسِ .

يا أيتُها الأُختُ المسلمة:

أنتِ درةٌ مصونةٌ، وجوهرةٌ مكنونةٌ، فلا تذهبي إلىٰ الأماكنِ الآثمة . . . فإنَّك كريمةٌ . . عفيفةٌ . . مسلمةٌ . . . مؤمنةٌ . . راكعةٌ . . ساجدةٌ . . محجبةٌ . . ليس هذا مكانُكِ . . ولا يليقُ بكِ .

أيُّها المسلمُ الكريمُ:

إذا علمتَ أن جاركَ يتجهزُ للمصيف، فلا تبخل عليه بالنصيحةِ، ولا تكتُمْه علمًا علَّمَكَ الله إيَّاه . . هو طيبٌ . . . هو يريدُ الخيرَ . . فإذا

ذكَّرته تذكَّرَ . . . وإذا وعظتَه اتعظَ . . . لأنَّ في قلبِه إيمانًا . . . وفي صدرِه إسلامًا .

اللهم اهدِ عصاةَ المسلمين .

وتُبْ على المذنبين من المسلمين .

واهدِ شبابَ المسلمين ، واهدِنا معهم يا رب العالمين .

(٢٦)

الدعوة مسئولية الجميع

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

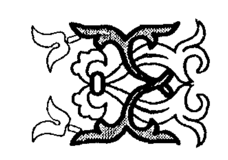
١ ـ حكمُ الدعوةِ إلى اللهِ.

٢ ـ عقوباتٌ تحِلُّ بالأمةِ إذا تركتِ الدعوةَ إلى اللهِ.

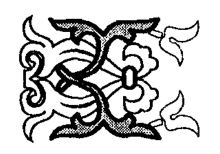
٣ ـ فضل الدعوةِ إلى اللهِ.

٤ ـ صفاتُ الداعيةِ المسلمِ.





الدعوة مسئولية الجميع



أولاً: حكمُ الدعوةِ إلى الله:

إن الدعوةَ إلىٰ الله واجبةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، فكلٌّ يدعو إلىٰ اللهِ تباركَ وتعالىٰ علىٰ قدرِ علمِه، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يتقاعسَ عن الدعوةِ إلىٰ اللهِ.

فكل من آمن باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ ﷺ رسولاً، وجبت عليه الدعوةُ إلىٰ اللهِ؛ لأنهُ صارَ جنديًّا من جنودِ محمدٍ ﷺ، يذبُّ عن دينِه، ويدعو إلىٰ شرعِه، وينافحُ عن أحكامِ ربِه.

والدليلُ على فرضيةِ الدعوةِ على كلِّ أتباعِ محمد ﷺ:

قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

أي: قل يا محمدٌ ﷺ: هذه سبيلي، وطريقتي، ومنهاجِي، أنني أدعو إلىٰ الله أنا وأتباعي، فلا نرىٰ منكرًا فنسكت عنه، ولا نرىٰ باطلاً فنقره، ولا نرىٰ حرمة تُنتهكُ فنتركها، بل ندعُو الناسَ جميعًا إلىٰ تركِ المعاصي، واجتنابِ القبائحِ، وفعلِ الفضائلِ، وتركِ الرذائلِ، ولكن دعوتنا علىٰ بصيرة، أي: علىٰ علمٍ ونورٍ، بحكمةٍ ولينٍ، بحبٍّ ولطفٍ.

ومن ذلك أيضًا:

أن الله ـ تباركَ وتعالىٰ ـ قد أمرَ النبيَّ ﷺ: بالدعوةِ إليهِ، والأمرُ من الله للنبي ﷺ أمرٌ للأمةِ كلِّها.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن الأدلةِ الواضحةِ على وجوبِ الدعوةِ على جميعِ المسلمينَ:

ما رواه مسلمٌ في «صحيحِه» عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكُم منكرًا فليغيِّره بيدِه، فإن لم يستطع فبلسانِه، فإن لم يستطِع فبقلبه، وذلكَ أضعفُ الإيمان»** (١).

ففي هذا الحديث دلالةٌ على وجوبِ الدعوةِ إلى اللهِ على كلِّ مسلمٍ بحسبِ استطاعتِه.

قالَ العلماءُ: التغييرُ باليد خاصٌّ بمن تحتَ رعايتكَ من أبنائكَ وزوجتكَ ونحو ذلكَ، ومن ذلك قولهُ ﷺ: **«مروا أولادَكُم بالصلاةِ لسبعٍ واضربُوهم عليها لعشرٍ»** (٢).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، وابن ماجة (١٢٧٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٠، ٢٠، ٤٩، ٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦، ٣٠٧)، والبيهقي (١٠/ ٩٠).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٠٤)، والدارمي (١٤٣١) كلهم من طريق سبره عن أبيه عن جده وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٧) وفي الباب عن ابن عمرو أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٩٧)، والبيهقي (٣/ ٨٤) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

فضربُ الأولادِ لكي يصلُّوا تغييرٌ باليد؛ لأنهم تحتَ سلطانِكَ.

والتغييرُ باللسانِ: يكونُ لعامةِ الناسِ كالنصيحةِ الطيبةِ، والموعظةِ الحسنةِ، والحوارِ المثمرِ ونحو ذلكَ.

والتغييرُ بالقلبِ: إذا كانَ في تغييرِ المنكرِ منكرٌ أكبرٌ ومفسدةٌ أعظمُ، فحينئذٍ يكونُ التغييرُ بالقلبِ.

والتغييرُ بالقلبِ يقتضي أمرينِ:

١ ـ كراهيةُ القلبِ لهذَا المنكرِ: ككَراهيةِ القلبِ لشربِ الخمرِ، والزنَا ونحو ذلكَ.

٢ ـ مفَارقةُ مكانِ المنكرِ: ومفَارقةُ الأماكنِ التِي تُرتكبُ فيهَا هذهِ المعَاصِي.

ومن ذلكَ قولُه تعَالَى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١].

ثانيًا: فضلُ الدعوة إلى الله:

١ ـ الدعوةُ إلى الله أحسنُ الأقوال وأشرفُ الأعمال:

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت ٣٣].

قال الحسنُ البصريُّ ـ رحمه الله ـ: «﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هذا حبيبُ الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوةُ الله، هذا خيرةُ الله، هذا أحبُّ أهلِ الأرضِ إلىٰ الله، أجابَ اللهَ في دعوتِه، ودعَا الناسَ إلىٰ مَا أجابَ اللهَ فيه من دعوتِه، وعملَ صَالحًا في إجابتهِ، وقالَ: إنني من المسلمينَ، هذا خليفةُ الله»[١].

٢ ـ الدعوةُ إلى الله صدقةٌ:

روىٰ مسلمٌ عن أبي ذَرٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «وأمرٌ بمعروفٍ صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ»[٢].

٣ ـ الداعيةُ إلى الله يُكتبُ له من الحسنات مثل طاعات من دعاهُ:

فمن دعا رجلاً إلىٰ الصلاة فصلَىٰ كُتبَ له مثلُ صَلاتهِ، ومن أرشَدَ رجلاً لتلاوةِ القرآنِ فتلىٰ، كُتبَ له مثلُ تلاوتِه، ومن حثَّ رجلاً علىٰ الصدقةِ فتصدقَ، كان له مثلُ صدقتهِ وهكذا.

والدليلُ ما رواه مسلمٌ عن أبي هريرَةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا

(١) ابن كثير (٣/ ٣٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧٢٠، ١٠٠٦)، وأبو داود (١٢٨٥، ٢٨٦).

إلى هدى كـانَ له ُمن الأجـرِ مثـلُ أجورِ من تبـعـهُ لا ينقصُ ذلكَ من أجـورِهم شيئًا»[(١)] .

٤ ـ الداعيةُ إلى اللهِ تستغفرُ له جميعُ الكائنات:

فقد روىٰ البزارُ وصححُه الألبانيُّ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «معلِّمُ الخيرِ يستغفِرُ لهُ كلُّ شيءٍ حتَّى الحيتانُ في البحرِ»[(٢)] .

٥ ـ الداعيةُ يُثني اللهُ عليه في الملأِ الأعلَى:

فقد روىٰ الترمذيُّ وقال: حسن صحيح عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم فقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال: «إن الله وملائكته وأهلَ السموات والأرضين حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوتَ ليصلون على معلمِ الناس الخير»[(٣)] .

قال أبو العالية: صلاة الله علىٰ العبد: ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجة (٢٠٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٧)، والدارمي (٥١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١١٢).

(٢) صحيح لغيره: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٤٤)، والبزار (١٣٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٨٣)، وفي «الصحيحة» (١٨٥٢)، ويشهد له الحديث الذي بعده عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وقال حسن صحيح، والدارمي (٢٨٩)، والطبراني في «الكبير» (٧٩١٢)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٨، ٤٢١٣).

٦ ـ الداعي إلى الله تناله دعوة النبي ﷺ:

روى الترمذيُّ وابنُ ماجَه وصححهُ الألبانيُّ عن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**نَضَّرَ اللهُ امرأ سَمِعَ مَقالتِي فبلَّغها، فرُبَّ حَامِلُ فقهٍ غَير فقيهٍ، وربَّ حاملُ فقهٍ إلى من هوَ أفقَه منهُ**»(١).

٧ ـ الأجرُ العظيمُ لمن اهتدى على يديهِ رجلٌ واحدٌ:

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن سهلِ بنِ سعدٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لعلي بنِ أبي طالبٍ: «**فوالله لأنْ يهدي اللهُ بكَ رجلاً واحدًا خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم**»(٢).

٨ ـ لقد بشَّرَ اللهُ الدعاةَ إلى الله بالفلاحِ في الدنيَا والآخرة، فقالَ سبحانه: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجة (٢٣٢)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٣٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦، ٦٩)، وفي الباب عن زيد بن ثابت أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجة (٢٣٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٨٣) والدارمي (٢٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٤٨٩٠، ٤٨٩١، ٤٩٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٧)، وفي الباب أيضًا عن أنس بن مالك وجبير بن مطعم، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٤، ٦٧٦٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأبو داود (٣٦٦١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٣٢).

ثالثًا: عقوباتٌ تحلُّ بالأمة إذا تركت الدعوةَ[1]:

١ ـ العقابُ الشاملُ:

إذا رأىٰ الناسُ المنكراتِ تفشُو، والمعاصي تُرتكبُ، والمحرمات تظهَرُ، ولم يقوموا بواجبِ الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكرِ، أخذَهُم الله جميعًا؛ لأنَّ العاصِي فعلَ والآخرَ رأىٰ فسكتَ.

والدليلُ على ذلكَ: ما رواه أبو داود وصححه الألبانيُّ عن أبي بكر الصديق رضيَ الله عنه قال: يا أيها الناسُ إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ الناسَ إذا رأوُا الظَالمَ، فلم يأخُذُوا على يديه، أوشَكَ أن يعمَّهُم اللهُ بعقابٍ من عنده**»[2].

وقالَ عمر بنُ عبدالعزيز رحمهُ اللهُ تعالى: «كان يقالُ: إنَّ اللهَ تعالىٰ لا يعذبُ العامةَ بذنبِ الخاصةِ، ولكن إذا عُمِلَ المنكرُ جهاراً استحقو العقوبة كلُّهم»[3].

٢ ـ عدمُ إجابة الدعاء:

روىٰ أحمد والترمذيُّ وحسنه الألبانيُّ عن حذيفَة بنُ اليمانِ رضي الله

---

(١) انظر «صحيح وصايا الرسول» (٣/ ٤٣٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجة (٤٠٠٥)، وأحمد في «المسند» (١/ ٥، ٧)، والحميدي في «مسنده» (٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٤، ٣٠٥)، والبيهقي (١٠/ ٩١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٧٤) وفي «الصحيحة» (١٦٧١).

(٣) «موطأ مالك» (١/ ٩٩١).

عنه قالَ: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشِكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكُم عقابًا من عندِه، ثم لتدعُنَّه فلا يستجيبُ لكُم»(١).

رابعًا: صفاتُ الداعيةِ المسلمِ:

١ ـ العلم بما يدعو إليه:

ينبغِي للداعيةِ أن يكونَ: عالمًا بالأمرِ الذي يأمُرُ بهِ أو ينهىٰ عنهُ؛ لأنَّ الدعوةَ إخبارٌ عن الله بحلِّ هذا الأمرِ أو بحرمته، ولا يجوزُ للإنسانِ أن يكونَ كذلكَ إلا إذا علِمَ، وإلا دخَلَ في هذه الآيَة: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

والإنسانُ كلما ازدادَ علمًا ازدادَ لله خشيةً.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

والإنسانُ كلما ازدادَ علمًا رفعه الله درجاتٍ:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٢ ـ الإخلاص:

والإخلاصُ إذا اتصفَ به الداعيةُ كان لعملِه ثمرةٌ، ولكلامِه في قلوبِ الناسِ أثرٌ، وازداد بدعوتِه من الله قربًا.

والإخلاصُ: أن تعملَ ولا تحبُّ أن يحمدَكَ الناسُ.

ومن علاماتِ إخلاصِ الداعيةِ: أن يفرحَ إذا اهتدىٰ الناسُ علىٰ يدِ غيرِه.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٧٠).

ومن **علاماتِ الإخلاصِ**: أن يفرحَ بالطائعينَ، ويستبشر بالمستقيمينَ.

ومن **علاماتِ الإخلاصِ**: أن لا يتعصبَ لقولٍ، ولا لشخصٍ إلاَّ لرسولِ اللهِ ﷺ.

ومن **علامات الإخلاص**: أن لا يفرح الداعيةُ بمدح المادحين ولا بثناء المثنين، ويخشى أن يكون ذلك استدراجًا، ويقول: «اللَّهم لا تُؤاخِذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيراً مما يظنون».

ومن **علاماتِ الإخلاصِ**: أن يدعُوَ للعصاةِ بظهرِ الغيبِ بالهدايةِ والرشادِ.

ومن **علاماته**: أن يدعُوَ إلى اللهِ، سواءً كان في مقدمة الصفوفِ أو في آخِرها في عملٍ مشهورٍ أو مغمورٍ.

٣ ـ الرفقُ واللينُ:

قال تعالى عن الداعيةِ الأولِ مبينًا سبب انتشارِ دينه، وقبول الناسِ دعوَتَهُ، والتفافَهُم حوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي «صحيح مسلم» عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا أنَّ النبي ﷺ قالَ: «**إنَّ الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلاَّ زانَهُ، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلا شَانَهُ**»(١).

وعند الترمذيِّ وصححه الألبانيُّ عن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قال:

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٤)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٥٨، ١٢٥).

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرمُ على النارِ، وبمن تحرمُ عليه النارُ: على كلِّ قريبٍ هينٍ سهلٍ»(١).

وقالَ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال الإمام أحمدُ رحمهُ اللهُ: الناسُ محتاجونَ إلىٰ: مداراةٍ ورفقٍ في الأمرِ بالمعروفِ بلا غلظةٍ.

وقال أيضًا: يأمرُ بالمعروفِ بالرفقِ والخضوعِ، فإن أسمعوه ما يكرهُ لا يغضب فيكونُ يريدُ أن ينتصرَ لنفسِهِ.

وفي «الصحيحينِ» عن أبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قدمَ الطُّفيلُ بن عمروٍ الدَّوسي وأصحابُهُ علىٰ النبي ﷺ فقالُوا: يا رسول اللهِ إنَّ دوسًا عصتْ وأبتْ، فادعُ اللهَ عليهَا، فقيلَ: هلكت دوسٌ.

فقالَ «اللهُمَّ اهد دَوسًا وأتِ بهِم»(٢).

٤ـ الصبرُ على الأذى:

من قامَ بواجبِ الدعوةِ إلىٰ اللهِ والتزمَ بأوامرِ اللهِ قد يسخر منه القريبُ والبعيدُ والعدوُّ والصديقُ، فليصبرْ قال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٨٨)، أحمد في «المسند» (١/ ٤١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٦٢)، وابن حبان (٤٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٠٥)، وفي الباب عن جابر وقال الترمذي حسن غريب وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٧٩، ٩٨٠).

أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فصبرَ ﷺ، حتىٰ إنهُ حوصِرَ في شِعبِ أبي طالبٍ ثلاثَ سنواتٍ؛ حتَّىٰ أكلَ أوراقَ الشجرِ صابراً محتسباً، حتىٰ جعلَ اللهُ لهُ فرجًا.

وكذلكَ صبرَ الصحابةُ رضوانُ الله عليهُم علىٰ الأذَىٰ في سبيلِ اللهِ، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «ما يصيبُ المسلمَ من نصب، ولا وصب، ولا همٍ، ولا حَزَنٍ، ولا أذًى، ولا غمٍّ، حتَّى الشوكةِ يشاكُها، إلاَّ كفرَ اللهُ بها من خَطاياهُ»(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣].

ففي هذهِ الآيةِ الكريمةِ يبينُ ربُّنا: أنَّ المسلمَ الذي يريدُ أن ينجُوَ مِن الخسرانِ عليه بأمورٍ أربعةٍ:

١ - الإيمانِ الصادقِ: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

٢ - العملِ الصالحِ: ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾.

٣ - الدعوةِ إلىٰ اللهِ: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾.

٤ - الصبرِ علىٰ الأذَىٰ: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣)، والترمذي (٩٦٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٥، ٣٠٣، ٤٠٢).

٥ ـ التواضعُ وخفضُ الجناحِ:

ينبغِي للداعيةِ أن يكونَ متواضِعًا لإخوانِهِ المسلمينَ، ولمن يدعُوهُم إلى الله تباركَ وتعالَى.

قال تعالى للداعيةِ الأولِ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

روى مسلمٌ عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «ما تواضعَ أحدٌ للهِ إلاَّ رفعَهُ اللهُ»(١).

من تواضعه ﷺ:

ما رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّه مر بصبيان فسلَّمَ عليهِم وقالَ: «كان النبيُّ ﷺ يفعَلُهُ»(٢).

والتسليمُ على الصبيانِ الصغارِ له فوائد منها:

١ ـ يُشعِرُ الصبي بالرجولةِ.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٥، ٣٨٦، ٤٣٨)، والدارمي (١٦٧٦)، وابن خزيمة (٢٤٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٤٨)، والبيهقي (٤/ ١٨٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨)، وأبو داود (٥٢٠٢، ٥٢٠٣)، والترمذي (٢٦٩٦)، وابن ماجة (٣٧٠٠)، والدارمي (٢٦٣٦).

٢ - يُشعِر الصغار باهتمام الكبار بهم.

٣ - محبةُ الصغارِ للكبارِ.

٤ - تعويدُ الصغارِ علىٰ الآدابِ الإسلاميةِ ومنها السلام.

٥ - تنميةُ روحِ الانتماءِ إلىٰ الأمةِ الإسلاميةِ لدىٰ الصغار.

٦ - تعويدُ الصغارِ علىٰ الجرأةِ والشجاعةِ ومخاطبةِ الكبارِ.

فالداعيةُ المتواضعُ يحبه الكبيرُ والصغيرُ والغنيُّ والفقيرُ.

٦ - الصدقُ:

من أخصِّ صفاتِ الداعيةِ إلىٰ اللهِ الصدقُ.

فالداعيةُ لا يستدل بآيةٍ إلا وهوَ يحفظُها جيداً.

ولا ينسبُ إلىٰ النبي ﷺ حديثًا إلا وهوَ علىٰ يقينٍ من صحتهِ.

ولا ينسبُ إلىٰ عالمٍ قولاً إلا وهوَ علىٰ يقينٍ من نسبتهِ.

والداعيةُ لا يكذبُ ليؤيدَ دعوتَهُ، ولا يفترِي علىٰ العلماءِ أقوالاً لم يقولُوها؛ ليحتجَّ بهَا في تبليغِ دعوتهِ.

وفي «الصحيحينِ» عن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهُ ﷺ قالَ: **«إنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدِي إلى الجنة، وإن الرجلَ ليصدقُ؛ حتى يكتبُ عندَ اللهِ صدِّيقًا»**[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٣)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٤٣).

٧ ـ احترامُ إخوانِه الدعاة إلى الله:

الداعية يحترمُ العلماءَ، ويوقرُهُم، ويدعُو لهُم، امتثَالاً لقَولِه تعَالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ولو أخطأَ عالمٌ ردَّ خطأَهُ بلطفٍ، ولينٍ، معَ التماسِ الأعذارِ لهُ.

(٢٧)

خطوات في ميزان الحسنات

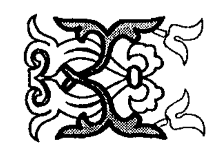
تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





خطوات في ميزان الحسنات



الحمد للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ ﷺ.

عبادَ الله:

من عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ: أن الإيمانَ يزيدُ وينقصُ يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ.

ومن مظاهرِ ضعفِ الإيمانِ: التخلُّفُ عن الصلاةِ في جماعةٍ في المسجدِ.

فترى بعضَ المسلمينَ إذا سمعَ الأذانَ اكتفى بالصَّلاة في بيتِه لغيرِ عذرٍ، ومنهم من يسمَعُ النداءَ ويظلُّ فاتحًا محلَّه يبيعُ، وآخرُ يظلُّ فاتحًا مطعَمَهُ يطعمُ الناسَ، وآخرُ يظلُّ جالسًا علَى كرسيهِ لا يتحَركْ، وآخرُ يمشِي في الشارعِ ولا يلتفتُ.

وكأنَّ هذَا النداءَ العظيمَ ليسَ لهمْ.

اعلم يا عبدَالله: أنَّ صلاةَ الجماعةِ واجبةٌ عليكَ فإذا سمِعتَ المنادِي: حي على الصلاةِ، حيَّ على الفلاحِ.

انفض الدنيا من يديكَ، وأقبِلَ على اللهِ، وأسرعْ إلى بيتِ اللهِ. . وإن لم تفعلْ. . فقد أذنبتَ.

لا تتعلل بتجارةٍ، ولا بوظيفةٍ، ولا بعملٍ، أنت عبدٌ لله. . خلقكَ اللهُ؛ لعبادتِهِ. . . اللهُ يأمرُ وأنتَ تُطيعُ. . . اللهُ ينادِي وأنت تُجيبُ.

لو أصدرَت الدولةُ قرارًا بالسِّجنِ ثلاثةَ أيامٍ فقط - لمن سمعَ الأذانَ من المسلمينَ ولم يأتِ المسجدَ؛ لرأيتَ المحلاتِ وقتَ الصَّلاةِ قد أُغلقتْ.. والشوارعَ قد فُرِّغت.. والناسَ إلىٰ المساجدِ قد أَسرعَتْ.. هذا؛ لأن كثيرًا من الناسِ يخافُون من البشرِ أشدَّ من خالقِ البشر.

يا من تتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ اسمع هذا الحديث.

يا من تتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ وتصلي في بيتكَ أو في محلكَ اسمع هذا الحديث.

روىٰ ابن ماجه وصححهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترغيبِ» عن ابنِ عباسٍ - رضيَ اللهُ عنهما - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من سمعَ النداءَ فلمْ يجبْ فلا صلاةَ لهُ إلا من عذرٍ**»[1].

يا من تتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ قد استحوذَ عليكَ الشيطانُ:

روىٰ أحمدُ وأبو داودَ وحسنه الألبانيُّ في (صحيح الجامع) عن أبي الدرداءِ - رضيَ اللهُ عنه - قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَا من ثلاثة في قرية، ولا بدو، لا تقامُ فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهُم الشيطانُ، فعليكُم بالجماعةِ، فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ**»[2].

---

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود (٥٥١)، وابن ماجة (٧٩٣)، والدارقطني (١/ ٤٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣، ٥٧، ١٧٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

(٢) **حسن:** أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٦)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٩٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٨٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢١٠١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١١)، والبيهقي (٣/ ٥٤)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).

يا من تتخلفُ عن الجماعة أخشى عليكَ من النفاق.

ففي «صحيحِ مسلمٍ» عن عبدالله بن مسعودٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: «من سرَّه أن يلقى اللهَ غدًا مسلمًا، فليحافظْ على هؤلاءِ الصلواتِ حيثُ ينادى بهنَّ، فإن الله تعالى شرعَ لنبيِّكم سننَ الهدى، وإنَّهنَّ من سننِ الهدى، ولو أنكم صليتُم في بيُوتكم كما يصلِّي هذا المتخلفُ في بيتهِ؛ لتركتُم سنة نبيكم، ولو تركتُم سنةَ نبيكُم؛ لضللتُم، ولقد رأيتُنا وما يتخلفُ عنهَا ـ أي الجماعة ـ إلاَّ منافقٌ معلومُ النفاقِ، ولقد كان الرجلُ يؤتى بهِ يهادَى بين الرجلينِ، حتى يقامَ في الصَّفِ»(١).

يا من تتخلفُ عن الجماعة لقد همَّ النبيُّ ﷺ بتحريق بيتكَ:

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ فقدَ ناسًا في بعضِ الصلواتِ فقال: «**لقد هممتُ أن آمرَ رجلاً يصلِّي بالناسِ، ثم أخالف إلى رجالٍ يتخلفون عنهَا، فآمرَ بهِم، فيحرقوا عليهم بيوتَهُم**»(٢).

يا من تتخلفُ عن الجماعة هل لكَ رخصةٌ؟

روى الإمامُ أحمدُ وأبُو داودَ وصححهُ الألبانِي عن ابنِ أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله، أنا ضريرٌ شاسعُ الدارِ ولي قائدٌ لا يلايمني، فهل تجدُ لي رخصة أن أصلِّي في بيتي؟ قال: «**تسمعُ النداء؟**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٥٤)، وأبو داود (٥٥٠)، مختصرًا والنسائي (٨٤٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤١٤، ٤١٩، ٤٥٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١)، وأبو داود (٥٤٩)، والترمذي (٢١٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٤، ٣١٤)، والحميدي (٩٥٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٩٨٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٨١)، وابن حبان (٢٠٩٦).

قال: نعم.

قال: «ما أجدُ لكَ رخصةً»(١).

لا يلائِمُني: لا يوافِقُني.

أخي: إني أحبُّكَ.. أحبُّكَ؛ لأنكَ مسلمٌ أحبكَ؛ لأنني رأيتُكَ صدوقًا لا تكذبُ، أمينًا لا تخونُ.

ولكن لي عليك عتابٌ، فاقبله.

رسالة إلى أصحاب المحلات التجارية:

لماذا تسمع المؤذن ينادي: حي على الصلاة ولا تجيبه؟!

أنا أعلم أنك مشغول في المحل، والمشترون صفوفًا بين يديك، وأنت تحب أن تبيعَ.

ولكن الله قال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

وأنا أعلمُ أنكَ تحبُّ المالَ والتجارةَ، ولكن الذي خلقك قال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]. فأنا أحب أن تكون منهم.

رسالة إلى الموظفين:

وأنت أيها الموظفُ! لماذا تسمعُ المؤذنَ وأنت جالسٌ على مكتبِك لا تتحركُ؟!

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٥٢)، والنسائي (٨٥٠)، وابن ماجة (٧٩٢)، والحاكم (١/ ٢٤٧)، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه مسلم (٦٥٣)، والنسائي (٨٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٥٧).

ألستَ مسلمًا؟!

ألستَ مؤمنًا؟!

ألستَ عبدًا لله؟!

إن الذي خلقَكَ يناديكَ . . اتركْ عملَكَ وقُم لتلبي نداءَ ربكَ.

أنا أعلَمُ أنكَ تخافُ من مديركَ، ولكن الذي خلقَ مديركَ يقولُ لكَ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

أنا أعلم أن الشيطانَ يخوفكَ بقطعِ رزقِكَ، والفصلِ من عملِكَ، وضياعِ مستقبلكَ.

ولكنَّ الرّزاقَ يقول: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

رسالة إلى المتهاونين:

وأنت يا من تسير في الشارع، تسمع المؤذن فتعطيه ظهرك، وتُعرض عن ربك، ولا تلبي أمره، ولا تسرع لتصُفَّ قدميك بجوار أقدام إخوانك المسلمين.

قف وارجع إلى ربك.

إن الله هو الذي أعطاك الأذنين، ولو شاء لسلب سمعهما، فصِرتَ أصمَّ لا تسمع .

إن الله هو الذي أعطاكَ العينين، ولو شاءَ لسلبَ ضوءهمَا فصِرتَ أعمىٰ لا ترَىٰ.

إن الله هو الذِي أعطاكَ لسانًا وشفتينِ، ولو شاءَ لسلبَ نطقَهمَا

فصِرتَ أبكمَ لا تتكلمُ.

عُد إلى ربك، فأنت واللهِ محتاجٌ إليه...

عُد إلى ربك فأنت واللهِ فقير إليه...

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

قم إلى ربك واركع له في الراكعينَ، واسجد له في الساجدينَ... واخشع له في الخاشعينَ.

يا رب:

يا رب عبدُكَ عند بابكَ واقفٌ ... يدعوكَ دعوةَ من يخافُ ويطمعُ
يا من له تعنُو الوجُوهُ وتخشعُ ... ولأمرِهِ كلُّ الخلائقِ تخضعُ
أعنُوا إليكَ بجبهةٍ لم أحنِها ... إلا لوجهكَ ساجداً أتضرعُ
وإليكَ أبسطُ كفَّ ذلٍّ لم تكنْ ... يومًا لغيرِ سؤالِ فضلكَ تُرفعُ
أنا مَن علمتَ المذنبُ العاصي الذي ... عظُمَتْ خطاياهُ فجاءَكَ يُهرعُ
يا ربِّ مالي غيرُ بابك مفزع ... آوي إليهِ بكلِّ ذلٍّ أخشعُ
مالي سوى دمعي إليك وسيلةٌ ... وضراعتي ولمن سواكَ سأضرعُ
إن لم أقف بالبابِ راجي رحمةً ... فلأيِ بابٍ غيرِ بابك أقرعُ[1]

(١) ديوان القرضاوي «نفحات ولفحات» (١١٤).

فضائل المحافظة على صلاة الجماعة

١ ـ الذي يحافظُ على الجماعةِ في المسجدِ في ظلِّ الله يومَ القيامة:

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعةٌ يظلهُم اللهُ في ظلهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلهُ، وذكَرَ منهُم: رجَلاً قلبُهُ معلقٌ في المساجدِ**»[1].

قال النوويُّ: شديدُ الحبِّ لها والملازمةِ للجماعةِ فيهَا.

٢ ـ الذاهبُ إلى المسجدِ تكتبُ آثارُهُ في ميزانِ حسناته:

روىٰ مسلمٌ عن جابرٍ قال: خلتِ البقاعُ حول المسجدِ، فأراد بنو سَلِمة أن ينتقلوا إلىٰ قربِ المسجدِ، فبلغَ ذلكَ النبي ﷺ فقال لهم: «**بلغني أنكُم تريدونَ أن تنتقلوا قربَ المسجدِ؟**».

قالوا: نعم يا رسولَ اللهِ، قد أردنَا ذلكَ.

قال: «**يا بني سَلِمةَ ديارُكُم، تُكتَبُ آثارُكُم، ديارُكُم تكتب آثارُكُم**»[2].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩١)، والنسائي (٥٣٩٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٩)، وابن المبارك في «الزهد» (١٣٤٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٩٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٦٦٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧١، ٣٩٠)، وعبد الرزاق (١٩٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٦٤)، وفي الباب عن أنس أخرجه البخاري (٦٥٥).

٣ ـ المشي إلى صلاةِ الجماعةِ يمحُو الخَطيئاتِ ويرفعُ الدرجات.

روىٰ مسلمٌ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: «ألا أدُلكُم على ما يمحُو اللهُ به الخطَايَا، ويرفَعُ به الدرجات؟!».

قالوا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ.

قالَ: «إسباغُ الوضوء على المكارهِ، وكثرةُ الخطَا إلى المساجِدِ، وانتظَارُ الصلاةِ بعدَ الصلاة فذَلكم الرباطُ»[1].

٤ ـ أجرُ الخارجِ إلى صَلاة مكتوبة متطهراً كأجرِ الحاج المحرمِ:

روىٰ أحمدُ وأبو داودَ وحسنه الألبانيُّ والأرناؤوط عن أبي أمامةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «من خرجَ من بيتِه متطهراً إلى صلاةٍ مكتوبة، فأجرُه كأجرِ الحاجِّ المحرمِ»[2]

٥ ـ الخارجُ إلى الصلاة ضامن على الله تعالى.

روىٰ أبو داودَ وصححُه الألبانيُّ عن أبي أمامةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «ثلاثةٌ كلهم ضامنٌ على الله عز وجل: رجلٌ خرجَ غازيًا في سبيلِ الله، فهو ضامنٌ على اللهِ حتَّى يتوفاهُ، فيدخلَهُ الجنةَ، أو يرده بما نالَ من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجلٌ راحَ إلى المسجدِ فهو ضامنٌ على اللهِ حتى يتوفاهُ؛

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥١)، والترمذي (٥١، ٥٢)، والنسائي (١٤٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٤٣٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/ ٨٢).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٥٥٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٣، ٢٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٦٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٥٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٨).

فيدخلَهُ الجنةَ أو يرده بما نالَ من أجرٍ وغنيمةٍ، ورجلٌ دخلَ بيتَه بسلامٍ فهو ضامنٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ»[١].

٦ ـ الخارجُ إلىٰ الصلاة في صلاة حتى يرجعَ إلى بيته:

روىٰ أبو داودَ والترمذيُّ وصححَهُ الألبانيُّ عن كعبِ بن عجرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ: قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا توضأ أحدُكم، فأحسن وضوءه، ثم خرجَ عامداً إلى المسجد، فلا يشبِّكنَّ بين أصابعه، فإنَّه في صلاة»[٢].

وليس ذلكَ في ذهابِهِ إلىٰ المسجدِ فقط، بل هوَ في صلاةٍ أيضًا حتىٰ يرجع إلىٰ بيته.

فقد روىٰ ابنُ خزيمةَ بسندٍ صحيحٍ عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ أحدُكم في بيتِه، ثم أتى المسجدَ، كان في صلاةٍ حتى يرجعَ، فلا يقل هكذا، وشبَّك بين أصابعه»[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٤٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٣)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ١٦٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٣)، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥١)، وفي الباب أيضا عن معاذ بن جبل أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥٥)، والحاكم (٢/ ٩٠)، وابن حبان (٣٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٦٢)، والترمذي (٣٨٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣)، والدارمي في «سننه» (١٤٠٤) وعبد الرزاق في «المصنف» (٣٣٣٣، ٣٣٣٤)، وابن خزيمة (٤٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦)، وابن حبان (٢٠٣٦)، والبيهقي (٣/ ٢٣٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٢).

(٣) صحيح: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٣٣٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٣٩، =

واسمع إلى هذا الموقف:

روىٰ مسلمٌ في «صحيحِه» عن أُبيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه وكان لا تخطئه صلاةٌ في المسجدِ، فتوجعت له، فقلتُ له: لو اشتريتَ حماراً تركبه في الظلماءِ وفي الرمضاء؟

قال: ما يسرني أن منزلي إلىٰ جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلىٰ المسجد، ورجوعي إذا رجعتُ إلىٰ أهلي.

فقال رسول الله ﷺ: «**قد جمع اللهُ لكَ ذلك كلَّه**»[1].

قال النوويُّ: فيه إثباتُ الثوابِ في الخُطا في الرجوعِ من الصلاةِ كما يثبت في الذهاب.

٧ ـ البشارة من النبي ﷺ لمن مشى إلى المسجد:

روىٰ أبو داودَ والترمذيُّ بسندٍ حسنٍ عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**بشِّر المشائينَ في الظلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[2].

= ٤٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٠٦)، وقال هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٥)، وفي الباب عن كعب بن عجرة تقدم فيما قبله.

(١) صحيح أخرجه مسلم (٦٦٣)، وأبو داود (٥٥٧)، وابن ماجة (٧٨٣)، والدارمي (١٢٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، من طريق بريدة، وفي الباب عن سهل بن سعد أخرجه ابن ماجة (٧٨٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٩٨، ١٤٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٢)، وقال هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وفي الباب عن أنس أخرجه ابن ماجة (٧٨١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٢) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣).

٨ ـ إعداد الله تعالى ضيافة خاصة في الجنة للذاهب إلى المسجد:

في «الصحيحين »عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أو رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أو رَاحَ»[1] .

النزل : هو المكان الذي يهيأ للضيف عند نزوله .

٩ ـ فرحُ الله بقدوم العبد إلى المسجد:

روىٰ ابن خزيمةَ وصححَهُ الألبانيُّ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

«لا يتوضأ أحدكُم وضوءَه، ويُسبغَهُ، ثم يأتي المسجد لا يريدُ إلا الصلاةَ فيه، إلا تبشبشَ الله إليه كما يتبشبشُ أهلُ الغائبِ بطلعته»[2] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وابن خزيمة (١٤٩٦)، وابن حبان (٢٠٣٧).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٨٠٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٩١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٩٤).



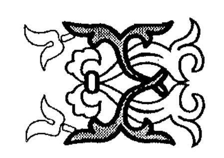
(٢٨)

٢٥ سببا لمغفرة الذنوب

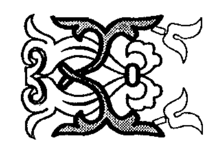
تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





٢٥ سببًا لمغفرة الذنوب[١]



١ ـ الإسلامُ يجبُّ ما قبلَه:

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

عن أبي سعيد ـ رضي اللهُ عنهُ ـ قال: قالَ رسولُ اللهُ ﷺ: «إذا أسلمَ العَبدُ فَحَسُنَ إسلامُهُ، كتبَ الله لهُ كلَّ حسنة كَانَ أَسْلفَهَا، ومُحيتْ عنهُ كلُّ سيِّئة كَانَ أَسْلَفَهَا، ثُم كَانَ بَعدَ ذَلكَ القصاصُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسَّيِّئةُ بمثلها إلا أنْ يتجاوزَ اللهُ عنها»[٢].

رَوَىٰ البُخَارِيُّ مُعلّقًا عَن أبي سَعِيد ـ رضي اللهُ عَنهُ ـ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهُ ﷺ: «إذَا أسْلَمَ العَبدُ فَحَسُنَ إسْلامُهُ، يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنهُ كُلَّ سَيِّئة كَانَ زلَّفَهَا، وكان بعدَ ذلكَ القصاصُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسَّيِّئةُ بمثلهَا إلا أن يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنهَا»[٣].

---

(١) «البحار الزاخرة في أسباب المغفرة» د/ سيد العفاني.

(٢) صحيح: رواه مالك والنسائي (٥٠١٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٦، ٣٣٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم قال: قال مالك (٤١)، والنسائي (٥٠١٣)، وقد =

وفي صَحيحِ مُسلمٍ عَن عَمرو بن العَاصِ ـ رَضيَ اللهُ عَنهُ ـ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أمَا علمتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وأنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا، وأنَّ الحَجَّ يَهدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»(١) .

٢ ـ الهجرةُ تَجُبُّ ما قَبلَهَا:

قالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

وقالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

٣ ـ العبادةُ في الهَرَجِ والفتنة:

رَوَىٰ الطَّبَرَانِي وَصَحَّحَهُ الألْبَاني عَن مَعْقِل بن يَسَار رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عِبَادةٌ في الهَرْجِ والفتنَة كَهِجْرَةٍ إليَّ»(٢) .

وعندَ مُسلِمٍ والتِّرْمِذيّ وأحمدَ وابنِ ماجةَ، عَن مَعْقِلِ بن يَسَار: «العِبَادَةُ

= تقدم فيما قبله.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٢١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٥).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٤٩٤) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٧٤)، وهو في «صحيح مسلم» برقم (٢٩٤٨)، وسيأتي بعده مفصلاً.

في الهَرْجِ كهِجْرَةٍ إليَّ»[١] .

قالَ المناوي[٢]: «العِبَادَةُ في الهَرجِ» أي: وقْتِ الفِتَنِ واخْتِلاطِ الأُمورِ، «كَهِجْرَةٍ إليّ» في كَثرةِ الثَّوَابِ.

أو يُقَالُ: المُهَاجِرُ في الأولِ كانَ قَليلاً؛ لعدمِ تمكُّنِ أَكثَرِ الناسِ من ذلك، فهكذا العَابِدُ في الهَرجِ قَليلٌ.

قال ابنُ العَرَبي: وَجهُ تمثيلِهِ بالهِجْرَةِ: «أنَّ الزمنَ الأوَّلَ كانَ النَّاسُ يَفرّونَ فيهِ من دَارِ الكُفْرِ وأَهْلِه إلىٰ دارِ الإيمانِ وأهلِه، فإذَا وقَعَتِ الفِتَنُ تعيَّنَ علىٰ المرءِ أن يفرّ بدينِه منَ الفتنَةِ إلىٰ العِبَادَةِ، ويهجرَ أولئكَ القَومَ وتلكَ الحالَةَ، وهُوَ أحدُ أقسَامِ الهِجْرَةِ». فالعبادةُ في الهرجِ تَغفِرُ مَا تَقَدَّمَ مثلَ الهجرةِ.

٤ ـ الذكرُ عندَ سَمَاعِ المؤذِّنِ:

وفي صحيحِ مسلمٍ عنْ سعدٍ رضيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن قالَ حينَ يَسمَعُ المؤذِّنَ: وأنَا أَشْهَدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ، رَضِيتُ باللَّهِ ربًّا، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبالإسْلامِ دِينًا ـ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ»[٣] .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٨)، والترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٣٩٨٥) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٥، ٢٧) والطبراني في «الكبير» (٢٠/٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣) وابن حبان (٥٩٥٧).

(٢) فيض القدير (٤/ ٣٧٣).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٦) وأبو داود (٥٢٥) والترمذي (٢١٠) والنسائي (٦٧٩) وابن ماجة (٧٢١) وأحمد في «المسند» (١/ ١٨١) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٢١) وابن حبان في «صحيحه» (١٦٩٣).

٥ ـ المكثُ في المَسَاجِد بَعدَ الصَّلَوَات:

عَن ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَتَانِي الليلَةَ رَبِي تَبارَكَ وتَعَالَى في أَحْسَنِ صُورَة، فَقَال: يَا مُحَمَّدُ، هَل تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا. فَوضَعَ يدهُ بَينَ كَتفَيّ، حَتَّى وَجَدتُ بَردهَا بَينَ ثَديَيَّ، فعلمتُ ما في السموات وَمَا في الأرْضِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَل تَدري فِيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، في الكَفَّاراتِ وَالدَّرَجَات. والكَفَّاراتُ: المُكْثُ في المساجِدِ بَعْدَ الصَّلوات، والمَشْي عَلَى الأقْدَامِ إلى الجَمَاعَات، وَإسْبَاغُ الوُضُوءِ في المكاره، قَالَ: صدقتَ يا مُحمدُ؛ وَمَن فَعَلَ ذلكَ عَاشَ بخير، ومَاتَ بخيرٍ، وكَانَ مِن خَطيئته كيومِ وَلَدتْه أُمُّه وقَال: يَا مُحمدُ، إذا صلَّيتَ فَقُل: اللهُمَّ إني أَسْأَلُك فعْلَ الخَيرَات، وتركَ المنكرات، وحُبَّ المسَاكِين، وأنْ تَغفرَ لِي وتَرحَمَني، وتَتُوبَ عليَّ، وَإذَا أردتَ بعبادك فتنةً، فاقبضني إليكَ غيرَ مَفتون. والدَّرَجاتُ: إفشاءُ السَّلامِ، وإطْعَامُ الطَّعام، وَالصَّلاةُ بالليلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(١).

عَن أبي هُرَيرَةَ رَضي اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزَالُ أحدُكُم

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٣٣، ٣٢٣٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٦٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٦٩)، وفي الباب عن عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٦٦، ٥/ ٣٧٨)، وابن أبي عاصم (٣٨٨، ٤٦٧، ٤٦٨)، والدارمي (٢١٤٩)، وفي الباب عن أبي أمامة أخرجه ابن أبي عاصم (٣٨٩، ٤٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٨١١٧)، وفي الباب عن معاذ بن جبل أخرجه الترمذي (٣٢٣٥)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٣)، بسند صحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩).

في صَلاة مَا دَامَت الصَّلاةُ تَحبسُه، لا يَمْنَعُه أن يَنقَلبَ إلى أَهله إلا الصَّلاةُ»[١].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «الملائكةُ تُصلِّي على أحدكم مَا دَامَ في مُصَلاَّه الذي صلّى فيه، ما لم يُحدث أو يَقُم: اللَّهُمَّ اغْفِر لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»[٢].

عن عبدالله بنِ سَلام وأبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، قالا: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن صلَّى وجلسَ ينتظرُ الصلاةَ، لم يزلْ في صلاةٍ حتى تأتيَه الصلاةُ التي يُلاقيها»[٣].

٦ ـ المشيُ عَلَى الأقدامِ إلى صَلاة الجَمَاعَة:

عَن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَفَّاراتُ الخطايا: إسْباغُ الوضُوءِ على المكاره، وإعمالُ الأقْدامِ إلى المَساجِد، وانْتظَارُ الصَّلاة بَعْدَ الصَّلاة»[٤].

عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخَطَايَا ويرفَعُ به الدَّرجَات؟ إسباغُ الوُضُوء عَلَى المَكَاره، وكَثرةُ الخُطَا إلى المَسَاجِد، وانتظارُ الصَّلاة بعدَ الصلاة؛ فذلكمُ الرِّباطُ، فذلكُم الرّباطُ،

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩)، وأبو داود (٤٧٠)، وابن ماجة (٧٩٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٥)، ومسلم(٦٤٩)، وأبو داود (٤٦٩)، وابن ماجة (٧٩٩).

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (١٤٢٩)، عن عبد الله بن سلام وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٦).

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٤٢٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٨٩)، عن أبي هريرة.

فذلكمُ الرِّباطُ»(١) .

عَن عليٍّ رضي اللهُ عَنهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إسْبَاغُ الوُضُوء في المَكَارِه، وإعْمَالُ الأقدَامِ إلى المسَاجِد، وانْتِظَارُ الصَّلاة بَعْدَ الصَّلاة؛ يَغْسِلُ الخطايا غسْلاً»(٢) .

عَن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ خُطْوَة يخطُوها أحدُكم إلى الصلاة، يُكتَبُ لهُ بها حسنَةٌ، ويُمحى عنهُ بها سيِّئةٌ»(٣) .

عَن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «من حين يخرجُ أحدُكم من منزله إلى مسجده؛ فَرِجْلٌ تكتبُ حسنةً، والأخرى تمحو سيئة»(٤) .

وفي صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أتمَّ الوضوءَ كما أمرهُ الله، فالصَّلواتُ المكتوباتُ كفَّاراتٌ لما بينهُنَّ»(٥) .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥١) والترمذي (٥١، ٥٢)، والنسائي (١٤٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٤٣٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/ ٨٢).

(٢) صحيح: أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٣٢)، وقال: هذا حديث علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبزار (٥٢٨) وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٦)، أخرجه أبو يعلىٰ والبزار ورجاله رجال الصحيح، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٩٢٦).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٨٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٢١).

(٤) صحيح: أخرجه النسائي (٧٠٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣١٩، ٤٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٧)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢/ ٦٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩١٢).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣١)، والنسائي (١٤٥)، وابن ماجة (٤٥٩)، وأحمد في «المسند» (١/ ٦٦، ٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٤٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥٤).

٧ ـ مَن وَافَقَ تَأمينُهُ تَأمينَ المَلائكَة:

وَفِي الصَّحيحَينِ عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ:

قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا أمَّنَ الإمَامُ فأمِّنوا؛ فإنَّهُ من وافق تأمينُهُ تأمينَ الملائكة، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبه» (١).

وعند البُخَاريِّ قَالَ أبو هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا أمَّنَ القَارِئُ فأمِّنوا؛ فإنَّ الملائكةَ تؤمِّنُ، فَمَن وَافَق تأمينُهُ تأمينَ الملائكة، غُفِر لهُ ما تقدَّم منْ ذنبه» (٢).

وعند البُخَاريِّ عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذَا قَالَ الإمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمين؛ فَإنَّه من وَافَقَ قَولُهُ قولَ الملائكة، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم من ذَنبه» (٣).

٨ ـ مَن وَافَقَ قَولُهُ: سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَه، قَولَ المَلائكَة:

وَفِي الصَّحيحَينِ قَالَ ﷺ:

«إذَا قَالَ الإمامُ: سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللهُمَّ رَبنا لَكَ الحمدُ، فَإنَّهُ من

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠)، وأبو داود (٩٣٦)، والترمذي (٢٥٠)، والنسائي (٩٢٧)، وابن ماجة (٨٥١) وغيرهم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٢)، وابن ماجة (٨٥١)، وقد تقدم فيما قبله.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٨١، ٧٨٢، ٤٤٧٥)، ومسلم (٤١٠)، وأبو داود (٩٣٥)، والترمذي (٢٥٠)، والنسائي (٩٢٧)، وابن ماجة (٨٥٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٧٠)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٨٧)، والدارمي (١٢٤٥، ١٢٤٦)، والحميدي (٩٣٣)، وابن خزيمة (٥٦٩)، وابن حبان (١٨٠٤)، وغيرهم.

وافقَ قَولُه قولَ الملائكَة، غُفِر لَهُ ما تَقَدَّم مِن ذَنبِه»(١) .

٩ ـ الذِّكرُ دبرَ كُلِّ صَلاة:

وفي صحيحِ مُسلم عَن أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن سبّحَ اللهَ في دُبُر كُلِّ صلاة ثَلاثًا وثَلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّرَ اللهَ ثَلاثًا وثَلاثينَ، فتلك تسعٌ وتسعُونَ، وقالَ تمامَ المائة: لا إلهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، له الملكُ ولهُ الحَمدُ، وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قَديرٍ؛ غُفِرت خطاياه، وإن كانت مثلَ زَبَد البحرِ»(٢) .

١٠ ـ الصَّلاةُ ببيتِ المَقدسِ:

وعند أحمدَ وصححهُ الألبانيُّ عن ابن عمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ سليمانَ بنَ داودَ لَمَّا بَنى بيتَ المقدسِ، سَأَلَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ خلالاً ثلاثةً: سأَلَ اللهَ حُكْمًا يُصَادفُ(٣) حكْمَه فأُوتيه، وسأَلَ الله مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأُوتيه، وسأَلَ اللهَ ـ حينَ فَرَغَ من بنَاء المَسْجد ـ أن لا يأتيه أَحَدٌ لا ينهزهُ(٤) إلا الصلاةُ فيه، أن يُخْرجه مِن خَطيئتِه كيومِ وَلَدَتهُ أُمُّه، أمَّا اثنتانِ فقَد

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٩٦)، ومسلم (٤٠٩)، وأبو داود (٨٤٨)، والترمذي (٢٦٧)، والنسائي (١٠٦٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١١)، والبيهقي (٢/ ٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٩٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٧١، ٣٨٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٥٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠١٣، ٢٠١٦).

(٣) أي: يلاقي، ويوافق.

(٤) أي: لا يدفعه.

أُعطيهما، وأرْجُو أَن يَكُونَ قَد أُعْطِيَ الثالثةَ»(١) .

١١ ـ المشيُ مِنَ البيتِ إِلَى المَسْجد مُتَوَضئًا:

وفي سننِ أبي داود وصححه الألبانيُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ :

«إذا تَوَضَّأَ أحدُكُم فَأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُم خَرَجَ إلى الصَّلاة، لم يرفعْ قَدمَهُ اليُمنَى إلا كَتَبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ حَسَنَةً، ولم يضع قدمَهُ اليُسرَى إلا حَطَّ اللهُ عَنهُ سَيِّئة، فليقرب أحدُكُم أو ليبعدْ، فإن أتى المسجدَ فصَلَّى في جماعة، غُفر له، فإن أتى المسجدَ وقد صلَّوْا بعضًا وبقي بعضٌ، صلَّى ما أدرك وأتمَّ ما بقيَ، فإن أتى المسجِدَ وقد صلَّوا، فأتمَّ الصلاةَ، كَانَ كَذَلكَ»(٢) .

وعند الطبرانيِّ في الكبيرِ وصححه الألبانيُّ قال ﷺ :

« إذا توضأ أحدُكم فأحسنَ الوضوءَ، ثم خَرَجَ إلى المسجد لا ينزعُه إلا الصلاةُ، لم تزل رجْلُه اليسرى تمحو عنه سيئةً، وتَكتُب له اليُمنَى حسنةً، حتى يدخلَ المسجدَ»(٣) .

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٦٩٢)، وابن ماجة (١٤٠٨) وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٦) ، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٣٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٣٣، ٦٤٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٠، ٣١، ٢/ ٤٢٤)، وقال: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي على شرطهما، ولا علة له، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٠).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٥٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٦٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٠).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٣٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٧) وقال: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤١).

وعند الشيخينِ من روايةِ أبي هُرَيرةَ: «ولو يعلمُ الناسُ ما في العَتَمةِ والصبحِ، لأتوهُما ولو حبْوًا»(١).

١٢ ـ صلاةُ الفجرِ في جماعةٍ، والذكرُ بعدَها حتى تُشرقَ الشمسُ، ثم صلاةُ ركعتين:

وروى الترمذيُّ وصححهُ الألبانيُّ عن أنسٍ رضي اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن صلّى الفجرَ في جماعةٍ، ثم قعدَ يذكرُ اللهَ حتى تطلعَ الشمسُ، ثم صلَّى ركعتينِ، كانت لهُ كأجرِ حجّةٍ، وعُمرةٍ تامّةٍ، تامّةٍ، تامّةٍ»(٢).

١٣ ـ صلاةُ ركعتين لا سَهوَ فيهما:

حم وحسنهُ الألبانيُّ ـ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من توضأَ فأحسنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ صلَّى ركعتين لا يُسْهُو فيهما، غفرَ اللهُ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبه»(٣).

١٤ ـ صلاةُ ركعتين، وتفريغُ القلب فيهما مما سوى الله:

وفي صحيح مُسلمٍ عن عمرو بن عبسةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما منكُم من رجل يُقرِّبُ وضوءَهُ، فيتمضمضُ ويمجُّ،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧)، والترمذي (٢٢٥)، والنسائي (٥٣٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٤، ٤٦٦، ٤٧٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٧)، وابن حبان (١٦٥٩).

(٢) صحيح أخرجه الترمذي (٥٨٦)، وقال: حسن غريب. وفي الباب عن أبي أمامة أخرجه الطبراني (٧٦٦٣) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٤٦).

(٣) حسن أخرجه أبو داود (٩٠٥) وأحمد في «المسند» (٤/ ١١٧، ٥/ ١٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٤٢، ٢٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٣١)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٦٥)، وفي الباب عن عقبة بن عامر أخرجه الطبراني (١٧/ ٩٠٢، ٩٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٣١).

ويستنشقُ فينتثرُ؛ إلا جرتْ خطايا وجهه وفيه وخَيَاشيمه، ثمَّ إذا غسلَ وَجهَه كَمَا أمرهُ اللهُ؛ إلا جرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مَعَ الماء، ثُم يمسحُ رأسَهُ كَمَا أمرهُ اللهُ؛ إلا جَرَت خَطَايا رأسه من أطراف شَعَرِه مَعَ الماء، ثُم يغسلُ قدميه إلى الكعبين كما أمرهُ اللهُ؛ إلا جَرَت خَطَايَا رِجْلَيه من أطراف أنَامله مَعَ الماء، فإنْ هو قام فصلّى، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ومجّدَه بالذي هو أهلُه، وفرَّغ قلبَهُ لله؛ إلا انصرفَ من خَطِيئته كهيئته يومَ ولدتْه أُمُّه»[1].

١٥ ـ الخروجُ من البيتِ مُتوضئًا؛ لصلاة جَمَاعة، أو لصلاة الضُّحَى:

وعند أبي داودَ وحسنه الألبانيُّ عن أبي أُمَامة رضي اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن خرجَ من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجرُه كأجْر الحاجّ المُحرمِ، ومَن خرجَ إلى تَسبيحِ الضُّحى لا ينصبه إلا إيّاه، فأجْره كأجْر المعتمرِ، وصلاةٌ على أثرِ صَلاة لا لَغوَ بينهما، كتابٌ في علّيّين»[2].

وعند الطبرانيِّ وحسنهُ الألبانيُّ ـ وعنه رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «مَن مَشَى إلى صَلاة مَكتوبةٍ في الجماعةِ، فَهِيَ كَحَجّةٍ، ومن مشى إلى صلاةِ تطوُّعٍ، فهي كعمرةٍ نافلةٍ»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأبو عوانة في «مسنده» (٦٦٨)، وابن خزيمة (١٦٥)، والحاكم (١/ ١٦٤، ١٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/ ٨١، ٢/ ٤٥٥).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٥٥٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٣، ٢٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٣٤، ٧٧٣٥، ٧٧٥٥، ٧٧٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٤٩، ٦٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٨).

(٣) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٥٧٨)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٥٦).

١٦ ـ الحجُّ المبرورُ:

وفي «صحيحِ البخاريِّ» عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن حَجَّ لله فلم يرفُثْ ولم يَفسُقْ، رَجَعَ كَيومِ وَلَدتْه أمُّه» (١).

رَوىٰ أحمد والترمذي والنسائي عن ابن مسعود وصححهُ الألبانيُّ قالَ ﷺ: «تابعوا بين الحجِّ والعمرةَ؛ فإنهُمَا ينفيانِ الفقرَ والذُّنُوبَ، كما يَنفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد» (٢).

وفي «صحيحِ مسلمٍ» قَالَ ﷺ: «الحَجّ يَهدِمُ مَا قَبلَهُ» (٣).

وفيه ـ أيضًا ـ قالَ ﷺ: «مَن أتَى هَذَا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسقْ، رجَعَ كما ولدتْه أمُّه» (٤).

رَوىٰ ابنُ حِبانَ وحسنَهُ الألبانيُّ قَالَ ﷺ: «أمّا خروجُكَ مِن بَيتكَ تَؤُمُّ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، والترمذي (٨١١)، وابن ماجة (٢٨٨٩)، وأحمد (٢/ ٤٨٤)، والحميدي (١٠٠٤)، وعبد الرزاق (٨٨٠٠)، وابن خزيمة (٢٥١٤)، والطبراني (٣٧١٨)، وابن حبان (٣٦٩٤).

(٢) صحيح أخرجه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٨٧) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥١٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤٠٦)، وابن حبان (٣٦٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١١٠)، والبغوي (١٨٤٣) قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٠١)، وفي الباب عن عمر أخرجه ابن ماجة (٢٨٨٧)، وأحمد (١/ ٢٥)، والحميدي (١٧)، وعن ابن عباس أخرجه النسائي (٢٦٢٩)، والطبراني (١١١٩٦، ١١٤٢٨)، وغيرهم.

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٢١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٩٩، ٢٠٤)، وابن خزيمة (٢٥١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ٩٨).

(٤) صحيح أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، واللفظ له، والترمذي (٨١١)، وابن ماجة (٢٨٨٩)، وأحمد (٢/ ٤٨٤)، والحميدي (١٠٠٤)، وعبد الرزّاق (٨٨٠٠)، وابن خزيمة (٢٥١٤)، والطبراني (٣٧١٨)، وابن حبان (٣٦٩٤).

البيتَ الحرامَ؛ فإنَّ لك بكلِّ وطأة تطؤها راحلتُك يكتبُ اللهُ لَكَ بها حَسَنةً، ويمحو عنك بها سيئةً، وأمّا وقوفُك بعرفةَ؛ فإنّ الله عزّ وجل ينزلُ إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكةَ، فيقولُ: هؤلاء عبادي، جاءوني شُعثًا غُبرًا من كلِّ فجٍّ عميق، يَرجُونَ رَحْمَتي ويَخَافُونَ عَذَابي ولَم يَرَوني، فكيف لَوْ رَأَوْني؟! فلو كان عليك مثلُ رمل عالج[1] ، أو مثلُ أيامِ الدُّنيا، أو مثلُ قطرِ السماء ذُنُوبًا، غَسَلَهَا اللهُ عَنكَ. وأمّا رَمْيُك الجِمَارَ، فإنه مدخورٌ لَكَ. وأمّا حَلقُكَ رأسَك؛ فإنَّ لَكَ بكُلِّ شَعرة تسقُطُ حَسَنَةً، فإذا طُفتَ بالبيتِ؛ خَرجتَ من ذُنُوبك كيومِ ولدتْك أُمُّك»[2] .

قالَ ابنُ حجر: «رَجَعَ كيومِ وَلَدَتْه أُمُّهُ»: أي: بِغَيرِ ذَنبٍ، وَظَاهِرُه غُفرانُ الصَّغائرِ والكَبائرِ والتَّبعات».

«والحجّ المبرُورُ»: هو الذي لا يُخَالطُه شَيءٌ مِنَ الإثم، رَجَّحهُ النَّوَوِيُّ.

قَالَ المناويُّ في «فيضِ القَدير»[3]: «إضافةٌ لقولِه: «ولدتْه أمُّه» في خُلُوِّه عَن الذنوبِ، وهُوَ يشملُ الكَبائرَ والتَّبِعات، وإليه ذَهَبَ القُرطُبِي وعِيَاض، لكن قَالَ الطَبَرِيُّ: هُوَ مَحمُولٌ - بالنِّسبةِ إلى المَظَالِمِ - علَى من تَابَ وَعَجَزَ عَن وَفَائِهَا».

وقالَ المُنَاويُّ في «فَيض القَدير»: «والحَجُّ المبرُورُ لا يقتَصِرُ لصَاحِبِه من الجزاءِ علىٰ تكفيرِ بعضِ ذُنُوبِهِ، بل لابدَّ أن يدخلَ الجنةَ».

---

(١) هو ما تراكم من الرمل، ودخل بعضه في بعض.

(٢) حسن: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٨٨٧)، والبزار في «مسنده» (١٠٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).

(٣) (٦/ ١١٥).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: «لا يقتصرُ لصاحبِه منَ الجزاءِ عَلَىٰ تَكفيرِ بَعضِ ذُنوبِه، بَل لابد أَنْ يدخلَها مع السابقين، أو بغيرِ عَذابٍ، وإلاَّ فكلٌّ مؤمنٍ يدخلُها وإن لم يحجّ»[(١)].

١٧ ـ مسحُ الحجَرِ الأسْودِ والرُّكنِ اليَمَانِيِّ:

وعند الترمذيِّ وصَحَّحهُ الألبانيُّ عن ابنِ عُمرَ رَضيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ مسْحَ الحجَرِ الأسودِ والرُّكنِ اليمَانِي، يَحُطَّان الخَطَايَا حطًّا»[(٢)].

قَالَ المنَاوِيُّ: «والمرادُ بالخَطَايَا: الصَّغَائرُ، كما هُوَ قِياسُ النظائِرِ»[(٣)].

١٨ ـ الاجتماعُ عَلَى ذكرِ الله:

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قومٌ عَلَى ذكْرٍ فتفرَّقوا عنه، إلا قيلَ لهم: قُومُوا مَغفوراً لكم»[(٤)].

وفي «صحيح مسلمٍ» عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ:

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «ما اجتمعَ قَومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلونَ

---

(١) «فيض القدير» (٣/ ٤٠٦).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٩٥٩)، وقال: هذا حديث حسن، والنسائي (٢٩١٩)، وابن ماجة (٢٩٥٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٩٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٢٩، ٢٧٥٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٦٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ١١٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٩٤).

(٣) «فيض القدير» (٢/ ٥٢١).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٤) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٠٧)، وفي «الصحيحة» (٢٢١٠).

كتابَ الله، ويتدارسُونَهُ بينَهُم، إلا نزلتْ عليهم السَّكينةُ، وغشيتهُم الرَّحمَةُ، وحَفَّتهُمُ الملائكةُ، وذكرَهُمُ اللهُ فيمن عندَهُ»(١).

روى الإمام أحمد ـ وصححه الألبانيُّ ـ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «مَا جلَسَ قومٌ يذكُرون اللهَ تعالَى، إلا ناداهُم مُنادٍ من السَّماء: قُومُوا مَغْفُوراً لكُم»(٢).

لله درّهم!

قومٌ كرامُ السَّجايا أينما جلَسُوا يَبْقَى المكانُ على آثارِهم عطراً

١٩ ـ قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبَرُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله:

عن ابنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا على الأرضِ أحدٌ يقُولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، إلا كفِّرتْ عنه خطاياهُ، ولو كانتْ مثلَ زبَدِ البحرِ»(٣).

٢٠ ـ التسبيحُ؛ سُبحَانَ الله وبحَمده مائةَ مرة:

عَن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَن قَالَ: سبحانَ الله

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥) والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجة (٢٢٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٠٧، ٥٦٠٩)، وفي «الصحيحة» (٢٢١٠).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وأحمد في «المسند» (٢/ ١٥٨، ٢١١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٦).

وَبِحَمدِهِ في يومٍ مِائةَ مَرَّةٍ، حُطَّت خَطَايَاه، وَإنْ كَانَت مثلَ زَبَدِ البحرِ»[(١)].

وفي رِوَاية: «مَن قَالَ حِينَ يُمسِي وَحِينَ يُصبِحَ»[(٢)].

قَالَ الحافظُ ابن حَجَرٍ في «فَتحِ البَارِي»[(٣)]:

«زادَ في رِوَايَة سُهيلِ بن أبي صَالحٍ: عَن سُمَيّ عن أبي صالحٍ: «مَن قَالَ حِينَ يُمسِي وَحِينَ يُصبِحُ»[(٤)] ويأتي في ذلك ما ذكرَهُ النوويُّ، من أن الأفضلَ أن يقُولَ ذلك مُتَوالِيًا في أول النهارِ وفي أولِ الليلِ، والمُرَادُ بقوله: «وإن كانتْ مثلَ زَبَدِ البَحرِ»، الكنايةُ عن المبالغةِ في الكثرةِ.

قال عياضٌ: قولُه: «حُطَّت خَطَايَاهُ وإنْ كَانَت مثلَ زَبَدِ البَحرِ» مع قولِهِ في التـهليلِ: «مُحيتْ عَنهُ مائة سيِّئة» قد يُشعرُ بأفضليَّة التسبيحِ عَلَىٰ التهليلِ، يعني: لأن زبد البحر أضعاف أضعاف المائة، لكن تقدم في «ولم يأت أَحَدٌ بأفضلَ مما جَاءَ به» فيُحتملُ أن يُجمعَ بينهما بأن يكون التهليلُ أفضلَ، وأنه بما زيدَ من رَفعِ الدَّرجاتِ وكتب الحسنات، ثم ما جعلَ مع ذلكَ من فضلِ عِتْق الرِّقابِ، قد يزيدُ علىٰ فضلِ التسبيحِ وتكفيرِهِ جميعَ الخَطَايا؛ لأنَّهُ قَد جَاءَ: «مَنْ أعتقَ رَقبةً، أعتق اللهُ بكلِّ عُضو منها، عضواً منه من النارِ»[(٥)] فحصلَ بهذا العتقِ تكفيرُ جميع الخطايا عُموماً، بعد حصْرِ ما

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١)، والترمذي (٣٤٦٦)، وابن ماجة (٣٨١٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢، ٣٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٢٩، ٨٥٩).

(٢) تقدم فيما قبله.

(٣) (١١/ ٢١٠).

(٤) تقدم في الحديث الذي قبله.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩)، والترمذي (١٥٤١)، وأحمد (٢/ ٤٢٠، ٤٢٢)، وابن حبان (٤٣٠٨).

عدّد منها، خصوصًا مع زيادة مائة درجةٍ، وما زادَهُ عتقُ الرقابِ الزيادةُ على الواحدةِ، ويؤيِّدُهُ الحديثُ الآخَرُ: «**أفضلُ الذِّكْرِ: التهليلُ**» وأنه أفضلُ مَا قَالَهُ والنبيُّون من قبلِه؛ وهو كلمةُ التوحيدِ والإخلاصِ.

وقد مضى شَرْحُ التسبيحِ، وأنَّه التنزيهُ عما لا يليقُ باللهِ تَعَالى، وَجَميعُ ذَلِكَ داخلٌ في ضِمنِ: «لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهُو على كلِّ شيءٍ قَديرٌ».

قالَ ابنُ حجر: «ذكرَ ابنُ بطالٍ عن بعضِ العلماءِ، أن الفضلَ الواردَ في حديثِ البابِ ومَا شَابَهَهُ، إنما هُوَ لأهلِ الفَضلِ في الدِّينِ والطَّهارَةِ مِنَ الجرائِمِ العِظَامِ، ولَيسَ مَن أَصَرَّ على شهواتِهِ، وانتهكَ دِينَ اللهِ وحُرُماتِهِ بلاحِقٍ كالأفاضِلِ المطَهَّرِينَ في ذَلك.

ويشهَدُ لَهُ قَولُهُ تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الجاثية: ٢١]»[١].

٢١ ـ التهليلُ: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحمدُ، وهو على كُلِّ شَيء قَديرٌ:

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «**مَن قَال لا إله إلا اللهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، له الملكُ ولَهُ الحمدُ، وَهُوَ على كُلِّ شيء قَديرٌ في يوم مائةَ مَرة، كَانَت لَهُ عَدلُ عَشرِ رقاب، وكُتبتْ له مائة حَسَنَة، ومُحيتْ عَنهُ مائةُ سيِّئة، وكَانَت لَهُ حِرزًا من الشَّيطانِ يَومَه ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أَحَدٌ بأَفضلَ مما**

(١) فتح الباري (١١/ ٢١١).

جَاءَ بِهِ إلا رَجُل عَمِلَ أكثَرَ منهُ»(١) .

وقـال ﷺ : «مَن قَالَ: لا إلهَ إلا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، له الملكُ وله الحمدُ، وهُوَ على كلِّ شَيءٍ قَـديرٌ. عَشراً، كَـانَ كمن أعـتقَ رقبـةً من ولدِ إسمـاعيلَ» .
رواهُ البُخاريُّ ومسلمٌ والنسائيُّ والتِّرمذيُّ عن أبي أيوبَ .

والمحفوظةُ : «كانت له عدلُ أربعِ رِقَابٍ مِن ولدِ إسماعيلَ»(٢) .

قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتحِ»(٣):

«اختلافُ هذه الرواياتِ في عددِ الرقابِ مع اتّحادِ المخرجِ، يقتضِي الترجيحَ بينها، فالأكثرُ على ذكْرِ أربعةٍ، ويُجمع بينه وبين حديثِ أبي هُريرةَ بذكرِ عشرةٍ لقولها مائةً، فيكونُ مُقابلُ كل عشرِ مراتٍ رقبةً من قبلِ المضاعفةِ، فيكونُ لكلِّ مرة بالمضاعفة رقبةٌ، وهي مع ذلك لمطلقِ الرقابِ، ومع وصْفِ كوْنِ الرقبةِ من بني إسماعيلَ يكونُ مقابلَ العشرةِ من غيرهِم أربعةٌ منهمْ؛ لأنهُم أشرفُ من غَيرهِم مِنَ العربِ فضلاً عَنِ العَجَمِ .

وأمَّا ذكْرُ رقبةٍ بالإفرادِ في حديث أبي أيوبَ، فشاذٌّ، والمحفوظُ أربعةٌ كما بيَّنتُه .

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١)، والترمذي (٣٤٦٨)، وابن ماجة (٣٧٩٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢، ٣٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣)، والترمذي (٣٥٥٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٢٠).

(٣)(١١/ ٢٠٩).

وجمعَ القرطبيُّ في «المُفهِم» بين الاختلافِ على اختلافِ أحوالِ الذّاكرينَ فقَالَ:

«إنما يَحصُلُ الثوابُ الجسيمُ، لمن قامَ بحقِّ هذه الكلماتِ فاستحضرَ معانيها بقلبِه، وتأمَّلَها بفهمِه، ثم لّما كان الذّاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين، كان ثوابُهم بحسبِ ذلك، وعلىٰ هذا ينزلُ اختلافُ مقاديرِ الثوابِ في الأحاديثِ؛ فإن في بعضها ثوابًا معينًا، ونجد ذلك الذكرَ بعينِه في روايةٍ أُخرَىٰ أكثرَ أو أقلَّ، كما اتفقَ في حديثِ أبي هُريرةَ وأبي أيوبَ».

وقال النوويُّ:

يحتملُ أن يكونَ المرادُ مطلقَ الزيادةِ، سواءً كانت من التهليلِ أو غيرِه، وهو الأظهرُ، يشير إلىٰ أن ذلك يختصّ بالذكرِ.

قالَ: وظاهرُ إطلاقِ الحديثِ، أن الأجرَ يحصلُ لمن قالَ هذا التهليلَ في اليومِ، متواليًا أو متفرِّقًا، في مجلسٍ أو مجالسَ، في أولِ النهارِ أو آخرِه، لكنّ الأفضلَ أن يأتيَ بهِ أولَ النهارِ مُتواليًا؛ ليكون له حِرْزًا في جميعِ نهارِه، وكذا في أوّلِ الليلِ؛ ليكونَ له حِرْزًا في جميعِ ليلِه».

وعن البراءِ رضيَ اللهُ عنهُ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَن قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. عشرَ مراتٍ، كان له بعدل نسمةٍ**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠١)، وصححه، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٣٦).

٢٢ ـ قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر:

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، تنفُضُ الخطايا، كما تنفضُ الشجرةُ ورقَها**»(١).

وعن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الحمدَ لله، وسبحانَ الله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، لتساقطُ منْ ذنوبِ العبدِ، كما تساقطُ ورقُ هذه الشَّجرة**»(٢).

قالَ المُناويُّ: «(إنّ سبحانَ الله) أي: قولُ سُبحانَ اللهِ بإخلاصٍ وحضورِ ذهْنٍ، وهكذا في الباقي (والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، تنفضُ) أي: تُسقطُ (الخطايا) عن قائلِها (كما تنفضُ الشجرةُ ورقَها)؛ تحقيقًا لمحوِ جميع الخطايا. والمرادُ بهذا وما أشبهَه الصغائرُ لا الكبائرُ»(٣).

٢٣ ـ مرضُ الإنسانِ، وصرعُه منه:

قالت أمُّ العلاءِ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أبشـرِي يا أُمَّ العلاءِ، فإنَّ مرضَ**

---

(١) حسن: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٤)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٢) من طريق أبي ربيعة سنان قال: حدثنا أنس بن مالك. وسنان ابن ربيعة الباهلي قال الحافظ في «التقريب»: صدوق فيه لين (٢٧١٣)، وله طريق آخر عن الأعمش عن أنس به أخرجه الترمذي (٣٥٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٥٥) قال الترمذي: حديث غريب ولا نعرف للأعمش سماعًا من أنس إلا أنه قد رآه.

وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٨٩).

(٢) تقدم فيما قبله.

(٣) «فيض القدير» (٢/ ٤٥٢).

المُسْلم يُذهبُ خطاياهُ، كما تذهبُ النارُ خبَثَ الحديد»[١] .

وعنها رضيَ اللهِ عنها قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يا أُمَّ العلاء، أبشري؛ فإنَّ مرضَ المسلمِ يُذهبُ اللهُ به خطاياهُ، كما تُذهبُ النارُ خَبَثَ الذهبِ والفضة»[٢] .

قال أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: رسولُ الله ﷺ: «إذا ابتَلى اللهُ العبدَ المسلمَ ببلاء في جسده، قال الله عزَّ وجلَّ: اكْتُبْ لـهُ صالحَ عمله. فإنْ شفاهُ، غسَّله وطهَّرهُ، وإنْ قبضَهُ، غفرَ له ورحمَهُ»[٣] .

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا اشتكَى المؤمنُ، أخْلَصَهُ من الذُّنوبِ، كما يُخلصُ الكيرُ خَبَثَ الحديد»[٤] .

وعن أبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ إذا مرضَ، أوحَى اللهُ إلى ملائكته: «أنا قيَّدتُ عبدي بقيدٍ من قُيودي، فإنْ أقبضْهُ أغفرْ لهُ، وإنْ أُعافه، فحينئذٍ يقعُدُ لا ذنْبَ لهُ»[٥] .

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠٩٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٣٤٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧)، وعزاه للسلسلة الصحيحة، ثم ذكر له طريقًا أخرىٰ وشاهدين (٧١٤).

(٢) صحيح: تقدم فيما قبله.

(٣) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٨، ٢٣٨، ٢٥٨)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٨).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٣٦)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٢١)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٣٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٤)، و«الصحيحة» (١٢٥٧).

(٥) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٩٧)، والحاكم (٤/ ٣١٣) وصححه، وقال الذهبي: عفير بن معدان واه وله شاهد من حديث شداد بن أوس أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣)، والطبراني (٧١٣٦)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٣)، وفي «الصحيحة» (١٦١١)، وسيأتي بعد الحديث القادم.

وعن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالَى يبتَلي عبدَهُ المؤمنَ بالسَّقَمِ؛ حتَّى يُكفِّرَ عنهُ كلَّ ذنب» [(١)].

وعن شدادِ بنِ أوسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «قالَ تَعَالَى: إذا ابتَلَيْتُ عَبدًا من عبادي مُؤمنًا، فحَمدَني وصبرَ على ما بَليتِه؛ فإنَّهُ يقومُ من مَضجعه ذلك كيوم وَلدَتْه أُمُّهُ من الخطايا. ويقولُ الربُّ عزَّ وجلَّ للحَفَظَة: إني أنا قَيَّدْتُ عَبدي هذا وابتليتُهُ، فأجْرُوا له ما كنتُم تُجْرُون له قبَل ذلك من الأجر وهو صحيحٌ» [(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ اللهُ تعالى: إذا ابتليتُ عبدي المؤمنَ، فلم يَشكُني إلى عواده، أطلقتُه من إساري، ثم أبدلتُه لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثمَّ يستأنفُ العمَلَ» [(٣)].

عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَصَبُ المؤمنِ كفَّارةٌ لخطاياهُ» [(٤)].

---

(١) صحيح أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٨)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين وفي الباب عن جبير بن مطعم أخرجه الطبراني (٢/ ١٥٤٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٧٠).

(٢) حسن أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٠٩، ٣١٠)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٠٠)، وفي «الصحيحة» (٢٠٠٩)، وفي الباب عن أبي أمامة أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٩٧)، والحاكم (٤/ ٣١٣).

(٣) صحيح أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٧٥)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٠١)، وفي «الصحيحة» (٢٧٢).

(٤) صحيح أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١١١)، والحاكم في «المستدرك» =

روىٰ الطبراني - وصححه الألباني - عن أبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِن عَبدٍ يُصرعُ صَرعةً من مرضٍ، إلا بعثَه اللهُ منها طاهِرًا**»[١].

قال المناوي: في «فيض القدير»[٢]:

«مَا من عبدٍ يُصرعُ صرعةً من مرضٍ، إلا بعثَه اللهُ منها طاهرًا لأنّ المرضَ تمحيصٌ للذنوبِ، والمؤمنُ متلوِّثٌ بالشهواتِ، متوسِّخٌ بالخطيئاتِ، فإذا أسْقمَهُ اللهُ طهّرَه وصفّاه، كالفضّةِ تُلقىٰ في كيرِها؛ فبنفخةٍ يزولُ خبثُها، ويصفُو دنسُها، فتصلُحُ للضربِ. وظاهرُه الشمولُ لجميعِ الذنوبِ، لكن خصّه الجمهورُ بالصغائرِ؛ لاشتراطِهِ اجتنابَ الكبائرِ في الخبرِ المارّ، فحملُوا المطلقاتِ الواردةَ في التكفيرِ علىٰ هذا القيْدِ.

قالَ ابنُ حجر: ويُحتملُ أنَّ معنىٰ الأحاديثِ المؤذنةِ بالتعميمِ، أن ذلكَ صالحٌ لتكفيرِ الذنوبِ، فيكفِّرُ به ما شاءَ من الذنوبِ، مما يكونُ كثرةُ التكفيرِ وقِلّته باعتبارِ شدّةِ المرضِ وخفّتِهِ، ثم المرادُ بتكفيرِ الذنوبِ: سترُه أو محْوُ أثرِه المترتّبِ عليه من استحقاقِ العقوبةِ.

= (١/ ٤٩٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)، والترمذي (٩٦٦)، وغيرهم، وصححه الشيخ الألباني من رواية أبي هريرة في «صحيح الجامع» (٧١٠٩)، وفي «الصحيحة» (٢٤١٠).

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٤٨٥)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٤٣)، وفي «الصحيحة» (٢٢٧٧).

(٢) (٥/ ٤٨٧-٤٨٨).

٢٤ ـ النومُ على وضوء:

روىٰ الطبرانيُّ في «الكبيرِ» وحسنَهُ الألبانيُّ عن ابنِ عمرَ أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «طهِّروا هذه الأجسادَ طهَّرَكم اللهُ، فإنه ليسَ عبدٌ يبيتُ طاهرًا إلا باتَ معهُ مَلَكٌ في شعارِه، لا ينقلبُ ساعةً من الليلِ إلا قالَ: اللهمَّ اغفرْ لعبدكَ، فإنه باتَ طاهرًا»[1].

٢٥ ـ دعاءُ الانتباهِ من نومِ الليلِ:

روىٰ البخاريُّ عن عبادةَ بن الصامتِ مَرفوعًا: «مَن تَعارَّ[2] من الليلِ فقالَ حينَ يستيقظُ: «لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله»، ثم قال: «اللهمَّ اغفرْ لي، أو دعا استُجيبَ له، فإن قامَ، فتوضأَ ثم صلى قُبلتْ صلاتُه»[3].

فاستجابة الدعاء هنا لها شرطان:

١ ـ الاستيقاظ من الليل أي: قبل الفجر.

٢ ـ أن ينطق بالذكر المذكور في الحديث قبل أن يتحدث بحديث الدنيا.

---

(١) حسن أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٣٦٢٠، ١٣٦٢١)، وفي الباب عن ابن عباس أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٠٨٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٢٨): أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٣٦).

(٢) تعارّ: استيقظ وانتبه.

(٣) صحيح أخرجه البخاري (١١٥٤)، وأبو داود (٥٠٦٠)، والترمذي (٣٤١٤)، وابن ماجه (٣٨٧٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣١٣)، والدارمي (٢٦٨٧)، وابن حبان (٢٥٩٦).

(٢٩)

الإسلام والإرهاب

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ الإسلامُ دينُ المحبةِ والوئام.

٢ ـ معاملةُ الإسلامِ لغيرِ المسلمين الوافدين إلى دولة الإسلام.

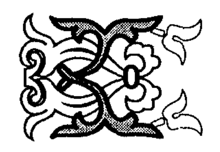
٣ ـ عداوةُ الغربِ للإسلام.

٤ ـ الإسلامُ يطالِبُ بمحاكمة الإرهابيين.





الإسلام والإرهاب



الإسلامُ دينُ السلامِ:

إنَّ العالَمَ الغربيَّ اليومَ يعملُ جاهداً علىٰ إلصاقِ التُّهَمِ بالإسلامِ عن طريقِ: الحملاتِ الإعلاميةِ ضدَّ الإسلامِ والمسلمينَ؛ لتنفيرِ الناسِ من الدخولِ في الإسلامِ.

لأنهُ لو ظهرَ للغربِ الإسلامُ بصورتِهِ الحقيقيةِ دونَ تشويهٍ أو تضليلٍ؛ لسارعَ أبناؤُهم في الدخولِ في الإسلامِ.

الإسلامُ دينُ العدلِ والإنصافِ:

هذا دستورُ الإسلامِ الخالدِ ينطقُ بذلكَ:

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقَد نَهَانا القُرآنُ الكريمُ أنْ تحملَنا عداوتُنا لقومٍ أن نجورَ عَليهِم في الشهادةِ، أو نظلمَهُم في الحُكمِ، فَقَالَ: ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٨].

الإسلامُ دينُ الإحسانِ:

قال تعالىٰ: ﴿ **وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٥].

رَوَىٰ مُسلمٌ عن شدادِ بنِ أوسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ علَى كُلِّ شَيءٍ»(١).

الإسلامُ دينُ الأمانة:

قالَ تعَالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

الإسلامُ دينُ الرحمة:

قالَ تَعَالىٰ في صفَةِ المؤمنينَ الصَّادِقِينَ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

وعندَ الإمامِ أحمدَ والترمذيِّ وصَححهُ الألبانيُّ عَن ابن عمرٍو أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يرحمُهُم الرَّحمنُ، ارحَمُوا مَن في الأرْضِ، يَرْحَمكُم مَن في السَّمَاءِ»(٢).

الإسلامُ دينُ العفو والصَّفح:

لقدْ فَعَلَ الكُفَّارُ في النَّبي ﷺ مَا فَعَلُوا مِن: تَعذيبٍ، وتَشرِيدٍ،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٥٥)، وأبو داود (٢٨١٥)، والترمذي (١٤٠٩)، والنسائي (٤٤٠٥)، وابن ماجة (١٣٧٠)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥)، والدارمي (١٩٧٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٨٦٠٣، ٨٦٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٨٨٣، ٥٨٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٠)، والحميدي (٥٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥٩). قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٢٢)، وفي «الصحيحة» (٩٢٥).

وإخراجِهِ مِن وَطَنِهِ، ولما ظَهَرَ عليهم ودخلَ مكةَ مُنتصراً، وصاروا في قبضتهِ جَمَعَهُم عندَ الكعبةِ، فظنُّوا أنه سينتقمُ منهم، أو سينزلُ عليهم عقابًا، أو سيفرضُ عليهم غَرامَاتٍ مَاليةً؛ بسببِ ما فَعلُوه في المسلمينَ من التعذيبِ والتنكيلِ.

ولكنَّه لم يفعلْ شيئًا منْ ذَلِك، بلْ عفا عنهم .

معاملة الإسلام للمواطنين غير المسلمين

لقد عاملَ الإسلامُ غيرَ المسلمينَ المقيمينَ في دولةِ الإسلامِ ـ معاملةً مِلؤُها: الإنصافُ والعدلُ.

فأعطاهُم كافةَ حقوقِ الإنسانيةِ مِن: تملكِ الأراضِي، والبيعِ والشراءِ، والأمنِ والأمانِ علىٰ أنفسهِم، وأموالهِم، وأزواجهِم، وأولادهِم.

وأعفاهُم منَ الخدمةِ العسكريةِ في مقابلِ دفعِ الجزيةِ السنويةِ، ديناراً واحدًا عن كلِّ بالغٍ منهُم.

درعُ عليٍّ بنِ أبي طالب:

سقطتْ درعٌ لعليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه يومًا، فأخذَها يهوديٌّ، فرآها معهُ عليٌّ، فقالَ: هذه دِرعي.

قال اليهوديُّ: بلْ هِيَ دِرعِي.

وقد كانَ عليٌّ أميرًا للمؤمنينَ آنذاكَ، وكانَ قادرًا أن يأخذَها بالقوةِ، ويعاقبَ اليهوديَّ علىٰ كذبِهِ، ولكنهُ لم يفعلْ.

ورفعَ أمرَهُ إلىٰ القاضي شُريح.

فوقفا أمامَ القاضِي.

خليفةُ المسلمينَ، التي تصدرُ الجيوشُ عن أمرِه، وبيدِه مقاليدُ السلطةِ، يقفُ أمامَ القاضي هوَ وأحُد رعاياهُ، ما هذا العدل؟!

هلْ رأتِ الدُّنيا مِثلَ هَذَا؟!

قالَ القاضِي: تكلَّمْ يا أميرَ المؤمنينَ.

قالَ عليٌّ - رضيَ اللهُ عنهُ -: الدرعُ دِرعي وَسقَطَتْ مِنِّي.

قالَ القاضِي: تكلَّم أيُّها اليَهُودِيُّ.

قالَ اليهوديُّ: أيُّها القاضِي الدِّرعُ دِرعي وفِي يَدِي.

قالَ شريحٌ القاضِي: ألكَ بينةٌ يا أميرَ المؤمنينَ؟

قالَ عليٌّ: نَعَم، ولَدِي الحسنُ وَمَولاي قَنْبَر.

قالَ القاضِي: الولدُ لا تُقبلُ شَهادتُه لأبيهِ ولا العبدُ لمولاهُ.

ألكَ بينةٌ أُخرَىٰ؟

قالَ: لا.

فقالَ القاضِي: الدرعُ لليهوديّ وهي في يَدِهِ، وليسَ لكَ بينةٌ. فَحكمَ بها لليهودِي.

فسلمَ أميرُ المؤمنينَ بالحكمِ، وهمَّ بالانصرافِ.

فلمَّا رأىٰ اليهوديُّ هذا الإنصافَ العجيبَ، ونورَ العدلِ يشعُّ مِن أركانِ قاعةِ الحُكمِ.

قالَ: أميرٌ يتحاكمُ معَ أحدِ رعيتهِ أمامَ القاضِي، والقاضِي يحكمُ عليهِ، أشهدُ أن دينكم هذا هو: الدينُ الحق، فَشهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ اللهِ، الدرعُ درعُك يا أميرَ المؤمنينَ؛ سقطتْ منكَ يومَ صفينَ وأخذتُها.

فقال علي: أما وقَد أسلمتَ فهي لك. وقَد وهبتُك معها فَرسًا أيضًا.

سَلِ التاريخَ.. من أنصفَ المظلومَ؟! وآوىٰ اليتيمَ؟! وأطعم المسكينَ؟!

سيجيبُك . . المسلمُونَ .

سَائلُوا التاريخَ عنَّا مَا وَعَى مَن حَمَى حَقَّ فَقِيرٍ ضُيِّعا
مَن بَنَى للعلمِ صَرحًا أرْفَعًا مَن أقَامَ الدِّينَ والدُّنيَا مَعا

سيجيبُكَ : المسلمونَ . . المسلمونَ

معاملةُ الإسلامِ لغيرِ المسلمينَ الوافدينَ إلى دولة الإسلامِ:

إذا دخلَ غيرُ المسلمينَ دولةَ الإسلامِ بطريقٍ مشروعٍ، فلهُم العهدُ والأمانُ، فلا يجوزُ الاعتداءُ عليهم، أو سلبُ أموالِهم، بشرطِ أن يلتزمُوا بالأحكامِ الإسلاميةِ ما دامُوا في ديارِ الإسلامِ، فلا يُجاهرُوا بشربِ الخمرِ، ولا يسرقُوا، ولا يقطعُوا طريقًا، ولا يقتلُوا، ونحوَ ذلكَ.

قال ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَم يرحْ رَائِحَةَ الجنَّة**»[1] رواهُ البخاريُّ.

فإن فعلوا شيئًا من ذلك، فلا يجوزُ للرعايا أن يقاتلُوهم، وإنما يُرفع أمرُهم إلى أقربِ محكمةٍ شرعيةٍ، فتحكمُ عليهم بشرعِ اللهِ فيهِم، وينفذُ فيهم حكمُ اللهِ مِن قِبَلِ الحاكمِ المسلمِ؛ حتى يكونَ ردعًا لأمثالِهم.

هذا هو وجهُ الإسلامِ المشرقُ، وهذا هو تاريخُهُ المُضيءُ .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣١٦٦)، والنسائي (٤٧٥٠)، وابن ماجة (٢٦٨٦)، وأحمد (٢/ ١٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، كلهم من طريق عبد الله بن عمرو وفي الباب عن أبي بكرة.

عداوة الغرب للإسلام

تعالَ لنفتحَ الصفحَةَ الأُخرَىٰ، إنها مُعاملةُ الغربِ للإسلامِ والمسلمينَ.

١ ـ الحملاتُ الصليبيةُ:

التي جَاءت بجيوشٍ جَرَّارةٍ؛ لقتلِ المسلمينَ وسلبِ خيراتهم، وكان شعارُ تلكَ الحملاتِ «ادفعْ دُولارَ تقتلْ مُسلمًا».

٢ ـ حينما احتلُّوا بيتَ المقدسِ، قَتلوا الآلافَ من المسلمينَ؛ حتىٰ صارتِ الخيولُ تمشي في بِحارٍ من الدماءِ.

في حينِ لما افتتحها صلاحُ الدينِ الأيوبيُّ، واستسلمُوا لم يقتلْهُم وإنما عَفَا عنهُم بِدِيَّات رمزيةٍ، ومن كانَ منهم فقيراً أطلقهُ بدونِ ديةٍ.

٣ ـ الاحتلالُ الغربيُّ لدولِ المسلمينَ: واقتسامُ أراضيهم، وقهرُ شعوبِهم.

٤ ـ استلابُ قطعةٍ منَ الدولِ الإسلاميةِ: وهي «فلسطين»، وطردُ أهلِها بالقوةِ، وتوطينِ اليهودِ فيها، هذا هو الوجهُ الكالحُ للحضارةِ الغربيةِ، وتلكَ هي حقوقُ الإنسانِ المُدَّعَاة.

المذابحُ ضدَّ الشعبِ الفلسطينيِّ:

١ ـ مذبحةُ صَبرا وشاتيلا: قُتلَ فيها المئاتُ: ٣٥٠٠ من الفلسطينيينَ.

٢ ـ مذبحةُ دير ياسين: قُتل فيها: ٢٦٠ رجلاً وامرأة.

٣ ـ مذبحةُ الخليلِ سنة ١٩٩٤:

في رمضانَ في صلاةِ الفجرِ، دخلَ يهوديٌّ يُدعىٰ: (جولد شتين) وأطلقَ رصاصَه علىٰ المصلينَ، فقتلَ (٢٩) مصليًا، وتمكّنَ باقي المُصلِّين من قَتلِه، فأسماهُ اليهودُ بطلاً، وأصبحَ قبرُه مزارًا لهُم.

الإسلام يطالب بمحاكمة الإرهابيين

إنَّ الإسلامَ يعملُ على القضاءِ على الجريمةِ، وقد شرعَ شرائعَ وأنزلَ أحكامًا؛ للقضاءِ على الجريمةِ من ذلكَ:

١ـقطعُ يدِ السارقِ؛ للقضاءِ على السرقةِ.

٢ ـجلدُ الزاني أو رجمُه؛ للقضاءِ على الزِّنا.

٣ ـالقصاصُ أو الديةُ؛ للقضاءِ على القتلِ.

هذه أحكامٌ رادعة، تردعُ من تسولُ له نفسُه الإقدامَ على الجريمةِ.

ولكن كيفَ تثبتُ الجريمةُ؟

ولكنَّ الجريمةَ لا تثبتُ في الإسلامِ بمجردِ الدَّعوىٰ، أو الاشتباهُ، أو الاتهامِ، فإنَّ هذه الأمورَ لا تقومُ على قدمٍ وساقٍ، ولا يمكنُ إنزالُ العقوبةِ لمجردِ الاشتباهِ أو الاتهامِ.

ولكن لابدَّ من البينةِ وهي:

إما شهادةُ شهودِ العيانِ، أو إقرارُ المدَّعىٰ عليه، فلا تثبتُ الجريمةُ إلا بشهادةٍ أو إقرارٍ.

وهل تثبتُ الجريمةُ بالصورةِ الفوتوغرافيةِ، كأن يوجد صورة فيديو لرجل يزني، أو يقتلُ، أو يسرقُ، أو نحوَ ذلكَ؟

الجواب: لا؛ لأنَّ هذه الصورَ يمكنُ تركيبُها على أحداثٍ لم يفعلْها صاحبُ الصورةِ، وهي ما تُسمَّىٰ بالدبلَجَةِ، ولذلك لا تثبتُ بها الجريمةُ.

والقانونُ الوضعيُّ يأخذُ بذلك .

وهل تثبتُ الجريمةُ بالصوتِ المسجلِ عبرَ مكالمةٍ هاتفيةٍ، ونحوِ ذلكَ؟

الجواب : لا تثبتُ أيضًا بذلك . . لما وصل إليه العلمُ الحديثُ من تقطيعِ العباراتِ، وتركيبِ الأصواتِ، بل ومقاطعَ الكلماتِ أيضًا، والتقديمِ والتأخيرِ فيها .

ومن هُنا:

فلا يجوزُ إلصاقُ التهمِ بالإسلامِ والمسلمينَ لمجردِ الاشتباهِ، أو الاتهامِ[1] .

وهل يمكنُ في هذا العالمِ المتطورِ أن نثبت الجريمةَ بشهادةٍ أو إقرارٍ؟

نعم، أضربُ لك على ذلك مثالاً واحدًا :

هذا مجرمٌ، أوراقُهُ الآن موجودةٌ أمامَ محكمةِ بلجيكا؛ لمحاكمتهِ كمجرمِ حربٍ:

الاسمُ: إريل شارون .

الإقامةُ: فلسطينُ المحتلةُ .

الجريمةُ: هذه حصيلةُ سنةٍ واحدةٍ من جرائمهِ، التي ثبتتْ بشهودِ العيانِ وبإقرارٍ منهُ، بالإضافةِ إلى الصوتِ والصورةِ :

قَتَل : ٥٦٠ فلسطينيًّا .

جَرَح : ٢٥ ألف جريح .

(١) ألقيت هذه الخطبة في ظروف تحطم أبراج التجارة في أمريكا، واتهام المسلمين بذلك .

اعتقالُ: ١٦٠٠ فلسطينيًّا؛ حتى لا يدافعوا عن أرضِهم.

خسائرُ: ٥,٥ مليون دولار.

قصف وهدم: ٤٥٠ منزلاً فلسطينيًّا.

قطع: ٢٠٣ ألف شجرةٍ، منها ٦٠ ألف شجرة زيتونًا مثمرة.

إتلاف: ١٢٥٠ خليةَ نحلٍ.

إحراق: ١٠٠٠ سيارة خاصةٍ.

قتل: ٧٤ مزرعةً حيوانيةً.

قتل: ألف رأسٍ غنمًا.

قتل: ٥٠ رأسًا بقرًا(١).

أليس هذا هو الإرهاب بعينه؟!

إذا لم يكن هذا إرهابًا، فما هو الإرهابُ إذًا؟

والكل صامتون.

يا قـومِ لا تـتكلَّمُـوا ... إن الكلامَ مُـحَـرَّمُ

نامُـوا ولا تَستيقظُوا ... مَـا فَـازَ إلا النُّوَّمُ

إن قِيل إن نهاركم ... ليلٌ فَقُولُوا مُظْلِمُ

أو قِيل هذا شَهدُكُم ... مُرٌّ فَقُولُوا عَلقَمُ

أو قِيل مَاذا تَستَحقُّون ... فَقُولُوا نُعْدَمُ

هَذا لَمَنْ أرادَ أن ... يَلقَاهُ عَيشٌ مُكرَّمُ

---

(١) كتبت هذه المعلومات عام ١٤٢٣ هـ، أي قبل ارتكاب كثير من الجرائم، فللَّه الأمر من قبل ومن بعد.

لماذا الحملة الصليبية الجديدة على أفغانستان؟!

كان من الممكنِ أن يقبضُوا على منفذي الحادثِ بطريقةٍ أو بأُخرىٰ بالوسائلِ الحديثةِ المتاحةِ، وما أكثرَهَا! ولكنهُم لا يريدونَ ذلكَ.

إنهم يريدُونَ تدميرَ أفغانستانَ المسلمَةَ، وقتلَ شعبِها الصامدِ. . . لماذا؟

لماذا أفغانستانُ بالذاتِ؟

لأمورٍ:

أولاً: لأنها أعلنتْ التطبيقَ الشاملَ للشريعةِ الإسلاميةِ في أراضيها.

ثانيًا: لأنها رفضتِ الولاءَ للشرقِ أو للغربِ، وجعلتْ ولاءَها للهِ ورسولِه وللمؤمنينَ.

ثالثًا: لأنها فَرضَتِ الحجابَ الإسلاميَّ علىٰ النساءِ.

فقالوا: هذا يتنافىٰ مع حُريةِ المرأةِ.

في حين أن تُونسَ حينما فرضتْ علىٰ المرأةِ المسلمةِ كشف شَعرِها في الوظائف الحكومية. . لم يقولوا: إنه يَتعارَضُ مع حريةِ المرأةِ.

وحينما طَردت تُركيا نائبةً من البرلمانِ ـ بعد وصولِها إليهِ عن طريقِ ديمقراطيتهم ـ طردُوها من أجلِ لبسها الخمارَ.

لم يقولوا بأنه يتعارضُ مع حريةِ المرأةِ.

رابعًا: لأن أفغانستانَ حرمتِ التدخينَ، ومنعتْ تصنيعه أو استيراده.

خامسًا: لأنها منعتِ استعمالَ التلفازِ علىٰ شعبِها؛ لالتقاطِهِ للقنواتِ

الشيوعيةِ المجاورةِ وهيَ تبثُّ أشياءَ إباحيةً.

فقالَ الأعداءُ: هذا تقييدٌ للحرياتِ.

في حينَ أن الصينَ حينما منعتِ استخدامَ شبكاتِ الإنترنت الغربيةِ حتىٰ لا تؤثرَ علىٰ ثقافةِ الشعبِ الصينيِّ، ومنعت الأطباق الهوائية (دش) لم يقُلْ هَؤلاءِ شيئًا .

سادسًا: لأنهُم حطَّموا الأصنامَ التي كان يقدِّسُها البوذيُّون، ورأوا أنَّ وجودَها في بلادِ الإسلامِ ينافي التوحيدَ.

فقالَ الأعداءُ: إنهم قَضَوا علَىٰ تُراثٍ شَعبيٍّ للإنسانيةِ.

سابعًا: أصدرُوا قرارًا بتحريمِ زراعةِ الأفيونِ أو التجارةِ فيه.

ثامنًا: أنشئُوا إذاعةً في كابُل أسمَوها (صوتُ الشريعةِ) تعلِّمُ الناسَ أحكامَ دينِهِم.

تاسعًا: قاموا بطردِ المنظماتِ الصليبيةِ، التي تدعُو إلىٰ النصرانيةِ داخلَ أفغانستانَ تحت ستارِ المساعداتِ الإنسانيةِ، والإغاثةِ الدوليةِ.

بلغتْ (٢٤٠) منظمة.

أعلنت صحيفةُ (فرينتر بوست) الصادرةُ في بيشاور باكستانَ باللغة الانجليزية في عددِها الصادرِ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٩٧: أنَّ منظمةَ (ncqmen قد نجحت في تنصيرِ (مائة ألف) أفغانيٍّ خلال سبعة الأعوام الماضيةِ (١٩٩٠-١٩٩٧).

عاشراً: إلغاءُ المحاكمِ المدنيةِ، وإنشاءُ المحاكمِ الشرعيةِ.

حادي عشر: إغلاقُ البنوكِ الربِّويةِ، وإنشاءُ البنوكِ الإسلاميةِ.

كلُّ هَذَا أغَاظَ الغربَ المُلحِدَ، وجعلهُ يفكرُ في طريقةٍ للتخلصِ بِهَا من أفغانستانَ المسلمةِ. فَكَانَ مَا كَانَ.

(٣٠)

اعرف ربك

(خطبة عيد الأضحى)

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ ـ اعرَف ربك.

٢ ـ اعرَف نبيك.

٣ ـ اعرَف نفسك.

٤ ـ صفات الأخت المسلمة.

٥ ـ أحكام الأضحية.





اعرف ربك



الحمدُ للهِ، صدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه.

لا إلهَ إلا اللهُ، ولا نعبدُ إلا إيَّاهُ، مخلصينَ له الدينَ ولو كرهَ الكافرونَ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

إخوةَ الإسلامِ:

لقد وقفَ الحجيجُ في صعيدِ عرفاتَ، وباتُوا بمزدلفةَ أحسنَ مَبَات، ورمَوا الجمارَ في خضوعٍ وإخبات.

هنيئًا لمن خشعتْ لله قلوبُهمُ، وخضعتْ لله نفوسُهم، وهطلتْ على الخدودِ دموعُهم .

إخوةَ الإسلامِ:

لقد خيمَ الظلامُ على الكرةِ الأرضيةِ حينًا من الدهرِ واتخذتْ كلُّ أمةٍ لها معبودًا من دون الله.

فالفُرسُ عبدوا ملوكَهم وسجدُوا لهم وقبَّلوا الأرضَ بين أيديهم.

والرومانُ عبدُوا صليبَهم وألَّهوا قساوستَهم، فأخذوا منهم صكوكَ الغُفرانِ، فهم بزعمهم يُدخلون من شاءوا فسيحَ الجِنان، ويُلقون من أرادوا في دركاتِ النيرانِ.

واليهودُ اتخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أربابًا من دونِ اللهِ، يُحلّونَ لهم الحرامَ فيُحلونَه، ويُحرمونَ عليهم الحلالَ فيُحرمونَه.

والمجوسُ عبدوا النيران، ونسَوا الواحِدَ الديانَ.

والعربُ نحتُوا الحجارةَ فعبدوها، وصنعوا الأصنامَ فألَّهوها.

هكذا كان وجهُ الأرض ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فلما أراد اللهُ بالبشرية خيرًا، وبالناسِ هدايةً ورُشدًا، أرسلَ إليهم رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحق ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه.

بعثَه مِن أُمَّةٍ أُميَّةٍ فجعلَهم قادةَ البشرية، جمعَ اللهُ به شتاتَها، ورفعَ اللهُ به رأسَها، وأعلىٰ شأنَها، وأظهرَ عزَّها، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

إن البريَّة يومَ مبعثِ أحمدَ ... نظر الإلهُ لها فبدلَ حالَها

بل كرَّم الإنسانَ حين اختار مِنْ ... خيرِ البرية نجمَهَا وهلالَها

لبِسَ المرقعَ وهو قائدُ أمةٍ ... جَبَتِ الكنوز فكسَّرتْ أغلالَها

لما رآها اللهُ تمشي نحوه ... لا تبتغي إلا رضاه سعى لها

جيلٌ فريدٌ:

فأخرجَ الله به أجدادَنا من الظلماتِ إلىٰ النورِ، ومن الضلالِ إلىٰ الهدىٰ، فلما لامست بشاشةُ الإيمان قلوبَهم، نذروا لله دماءَهم، وباعوا لله نفوسَهم.

وأخذوا يجوبُون الأرضَ شرقًا وغربًا، ينشرونَ دينَ اللهِ، ويهدُون للناس نورَ اللهِ. لا يهابُون الموتَ ولا يخافون الفوتَ، إذا قاتلوا في البَرِّ كانوا كالجبالِ الراسياتِ، وإذا حاربوا في البحر كانوا كالأمواج العاتياتِ، رفعوا سيوفَهم ليرفعوا اسمَ اللهِ عاليًا مدويًا.

فمَن قبلَ دعوتَهم أكرمُوه، ومن سالَمهم سالموه، ومن قاتلَهم قاتلُوه.

من ذا الذي رفعَ السيوفَ ليرفعَ اسـ ... ـمَك فوق هاماتِ النجومِ منارًا
كُنَّا جبالاً في الجبالِ وربُما ... صِرنا على موجِ البحارِ بحارًا
كنا نرى الأصنامَ من ذهبٍ فنهدمُها ... ونهدمُ فوقَها الكفارا
لو كان غيرَ المسلمين لحازها ... كنزًا وصاغَ الحِلَى والدِّينارا
بمعابدِ الإفرنجِ كان أذانُنا ... قَبْلَ الكتائبِ يَفتحُ الأمصارا
لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرضُ تقذفُ نارًا
أرواحُنا يا رب فوقَ أكفِّنَا ... نرجو ثوابَكَ مغنمًا وجوارًا

الطريقُ إلى الله...

أخي المسلم الكريم:

ثلاثةُ أشياءَ: إذا عرفتها نلتَ السعادةَ في الدنيا والآخرةِ.

اعرفْ ربَّك، واعرف نبيَّك، واعرف نفسَك.

فإذا عرفتَ ربَّك حقَّ المعرفة:

أحببتَه حبًّا لا يعادلُه حبٌّ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وخشيتَه خشيةً لا تساويها خشيةٌ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

وسعيتَ في رضاه، واجتهدتَ في طاعتِه، وفررتَ من معصيته، فتعلَّقَ به قلبُك، وتشوقَتْ لرؤيته نفسُك، وكنتَ ممن قال اللهُ فيهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] اللهُمَّ ارزقْنا لذةَ النظرِ إلىٰ وجهِكَ الكريمِ، ولا تجعلْنا من المحرومين المحجوبين الذين قلتَ فيهم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

اعرف ربك أخي المسلم:

الاسمُ: هو اللهُ الذي لا إله إلا هو، الرحمنُ، الرحيمُ، الملكُ، القدوسُ، السلامُ، المؤمنُ، المهيمنُ، العزيزُ، الجبارُ، المتكبرُ، الخالقُ، البارئُ، المصورُ، الغفارُ، القهارُ، الوهابُ، الرزاقُ، الفتاحُ، العليمُ، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرافعُ، المعزُّ، المذلُّ، السميعُ، البصيرُ،

الحكمُ، العدلُ، اللطيفُ، الخبيرُ، الحليمُ، العظيمُ، الغفورُ، الشكورُ، العليُّ، الكبيرُ، الحفيظُ، المُقيتُ، الحسيبُ، الجليلُ، الكريمُ، الرقيبُ، المجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيدُ، الباعثُ، الشهيدُ، الحقُ، الوكيلُ، القويُّ، المتينُ، الوليُّ، الحميدُ، المحصيُّ، المبدئُ، المعيدُ، المحيي، المميتُ، الحيُّ، القيومُ، الواجدُ، الماجدُ، الواحدُ، الصمدُ، القادرُ، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخرُ، الأولُ، الآخرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الواليُّ، المتعاليُّ، البرُّ، التوابُ، المنتقمُ، العفوُّ، الرءوفُ، مالكُ الملكُ، ذُو الجلالِ والإكرامِ، المقسطُ، الجامعُ، الغنيُّ، المغنِي، المانعُ، الضارُّ، النافعُ، النورُ، الهادِي، البديعُ، الباقِي، الوارثُ، الرشيدُ، الصبورُ.

العلمُ: أحاطَ بكلِّ شيء علمًا، يعلم ظاهرَ الأشياءِ وباطنهَا، وخافيَ الأمورِ وظاهرِها.

يا من يرى مَدَّ البعوضِ جناحَها ... في ظُلمة الليلِ البهيم الأليلِ

ويرى نياط عروقها في نحرها ... والمخَّ في تلك العظامِ النُّحلِ

امنن علينا بتوبة تمحو بها ... ما كان منَّا في الزمانِ الأوَّلِ

يعلم دبيبَ النملةِ السوداءِ على الصخرةِ الصماءِ، في الليلةِ الظلماءِ، يعلمُ الملائكةَ في السماءِ، والحيتانَ في قعرِ الماءِ، يعلمُ ما يتلجلجُ في الصدورِ، وما تكنُّه القلوبُ، وما تخفيه النفوسُ ﴿**قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٢٩].

القدرةُ: ليس لقدرته حدٌّ، ولا لقوَّتِه منتهى، فهو العزيزُ الجبارُ، والقويُّ القهارُ.

تعاظم النمرودُ فقصمه اللهُ، وتعالى فرعونُ فأذلَّه اللهُ، وتكبَّر قارونُ فأخذه اللهُ، وطغى قومُ نوحٍ فأغرقَهم اللهُ، وعصى قومُ لوطٍ فأهلكَهم اللهُ، وعتَى قومُ عادٍ وثمودَ فمزقهم اللهُ.

يا أيها الماءُ المهينُ ... من الذي سوَّاك
يا أيها الإنسانُ مهلاً ما الذي ... بالله جلَّ جلالُه أغراك
ومن الذي تعصِي ويغفرُ دائمًا ... ومن الذي تنسى ولا ينساكا

يا اللهُ:

يا مدركَ الأبصارِ والأبصارُ لا ... تدري له ولكُنهه إدراكا
يا منبتَ الأزهارِ عاطرةَ الشذا ... هذا الشذا الفواحُ نفحُ شذاكا
إن لم تكن عيني تراكَ فإنني ... في كل شيء أستبينُ علاك
فاقبلْ دعائي واستجب لرجاوتي ... ما خاب يومًا من دعا ورجاك

يا اللهُ: ما تعلَّقَ به كَسيرٌ إلا جبرَه اللهُ.

يا اللهُ: ما تعلَّقَ به فقيرٌ إلا أغناه اللهُ.

يا اللهُ: ما تعلَّقَ به مظلومٌ إلا نصره اللهُ.

يا اللهُ: ما تعلَّقَ به محتاجٌ إلا كفاه اللهُ.

رحمتُه: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا.

وقالَ جلَّ جلالُه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

حكمه: ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، وقال عن نفسه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

حسابه لخلقه: ﴿أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقال عن نفسه: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

خلقُـه: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وقال عن نفسه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وبالجملة: فاللهُ ـ سبحانهُ ـ له الأسماءُ الحسنىٰ والصفاتُ العلىٰ، فله أسماءُ الجلالِ، وصفاتُ الكمالِ جلَّ جلالُه، وعَزَّ جارُه، وعَظُمَ سلطانُه، وتقدستْ أسماؤُه.

قولُه: الحقُّ، وخبرُه الصدقُ، وحكمُه العدلُ، إذا أراد شيئًا قالَ له: كن فكانَ.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس: ٣٢].

اعرف نبيك...

لأنكَ إذَا عرفتَ نبيَّكَ أحببتَهُ حبًّا لا يسَاويهِ حبٌّ بشرٍ.

أحببتَه فوقَ حبِّ الوالدِ والولدِ.

فهوَ القائلُ عن نفسهِ كمَا في «الصحيحينِ»: **«لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى أكُونَ أحبَّ إليه مِنْ والده وولده والناسِ أجمعينَ»** (١).

وإذَا أحببتَهُ اقتفيتَ أثرَهُ، واتبعتَ سنتَهُ، وسرتَ على نهجِهِ؛ فنلتَ السعادةَ في الدنيَا والآخرةِ.

١ ـ **الاسمُ**: محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَي بنِ كلابِ بنِ مرةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَي بنِ غالبِ بنِ فِهرِ بنِ مالكِ بنِ النضرِ بنِ كنانَةَ بنِ خُزيمةَ بنِ مُدرِكَةَ بنِ إلياسِ بنِ مضرِ بنِ نزارِ بنِ مَعدِّ بنِ عدنانَ.

وعدنانُ منْ ذريةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهمَا السلامُ.

٢ ـ **تاريخُ الميلادِ**: (٥٧١م) عامُ الفيلِ.

٣ ـ **الكنيةُ**: أبو القاسمِ.

٤ ـ **محلُّ الميلادِ**: مكةَ المكرمةَ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، والنسائي (٥٠١٣، ٥٠١٤)، وابن ماجة (٦٧) وأحمد في «المسند» (٣/ ١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨)، الدارمي (٢٧٤١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٧٩).

٥ ـ دارُ الهجرةِ: المدينةَ النبويةَ.

٦ ـ الإقامةُ: أقامَ بالمدينةِ حتىٰ توفاه اللهُ، فدفنَ بها ﷺ.

٧ ـ الأولادُ: ثلاثةُ أبناءَ، وأربعُ بناتٍ.

أما الأبناءُ فهم: القاسمُ، وعبدُ الله، وإبراهيمُ.

أما البناتُ فهنَّ: زينبُ، ورقيةُ، وأمُّ كُلثومَ، وفاطمةُ، وكلُّهم ماتوا في حياتِه إلا فاطمةُ، ماتتْ بعده بستةِ أشهرٍ ـ رضيَ اللهُ عنهم ـ وصلَّىٰ اللهُ علىٰ أبيهم.

٨ ـ النبوةُ: أكرمهُ اللهُ بالنبوةِ، وعمرُه أربعونَ سنةً.

٩ ـ البعثةُ: بعثهُ اللهُ إلىٰ الإنسِ والجنِّ عامةً.

١٠ ـ صفتُه ﷺ: كان أبيضَ اللونِ، مشرقَ الوجهِ، دقيقَ الحاجبين وطويلَهما، واسعَ الجبينِ، كثَّ اللحيةِ، واسعَ الصدرِ، عظيمَ المنكبين، واسعَ الكفينِ والقدمينِ، ليس بالطويلِ البائنِ ولا القصيرِ المترددِ، متلألأَ الوجهِ كالقمرِ، إذا تكلم كأن النورَ يخرج من ثناياه، من رآه هابهُ، ومن خالطه أحبَّه.

١١ ـ حلْمُه ﷺ: كان يعطي من حرمَه، ويصلُ من قطعَه، ويعفو عمن ظلمَه، ويحسنُ إلىٰ من أساءَ إليهِ.

١٢ ـ جودُه وكرمُه ﷺ: كان أجودَ الناسِ، وأكرمَهم، وحُمِلَ إليه تسعونَ ألفَ درهمٍ فوضُعت علىٰ الحصيرِ بين يديهِ، فما قام حتَّىٰ قسمها كلَّها، ولم يأخذ منها شيئًا.

ففي «صحيح البخاريّ» عن سهلِ بنِ سعدٍ قالَ: «جاءت امرأةٌ ببردةٍ وقالت: يا رسولَ اللهِ، نسجتُها لك بيدي لتلبسَها، وقد كان محتاجًا إليها، فقبلَها ثم دخلَ فلبسَها، ثم خرج علينا فلمسَها رجلٌ وقال: يا رسولَ اللهِ، اكسُنيها.

فدخلَ النبيُّ فخلعهَا ثم أرسلَ بها إليه، فعاتبهُ القومُ، فقالَ الرجلُ: أردتُ أن تكون كفني، فكانت كفنَه»[1].

١٣ ـ شجاعتهُ ﷺ: كان أشجَعَ الناسِ، فرَّ المسلمونَ يوم أُحُدٍ ولم يفرّ، تقهقرَ الجيشُ يومَ حنين وهو ثابتٌ يقاتلُ ويقول: «**أنا النبيُّ لا كـذب، أنا ابنُ عبدِالمطلب**»[2] حتىٰ اجتمعَ حوله المسلمونَ ونصرَهم اللهُ.

وفي غزوةِ أُحُدٍ شقَّ أبيُّ بنُ خلفٍ الصفوفَ واتجهَ نحو النبيِّ ﷺ شاهرًا سيفَه مسلِّطًا رمحَه، فخافَ المسلمونَ علىٰ النبي ﷺ منه، فقال: «**خلُّوا طريقَه**»، فاستقبلَه فطعنَه النبي طعنةً سقط بها عن فرسِه.

١٤ ـ تواضعهُ ﷺ: كان أكثرَ الناس تواضعًا، فكان لا يكلفُ الصحابةَ بعملٍ ويتركهُم، بل كان أسرعَهم إليه، ففي «الصحيحين» عن البراءِ بن عازبٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أن رسولَ اللهُ ﷺ كانَ يحفرُ معهم بنفسه في غزوةِ الخندقِ، وينقلَ الترابَ والصخرَ معهُم، يقول البراءُ بنُ عازبٍ: رأيت رسولَ اللهِ ﷺ يومَ الخندقِ وهو ينقلُ معنا الترابَ، وقد وارىٰ الترابُ شعرَ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (١٢٧٧، ٥٨١٠)، وابن ماجة (٣٥٥٥)، والدارمي (٧١).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، والترمذي (١٦٨٨)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٧٠، ٥٧٧١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ١٥٥).

صدرِه، وهو يقولُ:

لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلنْ سكينةً علينا وثبت الأقدامَ إن لاقينا

إن الأُولَى قد بغَوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا[1]

وفي «صحيحِ البخاريِّ» أن رسولَ اللهِ ﷺ كان يجلسُ على الأرضِ، ويتكئُ على وسادةٍ حشوُها ليفٌ[2].

١٥ ـ عفوُه ﷺ: كان يعفو عمَّن ظلمه، ولا ينتصر لنفسه، ففي «الصحيحينِ» أن النبيَّ ﷺ قسَّم الغنائمَ يوم حنينٍ، فقال رجل من الأنصارِ: «هذه قسمةٌ ما عُدِلَ فيها، وما أريدَ بها وجهُ اللهِ»، فقال ابنُ مسعودٍ: لأخبرَن رسولَ اللهِ، فأخبرَه، فما أمرَ بقتلِه، ولا بسجنِه، وإنما قال: **«رحمةُ الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبرَ»**[3].

وضعت له يهوديةٌ سُمًّا في الطعامِ، فسألها، فقالت: نعم، وضعتُ لك سُمًّا.

فقال: «لماذا؟»

قالت: أردتُ لأقتلكَ.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٢٨٣٦، ٢٨٣٧)، ومسلم (١٨٠٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٥)، وابن حبان (٤٥٣٥)، والبيهقي (٧/ ٤٣)، والبغوي (٣٧٩٢).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٦٢٧٧)، ومسلم (١١٥٩/ ١٩١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٦٤٠).

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٣١٥٠، ٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤١١، ٤٤١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١٧، ٤٨٢٩، ٦٢١٢).

فقالوا: نقتلُها يا رسول الله؟

قال: «لا» وعفا عنها ﷺ[١].

١٦ ـ **حياؤه** ﷺ: ففي «الصحيحين» عن أبي سعيدٍ: «كان أشدَّ حياءً من العذراءِ في خدرِها، وكان إذا كرِه شيئًا عرفناهُ في وجهِه»[٢].

١٧ ـ **غضبُه** ﷺ: كان لا يغضب لنفسه قطُّ، وإنما يغضب إذا انتُهِكَتْ حُرُماتُ اللهِ.

١٨ـ **أمانته** ﷺ: كان أمينًا حتىٰ شهد له بذلك أعداؤه قبل أوليائه، فقد كان كفارُ قريشٍ لا يأتمنُ بعضُهم بعضًا وإنما كانوا يضعون أماناتِهم عند النبي ويسمونه الصادقَ الأمينَ.

١٩ـ **زهده** ﷺ: كانت الدنيا بين يديه، وكان يركلُها بقدميه ويدعو ويقول: «**اللَّهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتًا**»[٣].

٢٠ـ **رحمته بأمته** ﷺ: وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قوله تعالىٰ في إبراهيم: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وتلا قوله تعالىٰ في عيسىٰ: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠)، وأبو داود (٤٥٠٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، وفي «الأدب المفرد» (٤٦٧)، ومسلم (٢٣٢٠)، وابن ماجة (٤١٨٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٧١، ٧٩، ٨٨، ٩١، ٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٦٠٦، ٦٣٠٧، ٦٣٠٨)، والبيهقي (١٠/ ١٩٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فرفع يديه وقال: «أمتي، أمتي، وبكى».

فقال الله ـ عز وجل: «يا جبريلُ، اذهب إلى محمد ـ وربُّك أعلم ـ فسله ما يبكيك؟»

فأتاه جبريلُ فسأله، فأخبره رسولُ اللهِ ﷺ بما قال ـ وهُو أعلم ـ.

فقال الله: «يا جبريلُ، اذهب إلى محمدٍ فقل: إنا سنرضيك في أمَّتك ولا نسُوؤك»[1].

صدقَ اللهُ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

اللهمَّ احشُرنا تحتَ لوائِهِ، وأوردْنا حوضَه، وارزقْنا شفاعتَه، ولا تحرمْنا من رؤيتِه، واجعلنَا من أتباعِهِ في الدنيا والآخرةِ.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣٤، ٧٢٣٥)، والبغوي (٤٣٣٧).

اعرَف نفسَك...

الاسمُ: ماءٌ مهينٌ ابنُ الترابِ والطينِ.

الوظيفةُ: عبدٌ عند ربِّ العالمينَ.

الإقامـةُ الحالـيةُ: أيامٌ قلائلُ على ظهرِ الأرضِ (إقامةٌ مؤقتةٌ على ظهر الأرضِ).

الأعداءُ: إبليسُ، والنفسُ، والهوىٰ.

الهدفُ: رضاءُ اللهِ والجنةُ.

الطريقُ: اتباعُ النبيِّ ﷺ.

المؤهِّلُ: شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ اللهِ .

الإقامةُ الدائمةُ: إما في جنةٍ، وإما في نارٍ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

صفاتُ الأختِ المسلمةِ:

الاسمُ: مسلمةٌ.

تاريخُ الميلادِ: يومَ اهتدت إلىٰ طريقِ اللهِ.

الشهادةُ: شهادة أن لا إله إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ اللهِ.

العملُ: مربيةٌ للأجيالِ، وصانعةٌ للرجالِ.

زينتُها: حسنُ الخلقِ، والتسترُ، والحياءُ.

هدفُها: إرضاءُ ربِّ الأرضِ والسماءِ.

محلُّ الإقامةِ: وقرنَ في بيوتِكُنَّ.

قدوتُها: أمهاتُ المؤمنينَ.

أنا الإسلامُ أدبني وبالإيمان كرمني

فعشتُ العمرَ هانئةً بعيداً عن لظى الفتنِ

بإسلامي سمتْ روحي وصنت بشرعه بدني

كتابُ الله لي نورٌ بأصفى الحبِّ يغمرني

فينسيني هوى الدنيا وللجناتِ يحملُني

بربي علِّقت عيني فأرقبُه ويرقبُني

إذا الأهواءُ نادتني حيائي منه يمنعني

أليسَ اللهُ أوجدني لأبني قادةَ الزمنِ[1]

طريقُها إلى الجنةِ:

روى الإمامُ أحمدُ بسندٍ حسنٍ عن عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إذا صلَّت المرأةُ خمسَها، وصامتْ شهرَها، وحفظَت فرجَها، وأطاعَت زوجَها، قيلَ لها: ادخلي الجنةَ من أيِّ أبوابِ الجنةِ شئتِ**»[2].

---

(١) «قصائد للفتاة المسلمة» (ص٩٤) للشاعر مصطفى عكرمة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٩١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦١)، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٦٣)، وفي الباب عن أنس أخرجه البزار في «مسنده» (١٤٦٣، ١٤٧٣)، وأبي نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٨).

أحكام الأضحية

١ ـ البراءةُ من العيوب:

روى الأربعةُ بسندٍ جيدٍ عن البراءِ أن النبيَّ ﷺ قال: «**أربعٌ لا تجزئُ في الأضاحي: العوراءُ البينُ عَورُها، والمريضةُ البينُ مرضُها، والعرجاءُ البينُ عرجُها، والكسيرةُ التي لا تُنقى**»[١].

٢ ـ الإهلالُ عليها:

أن تقولَ: اللهم هذا منك ولك، اللهم هذا عن فلان وأهل بيته، بسمِ الله واللهُ أكبرُ، ثم تذبحُ.

٣ ـ تحدُّ الشفرةَ بعيدًا عنها:

«**إن الله كتبَ الإحسانَ على كل شيء، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة وإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وليحدَّ أحدكُم شفرتَه، و ليرحْ ذبيحتَه**»[٢].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، وقال حسن صحيح، والنسائي (٤٣٨١، ٤٣٨٢، ٤٣٨٣)، وابن ماجة (٣١٤٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٤، ٢٨٩)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٨٢)، والدارمي (١٩٤٩، ١٩٥٠)، وابن خزيمة (٢٩١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٩١٩، ٥٩٢١، ٥٩٢٢)، والبيهقي (٩/ ٢٧٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٨٨٦، ٨٨٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٥٥)، وأبو داود (٢٨١٥)، والترمذي (١٤٠٩)، والنسائي (٤٤٠٥)، وابن ماجة (١٣٧٠)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥)، والدارمي (١٩٧٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٨٦٠٣، ٨٦٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٨٨٣، ٥٨٨٤).

لا تسنَّ السكينَ أمامَها حتى لا تؤلمهَا بذلك.

٤ ـ لا تعط الجازرَ أجرَته منها:

نهى النبيُّ ﷺ أن يعطى الجازرَ منها شيئًا، وقال: «**إنما نعطيه من عندنا**»[1].

. . . الدعاءُ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٧١٧)، ومسلم (١٣١٧)، وأبو داود (١٧٦٩)، وابن ماجة (٣٠٩٩)، أحمد في «المسند» (١/ ٧٩، ١١٢، ١٣٣، ١٥٤، ١٦٠).



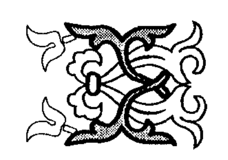
(٣١)

رسالة إلى الموظفين والعمال

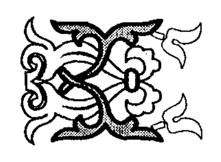
تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





رسالة إلى الموظفين والعمَّال



إنَّ الحمدَ للهِ. . . وبعد:

روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ في «صحيحيهما» عنْ معاويةَ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**منْ يرد اللهُ به خَيراً يفقهه في الدِّين، وإنما أنا قاسمٌ، واللهُ يُعطي، ولن تزالَ هذه الأمةُ قائمةً على أمرِ الله، لا يضرُّهم من خَالَفهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ عزَّ وجلَّ**»(١).

فينبغي للمسلم أن يتفقَّهَ في دينِ اللهِ ـ عزّ وجلّ ـ ليتعلّمَ كيفَ يعبدُ ربَّهُ تباركَ وتعالىٰ.

فينبغِي له أن يتعلمَ من دينِ اللهِ مَا يصلحُ به عقيدتَهُ، وعبادَاتِه، ومعاملاتِه.

فالتاجرُ: ينبغِي لهُ أن يتعلَّمَ فقهَ التجارةِ.

والأجيرُ: ينبغِي له أن يتعَلَّمَ فقهَ الإجارةِ.

والقَاضي: ينبغِي له أن يتعَلَّمَ فقهَ القضَاءِ.

والجزارُ: ينبغِي له أن يتَعلَّمَ فقهَ الذبائحِ.

وصاحبُ الشركةِ: ينبغِي له أن يتعَلَّمَ فقهَ الشركاتِ.

والفلاحُ: ينبغِي له أن يتعَلَّمَ فقهَ المزارَعَةِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧)، وابن ماجة (٢٢١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٤)، والدارمي (٢٢٤، ٢٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٧٢٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩، ٣٤٠١).

ومن يسرَ اللهُ لهُ الحجَّ: ينبغِي له أن يتعلَّمَ فقهَ الحجِّ قبلَ أن يسافرَ للحجِّ.

ومَنْ أَرادَ أن يوصيَ بشيءٍ منْ مالِهِ: ينبغِي لهُ أن يتعلَّمَ فقهَ الوصايَا.

ومنْ أرَادَ أنْ يتزوَّجَ: ينبغِي له أن يتعَلَّمَ فقهَ الزواجِ.

ومنْ أرَادَ أن يطلقَ: ينبغِي لهُ أن يتعَلَّمَ فقهَ الطَلاقِ.

فلا يقدمُ المسلمُ علىٰ أمرٍ حتىٰ يعلَمَ حكمَ اللهِ فيهِ.

وسوفَ نتكَلمُ اليومَ - إن شاءَ اللهُ تعالَىٰ - عن بابٍ من أبوابِ الفقهِ كثيرٌ من الناسِ في حاجةٍ إليه ألا وهوَ: «**فقهُ الإجَارَة**».

فالموظفُ: الذِي يتقَاضَىٰ أُجرَةً علىٰ عملِهِ في حاجَةٍ إلىٰ معرفَةِ فقهِ الإجَارةِ.

والطبيبُ: الذِي يكشِفُ علىٰ الناسِ بالأجرَةِ في حاجَةٍ إلىٰ معرِفَةِ فقهِ الإجَارَةِ.

والجَرَّاحُ: الذِي يُجرِي العمَلياتِ الجراحيةِ في حَاجَةٍ إلىٰ معرِفَةِ فقهِ الإجارَةِ.

والمهندسُ: الذي يشرفُ علىٰ بناءِ العمَارَاتِ بالأجرَةِ في حَاجَةٍ إلىٰ معرفَةِ فقهَ الإجارَةِ.

والمهنيُّ: كالنَّجَارِ والكَهربائِي والحدَادِ في حَاجَةٍ إلىٰ مَعرفةِ فقهِ الإجارةِ.

والذِي يفتحُ محَلاً: ليؤدِيَ للناسِ مصَالحَ بالأجرةِ كالخيَاطِ والساعَاتِي، والميكَانيكِي ونحوِهم في حاجَةٍ إلىٰ مَعرفَةِ فقهِ الإجَارةِ.

وسوفَ نتكلَّمُ عن ضَوابِطِ فقه الإجارة، وهيَ أربعَةُ ضوابطَ:

١ ـ شروطُ صحَّةِ الإِجَارَةِ.

٢ ـ أنواع الإِجارَةِ.

٣ ـ مُبطِلات الإِجَارةِ.

٤ ـ ضَمَانُ الأجيرِ لمَا أتلَفَ.

أولاً: شُروطُ صحَّة الإجَارَة أربَعةٌ:

١ ـ أنْ تكونَ منْ جائزِ التصرُّفِ.

٢ ـ معرفَةُ المنفَعَةِ.

٣ ـ مَعرفَةُ الأجرَةِ.

٤ ـ كونُ النفْعِ مبَاحًا.

فإذا نقَصَ شرطٌ منْ هذهِ الشُّروطِ الأربعَةِ لم تصحَّ الإِجارةُ، ولا يجوزُ للأجيرِ أن يأخُذَ الأجرَةَ.

وإليكَ البيان:

١ ـ أنْ تكونَ منْ جائزِ التصرُّفِ:

أن يكونَ كلٌّ مِنَ المؤجرِ والمستأجِرِ بالغًا عاقلاً رشيداً.

فلا يصحُّ أن تعملَ بالأجرةِ عندَ سفيهٍ أو مجنونٍ، أو صبي صغيرٍ؛ لما رواهُ أبو داودَ والترمذي، وصححهُ الألبانيُّ عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثلاثٍ: عن النائمِ**

حتى يستيقظَ، وعن الصبيِّ حتى يحتَلِمَ، وعنْ المجنونِ حتَّى يفيقَ»[١].

٢ ـ معرفة المنفعة:

فمَنِ استأجَرَ أحدًا ليصنعَ لهُ شيئًا لابدَّ أنْ يبينَ لهُ ما يريدُ، فإنْ كانَ حفْرَ بئرٍ ذَكَرَ لهُ طولَه وعرضَه وعمقَهُ، وهكذَا حتَّىٰ لا تحدُثَ جهَالةٌ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ نهَىٰ عنْ بيعِ الغرَرِ[٢].

ولقد قَسَّمَ العلمَاءُ المنفَعَةَ إلى قسمَينِ:

١ ـ إجَارَةٌ علىٰ وقتٍ.

٢ ـ إجَارَة علىٰ عمَلٍ.

فالإجَارةُ علىٰ وقتٍ كمنْ يعملُ موظفًا براتبٍ شهريٍّ أو أسبوعيٍّ أو يوميٍّ منَ الساعَةِ الثامنَةِ صباحًا إلىٰ الثانيةِ بعدَ الظهرِ مثلاً، فهذَا أجيرٌ علَىٰ وقتٍ يجبُ أن يَحبِسَ وقتَهُ لمصلحةِ العمَلِ طوالَ هذهِ المدةِ سواءً كَانَ هنَاكَ عملٌ أمْ لمْ يكنْ.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٩٩، ٤٤٠٠، ٤٤٠١)، والترمذي (١٤٢٣) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٧٣٤٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٥٤، ١٥٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٠٠٣)، وابن حبان في «صحيحه (١٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩، ٤/ ٣٨٩)، وقال إسناده صحيح، وفي الباب عن عائشة أخرجه أبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (٣٤٣٢)، وابن ماجة (٢٠٤١) وأحمد (٦/ ١٠٠، ١٠١)، وابن حبان (١٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥١٢، ٣٥١٣، ٣٥١٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٥١٣)، وأبو داود (٣٣٧٦)، والترمذي (١٢٣٠)، والنسائي (٤٥٣٠)، وابن ماجة (٤١٩٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٦، ٤٩٦)، والدارقطني (٣/ ١٥، ١٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩٥١) كلهم من طريق أبي هريرة وفي الباب عن ابن عمر.

فَلاَ يجوزُ لَهُ أنْ يخرجَ منَ العَمَلِ قبلَ هذا الوقت إلا بإجَازَةٍ رسميَّةٍ فإنْ قالَ قائلٌ: إنَّ راتِبَ العملِ لا يكفِي، فأنَا أخرُجُ قبلَ نِهايةِ العملِ بساعتينِ أو ثلاثٍ لأعملَ عملاً آخرَ. . . فهلْ يجوزُ ذلكَ؟

الجوابُ: لا يجوزُ؛ لأنكَ تقدمتَ لهذَا العملِ وأنتَ على علمٍ بالأجرَةِ - وهيَ الراتبُ - ووافقتَ على ذلكَ، فيجبُ أن تحبسَ وقتكَ طوالَ هذه المدةِ لمصلحةِ العملِ ليكونَ الراتبُ حلالاً.

فإن قالَ قائلٌ: إذَا كانَ العمَلُ يستغنِي عني هذَا الوقتَ، فهلْ يجوزُ لِي ذلكَ؟

أقولُ: نعَمْ يجوزُ بشروطٍ:

١ - أنْ لا تتعطَّلَ مصالحُ المسلمينَ بتأخركَ عن العملِ.

٢ - أنْ تخرُجَ بإذنِ مديركَ في العمَلِ.

٣ - أنْ تحسبَ الساعَاتِ التي تتغيبهَا عن العمَلِ، ثم تقتَطِعَهَا من الراتِبِ، وتتصدَّقَ بهَا حتى لا تأكلَ حرامًا.

فإنْ قالَ قائلٌ: إذَا أذنَ لي مديرِي في العمَلِ فهل يجوزُ أن أخرُجَ ولا أقتطعَ هذه الساعَاتِ من الراتِبِ؟

نعَمْ، يجوزُ ذلكَ في حَالةٍ واحدةٍ وهي إذَا كانَ مديرُكَ في العمَلِ هو صاحبَ العمَلِ.

كصاحِبِ المصنَعِ، أو صَاحبِ المدرسةِ الخاصةِ، وصاحبِ الشركةِ ونحوِ ذلكَ.

الإجارةُ على عمَلٍ:

لا علاقَةَ لها بالوقتِ، وإنما تتوقَفُ على إنجازِ العمَلِ، فالخياطُ لا يحبسُ وقته لصَاحبِ الثوبِ، ولا السَاعاتِي يحبسُ وقتَهُ لصاحبِ الساعَةِ، المهمُّ أن ينجزَ لهُ العملَ في الميعادِ المحددِ.

٣ ـ معرفة الأجرة:

لابد أن تتفقَ مع الأجيرِ على الأجرة مقدمًا كالمبلطاتي: المتر بكذا، والكهربائي: اللمبةُ بكذا، والطبيب: العمليةُ الجراحيةُ بكذا، وهكذا حتى لا يختلفَ المتعاقدانِ في نهايةِ العملِ، وللحديث الذي ورَدَ عن أربعةٍ منَ الصحابةِ وحسنَهُ الألبانيُّ بطرقِهِ أن النبي ﷺ قال: «**أعطوا الأجيرَ أجرَه قبل أن يَجفَّ عرقُهُ**»(١).

٤ ـ كونُ النفعِ مباحًا:

فلا يجوزُ أن تؤجرَ بيتًا لمن يبيعُ فيهِ الخمرَ، أو لمن يفتحَهُ للتعامُلِ بالربَا، أو لمنْ يفتحهُ مَحَلاً للدِّعارةِ والزنا، فالإجارةُ هنا باطلةٌ؛ لأنَّ المنفعةَ محرمةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

---

(١) حسن لغيره: أخرجه ابن ماجة (٢٤٤٣)، عن ابن عمر وأخرجه البيهقي (٦/ ١٢١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٠٦)، عن أبي هريرة وأخرجه الطبراني في «الصغير» (ص٩) عن جابر وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٥٥)، و«الإرواء» (١٤٩٨).

الضابطُ الثَّاني: أنواعُ الإجارة ثلاثةٌ:

١ ـ إجارةٌ عَلى عينٍ موصوفة:

أي غيرِ موجودة في مجلسِ العَقد، كمنْ أرادَ استئجار شقة بصفاتٍ معينةٍ، فقالَ لهُ رجلٌ: عندي لكَ شقةٌ بالصفاتِ المذكورةِ، وتمَّ التعاقدُ بالوصفِ وقبضَ الأجرةَ مقدمًا، فلمَّا رآها وجَدَ الصفات مختلفةً، فالإجارة هنا باطلةٌ، ويجبُ أن يردَّ لهُ مالَهُ، أو أنْ يوفّرَ له شقةً بالصفاتِ المذكورةِ.

٢ ـ إجارةٌ على عينٍ معينة:

كأنْ تكونَ العينُ موجودةً، يمكنُ معاينتُها بالرؤيةِ في مجلسِ العَقدِ، كأن يقولَ: أجِّر لي بيتَك هذا بـ١٠٠٠ جنيهٍ في السنةِ، فيراهُ ويعاينُهُ، فهذه إجارةٌ صحيحةٌ؛ لأنَّه عايَنَ العينَ المؤجرةَ في مجلسِ العَقدِ.

٣ ـ إجارةٌ على منفعة في الذِّمة:

كأنْ يتفقَ معهُ أنْ ينقلَ له كميةَ الرملِ هذهِ إلى السطح الرابع بـ ١٠٠ جنيه، فهذه إجارةٌ صحيحةٌ.

الضابطُ الثالثُ: مبطلاتُ الإجارةِ أربعةٌ:

١ ـ تلفُ العينِ المؤجرة:

الإجارةُ عقدٌ لازمٌ للطرفينِ، فلا يجوزُ لأحدِ الطرفينِ أن يفسخَ الإجارةَ قبلَ انقضاء المدة إلا برضا الطرفِ الآخرِ؛ للحديثِ الواردِ عن أربعةٍ من الصحابةِ، وصححَهُ الألبانيُّ أن الرسول ﷺ قال: «المسلمُونَ على شروطِهِم»[1].

فإذا تلفتْ العينُ المؤجرةُ . . .

فالإجارةُ لها حالتانِ:

الأولى:أن تكونَ الإجارةُ على عينٍ معينةٍ فتلفتْ بطلَتِ الإجارةُ، وللمالك ما مضى بقسطه.

كمن استأجرَ بيتًا لمدةِ عشرِ سنوات بعشرةِ آلاف، فانهدم بعد ٣ سنوات بطلتْ الإجارةُ، ويدفع أجرةَ ثلاثِ سنواتٍ فقط، ولا يكلفُ المالكِ ببناءِ بيت آخر مثلِهِ ليسكنَ فيه المستأجر مدة السبعِ سنواتِ الأخرى.

الحالة الثانية:أن تكونَ الإجارةُ على منفعةٍ في الذمةِ؛ كمن استأجرَ سيارةً لتوصله من القاهرةِ إلى أسوانَ بمبلغِ ألفِ جنيه فعطلتِ السيارةُ في

---

(١) صحيح رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم «كتاب الإجارة» باب (١٤)، وأبو داود (٣٥٩٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٦)، والدارقطني في «سننه» (٣/ ٢٦)، والحاكم (٢/ ٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٦٤، ٦٥) كلهم من طريق أبي هريرة، وفي الباب عن عائشة أخرجه الدارقطني (١/ ٢٦، ٢٧)، وفي الباب عن عمرو بن عوف أخرجه الترمذي (١٣٥٢)، وابن ماجة (٢٣٥٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٦٤)، وفي الباب عن أنس أخرجه الدارقطني (٢٨٧١)، وانظر «إرواء الغليل» للشيخ الألباني (١٣٠٣)، وصححه وفي «صحيح الجامع» (٦٧١٤، ٦٧١٥، ٦٧١٦).

الطريقِ، فإما أن يحضرَ صاحبُ السيارةِ مثلَها لتوصلَ المستأجرَ إلىٰ غايتِهِ فيستحق حينئذٍ الأجرة كاملةً، وإلا فلا أجرةَ له.

ولا يقولُ أوصلتُكَ إلىٰ منتصفِ الطريقِ فأستحقُّ نصفَ الأجرةِ.

كلاَّ، لأنهما اتفَقَا علىٰ منفعةٍ في الذمةِ، فلم يأتِ بها علىٰ وجهِها؛ فلا شيءَ لَهُ.

٢ ـ تعذرُ استيفاء النفعِ كاملاً:

كمَنِ استأجرَ شَقةً بصفاتٍ معينةٍ؛ كأنْ تكونَ مفروشةً، وبها ماءٌ وكهرباءُ لمدةِ سنةٍ بـ١٢٠٠ جنيهٍ، فلمَّا سكنَهَا وجدَها مفروشةً، وبها ماءٌ، لكن ليس فيها كهرباءُ، فطالَبَ المالكَ بالكهرَباءِ فوعدَهُ في خلالِ يومٍ أو يومَينِ.. ومرَّ علىٰ ذلك شهرانِ ولم تدخلِ الكهرَباءُ.

في هذه الحالةِ يجوزُ للمستأجِرِ أن يفسَخَ الإجارَةَ، ولا يعطيَ للمالِكِ شيئًا.

فلا يقولُ لهُ المالكُ: لقد سكنتَ شهرينِ، كلُّ شهرٍ بـ١٠٠ جنيهٍ. كلاَّ، ولا يقولُ: ننزِّلُ مِنْ أجل الكهرَباءِ ٥٠ جنيهًا وتدفع خمسين في الشهر، كلاَّ، لا شيء للمالك؛ لأن المستأجر اتفق معه علىٰ منفعةٍ معينةٍ، فلم يتمكن المالك من توفيرِها له علىٰ وجهها.. فلا شيءَ للمالكِ.

٣ ـ الإقالةُ:

الإجارةُ عقدٌ لازمٌ، لا يجوزُ لأحدِ الطرَفينِ أنْ يفسَخَه إلاَّ برضا الآخرِ.

فلوِ استأجَرَ شقةً لمدة ١٠ سنوات بعشرةِ آلافٍ، ثمَّ قالَ المستأجرُ للمالكِ بعد ٧ سنوات سوف أنتقل من هذه البلدةِ، وسأتركُ لك الشقةَ فأعطِني

أجرة ٣ سنوات، فمن حقِّ المالكِ أن لا يعطيَه شيئًا، وتظلُّ الشقةُ ولو مغلقةً على حسابِ المستأجرِ مدةَ العقد.

ولكن يستحبُّ حينئذٍ للمالكِ أن يُقيلَ المستأجرَ، أي: يسامحَه ويأخذَ شقتَه، وذلك لما رواه أبو داودَ، وصحَّحه الألبانيُّ عن أبي هريرةَ - رضي الله عنه - قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من أقَالَ مُسلمًا أقالَ اللهُ عثرَتَهُ»[1].

ولو استأجرَ سيارةَ نقلٍ لنقلِ بضائعَ، فجاءَهُ صاحبُ السيارةِ في الصباح، فقالَ لهُ الآخرُ: لقدْ عدلَتُ عَنْ رأيي، فلنْ أنقلَ البضائعَ اليومَ... فالسيارةُ لحسابِهِ، أو يُقيلهُ صاحبُ السيارةِ، أو يدفعُ له مقابلَ تعطيلِهِ.

٤ ـ انقضاءُ المدة:

إذا اتفقَ الطرفانِ على أنَّ مدةَ الإجارةِ سنةٌ بطَلَتْ بعدَ السنةِ، ولا تُمدُّ إلاَّ برضَا الطرفينِ.

وإذا اشترطَ صاحبُ الشركَةِ على الموظَّفِ أن يعملَ مِنَ الثامنةِ إلى الثانيةَ عشرةَ ظهراً، فليسَ من حقِّهِ أن يطلبَ مِنَ الموظفِ أكثرَ منَ المدةِ المحددةِ إلاَّ برضاهُ: «المسلمونَ على شُروطِهِم»[2].

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجة (٢١٩٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٧١)، وفي «الإرواء» (١٣٣٤).

(٢) صحيح تقدم قبل حديث واحد.

الضابطُ الرابعُ: ضمانُ الأجيرِ لما أتلَفَ:

لو أنكَ أعطيتَ قماشًا لخياطٍ ليحيكَهُ لكَ ثوبًا. . . فأفسده، هل يتحمل الخياط ثمن القماش؟

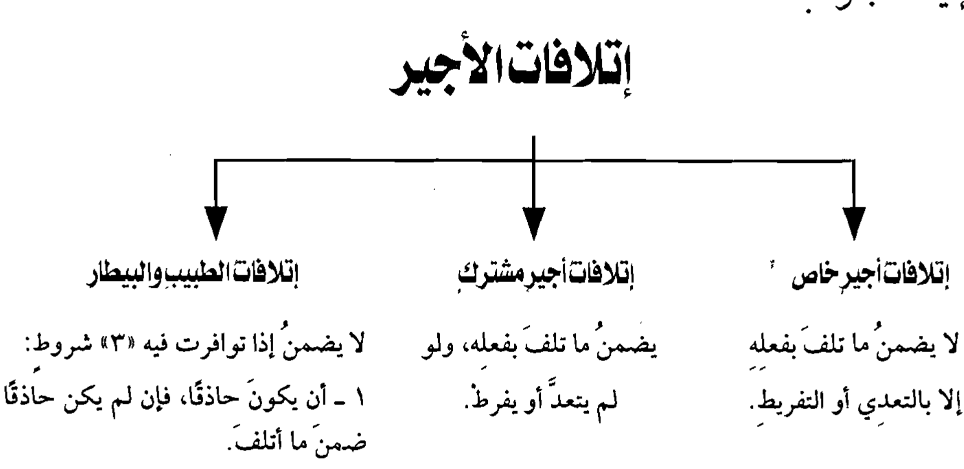
لو أنكَ استأجرتَ موظفًا في المحلِ لبيعِ أدواتٍ منزليةٍ براتبٍ معينٍ، فكسَرَ طقمًا ثمنه ١٠٠ جنيه فهل يتحمله؟

لو أعطيتَ ساعتَكَ للسَّاعاتِي ليصلحَها لَكَ. . فأفسدَها هل يتحملُ ثمنَها؟

لو أنَّ رجلاً ذهبَ لطبيبِ عُيونٍ ليعالجَ عينَه، فكتبَ له دواءً خطأً فعَمِيَت عينُه، هل يتحملُ الطبيبُ دِيَةَ العَينِ؟

ولو بدأ الجرَّاحُ في العمَليةِ الجراحيةِ. . . فماتَ المريضُ بين يَدَيهِ هل يتحملُ الطبيبُ الجرَّاحُ دِيَةَ المريضِ؟

وإليك الجواب:



١ ـ الأجيرُ الخاصُّ:

وهو مَن قُدِّر نفعه بالزمنِ؛ كيومٍ أو شهرٍ أو سنةٍ، فهذَا لا يضمنُ مَا أتلَفَ إذَا لم يتعدَّ أو يفرطْ.

فمن استأجرَ أجيرًا يحرثُ له الأرضَ اليومُ بكذَا فكسَرَ المحرَاثَ بدونِ تعدٍّ أو تفريطٍ.. فلا يضمَنُ.

ومن استأجرَ موظفًا ليعمَلَ عندَه في محلِّ الأجهزَةِ الكهربَائيةِ بالشهرِ، فقامَ الموظفُ لينزلَ التسجيلَ فسقَطَ من يدِه فانكسَرَ بدونِ تفريطٍ أو إهمالٍ... فلا يضمَنُ ثمنَه ولا يتحملُهُ.

أما إذَا أهمَلَ، أو فرطَ، أو تعمدَ إتلافَ شيءٍ... فإنه يضمَنُ ثمنَهُ.

٢ ـ الأجيرُ المشتركُ:

وهوَ من قُدِّرَ نفعُه بالعمَلِ.... كالساعَاتِي، والخياطِ، والميكَانيكِي ونحوِهم.

فهذَا يضمنُ ما تلفَ بفعلِهِ، ولو لم يتعدَّ أو يفرِطْ.

فلو أفسدَ الخياطُ الثوبَ وهو يخيطُهُ تحملَ ثمنَهُ، ولو أحرقَ المكوجيُّ الثوبَ تحملَ ثمنَهُ، ولو أعطيتَ ساعتَكَ للسَّاعاتي لينظرَ فيهَا فقفزَ العقربُ من السَّاعَة أثناءَ فتحهَا فضَاعَ... ضمنَ الساعَاتِي ثمنَهُ، سواءً فرَّطَ أو لمْ يفرطْ، وهذَا مذهبُ عليِّ بنِ أبِي طالبٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ أنه كَانَ يضمَنُ الأجراءَ.

إلا إذَا تلِفَ بغيرِ فعلِه... كأنْ يُسرَق محلُّ الخياطِ... أو يحتَرِقُ محلُّ السَّاعَاتِي... ففِي هذِه الحَالةِ لا يضمَنُ لأنه تلفَ بغيرِ فعلِهِ.

٣ ـ ضمانُ الطبيبِ:

لا يجوزُ لأحدٍ أن يتطببَ وهوَ يجهلُ الطبَّ، فإن فعَلَ فأتلَفَ شيئًا من المريضِ ضمنَ.

فهؤلاءِ الذينَ يعالجُونَ بالأعشَابِ لابدَّ أن يدرسُوا العشبَ دراسَةً جيدةً، وأن يعرفُوا ملاءمَتَهُ للمرضِ. . . وهل هوَ يناسبُ كل الناسِ أم يمنعُ منه آخرُونَ ونحو ذلكَ.

فلو وصفَ رجلٌ لمريضٍ وصفةً فرفعَتْ عندَه السكرَ مثلاً فمَاتَ تحملَ المتطببُ ديتَهُ، وهيَ مائةُ بعيرٍ، أو مائتَا بقرةٍ، أو ألفَا شاةٍ، أو ألفُ مثقال من الذهب، أو اثنا عشر ألف درهم.

ولو أجرَىٰ طبيبُ الأنفِ والأذنِ عمليةً جراحيةً فِي البطنِ فمَاتَ المريضُ ضمنَ ديتَه.

شروطُ عدمِ ضمانِ الطبيبِ:

١ ـ أن يكونَ حاذقًا.

فإنْ كَانَ الطبيبُ حاذقًا لمْ يضمنْ، وإلا ضَمنَ.

٢ ـ الشرطُ الثاني: لم تجنِ يدُه:

فإذَا عملَ عمليةً جراحيةً علىٰ وجهِهَا، ولم تجنِ يدُه، ولم يتعدَّ موضعَ القطعِ بشهادَةِ أهلِ الخبرةِ. . . فمَاتَ المريضُ فلا ضمانَ عليه. أمَّا إذا جارَتْ يدُه مثلاً علىٰ الكبدِ وهوَ يستأصِلُ المرارةَ فمَاتَ المريضُ. . . ضمَنَ الطبيبُ.

أو أخطَأَ في وصفِ الدواءِ فشُلَّت يدُ المريضِ تحملَ ديةَ اليدِ وهيَ نصف

الديةِ ـ خمسونَ بعيراً.

٣ ـ أذنَ له المريضُ أو وليُّه:

إذا كَانَ طبيبًا حاذقًا، وقَامَ بعمليةٍ بغيرِ إذنِ المريضِ، أو بغيرِ إذْنِ وليِّه كَأنَ يجدَ طفلاً في الشارعِ يلعبُ وبِهِ حَوَلٌ في عينِهِ، فأخذَه وعمِلَ له عمليةً ليصلحَ حَوَلَ عينِهِ مثلاً، فعميتْ.

تحملَ دِيتهَا؛ لأنَّه لمْ يستأذنْ مِنْ وليِّ الطفلِ.

أمَّا إذَا توفرتِ الشروطُ... فلا يضمنُ الطبيبُ ما تلفَ.

١ ـ أنْ يكونَ حاذقًا.

٢ ـ لمْ تجنِ يدُه.

٣ ـ أَذنَ فيه مكلَّفٌ[1].

نسألُ اللهَ أن يُفقهنَا في دينِهِ، وأنْ يعلِّمَنا العلمَ النافعَ، ويرزقَنا العملَ الصالحَ.

---

(١) راجع «بداية المتفقه» باب الإجارة.

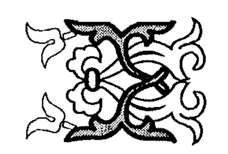
(٣٢)

٢٠ سبباً للنجاة مِن النار

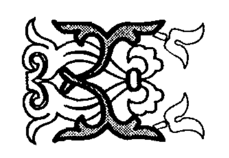
تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





عشرون سبباً للنَّجاةِ من النار[1]



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

عبادَ الله: لقد أرسلَ اللهُ الرسُلَ، وأنزلَ الكتبَ وأمرَ عبادَه بطاعتِه ووعَدَهم جنتَه، وحذَّرهم مِنْ معصيتِه وخوّفهم بنارِه.

والصَّالحون كانوا إذا ذُكِرَت أمامَهم النارُ، اقشعَرتْ جلودُهم، ووجِلتْ قلوبُهم، وخافتْ نفوسُهم.

وقد كانَ النبيُّ ﷺ يختِمُ صلاتَهُ بالتعوذ مِنَ النارِ فيقولُ بعدَ التشهدِ: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من عذابِ النارِ، وعذابِ القبرِ، ومن فتنةِ المحيَا والمماتِ، ومِنْ فتنةِ المسيحِ الدجال**»[2].

وكانَ يختِمُ يومَه بالتعوُّذِ مِنْ العذابِ فكانَ يقولُ إذا اضطجعَ على فراشِه: «**اللهمَّ قِني عذابَكَ يومَ تبعثُ عبادَكَ**»[3].

---

(١) «البحار الزاخرة في أسباب المغفرة» (٧٤-٨٦)، «النار دار الأشقياء» (٧٨-٨١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩)، وأبو داود (٨٨٠)، والترمذي (٣٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٧، ١٣٠٨)، وابن ماجة (٣٨٣٨)، وأحمد (٦/ ٨٨، ٨٩، ٢٤٤)، وابن خزيمة (٨٥٢)، وابن حبان (١٩٦٨) كلهم من طريق عائشة، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨)، وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٥)، والترمذي (٣٣٩٩)، والنسائي (١٠٥٩٠)، في «الكبرىٰ»، وابن ماجة (٣٨٧٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٩٠، ٢٩٨، =

وفرحةُ المسلمِ الكبرَىٰ يومَ ينجُو مِن النَّارِ ويدخلُ الجنةَ.

ولذَا سأحدثُكم اليومَ عَنْ عشرينَ سببًا للنجَاةِ من النَّارِ، أسألُ اللهَ الكريمَ أن ينجِّينَا جميعًا مِن النارِ.

١ ـ مَنْ ماتَ له ثلاثةٌ من الولد، وصبرَ:

وعنْ واثلةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَن دفَنَ ثلاثةً من الولدِ، حرَّم اللهُ عليه النارَ»** [1].

قالَ المُناويُّ: «أي: مِن أولادِه ذكورًا أو إناثًا، ولعلَّ المرادَ من أولادِ الصُّلبِ، ويحتملُ شمولَه لأولادِ الأولادِ، حرّم اللهُ عليهِ نارَ جهنمَ بأنْ يدخلَ الجنةَ مِن غيرِ عذابٍ بالكليةِ، وظاهرُه أن الكلامَ في المسلمِ، بل لا يحتملُ الكلامُ غيرَ هذَا، فالكافرُ لا يدخلُ الجنةَ» [2].

عَن أبي ذَرٍّ ـ رضي اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِن مسلمَيْن

= ٣٠١)، وابن حبان (٥٥٢٢، ٥٥٢٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣١٠) كلهم من طريق البراء، وفي الباب عن حذيفة أخرجه الترمذي (٣٣٩٨)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٥٤)، وللحديث طريق آخر، في مسلم عن البراء أيضا قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه فسمعته يقول: رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك (٧٠٩)، وأبو داود (٦١٥)، والنسائي (٨٢١)، مختصرًا وابن ماجة (١٠٠٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٩٠، ٣٠٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٦٥).

(١) صحيح لغيره أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٢٣١)، وفي سنده سنان بن أبي منصور وهو مجهول «ميزان الاعتدال» (٣٥٦٣)، وسيأتي للحديث شواهد بعده.

(٢) «فيض القدير» (٦/ ١٢٦).

يموت بينهمَا ثلاثةٌ من أولادِهمَا لم يبلُغوا الحنْثَ، إلا غُفِرَ لهمَا»[١] .

وعن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مسلمَيْن يموتُ لهمَا ثلاثةُ أولادٍ لم يبلُغوا الحنثَ، إلا أدخَلهمَا اللهُ بفضلِ رحمته إيّاهم الجنةَ، يُقالُ لهُم: ادخُلوا الجنةَ. فيقولُونَ: حتى يدخلَ أبوانَا. فيقالُ: ادخلُوا الجنةَ أنتم وأبواكُم»[٢] .

وعن أبي سعيدٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا منكنَّ امرأةٌ تقدِّم بينَ يديهَا ثلاثةً من ولدِهَا، إلاَّ كانُوا لها حِجَابًا من النارِ». قالت امرأةٌ: واثنينِ؟ قالَ: «واثنينِ»[٣] .

وعَنْ أنسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن احتسبَ ثلاثةً مِن صُلْبِه، دخلَ الجنةَ» قالتْ امرأةٌ: واثنانِ؟ قالَ: «واثنانِ»[٤] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٥٠)، والنسائي (١٨٧٣)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٥١، ١٥٣، ١٥٩)، والطبراني في «الصغير» (٨٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٤٠، ٤٦٤٣، ٤٦٤٥)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٧١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (١٨٧٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥١٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٨٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٠١، ١٠٢)، ومسلم (٢٦٣٣، ٢٦٣٤)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٤، ٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٤٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٦٧).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٤٨)، والنسائي (١٨٧٢)، وابن ماجة (١٦٠٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٤٣)، والبيهقي (٤/ ٦٧)، والبغوي (١٥٤٥).

وعَن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يموتُ لإحداكنَّ ثلاثةٌ من الولد، فتحتسبُهم، إلاَّ دخلَت الجنةَ، واثنان»[(1)].

وعَن أبي هريرةَ قالَ: جاءتْ امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ بابنٍ لهَا فقالتْ: يَا رسولَ اللهِ، إنه يشتكِي وإني أخَافُ عليهِ قد دفنتُ ثلاثةً، قال: «لقد احتظرتِ بحظارٍ شديدٍ من النارِ»[(2)].

وعنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يموت لمسلمٍ ثلاثةٌ مِن الولدِ، فيلجُ النارَ إلا تحلَّة القسمِ»[(3)].

(١) صحيح :أخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٠٦٣٢)، والترمذي (١٠٦٠)، والنسائي (١٨٧٤)، وابن ماجة (١٦٠٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٩)، وابن حبان (٢٩٤٢).

(٢) صحيح :أخرجه مسلم (٢٦٣٦)، والنسائي (١٨٧٧).

يشتكي: مريض يتألم.

احتظرت: احتميت وامتنعت.

(٣) صحيح :أخرجه البخاري (٦٦٥٦)، ومسلم (٢٦٣٢)، وانظر الحديث المتقدم بعد حديث واحد.

٢ ـ من عالَ ثلاثَ بنات أو أخوات، وأحسنَ إليهنَّ:

عن عقبةَ بن عامرٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كانَ له ثلاثُ بنات فصبرَ عليهن، وأطعمهنَّ، وسقاهنَّ، وكساهنَّ من جِدَتِه، كُنَّ له حجابًا من النارِ يومَ القيامة»[١] .

وعن عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنهَا ـ قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ليسَ أحدٌ من أُمّتي يعول ثلاث بناتٍ أو ثلاث أخواتٍ، فيُحسن إليهنَّ، إلا كُنَّ له سِترًا مِن النارِ»[٢] .

قال المناوي: «يعُولهنَّ ومع ذلك يُحسن إليهنَّ في الإقامة عليهنَّ، بأن لا يمنَّ عليهنَّ، ولا يُظهر لهنَّ الضَّجَر والملل، ولا يُحمِّلهنَّ ما لا يُطِقْنه «إلا كُنَّ له سترًا من النار» أيْ: وقاية من دخول نار جهنم؛ لأنه كما سترهنَّ في الدنيا عن ذُلّ السؤال وهتْك الأعراض، باحتياجهنَّ إلى الغير الذي ربما جرّ إلى الخنا والزنا، جوزي بالستر من النار جزاءً وفاقًا»[٣] .

وعنهَا ـ رضيَ اللهُ عنهَا ـ قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من ابْتُلي بشيءٍ من البناتِ، فصبَر عليهنّ، كُنَّ له حجابًا من النار»[٤] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٦) وابن ماجه (٣٦٦٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٨٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١٨، ٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٢٩)، والترمذي (١٩١٥)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٣، ٨٧، ١٦٦)، وابن حبان (٢٩٣٩)، والبيهقي (٧/ ٤٧٨).

(٣) «فيض القدير» (٥/ ٣٦٢).

(٤) صحيح: تقدم في الحديث الذي قبله.

وعنها قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من ابتُلِيَ من هذه البنات بشيءٍ، فأحْسَنَ إليهنّ، كنَّ له ستراً من النارِ»(١).

قال المناويُّ رحمه اللهُ:

«يعني: مَن امتحنَ «من هذه» الإشارةُ إلىٰ أمثالِ المذكوراتِ في السببِ الآتي في الفاقةِ، أو جنس البنات مطلقًا «البنات بشيء» من أحوالهنّ، أو من أنفسهنّ، لينظر: هل يُحسن أو يُسيء، وعُدَّ نَفْسُ وجودهنَّ بلاءً، لما ينشأُ عنهنّ من العار تارةً، والشَّرِّ تارة، والفتن بين الأصهار أخرىٰ «فأحسن إليهنّ» بالقيام بهنَّ علىٰ الوجه الزائد عن الواجبِ من نحوِ إنفاقٍ وتجهيزٍ، وغيرِ ذلكَ بما يليقُ بأمثالهنَّ علىٰ الكمال المطلوب «كنَّ له ستراً» أي: حجَابًا.

وأرادَ بالسِّترِ الجنسَ الشاملَ للقليلِ والكثيرِ، وإلا لقالَ: أستَاراً «من النار» جزَاءً وفاقًا، فمنْ سترهنَّ بالإحسان، جوزي بالستر من النيران، وأفاد تأكيد حقِّ البنات لضعفهنَّ غالبًا، بخلافِ الذكورِ، لما لهم من القوةِ وجَودةِ الرأيِ، وإمكانِ التصرُّفِ غالبًا».

قال الزينُ العراقيُّ: «لم يقيِّد هذه الروايةَ بالاحتسابِ، وقيَّده في أُخرىٰ به، والظاهرُ: حمْل المطلقِ علىٰ المقيَّد»(٢).

---

(١) صحيح تقدم فيما قبله.

(٢) «فيض القدير» (٦/ ٢١).

٣ ـ الذَّبّ عن عِرض المسلم:

عن أسماءَ بنتِ يزيدَ ـ رضيَ اللهُ عنهَا ـ قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن ذبَّ عَن عِرض أخيهِ بالغَيبةِ، كان حقًّا على الله أن يُعتقَه من النارِ»[1].

وعَن أبي الدرداء ـ رضَي اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن ردَّ عَن عِرضِ أخيهِ، ردَّ اللهُ عن وجهِهِ النارَ يومَ القيامة»[2].

وعنه ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن ردَّ عن عِرْضِ أخيه، كانَ له حجَابًا من النارِ»[3].

قالَ المُناويُّ رحمه الله:

«من ردّ عن عرضَ أخيهِ» في الدينِ، أي: ردَّ على من اغتَابَهُ، وشَانَ من آذاهُ وعَابَهُ «ردَّ اللهُ عن وجهِهِ» أي: زانَهُ، وخصَّه؛ لأن تعذيبَهُ أنكَى في الإيلامِ، وأشدُّ في الهَوانِ «النار يومَ القيامة» جزاءً بما فعلَ، وذلكَ لأنَّ عِرْضَ المؤمنِ كدمِه، فمَنْ هتَكَ عِرضَه، فكَأنَّه سفَكَ دمَهُ، ومنْ عملَ على صوْنِ عرضهِ، فكأنَّه صانَ دمَهُ، فيُجَازَىٰ علَىٰ ذلكَ بصَوْنِهِ عَن النارِ يومَ

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٨٧)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٦١)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٤٢، ٤٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٤٠).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٩، ٤٥٠)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٣٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٦٢).

(٣) صحيح: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ١٦٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٦٣).

القيامَةِ، إنْ كَانَ ممنْ استحَقَّ دخولَهَا، وإلا كَانَ زيادةَ رفعةٍ في درجَاتِهِ في الآخرَةِ في الجنةِ، والعمُومُ المستفَادُ من كلمَةِ «مَنْ» مخصوصٌ بغيرِ كافرٍ وغيرِ فاسقٍ مُتجاهرٍ»(١) .

(١) «فيض القدير» (٦/ ١٣٥).

٤ـ الإخلاصُ:

عَن عِتبانَ بن مالكٍ الأنصاريِّ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لنْ يوافى عبدٌ يومَ القيامةِ يقولُ: لا إله إلا اللهُ، يبتغي بِها وجهَ الله، إلا حرَّم اللهُ عليه النارَ»[١].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في الجمعِ بينَ الأحاديثِ التي وردَ فيهَا:

«إلا حرَّم اللهُ عليه النارَ» وفي دخولِ عصاةِ الموحدينَ النارَ، قالَ: وقيلَ: ليسَ ذلكَ[٢] لكلِّ من وحّد وعبَدَ، بل يختصّ بمن أخلصَ، والإخلاصُ يقتضي تحقُّق القلبِ بمعناها.

ولا يتصوَّر حصوُل التحقيق مع الإصرارِ على المعصيةِ؛ لامتلاء القلب بمحبة اللهِ وخشيته، فتنبعثُ الجوارحُ إلى الطاعةِ، وتنكفُّ عن المعصيةِ».

وفي صحيح مسلم، والترمذي، عن أنس: سمع رسول اللّه ﷺ رجلاً يقول: اللّه أكبر، اللّه أكبر. فقال: «علَى الفطْرَة».

ثم قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، فقال: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ»[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٢٣)، ومسلم (٣٣/ ٢٦٣)، المساجد وابن المبارك في «الزهد» (٩٢٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٣).

(٢) أي: عدم دخول النار مطلقًا.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٢)، والترمذي (١٦١٨).

٥ ـ البكاءُ من خشيةِ اللهِ تعالَى:

عَن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يلجَ النارَ رجلٌ بكى من خشيةِ اللهِ حتى يعودَ اللبنُ في الضَّرعِ، ولا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ اللهِ ودخانُ جهنَّمَ»(١).

قال المُبَاركفوريُّ رحمه اللهُ: «لا يلجُ» من الولوجِ أي لا يدخلُ «رجلٌ بكى من خشيةِ اللهِ» فإن الغالبَ من الخشيةِ امتثالُ الطاعةِ واجتنابُ المعصيةِ»(٢).

قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

وقالَ ﷺ: «عينانِ لا تمسُّهما النارُ: عينٌ بكتْ من خشيةِ اللهِ وعينٌ باتتْ تحرسُ في سبيلِ اللهِ»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٣٣)، وقال حسن صحيح، والنسائي (٣١٠٨)، وابن ماجة (٢٧٧٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٧٨).

(٢) «تحفة الأحوذي بشرح الترمذي» (٦/ ٦٠٠).

(٣) صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وقال حسن غريب وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤١١٢).

٦ ـ صلاة أربعين يومًا في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى:

عن أنسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن صَلَّى لله أربعين يومًا في جماعة، يدركُ التكبيرةَ الأولى كُتب له براءتان: براءةٌ من النارِ، وبراءةٌ من النِّفاقِ»[1].

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٥)، وفي «الصحيحة» (١٩٧٩).

٧ ـ المحافظةُ عَلى أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ، وأربعٍ بعدَهَا:

عَن أمِّ حبيبةَ ـ رضيَ اللهُ عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربعٍ بعدها، حُرِّم على النار**»[1].

قال المُبَاركفُوريُّ في «تحفَةِ الأحوذِيِّ بشرحِ جامعِ الترمذِيِّ»: «في روايةٍ: «**لم تمسَّه النارُ**»[2]، وفي روايةٍ: «**حرَّمه اللهُ على النَّارِ**»[3]، وفي روايةٍ: «**حرَّم اللهُ لحمَهُ على النارِ**»[4]. وقد اختلفَ في معنى ذلكَ: هلْ المرادُ: أنه لا يدخلُ النارَ أصلاً، أو أنه إن قدِّرَ عليه دخُولهَا، لا تَأكلَهُ النارُ، أو أنه يحرمُ على النارِ أن تستوعِبَ أجزاءَهُ وإنْ مسَّت بعضَهُ، كمَا في بعضِ طرقِ الحديثِ عند النسائِي بلفظِ: «**فتمسّ وجهه النار أبدًا**»[5].

وهو موافقٌ لقولهِ في الحديثِ الصحيحِ: «**وحرمَ على النارِ أن تأكلَ مواضعَ السجودِ**»[6].

فيكونُ قد أطلقَ الكلّ وأُريد البعضُ مجازًا، والحمْلُ على الحقيقةِ أولى، وأنَّ الله تعالى يحرِّم جميعه على النارِ، وفضلُ اللهِ أوسعُ، ورحمته أعمُّ، وظاهرُ قوله: «من صلى» أن التحريمَ يحصلُ بمرَّةٍ واحدةٍ، ولكن الروايةَ بلفظِ: «من حافظ» تدلُّ على أن التحريمَ لا يحصلُ إلا للمُحافِظِ».

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٢٦٩)، والترمذي وقال حسن صحيح (٤٢٨)، والنسائي (١٨١٢)، وابن ماجة (١١٦٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٢٦)، وابن خزيمة (١١٩٠)، والحاكم (١/ ٣١٢) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٩٥).

(٢ ـ ٥) صحيح: تقدم فيما قبله.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، والنسائي (١١٣٩)، وابن ماجة (٤٣٢٦).

٨ ـ المحافظةُ على صلاتَي الفجرِ والعصرِ:

عن عُمارة بن رُويبةَ رضيَ اللهُ عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لنْ يلجَ النارَ أحدٌ صَلى قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِهَا»(١).

قال المناويُّ في «فيضِ القدير» (٥ / ٣٠٣):

«لن يلجَ النارَ» أيْ نارَ جهنمَ «أحدٌ» من أهلِ القبلةِ «صَلَّى قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِهَا» يعنِي: الفجرَ والعصرَ، كمَا في مسلمٍ.

قالَ الطِّيبيُّ: «لنْ» لتأكيدِ النفي، وتقريرِهِ في المستقبلِ، وفيهِ دليلٌ على أن الورودَ في ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. ليسَ بمعنَى الدخولِ، وهذَا أبلغُ من لوْ قيلَ: يدخلُ الجنةَ.

وخصَّ الصلاتَينِ؛ لأن وقتَ الصبحِ وقتُ لذَّةِ الكَرىٰ، فالقيامُ أشقُّ علىٰ النفسِ منه في غيرِه، والعصرُ وقتُ قوةِ الاشتغالِ بالتجارةِ، فمَا يتلهَّىٰ عن ذلك إلا مَنْ كمُل دينُه.

ولأنَّ الوقتَينِ مشهودَانِ، تشهدهُمَا ملائكَةُ الليلِ والنهارِ، وترفَعُ فيهِمَا الأعمَالُ، فإذَا حافَظَ عليهِمَا، مع مَا فيهمَا منَ التثَاقُلِ والتّشَاغُلِ، فمحافظتهُ علىٰ غيرِهمَا أشدُّ، وما عسىٰ أن يقعَ منه تفريطٌ، فبالحريِّ أنْ يقعَ مكفَّرًا، فلنْ يلجَ النارَ».

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٣٤)، وأبو داود (٤٢٧)، والنسائي (٤٧٠)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣٦، ٢٦١)، والحميدي في «مسنده» (٨٦١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٣١٨، ٣١٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٧٣٨)، ١٧٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/ ٤٦٦).

٩ ـ غُبارُ الجهاد:

عَن عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنهَا ـ قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا خالَطَ قلبَ امرئٍ مسلمٍ رهْجٌ في سبيلِ اللهِ، إلا حَرّم اللهُ عليه النارَ»[1].

قالَ المناويُّ في فيضِ القديرِ[2]: «أيْ نارَ الخلودِ في جهنَّمَ».

وعن أَبِي عبسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ اغبرَّتْ قَدَماهُ في سبيلِ اللهِ، حرّمه اللهُ على النَّارِ»[3].

قالَ ابن حجر في «الفتحِ»[4]: «أوردَهُ المصنفُ فِي «فضلِ المشي إلىٰ الجُمُعَة» استعمَالاً للفظِ في عمومِهِ، ولفظهُ هنَاكَ: «حرمَهُ اللهُ على النار» وكذلكَ دلَّ الحديثُ علَىٰ أنَّ: «منِ اغبرَّت قدماهُ فِي سبيلِ اللهِ حرَّمه اللهُ على النَّارِ»، سَواءٌ باشرَ قتالاً أمْ لاَ.

وزادَ الإِسمَاعِيليُّ: «فتمسَّه النَّارُ أبدًا».

وقالَ ابنُ حجر أيضًا: «المعنَىٰ: أنَّ المسّ ينتَفِي بوجودِ الغُبارِ المذكُورِ، وفِي ذلكَ إشارَة إلَىٰ عظيمِ قدْرِ التصرُّفِ في سبيلِ اللهِ، فإذَا كانَ مجردُ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٨٥)، من طريق عائشة وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦١٦).

(٢) (٥/ ٤٤٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٩٠٧)، والترمذي (١٦٣٢)، والنسائي (٣١١٦)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ١٦٢).

(٤) (٦/ ٣٦).

مسّ الغبارِ للقدمِ يحرِّم عليها النَّارَ، فكيفَ بمن سعىٰ وبذلَ جُهدَه، واستنفدَ وسعَهُ؟! وأخرجَ ابن حبانَ من حديثِ جابرٍ، أنه كانَ في غزاةٍ فقالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ. . . فذكرَ نحوَ حديثِ البابِ، قالَ: فتواثبَ الناسُ عن دوابِّهم، فمَا رُئِي أكْثَر مَاشيًا من ذَلكَ اليومِ»[1].

وقال المناويُّ في «فيضِ القديرِ»[2]:

«مَن اغبرَّتْ قدَماهُ» أي: أصَابهمَا غبارٌ أو صَارَتا ذا غبارٍ، والمرَادُ: المشْي في «سبيلِ الله» أيْ: في طريقٍ يطلبُ فيها رِضَا الله، فشمل طريقَ الجهادِ وطلبَ العلمِ وحضورَ الجماعةِ والحجِّ وغيرَ ذلكَ؛ لأنه اسمُ جنسٍ مضاعفٌ يفيدُ العمومَ، إلاَّ أنَّ المتبادرَ في سبيلِ الله: الجهادِ «حرَّمه اللهُ» كله «على النَّارِ» أبلغُ من قوله: أدخلَهُ الجنةَ، وإذَا كَانَ ذا في غبار قدمَيهِ، فكيفَ بمنْ بذلَ نفسَهُ فقاتَلَ وقُتلَ في سبيلِ الله؟

وعن أبي هريرَةَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ الله ودخَانُ جهنَّمَ في جَوفِ عبدٍ أبدًا، ولا يجتمعِ الشُّحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبدًا**»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٧)، وابن حبان (٤٦٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ١٦٢).

(٢) (٦/ ٧٦).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨١)، والنسائي (٣١١٠، ٣١١١، ٣١١٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٦، ٣٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٢)، وصححه علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٩/ ١٦١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦١٦).

وعنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ الله ودخَانُ جَهَنَّمَ في منْخَرَيْ مسلمٍ أبدًا**»(١).

وفي حديثِ ابن حبانَ السَّابقَ: وتواثبَ الصحَابة عنْ داوبِّهم لتغبر أقدامُهُم في سبيلِ اللهِ. إنَّ الصحَابةَ فهمُوا من قَولِه ﷺ خصوصيةَ تغبيرِ القدمِ في تحريمِ دخولِ النارِ، لا مطلَقَ الجهادِ، وإلا لَمَا تواثبُوا عن فرسِهم وخيولِهم، واللهُ أعلمُ.

١٠ ـ قَتلُ المشركِ في الحربِ:

عن أبي هريرَةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يجتمعُ كافرٌ وقاتلُه في النار أبدًا**»(٢).

وعن أبي هريرة ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يجتمعان في النارِ: مسلمٌ قتل كافرًا، ثم سدَّد وقارب. ولا يجتمعان في جوف مؤمن: غبارٌ في سبيل الله، وفيحُ جهنَّم. ولا يجتمعان في قلب عبدٍ: الإيمانُ، والحسدُ**»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٣٣)، وقال حسن صحيح، والنسائي (٣١٠٧)، وابن ماجة (٢٧٧٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٠٥)، والحميدي (١٠٩١)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٠٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦١٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٩١)، وأبو داود (٢٤٩٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٨، ٣٧٨، ٣٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٦٥).

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (٣١٠٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٢٠).

قالَ المناويُّ في «فيض القديرِ»[١]:

«لا يجتمع كافرٌ و(قاتلُه) أيْ: المسلمُ الثابتُ على الإسلامِ كمَا في «المطامح» (في النارِ) نار جهنم (أبدًا) قال القاضي: يحتمل أن يختصّ بمن قتل كافرًا في الجهاد، فيكون ذلك مكفرًا لذنوبه حتى لا يُعاقبَ عليهَا، وأن يكونَ عقابه بغيرِ النارِ، أو يعاقبُ في غير محلّ عقابِ الكفارِ، ولا يجتمعانِ في إدراكِها. انتهى.

قال الطيبيُّ: والوجهُ الأولُ ـ وهو من الكنايةِ التلويحيةِ ـ نَفَى الاجتماعَ بينهما، فيلزم نفيُ المساواة، فيلزم أن لا يدخل المجاهد النار أبدًا، إذ لو دخلها لساواه، وقوله: «أبدًا» بمعنى: «قطُّ» في الماضي، وعَوضُ: في المستقبل، تنزيلاً للمستقبل منزلة الماضي.

فيفهم من كلامِ العامِّ أن هذَا خاصّ بمن قتل مُشرِكًا في الجهادِ.

---

(١) (٦/ ٤٤٥).

١١ ـ حُسنُ الخلقِ:

عن أبِي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من كانَ سهلاً هيّنًا ليّنًا، حرَّمه اللهُ على النارِ»[1].

ويظهرُ واضحًا جليًّا في كثيرٍ من هذه الأسبابِ أن الغفرانَ ينصبّ على الصغائرِ، أو أن اجتنابَ الكبائرِ مع الإتيانِ بخصلة مِن هذه الخصالِ، مكفرٌ لجميعِ الذنوبِ، ويظهرُ في بعضِها الآخرِ غُفرانُ كلِّ الذنوبِ، كالذين يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ. واللهُ أعلمُ.

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٢٦)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٨٤).

١٢ ـ عتق الرقاب:

عَن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «منْ أعتَقَ رقبةً مؤمنةً؛ أعتقَ الله بكلِّ إرْبٍ منها إربًا منه من النارِ»[١].

وعنه رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «مَن أعتقَ رقبةً، أعتقَ اللهُ بكلِّ عضوٍ منها عضواً من أعضائه من النار، حتى فَرجَه بفرجه»[٢].

وقال ﷺ: «منْ أعتق رقبةً مؤمنةً، أعتق الله بكلِّ عضو منه، عضواً من النار، حتى يعتقَ فرجَه بفرجه»[٣].

وعن أبي أمامةَ رضيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «أيّما امرئٍ مسلمٍ أعتقَ امرأً مسلمًا، كانَ فكاكَه من النارِ، يجزي كل عضوٍ منه عضواً منه، وأيّما امرئٍ مسلمٍ أعتقَ امرأتينِ مسلمَتين؛ كانتَا فكاكَه من النارِ، يجزي كل عضوٍ منهمَا عضواً منه، وأيّما امرأة مسلمة أعتقتْ امرأةً مسلمةً؛ كانت فِكاكَها مِن النارِ، يُجزي كل عضوٍ منها عضواً منها»[٤].

وعن سعيدِ بن مرجانةَ ـ صاحبُ علي بن حسينٍ ـ قالَ: سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أيّما امرئ مسلم أعتق امْرأً مسلمًا، استنقذ اللهُ بكلِّ عضوٍ منه، عضواً منه مِن النارِ»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٠٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥١٧، ٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، والترمذي (١٥٤١)، وابن حبان في «صحيحه (٤٣٠٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٥٠٩).

(٤) صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (١٥٤٧)، وقال حسن صحيح، غريب من هذا الوجه.

(٥) صحيح: تقدم قبل حديثين.

قالَ: فانطلقتُ حين سمعتُ الحديثَ من أبي هريرةَ، فذكرتُهُ لعلي بن الحسينِ، فأعتقَ عبدًا له قد أعطاهُ به ابن جعفرٍ عشرةَ آلافِ درهمٍ أو ألف دينارٍ. رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

وعن عمرِو بن عبسَة رضيَ اللهُ عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن أعتَقَ رقبةً مؤمنةً، كانت فداءَه من النارِ»[١].

وقالَ ﷺ: «أعتق النسمةَ وفكّ الرقبةَ» قيلَ: يا رسولَ اللهِ، أليْستَا واحدة؟ قالَ: «لا، إنَّ عتق النَّسمة أن تنفردَ بعتقِها، وفكّ الرقبة أن تُعينَ في عتْقها»[٢].

وللنسائيِّ في «السنن الكبرىٰ» من حديثِ كعبِ بنِ مرةَ: «... وأيّما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين، كانتا فكاكَه من النارِ، عظمين منهمَا بعظم، وأيّما امرأة مسلمةٍ أعتقتِ امرأة مسلمة، كانت فكاكها من النار»[٣].

قال ابن حجرٍ العسقلاني في «فتح الباري»[٤]:

«قد جاء: «من أعتق رقبةً، أعتق الله بكل عضو منها، عضواً منه من النار»[٥]

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩٦٦)، والنسائي (٣١٤٢)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣٣، ٣٨٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٥٠).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٩)، والطيالسي (٧٣٩)، والدارقطني (٢/ ١٣٥)، وابن حبان (٣٧٤)، والحاكم في «المستدرك»، وصححه، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٧٢)، والبغوي (٢٤١٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٧٦).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٤٨٨١)، وابن ماجة (٢٥٢٢)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٠٠).

(٤) (١١/ ٢١٠).

(٥) صحيح: تقدم قبل ستة أحاديث.

فحصل بهذا العتْقِ تكفيرُ جميعِ الخطايا».

وقال أيضًا: «في قوله: «أعتق الله بكل عضو منه عضواً» إشارة إلىٰ أنه لا ينبغي أن يكونَ في الرقبةِ نقصانٌ؛ ليحصلَ الاستيعابُ. واستشكلَ ابن العربيِّ قوله: «فرجه بفرجه»؛ لأن الفرجَ لا يتعلّق به ذنبٌ يوجبُ له النارَ إلا الزنىٰ، فإن حُمل علىٰ ما يتعاطاه من الصغائرِ، كالمفاخذةِ، لم يُشكل عتقه من النارِ بالعتق، وإلا فالزنىٰ كبيرة لا تكفّر إلا بالتوبةِ.

ثم قالَ: فيحتملُ أن يكونَ المرادُ، أن العتق يرجح عند الموازنة، بحيث يكون مرجحًا لحسنات المعتق ترجيحًا يوازي سيئة الزنىٰ. اهـ[1].

ولا اختصاص لذلك بالفرج، بل يأتي في غيرِه من الأعضاءِ مما آثاره فيه كاليدِ في الغصبِ مثلاً. واللهُ أعلمُ».

---

(١) (١٧٦/٥).

١٣ ـ حلقات الذكر:

عن أبي هريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«إن لله ملائكةً سياحينَ(١) في الأرضِ فُضُلاً(٢) عن كُتَّاب الناسِ فإذَا وجدُوا أقوامًا يذكرونَ اللهَ تنادَوا هلمُّوا(٣) إلى بغيتكم(٤) فيجيئونَ فيحفونَ(٥) بهم إلى السماء الدنيا فيقولُ اللهُ: على أي شيء تركتُم عبادي يصنعونَ؟ فيقولونَ: تركنَاهُم يحمدونَكَ ويمجدونَكَ ويذكرونَّكَ قالَ فيقولُ: فهل رأوني؟ فيقولونَ: لا، قالَ: فيقولُ: فكيفَ لو رأوني؟ قالَ: فيقولُونَ: لو رأوكَ لكانُوا أشدَّ تحميدًا، وأشدَّ تمجيدًا، وأشدَّ لكَ ذكرًا، قالَ: فيقولُ: وأي شيء يطلبونَ؟ قالَ :فيقولونَ: يطلبُونَ الجنةَ، قالَ: فيقولُ:وهلْ رأوهَا؟ قالَ: فيقولُونَ: لا، قالَ: فيقولُ: فكيفَ لوْ رأوهَا؟ قالَ: فيقولونَ: لوْ رأوهَا لكانُوا أشدَّ لها طلبًا، وأشدَّ عليهَا حرصًا.

قالَ: فيقولُ: فمن أي شيء يتعوذُونَ؟ قالُوا: يتعوذُونَ من النَّار، قالَ: فيقولُ: هل رأوهَا؟ فيقولُونَ:لا ،فيقولُ: فكيفَ لو رأوهَا؟ فيقولُونَ: لو رأوهَا لكانُوا أشدَّ منها هربًا، وأشدَّ منها خوفًا، وأشدَّ منها تعوذًا ،قالَ: فيقولُ: فإني أشهدُكُم أني قد غفرتُ لهُم، فيقولُونَ: إن فيهم فلانًا الخطَّاء لم يردهُمْ إنما جاءَهُم لحاجةٍ! فيقولُ: هُم القومُ لا يشقَى لهم جليسٌ»(٦) .

(١) السياحة: التجوال في الأرض.

(٢) فضلا: زائدون على الحفظة وغيرهم.

(٣) هلم: أقبل واستمع.

(٤) بغيتكم: طلبكم. (٥) فيحفون: فيحيطون.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، والترمذي (٣٦٠٠)، وابن حبان (٨٥٦، ٨٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٥).

١٤ ـ الصبرُ على الحمَّى:

عن أبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ عادَ[١] رجلاً من وعَكٍ[٢] كانَ به فقالَ:

«أبشرْ فإنَّ اللهَ يقولُ: هيَ نارِي أسلطُها على عبدِي المذنبِ لتكونَ حظهُ من النَّارِ»[٣].

---

(١) عاد: زار رجلاً مريضًا.

(٢) وعك: الألم وشدة الحمى.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٠٨٨)، وصححه، وابن ماجة (٣٤٧٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٠)، والحاكم (١/ ٣٤٥)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٥٧)، و«صحيح الجامع» (٣٢).

١٥ ـ الوقوفُ بعرفَةَ حاجًّا مخلصًا:

عن عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:

«مَا من يومٍ أكثر من أن يعتقَ اللهُ فيه عبدًا من النَّارِ من يومِ عرفةَ وإنه ليدنُو ثم يباهي بهم الملائِكَةَ فيقولُ: مَا أرادَ هؤلاءِ»[١].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٤٨)، والنسائي (٣٠٠٣)، وابن ماجة (٣٠١٤).

١٦ ـ الصدقةُ:

عَن عَدِيٍّ بنِ حاتمٍ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:

«مَن استَطَاعَ منكُم أنْ يستتر[١] من النَّارِ ولو بشق[٢] تمرة فليفعَلْ»[٣] .

(١) يستتر: يحتجب.

(٢) الشق: النصف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١٣، ١٤١٧، ٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٨، ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠)، وابن حبان (٣٣١١).

١٧ ـ صلةُ الرحمِ:

عن أبي أيوبَ أن أعرابيًّا عرَضَ[١] لرسولِ اللهِ ﷺ وهوَ في سفرٍ فأخذَ بخطامِ[٢] ناقته أو بزمامها[٣] ثم قالَ: يا رسولَ اللهِ أو يا محمدُ أخبرنِي بما يقربنِي من الجنةِ، وما يباعدنِي من النَّارِ، قالَ: فكفَّ النبيُّ ﷺ ثم نظرَ في أصحابهِ ثم قالَ: «لقد وُفِّق أو لقد هُديَ» قالَ: «كيفَ قلت؟» قالَ: فأعادَ فقالَ النبي ﷺ: «تعبدُ اللهَ لا تشركُ بهِ شيئًا وتقيمُ الصلاةَ وتؤتي الزكاةَ وتصلُ[٤] الرحمَ[٥] دعِ الناقةَ»[٦].

(١) عرض: بدا وظهر.
(٢) الخطام: حبل يقلد به البعير ويعقد على أنفه لينقاد.
(٣) الزمام: ما تقاد به الدابة.
(٤) صلة الرحم: زيارتهم وبرهم والإحسان إليهم.
(٥) الرحم: قيل القرابة من الناس، وقيل: القرابة عامة.
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٦)، وفي «الأدب المفرد» (٤٩)، ومسلم (١٣)، والنسائي (٤٦٧)، وأحمد (٥/ ٤١٧، ٤١٨)، والطبراني (٣٩٢٤، ٣٩٢٦)، وابن حبان (٤٣٧، ٣٢٤٦)، والبغوي (٨).

١٨ ـ المحافظة على سيد الاستغفار:

قال الإمام البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حدثنا مسددٌ حدثنا يزيدُ بن زريع حدثنا حسينٌ حدثَنَا عبدُالله بن بريدةَ عن بشيرِ بن كعبٍ عن شدادِ بن أوسٍ عن النبي ﷺ قالَ:

«سيدُ الاستغفارِ: اللهم أنتَ ربي لا إلهَ إلا أنتَ خلقتَني وأنا عبدُك وأنا على عهدكَ ووعـدكَ ما استطعتُ، أبوءُ لك[1] بنعمتكَ علي، وأبوءُ لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ».

إذا قالَ حينَ يمسي فمَاتَ دخلَ الجنةَ ـ أو كـاَن مـن أهل الجنةِ ـ وإذَا قالَ حينَ يصبحُ فماتَ من يومِهِ مثلَهُ»[2] .

---

(١) أبوء: أعترف.

(٢) صحـيح: أخرجه البخاري (٦٣٠٦، ٦٣٢٣)، وفي «الأدب المفرد» (٦١٧)، والترمذي (٣٣٩٣)، والنسائي (٥٥٣٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥)، والطبراني (٧١٧٢، ٧١٧٣)، وابن حبان (٩٣٢، ٩٣٣)، والبغوي (١٣٠٨).

١٩ ـ الصيامُ:

والأحاديثُ في ذلك كثيرةٌ ومنها:

أ ـ عن عثمانَ بن أبي العاصِ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ «**الصومُ جُنَّةٌ من عذابِ الله**»(١).

ب ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنهَا ـ قالت: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الصيامُ جُنَّةٌ من النارِ فمن أصبحَ صائمًا فلا يجهلُ...**»(٢).

ج ـ وعن عثمانَ بن أبي العاصِ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**الصيامُ جنةٌ من النارِ كجنة أحدكُم من القتال**»(٣).

د ـ وعن جابرٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قالَ اللهُ تعالى: الصيامُ جنةٌ يستجنُّ بها العبدُ من النارِ، وهوَ لي وأنا أجزِي به**»(٤).

هـ ـ وعَن أبي سعيدٍ الخدريِّ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**من صامَ يومًا في سبيلِ الله بعَّد اللهُ وجههُ عن النارِ سبعينَ خريفًا**»(٥).

---

(١) صحيح: وسيأتي بعد الحديث القادم.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٢٢٣٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٧٨)، وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (٢٢٢٩، ٢٢٣٠)، وابن ماجة (١٦٣٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٢، ٢١٧، ٢١٨)، وابن خزيمة (٢١٢٥)، والطبراني (٩/ ٨٣٦١)، وابن حبان (٣٦٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٧٩).

(٤) حسن لغيره: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٨٢)، ويستجب: يستتر.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣)، والترمذي (١٦٢٢)، والنسائي =

٢٠ - الاستجارةُ باللهِ - سبحانه - من النارِ:

قالَ اللهُ تعالىٰ في صفاتِ عبادِ الرحمنِ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

وعن أنسٍ - رضيَ اللهُ عنه - قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما سَألَ رجلٌ مسلمٌ الله الجنَّة ثلاثًا، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ولا استجار رجلٌ مسلم الله من النار ثلاثًا، إلا قالت النار: اللهم أجره مني»[1].

= (٢٢٤٦، ٢٢٤٧، ٢٢٤٨)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢٦، ٤٥، ٥٩، ٨٣)، وابن حبان (٣٤١٧)، والبيهقي (٤/ ٢٩٦).

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٥٥٣٦)، وابن ماجة (٤٣٤٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١١٧، ١٤١، ١٥٥، ٢٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠١٤، ١٠٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٥)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦١٠).



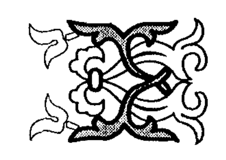
(٣٣)

الدعوة إلى الاجتماع ونبذ الفرقة

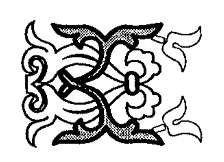
تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





الدعوة إلى الاجتماع ونبذ الفرقة



إن الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، وبعدُ...

فإن أصدقَ الحديثِ كتاب الله، وأحسنَ الهدي هديُ رسول الله، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أيها المسلمونَ الفضلاءَ: يا من قضيتم شهرَ رمضانَ في الصيامِ والقيامِ، والصدقةِ والقرآنِ، والتقربِ إلى الله الواحدِ الديان، هنيئًا لكم، «للصائم فرحتانِ يفرحُهُما إذا أفطرَ فَرِحَ بفطرِه، وإذا لقي ربَّه فَرِحَ بصومِه»[1].

عبادَ الله: كونوا دائمًا على العهد مع اللهِ، حافظوا على حدودِ اللهِ، واستقيمُوا على أمرِ اللهِ، وسيروا على شرعِ اللهِ؛ تصلوا إلى جنةِ الله، وتنالوا رضوانَ الله.

لا تُهملوا تلاوةَ القرآن، ولا تتركوا قيامَ الليل، ولا تنسَوا الصدقةَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، والنسائي (٢٢١٥)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٩٠٠).

وتقديمَ المعروفِ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وهكذا عبادَ اللهِ تدورُ الأيامُ، وتمرُّ السنونَ، وتنقضِي الآجالُ، وتفنَى الأعمارُ، فمن عمَّرها بخيرٍ فقد فازَ، ومن خرَّبها بشرٍ فقد خابَ.

نسيرُ إلى الآجال في كل لحظةٍ وأيامُنا تُطوى وهن قلائلُ

ولم أر مثل الموتِ حقًّا كأنه إذا ما تخطته الأماني باطلُ

وما أقبح التفريط من زمن الصِّبا فكيف به والشيبُ للرأسِ شاغلُ

ترحَّل من الدنيا بزادٍ من التُّقى فعمرُك أيامٌ وهنَّ قلائلُ

الدعوةُ إلى جمعِ الشملِ:

عبادَ اللهِ لن تنالُوا العزةَ إلا بجمعِ الشملِ، وتوحيدِ الكلمةِ، وتآلفَ القلوبِ، والترفعِ عن سفسافِ الأمورِ فإن اختلفت العقولُ فلا تختلفُ القلوبُ. وكيفَ تختلفُ وقد جمعَ اللهُ لأمتنا من مقومَاتِ الاجتماعِ ما لا يجتمعُ لغيرهَا؟!

فإلهُنا واحد، ونبيُّنا واحد، ودينُنا واحد، وكتابُنا واحد، فلم يبق إلا أن نكون على قلب رجلٍ واحد.

وقد وقع الاختلاف بين أفضل الخلق فلم يتدابروا، ولم يتهاجروا ولم يتخاصموا!.

وقع الخلافُ بين الخلفاءِ الراشدينَ.

وقع الخلافُ بين الصحابةِ المهديينَ.

وقع الخلافُ بين العلماءِ العاملينَ.

بل وقع الخلاف بين الرسل المؤيدين.

ووقع الخلاف بين الملائكة المكرمين.

أما بين الخلفاء الراشدين:

فبعد ما اتخذ الخليفةُ الراشدُ أبو بكر الصديق قرارَه بمحاربة مانعي الزكاة، يأتيه عمرُ بن الخطاب ويقول: «كيف تقاتلُ الناسَ؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**»[1].

فقال أبو بكر: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقًا[2] كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم على منعها».

قال عمر: «فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدرَ أبي بكر فعرفتُ أنه الحق» متفق عليه.

أما اختلاف الصحابة:

فأكثر من أن يحصى في موعظة.

فهم يختلفون في نقض الوضوء بالنوم، ويختلفون في ميراث الجَدِّ مع

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠)، وأبو داود (١٥٥٦)، والترمذي (٢٦٠٧)، والنسائي (٢٤٤٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢١٦، ٢١٧).

(٢) عناقًا: العَناق هي العنزة الصغيرة، ويضرب بها المثل في الشيء الحقير من الزكاة.

الإخوة، ويختلفون في قتال عبدالله بن الزبير للحجَّاج.

ولكنْ قلوبٌ سليمة، ونفوسٌ طاهرة، لا يؤثر فيها الاختلافُ.

أما اختلاف العلماء:

فلا يخفى عليكم اختلافُ الشافعي ومالكٍ، وأبي حنيفةَ وابن أبي ليلَى، والشافعي وأحمدَ، وابن المنذرِ وابن أبي ثورٍ وغيرهم كثيرٌ، لكن احترامٌ متبادل، وحبٌّ وتآلفٌ، ودعاءٌ متواصلٌ.

أما اختلاف الرسلِ:

فقد وقع الخلافُ بين آدمَ وموسى كما ثبت في «البخاري» حيث يقول موسى لآدم: **«خيبتنا وأخرجتنا ونفسك من الجنة»**.

فيقول آدم: **«أنتَ كليمُ اللهِ، وتلومُني على شيءٍ قدَّرهُ اللهُ عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة»**[1].

بل وقع الخلافُ بين نبي الله موسى ونبي الله هارون حينمَا ذهبَ موسى لميقاتِ ربه، وقامَ السامريُّ بصناعةِ عجلٍ من ذهبٍ، ودعَا بني إسرائيل لعبادته، وقال لهم: هذا إله موسى، ولكنه نسي المكان.

وانقسمَ الناسُ إلى فريقين، وانتظر هارون حتى يأتي موسى لكي لا يفرق بين الناس.

فعاتبه موسَى واشتدَّ عليه، وقالَ له: «لماذَا لم تخبرِني بهذا الأمرِ أول

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢)، وأبو داود (٤٧٠١)، والترمذي (٢١٣٤)، وابن ماجة (٨٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٨)، والحميدي (١١١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٨٠).

وقوعه؟ فقالَ: خفت أن أتركَهم وحدهم وآتيك فيختلفوا».

﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٩٢-٩٤].

أما اختلافُ الملائكة:

ففي «الصحيحين» من حديثِ أبي سعيدٍ الخدري في الرجلِ الذي قتلَ تسعةً وتسعينَ نفسًا، اختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ. . .[1]

فالاختلافُ واقعٌ بين الناسِ لتفاوتِ الأفهامِ، واختلافِ العقولِ ولكن مع الحبِّ والوفاء، والورعِ والإخلاصِ، لا أثرَ للاختلافِ بين المسلمين.

سبيل الاجتماع:

ولكن ما السبيل إلى الاجتماع عباد الله؟

إنه الالتفافُ حولَ الدستورِ الخالدِ، والبحرِ الزاخرِ، والمعينِ الذي لا يَنْضَبَ. كتابُ اللهِ. ذلكَ الكتابُ الذي تربى عليه الجيلُ الأولُ فنشروا الإسلامَ في ربوعِ المعمورةِ.

فمن الذي جعل رعاة الغنم قادة الأمم؟!

إنه القرآن: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

ومن الذي جعلَ المتفرقينَ والمختلفينَ إخوةً متآلفين؟!

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، وابن ماجة (٢٦٢٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢٠، ٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١١، ٦١٥).

إنه القرآنُ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

ومن الذي جَمَعَ بين الأعداءِ فجعلهم إخوانًا متحابين؟!

إنه القرآن: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومن الذي جمعَ بين الجنسياتِ المختلفةِ وصهرهُم في بوتقةٍ واحدةٍ؟!

إنه القرآنُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

من الذي جمعَ بين: سلمانَ الفارسيِّ، وصهيبَ الروميِّ، وبلالَ الحبشيِّ، وأبي بكرٍ القرشيِّ.

إنه القرآن: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فأثبتوا لأنفسهِم الوسطيةَ التي أرادَها اللهُ، وكانُوا جديرينَ بأن يكونُوا شهداءَ على الأمِمِ، كمَا أخبرَ اللهُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فاجتمِعُوا ولا تفترقُوا، وتحَابوا ولا تختَلفُوا، وتوادُّوا ولا تدَابَروا، وكونُوا عبادَ اللهِ إخوانًا..

الخطبة الثانية

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، وأشهدُ أن لا إلَه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وبعدُ:

بر الوالدين: وبرُّوا والديكم في هذا اليوم المباركِ؛ لأن اللهَ أوصاكم ووصيةُ الله واجبةُ التنفيذ.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٧].

وقد أبان النبي ﷺ أن بر الوالدين من أحبِّ الأعمالِ إلى ربكُم.

فقد ثبتَ في «الصحيحين» أن ابنَ مسعودٍ سألَ الحبيبَ ﷺ.

أيُّ العمل أحب إلى اللهِ تعالَى؟

قال: «**الصلاة على وقتها**».

قلت: ثم أيٌّ؟

قال: «**بر الوالدين**».

قلت: ثم أيٌّ؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[1].

وبر الوالدينِ بالطاعةِ في المعروفِ، وبالكلمةِ الطيبةِ، والاحترامِ والتقديرِ، والودِّ والزيارةِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥)، والترمذي (١٧٣)، والنسائي (٦٠٩، ٦١٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٥)، والحميدي (١٠٣)، وابن حبان في «صحيحه (١٤٧٦، ١٤٧٧).

صلةُ الأرحامِ:

عبادَ اللهِ! صلُوا أرحامكُم في هذَا اليومِ المباركِ، فمن وصلهَا وصلَه اللهُ، ومن قطَعها قطعَه اللهُ، كما ثبتَ في البخاري ومسلمٍ من حديثِ أبي هريرةَ[1].

وصلوا أرحَامَكم؛ لأن صلتها تُوسعُ الرزقَ وتُطيل العمرَ.

ففي «الصحيحين» عن أنس مرفوعًا «**من أحب أن يُبَسط له في رزقه، وينسأَّ له في أثره فليصل رحمه**»[2].

لكن احذر أن تذهبَ؛ لتطيعَ الله فتعصيه، فلا تصَافِح ابنةَ عمِّكَ ولا ابنةَ خالِكَ ومَا شَابَهَهُما من الأجنبياتِ؛ لأن ذلكَ قد حرمَه عليكَ ربُّ الأرضِ والسمواتِ.

الأمر برد المظالم:

أيها الموحدونَ! من كانَتْ لأخيهِ عندَه مظلمةٌ، فليردهَا إليهِ قبلَ أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيهِ ولا خلالٌ، لا شفيعَ فيهِ ولا حميمَ، قبلَ أن تقفَ أمَامَ المحكمَةِ الإلهيةِ... المحكمَةِ العادلةِ.

محكمةٌ: قاضيهَا هوَ اللهُ.

وشهودُها: جوارحُك.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣١، ٤٨٣٢)، ومسلم (٢٥٥٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥، ٣٣٠، ٣٨٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤١، ٤٤٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧)، وأبو داود (١٦٩٣)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٦، ٢٢٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٨، ٤٣٩).

وحكمها: هو العدلُ.

وأمرها: هو الفصلُ.

فائزُها: في الجنة.

وخاسرُها: في النار.

﴿**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٦-١٩].

يا من ظلمتَ جاركَ فاغتصبت أرضه!

يا من ظلمتَ عاملكَ فأكلت أجره!

يا من ظلمتَ والدكَ فبخسته حقه!

يا من ظلمتَ مسلمًا فشهدت زورًا ضده!

يا من ظلمتَ ولدك ففي المعاصي أطلقتَه!

يا من ظلمتَ مسلمًا ففي البيع غششتَه!

يا من ظلمتَ زوجتكَ فقصرت في حقهَا!

يا من ظلمتَ رحمك فلم تصلها!

يا من ظلمتَ نفسكَ فعن المعاصِي لم تردعهَا!

يا من ظلمتَ أذنكَ فعن الأغانِي لم تمنعهَا!

يا من ظلمتَ بطنكَ فعن الحرامِ لم تفطمها!

قد آن لك أن تتوبَ، قبلَ أن يدركَك الموتُ فتتقطعَ نفسُك حسراتٍ، ويتفطرُ قلبكَ ندمًا، وتقولُ: ربِّ ارجعونِ لعلِّي أعملُ صالحًا فيمَا تركتُ.

فيقالُ لكَ: كلاَّ.

فتحَ اللهُ لكَ بابَ التوبةِ فقالَ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

نصيحة للمرأة المسلمة

أختاهُ. . . صونِي جسدَكِ من النارِ بسترِه.

أختاهُ. . . احفظِي بصركِ من النارِ بغضِّه.

أختاهُ. . . احفظِي لسانَكِ من النارِ بإمساكِه.

أختاهُ. . . جنبِي ولدَكِ النارَ بتربيته.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].



(٣٤)

فتحُ القسطنطينية

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصرُ الموضوعِ •

١ ـ دستورُ الدولةِ العثمانيةِ.

٢ ـ نشأةُ السلطانِ محمدٍ الفاتحِ.

٣ ـ الإعدادُ لفتحِ القسطنطينيةِ.

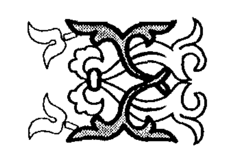
٤ ـ فتحُ القسطنطينيةِ.

٥ ـ لماذا كتبَ اللهُ النصرَ للسلطانِ محمدِ الفاتحِ؟

٦ ـ وصيةُ السلطانِ محمدُ الفاتح وهو على فراشِ الموتِ.







فتح القسطنطينية[1]



مقدمة:

بعد الحمدِ والثناءِ . . .

إنَّ الأمة الإسلاميَةَ اليومَ تمرُّ بأزمةٍ شديدةٍ، ومنعطفٍ خطيرٍ، فالواجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أن ينهضَ بالأمةِ من جهتهِ.

بل يجبُ علىٰ جميعِ المصلحينَ في الأمةِ الإسلاميةِ اليومَ أن يدرسُوا أسبابَ ضعفها، وسُبُلَ النُهوضِ بها كي يذكِّروا بها إخوانَهم المسلمينَ لكي يسلكُوها؛ حتىٰ ينصرَهمُ اللهُ.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد بيَّنَ لنَا أسبابَ النصرِ علىٰ الأعداءِ، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧].

وقال سبحانه: ﴿**ولينصرن الله من ينصره**﴾.

قال القُرطبي رحمه الله: إن تَنصروا دينَ الله ينصركُم علىٰ الكفار.

فإذا أردتَ أن تعرفَ متىٰ ينصرنا اللهُ، فانظر إلىٰ الأمةِ الإسلاميةِ.

---

(١) المراجع:

١ ـ «محمد الفاتح» للصلابي.

٢ ـ «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (ج٨).

٣ ـ «الضوء اللامع» السخاوي (١٠/ ٤٧).

٤ ـ «البدر الطالع» الشوكاني (٢/ ٢٦٦).

إذا نصرتْ شرعَ اللهِ في عقيدتِها، في عباداتِها في أخلاقِها في معاملاتِها، في سلوكِها، حينَها تكون الأمةُ المسلمةُ أهلاً لأن ينصرُهَا اللهُ تباركَ وتعالىٰ علىٰ أعدائِها.

حينما ترىٰ دين الله وشرعَه قد استعلىٰ في نفوسِ الناسِ فقدموه علىٰ أهوائهِم وأغراضهِم.

حينما ترىٰ التبرجَ قد انزوىٰ، والربا قد اختفىٰ، والتهاونَ في الصلاة قد اندثر، والتفريطَ في جنبِ اللهِ قد قلَّ: فاعلم أنَّ نصرَ اللهِ قريبٌ، وتعالَ لنستقرِئ التاريخ.

١. دستور الدولة العثمانية

لقد حدثتْ عدةُ محاولاتٍ، لفتحِ مدينةِ القسطنطينيةِ قبلَ السلطانِ محمد الفاتح، وكلُّها باءت بالفشلِ.

فلماذا فتحَ اللهُ القسطنطينيةَ علَىٰ يدِ محمدِ الفاتحِ؟

السلطانُ محمدُ الفاتح - رحمه الله -: هو السلطانُ السابع فِي سلسلة سلاطينِ الدولةِ العثمانيةِ.

ولكي تعرفَ مَا هي الدولةُ العثمانيةُ، استمع إلىٰ صيغةِ الدستورِ الذي وضعهُ مؤسسُها السلطانُ عثمانُ بن أرطغرل في وصيتهِ لابنهِ (السلطانُ أورخَان) وهو علىٰ فراشِ الموتِ عام ٧٢٧هـ:

١ - يا بُني: إيَّاك أن تشتغَل بشيء لم يأمر به اللهُ ربُّ العالمين، وإذا واجهتْكَ في الحكم معضلةٌ؛ فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلاً.

٢ - يَا بني: أحطْ من أطاعكَ بالإعزازِ، وأنعم علىٰ الجنودِ، ولا يغرنَّك الشيطانُ بجندكَ وبمالك، وإياكَ أن تبتعدَ عن أهلِ الشريعةِ.

٣ - يا بني: إنكَ تعلمُ أن غايتنا هي إرضاءُ الله ربِّ العالمين، وأنَّ بالجهاد يعمُّ نورُ ديننا كلَّ الآفاقِ، فتحدُث مرضاةُ الله جل جلاله.

٤ - يا بُنيَّ: لسنا من هؤلاء الذين يقيمونَ الحروبَ لشهوة حُكمٍ، أو سيطرةِ أفرادٍ.

فنحنُ بالإسلامِ نحيَا وللإسلام نموتُ، وهذا يا ولدي ما أنت له أهلٌ[١].

٥ ـ اعلم يا بني: أنَّ نشرَ الإسلامِ، وهدايةَ الناس إليهِ، وحمايةَ أعراض المسلمين وأموالهم، أمانةٌ في عنقك سيسألك الله عنها.

٦ ـ يا بني: أوصيكَ بعلماءِ الأمةِ، أدِم رعايتَهُم، وأكثر من تبجيلِهِم، وانزل على مشورتهِم، فإنهم لا يأمرون إلا بخير.

تحليل:

إن نظرة تحليلية لهذه الوصية من عثمانَ مؤسس الدولة العثمانية، تبين الهدفَ من نشأتهَا، وسرَّ توفيقِ اللهِ لسلاطينهَا، حيثُ نذروا أنفُسَهم للجهاد في سبيلِ اللهِ، ونشرِ دينِ اللهِ؛ فأدخَلُوا الإسلامَ بلغاريَا، واليونانَ، والأناضولَ، وألبانيا وجَعلُوهَا ولاياتٍ إسلاميةً.

وتقدمَ السلطانُ مرادُ الثاني والدُ محمدٍ الفاتحِ؛ لنشرِ الإسلامِ في المجرِ، فتصدُّوا له، فانتصرَ عليهِم، وأسرَ منهُم سبعينَ ألفَ جُندي.

---

(١) «محمد الفاتح» للصلابي (١٩).

٢. نشأة السلطان محمد الفاتح

لقد حرصَ السلطانُ مرادُ الثاني أن يربِّي ولدَهُ الأميرَ محمدَ الفاتحِ تربيةً إسلاميةً جهاديةً.

فكان أبناءُ السلاطين يدرسونَ في مدارسَ خاصةٍ تُسمى: مدارسَ الأمراءِ، يدرسونَ فيها عُلومَ الشَريعةِ على يدِ العلماءِ المشهورينَ، بالإضافةِ إلى العلومِ الحربيةِ، والعسكريةِ، والوقائعِ التاريخيةِ، والعلومِ العصريةِ.

فبعدما تخرجَ محمدُ الفاتحِ من هذهِ المدارسِ، ولاَّه والدهُ السلطانُ مرادٌ أميراً على مدينة «مغنيسا» وأرسلَ إليهِ عدداً من المعلمينَ، ليتمَّ ختمَ القرآنِ على أيديهِم، ولكنَّ محمدَ الفاتحِ كان في بدايةِ حياتهِ غيرَ مُهتمٍ بذلك، فكان يراوغُ ولا يأبهُ بهِم ولا يمتثلُ لأمرهِم.

فطلبَ السلطانُ مرادٌ رجلاً ذا مهابةٍ وقوةٍ، فدلوُه على العالم الرَّباني: أحمدِ بنِ إسماعيلَ الكورانِي، فجعَله معلماً لولدِه وأعطاهُ قضيباً يضربَه به إذا خالَف أمرَه.

فذهبَ الشيخُ الكورانِي إلى الأمير محمدٍ، واستأذَن فأذن له ودخلَ عليه، فقالَ: إنَّ والدَك السلطانَ مرادٌ أرسلني للتعليمِ وإذا خالفتَ أمري ضربتُكَ بهذا القضيبِ، فضحكَ الأميرُ محمدٌ من ذلكَ.

فضربهُ الكورانِي في ذلكَ المجلسِ ضرباً شديداً، حتى خافَ منهُ وخَتَمَ

القرآنُ في مدةٍ يسيرةٍ.

ولقد تأثر محمدٌ الفاتح أيضًا بالشيخ : آمد شمس الدين، الذي كانَ يذكِّره دائمًا بذلكَ الحديثِ الذي رواه أحمدُ عن عبدالله بن بشر الخثعمِي عن أبيهِ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتُفتَحَن القسطنطينية، فلنِعَم الأمير أميرُها، ولنِعَم الجيشُ ذلكَ الجيشِ**»[1].

وكان دائمًا يبثُّ في نفسِه روحَ الجهادِ الاستشهاد، ويتمنَّى أن يكونَ هوَ فاتحَ القسطنطينيةِ.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، وانظر «السلسلة الضعيفة» للشيخ الألباني (٨٧٨).

٣.الإعدادُ للفتح

أولاً: وضعُ الخططِ:

لقد كانتْ مدينةُ القسطنطينية حصينةً جداً؛ ولذلكَ استعصتْ على المحاولاتِ السابقةِ لفتحِها، لقد سبقَ محمدَ الفاتحِ أكثرُ من عشرِ محاولاتٍ لفتحَها وكلُّها تفشلُ وترفعُ الحصارَ عنهَا، ولا يستطيعونَ فتحَها.

ولذَلك كان السلطانُ محمدُ الفاتح الذي تولى الحكمَ بعدَ والدهِ السلطانُ مرادٌ في عام (٨٥٥) وكان عمره (٢٢) عامًا، يجمعُ المستشارينَ ويأمرُهُم بوضعِ الخرائطِ اللازمةِ، ونقلِ الصورة كاملةً عن المدينةِ، بل كانَ يقومُ بنفسهِ بزياراتٍ استطلاعيةٍ، يشاهدُ فيها استحكاماتِ المدينةِ وأسوارَها العظيمة وقلاعَها الحصينةَ.

ووضعِ الخططِ للقتالِ والفتحِ.

ثانيًا: الإعدادُ العسكري:

لقد أخذَ محمدُ الفاتح بكلِّ ما يستطيعُ من أسبابِ التقدمِ العسكريِ في زمانهِ، مدينة القسطنطينية: يحدها الماءُ من ثلاثِ جبهاتٍ، واليابسةُ من جبهةٍ واحدة، حيثُ يحيطُ بها بحرُ مرمرة من جهةٍ، ومضيقُ البسفور من جهةٍ، ومضيقُ القرنِ الذهبيِ من جهةٍ ثالثةٍ.

وكان السلطانُ العثمانيُ بايزيد: قد بنى قلعةً علَى مضيقِ البسفورِ في الجانبِ الأسيوي، فقامَ الفاتح ببناءِ قلعةٍ أخرى مقابلة لها في الجانبِ الأوربي فأصبحتِ القلعتانِ المسلمتانِ العثمانيتانِ تتحكمانِ في السُّفنِ الداخلةِ إلى القسطنطينيةِ من جهة أوربا.

ثم جهزَ محمدُ الفاتح أسطولاً بحريًّا قوامُهُ أربعمائة سفينةٍ؛ لحصارِها من جهاتِ البحرِ.

ثمَّ أعدَّ جيشًا قوامُهُ (٢٥٠) ألفَ جُنديٍ مقاتلٍ.

ثُم استدعى السلطانُ محمدُ الفاتح مهندسًا من المجرِ اسمهُ: أوربان، عرفَ عنهُ صناعةُ المدافعِ، وأغدقَ عليهِ الأموالَ وأحضرَ لهُ ما يلزمُ، فصنع عدة مدافعٍ وجربَّهَا السلطانُ بنفسِهِ، ولكنها كانت مدافعًا بدائيةً تجرها الثيران.

كانَ المدفعُ يقذفُ كراتٍ من الحَجَرِ وزنِ الكرةِ (١٢) رطلاً لمسافة ١,٦ كيلو، وجرهُ يحتاجُ إلى(٧٠٠) شخص[١].

ثالثًا: عقدُ المعاهدات:

عقدَ السلطانُ محمدُ الفاتح المعاهداتِ مع أعدائهِ المختلفينَ؛ حتَّى لا يتدَّخلوا في القتالِ، ولكي يتفرغَ لفتحِ القسطنطينيةِ، فعقدَ معاهدَةً مَعَ إمارة «غلطةٍ» المجاورةِ للقسطنطينيةِ.

---

(١) «تاريخ الإسلام» لمحمود شاكر (٨/ ٨٧) الرطل = ٤٠٧ غرام، ١٢ رطل = ٥ كيلو تقريبًا. «الضوء اللامع» (١٠/ ٤٧)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٦٦).

وعقدَ معاهدةً مع إمارَتي «المجدِ» و«البندقية» وهمَا من الإماراتِ الأوربيةِ المجاورةِ.

ولكن هذه المعاهداتِ لم تصمُد، فعندما بدأ الهُجُوم على المدينة، نقضُوا العهودَ وأرسلوا المساعداتِ؛ للمشاركة في الدفاع عن القسطنطينية.

فتصدت لهم السفُنُ الإسلاميةُ في مضيقِ البسفور.

رابعًا: الإعدادُ المعنويُّ:

لقد ركزَ السلطانُ محمدُ الفاتحِ تركيزاً شديدًا على إعدادِ الجنودِ إعدادًا معنويًّا، حيثُ أمر العلماءَ والمشايخَ بالتجولِ في خيامِ العسكرِ، وإلقاءِ الخُطب الحماسيةِ، وبثِّ روحِ الجهادِ والاستشهادِ في نفوسِ الجنودِ، ممَا كَانَ لَه أكبرُ الأثرِ في استماتةِ الجنودِ في القتالِ والإصرارِ على الفتحِ رغم كل الصعوباتِ التي كانت تقابلُهم.

٤. خطة الفتح

كانتْ القسطنطينية تُحيطها المياهُ من ثلاثِ جبهاتٍ، ومن الجبهةِ البرِّية تحاطُ بخطينِ منَ الأسوارِ يتخللُها نهرُ ليكوس، وكَانَ بينَ السورينِ فضاءٌ يبلغُ عرضهُ (٦٠) قدمًا، وارتفاع السور الداخلي (٤٠) قدمًا وعليهِ أبراجٌ يصلُ ارتفاعُها (٦٠) قدمًا، أمَّا السورُ الخارجيُّ فارتفاعُهُ (٢٥) قدمًا، وعليهِ أبراجٌ موزعة مليئةٌ بالجندِ.

فهي مدينةٌ محصنةٌ تحصينًا قويًّا؛ ولذا فشلتْ إحدىٰ عشرةَ محاولةً لفتحِها قبلَ محمدِ الفاتحِ.

تحركتِ المدافعُ من «أدرنةَ» إلىٰ قربِ القسطنطينيةِ في شهرينِ، حيثُ تمتْ حمايتهَا بقسمٍ منَ الجيشِ.

قَسَّمَ الجيشَ البريَّ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ رئيسةٍ، تمكنتْ من إحكام الحصارِ البريِّ حولَ مختلفِ الجهاتِ.

وضعَ جيوشًا احتياطيةً خلفَ الجيوشِ الرئيسيةِ.

نصبَ المدافع أمام الأسوار.

وضعَ فرقًا للمراقبةِ في مختلفِ المواقع القريبةِ منَ المدينةِ.

حاصرَها بالسفنِ من الناحيتينِ البحريتَينِ: بحرِ مرمرة ومضيقِ البسفور، ولم يستطعْ أن يحاصرهَا من جهةِ القرنِ الذهبيِّ؛ لوجودِ سلسلةٍ حديديةٍ ضخمة فِي المضيقِ تدمِّرُ كلَّ سفينةٍ تحاول الدخولَ إلىٰ القرنِ الذهبيِ.

٥. الهجومُ

صدرَ الأمرُ بالهجومِ بعدَ دفعةِ طلقاتٍ منَ المدافعِ علىٰ السُّورِ الحصينِ، حيثُ ظهرتْ ثغرةٌ في السورِ، فاندفعَ إليهَا الجنودُ ببسالةٍ محاولينَ اقتحامَ المدينةِ من تلكَ الثغرةِ، كمَا حاولوا اقتحامَ الأسوارِ الأخرىٰ بالسلالمِ التي ألقوهَا عليهَا، لكنَّ المدافعينَ عنْ المدينةِ استماتُوا فِي الدفاعِ عنهَا.. واشتدَّ القتالُ بينَ الطرفينِ.

وكانتْ الثغرةُ ضيقةً وكثرتِ السهامُ والنبالُ والمحروقاتُ علَىٰ الجنودِ المسلمينَ.

ومعَ ضيقِ المكانِ وشدةِ المقاومةِ وحلولِ الظلامِ أصدرَ الفاتحُ أمرَهُ للمهاجمينَ بالانسحابِ بعدَ أنْ أثاروا الرعبَ فِي قلوبِ الأعداءِ.

وصلت مجموعةٌ منَ السفنِ الأوربيةِ؛ للمساعدةِ فِي الدفاعِ عنِ المدينةِ بقيادةِ القائدِ: جوستنيان ومعه (٧٠٠) مقاتلٍ متطوعٍ من دولٍ أوربيةٍ متعددةٍ، واستطاعت سفنهم أنْ تصلَ إلىٰ القسطنطينيةِ بعدَ معركةٍ معَ السفنِ الإسلاميةِ.

أرسل الفاتحُ للإمبراطورِ قسطنطين، أنْ يسلمَ المدينةَ وهو آمنٌ علَىٰ نفسهِ وجميعِ رعاياهُ بالمدينةِ، لكنهُ رَفضَ.

وبعدهَا بيومينِ وقعت معركةٌ أخرىٰ بينَ البحريةِ العثمانيةِ، وبعضَ السفنِ الأوربيةِ، التي حاولتِ الوصولَ إلىٰ الخليجِ، واستطاعتْ أن تمرَّ بعد قتالٍ عنيفٍ.

قامَ محمدُ الفاتح باستدعاءِ قائدِ الأسطولِ الإسلاميِ «بالطه أوغلي» واتهمهُ بالجبنِ.

فردَ القائدُ قائلاً: «إني أستقبلُ الموتَ بجنانٍ ثابتٍ، ولكنْ يُؤلمني أنْ أموتَ وأنَا متهمٌ بمثلِ هَذِه التهمةِ، لقدْ قاتلتُ أنا ورجالي بكلِّ مَا فِي وُسعنَا مِن حيلةٍ وقوةٍ... ورفعَ طرفَ عمامتهِ عنْ عينِهِ المصابةِ.

فحينهَا عذرهُ الفاتحُ، واكتفى بعزلهِ وعينَ مكانهُ «حمزة باشا».

نقلُ السُّفُنِ إلى القرنِ الذهبي:

فكرَ السلطانُ الفاتحُ فِي فكرةٍ لنقلِ السفنِ مِن مرساهَا إلى القرنِ الذهبي، وذلك بجرها على الطريق البري بين المنائين على ألواح خشبية دهنوهَا بالزيتِ والشحمِ، حيثُ سحبُوا أكثَر منْ سبعينَ سفينةً فِي ليلةٍ واحدةٍ، فأنزلُوهَا فِي القرنِ الذهبيِّ، واستيقظَ أهلُ القسطنطينيةِ علَى تكبيراتِ البحريةِ الإسلاميةِ في السفنِ فِي القرنِ الذهبي فاندهشُوا لهَذا المنظرِ.

حفرُ الخنادقِ:

ثم لجأ المسلمونَ لحفرِ أنفاقٍ فِي محاولةٍ لدخولِ المدينةِ من تحتِ الأرضِ.

ولكنْ سكانهَا سمعوا ضرباتٍ شديدةٍ تحتَ أقدامهِم، فاكتشفُوا الخطةَ فحفرُوا خنادَق في مقابِلهَا، فلمَّا وصلهَا الجنودِ المسلمونَ صبُّوا عليهِم ألسنةُ النيرانِ والنفطِ المحترقِ، فاحترقَ بعضهُم وعادَ الآخرونَ.

القلعة المتحركة:

صنعَ المسلمونَ قلعةً خشبيةً ضخمةً متحركةً تتكونُ من: ثلاثةِ أدوارٍ، وبارتفاعٍ أعلَى منِ الأسوارِ وقدْ كُسيَت بالدروعِ والجلودِ المبللةِ بالماءِ؛ لتمنعَ عنهَا النيرانَ وملئتْ بالمقاتلينَ، والدورُ العُلوي به رماة يقذفون بالنبالِ كلَّ من يُطلُّ برأسهِ من فوقِ الأسوارِ.

وزَحفُوا بهَا في قتالٍ شديدٍ حتَّى لصقوهَا بالأسوارِ، وحينها كادت الجنودُ أن تتسلقَ الأسوارَ إلاَّ أنَّ كثرةَ رمي البيزنطيين للقلعة بكرات النفط المحترق جعلها تشتعل نارًا، فوقعت على الأبراجِ البيزنطية المجاورة فقتلت من فيها من المدافعينَ عن المدينة.

واستمر القتال بين الطرفين (٥٤) يومًا.

اجتماعُ السلطانِ بمجلسِ الشورى:

واجتمعَ السلطانُ بكبارِ القادةِ والأمراءِ وعلماءِ الدينِ، وطلبَ منهُم آراءهم بصراحةٍ، فأشَار عليهِ بعضُ القادةِ بفكِّ الحصارِ وقبولِ الجزيةِ، وعلى رأسهِم الوزيرُ: خليلُ باشَا.

ولكنْ قامَ القائدُ الشجاعُ (زوغنوشُ) وَهُوَ قائدُ ألبانيٌّ كان نصرانيًّا وأسلمَ فقالَ: «حاشَا وكلاَ أيُّها السلطانُ، أنَا لاَ أقبلُ أبدًا مَا قالهُ خليلُ باشَا، فمَا أتينَا هنَا إلاَّ لنموتَ، لاَ لنرجعَ يجبُ أنْ تكونَ قلوبُنا كالصخرِ، ويجبُ أن نواصلَ الحربَ دونَ ضعفٍ أو خورٍ، لقدْ بدأنَا أمرًا فيجبُ أنْ نُتمهُ ويجبُ أن نزيدَ منْ هجماتِنَا قوةً وشدةً حتّى نفتحَ ثغراتٍ جديدةً، وننقضُّ علَى عدونَا بشجاعةٍ».

وكانَ لهذَا الكلامِ وقعٌ شديدٌ في قلوبِ الجميعِ.

وفِي اليومِ التالِي التقَىٰ السلطانُ بالجنودِ وحثهُم علَىٰ تطهير النفوسِ، والتوبةِ مِن الذنوبِ، والدعاءِ والتضرعِ والتذللِ للهِ عزَّ وجلَّ لعلَّ اللهَ ييسرُ لهُم الفتحَ.

ثمُ أمرَهُم أنْ يستعدُوا للهجومِ فِي أيِّ وقتٍ.

اللقاءُ الأخيرُ بالقادة:

وفِي اليومِ التالِي التقَىٰ السلطانُ الفاتحُ بالقادةِ والأمراءِ وأصدَر لهُم التعليماتِ الأخيرةِ، ثُمَّ ألقَىٰ عليهِم خطبةً قالَ فيهَا: «إذَا تمَّ لنَا فتحُ القسطنطينيةَ تحققَ فينَا حديثٌ مِن أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ ومُعجزةٌ من معجزاته، وسَيكونُ منْ حظِّنَا مَا أشَادَ به هذَا الحديثُ مِن التمجيدِ والتقديرِ، فأبلغوا أبناءنَا العساكرَ فرداً فرداً، أنَّ الظفرَ العظيمَ الذي سنحرزهُ سيزيدُ الإسلامَ قدراً وشرفًا، ويجبُ علَىٰ كلِّ جنديٍّ أن يجعلَ تعاليمَ شريعتِنَا الغرَّاءِ نصبَ عيْنيهِ.

فلاَ يصدرُ عنْ أحدٍ منهُم مَا يُجافي هذهِ التعاليمِ.

وليجتنبُوا الكنائسَ والمعابدَ ولا يمسوها بأذىٰ ويدعوا القُسَسَ، والضعفاءَ، والعجزةَ الذينَ لاَ يقَاتلون»[١] .

---

(١) وهذا تمسك واضح بتعاليم الدين الإسلامي في وقت الحرب من النهي عن قتل الرهبان، أو العجزة، والضعفاء، أو الأطفال، والنساء.

٥. الفتح العظيم

وصدَرَ الأمرُ بالهجومِ الشاملِ منْ جميعِ الجبهاتِ برًّا وبحرًا في الساعةِ الواحدةِ منْ بعدِ منتصفِ الليلِ يومَ الاثنينِ ٢٠ جمادىٰ الأولىٰ ٨٥٧هـ.

فانطلق المجاهدون ببسالةٍ وإقدامٍ نحوَ الأسوارِ وقد علَت أصواتُهُم بالتكبيرِ. . اللهُ أكبرُ.

واستماتَ البيزنطيون في الدفاعِ والقتال.

وكلَّمَا تعبتْ الفرقةُ الأولىٰ المهاجمةُ أمرهُم السلطانُ بالانسحابِ لتتقدمَ فرقةٌ أخرىٰ مكانهَا.

فلاَ ترىٰ إلا رءوسًا تطيرُ، وأذرعًا تقطعُ وسهامًا في الصدورِ تُغرس، وشهداءً يقعون، وكفاراً يُقتلون، وجُرِحَ قائدُ المدافعينَ عَن المدينةِ (جِسْتنِيَانُ) فانسَحَبَ مِن ساحةِ المعركةِ.

وتقدَّمَ الإمبراطورُ يقودُ المعركةَ بنفسِهِ، فتلقاهُ أحد المجاهدينَ فأرداَهُ قتيلاً.

ومَع ارتفَاعِ الشمسِ منْ يومَ الثلاثاءِ كانتْ بعضُ فرقِ المجاهدينَ المسلمينَ قدْ تسلقوا الأسوارَ، ورُفِعَت الأعلامُ الإسلاميةُ علَىٰ بعضِ جوانبِ المدينةِ، وكبَّرَ المجاهدون في أرجائهَا، وَجَاء النصرُ وفرَّ المدافعونَ عن المدينةِ.

وخافَ سكَّانُهَا وهَربوا إلىٰ الكنائسِ والمعابدِ، ودخلَ بعضُ الرهبانِ في سراديبَ تحتَ الأرضِ.

ومَا جاءَ الظهرُ حتَّىٰ انتشرَ جُندُ الإسلامِ في جميعِ شوارعِ المدينةِ يبحثون عن أيِّ مقاتل فلا يجدون.

ووقفَ السلطانُ محمدُ الفاتحُ وسطَ المدينةِ وحولَهُ المجاهدون يحيطون به منْ كلِ جانبٍ وفتحتْ أبوابُ المدينةِ.

وبدأَ المسلمونَ يهنئ بعضهم بعضًا بهذا الفتحِ العظيمِ.

ونزل محمدُ الفاتحُ عن ظهرِ جوادِه ليخر ساجدًا علىٰ الأرضِ وسطَ جندِه شكرًا لله وتواضعًا له أنْ كتبَ اللهُ هذَا النصرَ علىٰ يديهِ.

اللَّه أكبر وللَّه الحمد...

الحمد للَّه وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعزَّ جنده.. وهزم الأحزاب وحده.

معاملةُ السلطانِ محمد الفاتح للنصارى المغلوبين:

ظنَ سكانُ القسطنطينيةِ أنَّ الفاتحَ سيأمرُ بقتلهِم جميعًا أو بسجنهِم أو نفيهِم عن المدينةِ جزاءَ مَا فعلوهُ فِي جندِ المسلمينَ.

ولكنَّهُم فوجئوا بأمرٍ غريبٍ.

توجه السلطانُ محمدُ الفاتحُ إلىٰ كنيسةِ «آيا صوفيًّا» وقدْ اجتمَعَ فيهَا خلقٌ كثيرٌ وقد خافوا خوفًا شديدًا وهم يترقبون ماذَا سيصنَعُ بِهِم.

وقامَ أحدُ الرهبانِ بفتحِ الأبوابِ له.

فأمَرَه السلطانُ أن يُهدئَ الناسَ، ويناديهِم: الأمانَ.

عودُوا إلىٰ بيوتِكِم فأنَتم آمنون علىٰ أنفسِكُم وأولادِكُم وأموالِكُم لن

تصابُوا بأذىٰ إن شاء اللَّه .

فلما رأىٰ الناسُ هذَا الخُلُقَ الكريمَ ، فرحوا فرحًا شديداً ، ودخل كثير من الناسِ فِي الإِسلامِ بل وخرجَ الرهبانُ من السراديبِ وأعلنَ بعضُهم إسلامَه ، ثُمَّ أمرَهم أن يختاروا لهم بطريركَ ، فاختاروا (أجناديوس) .

فانتخبَ وجَاء في موكبٍ حافلٍ منْ الأساقفةِ إلىٰ مقرِّ السلطانِ محمدٍ الفاتح فأكرمَه ، وتنَاولَ معهُ الطعامَ وأمرَهم أنْ يقيموا شعائرهم داخل الكنائسِ بكلِّ حريةٍ وأمانٍ .

فخرجَ البطريقُ منْ عندِ السلطانِ وقدْ تغيرتْ فكرتهُ عنِ الإسلامِ والمسلمين بعد ما رأىٰ هذه المعاملةَ الرحيمةَ .

الفرحُ يعمُّ البلاد الإسلاميةَ:

أرسلَ السلطانُ محمدٌ الفاتحُ رسلاً إلىٰ البلدانِ الإسلاميةِ في مصر والشامِ والحجازِ وغيرهَا يبشرُهم بالنصرِ .

وعَمَّت الفرحةُ كلَّ بلادِ الإِسلامِ ، وأُذيعت أخبارَ النصرِ فوقَ المنابرِ ، وزُينت البيوتُ ، وسجدَ الناسُ للهِ شكراً .

وزادَ تمسكُ الناسِ باللهِ وقربُهم منه .

لماذا كتب الله النصر للسلطان محمد الفاتح؟

١ - لأنه جمعَ كلمةَ المسلمينَ تحتَ سلطانٍ واحدٍ علَى الإسلامِ.

٢ - لأنه حكَمهم بكتابِ اللهِ وسنةَ رسولِه ﷺ.

٣ - لأنهُ أمرَ بتطهيرِ البلادِ مما يخالفُ الشريعةَ كشربِ الخمرِ والرقصِ وظهورِ الفسقِ ونحوِ ذلكَ.

٤ - لأنهُ امتثلَ وصيةَ جده عثمانَ فِي نشرِ العدلِ بينَ الرعيةِ.

٥ - لأنهُ أمرَ العُلماءَ أنْ يبثُّوا في نفوسِ الشعبِ روحَ الجهادِ والتضحيةِ في سبيلِ اللهِ.

٦ - لأنه كانَ يقربُ العلماءَ... ويستشيرُهم فِي أمورِه... ويأخذُ بنصائحِهم... ويتواضعُ لهم.

٧ - كانَ يباعدُ المفسدينَ، ويقصيهم عنِ المناصبِ ونحوِها.

٨ - لأنهُ ترجمَ عمليًّا قولَ اللهِ تَعالَىٰ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠]. فكوَّن جيشًا قويًّا.

٩ - لمْ يجمعْهم علَىٰ قوميةٍ ولاَ وطنيةٍ، وإنَّما جمعَهم علَىٰ دينِ اللهِ والتقربِ إلَىٰ اللهِ.

ويتضحُ ذلكَ مِن «النشيدِ السلطانيِّ» وهو نشيدُ السلطانِ محمدٍ الفاتح:

وحماسِي: بذلُ الجهدِ لخدمةِ ديني،... دينِ اللهِ.

عزمِي: أن أقهرَ الكفرَ جميعًا بجنودي: جندِ اللهِ.

وتفكيري: منصبٌّ على الفتحِ، على النصرِ، على الفوزِ بلطفِ اللهِ.

جهادي: بالنفسِ وبالمالِ، فماذا في الدنيا بعدَ الامتثالِ لأمرِ اللهِ؟

وأشواقِي: الغزوُ الغزوُ مئاتَ الآلافِ من المراتِ لوجهِ اللهِ.

رجائي: في نصرِ اللهِ، وسموِّ الدولةِ على أعداءِ اللهِ.

خلاصة حكم السلطان الفاتح

حكم ثلاثينَ عامًا.

غلب على إمبراطوريتين.

فتح ٧ ممالك.

استولى على (٢٠٠) مدينة.

شيدَ دوراً للعلمِ، ودوراً للعبادة(١).

عدله:

كانَ كثيراً مَا ينزلُ بالليلِ إلى الطرقاتِ والدروبِ؛ ليتعرفَ علَى أحوالِ الناسِ بنفسهِ، ويسمع شكواهم بنفسِهِ(٢).

(١) «العثمانيون في التاريخ والحضارة».

(٢) «محمد الفاتح» للصلابي (١٥١).

وصية محمد الفاتح وهو على فراش الموت

يا بني هأنذا أموتُ، ولكنِّي غيرُ آسفٍ لأني تاركٌ خلفًا مثلَك.

كُن عادلاً، صالحًا، رحيمًا.

وابسطْ علَىٰ الرعيَّةِ حمايَتك بدونِ تمييزٍ.

واعمل علىٰ نشرِ الدينِ الإسلاميِّ، فإنَّ هذا هوَ واجبُ الملوكِ علىٰ الأرضِ.

قدم الاهتمامَ بأمرِ الدينِ علَىٰ كلِّ شيءٍ ولا تفتر في المواظبةِ عليهِ.

ولا تستخدم الأشخاصَ الذين لا يهتمونَ بأمرِ الدينِ، ولا يجتنبونَ الكبائرَ وينغمسونَ فِي الفواحشِ.

وجانبِ البدعَ المفسدةَ.

وباعدِ الذينَ يحرضونكَ عليهَا.

وسِّع رقعةَ البلادِ بالجهادِ.

واحرس أموالَ بيتِ المالِ أن تبدد.

إياكَ أنْ تمدَّ يدكَ إلىٰ مالِ أحدٍ من رعيتكَ إلاَّ بحقِّ الإسلام.

واضمنْ للمعوزين قوتهُم، وابذلْ إكرامكَ للمستحقينَ.

وبما أنَّ العلماءَ هم بمثابةِ القوةِ المبثوثةِ في جسمِ الدولةِ، فعظِّم جانبَهُم وشجعهُم.

وإذَا سمعتَ بأحدٍ منهم فِي بلدٍ آخرَ فاستقدمهُ إليكَ وأكرمهُ بالمالِ.

حذارِ حذارِ لا يغرنكَ المالُ ولاَ الجندُ.

وإياكَ أنْ تبعدَ أهلَ الشريعةِ عن بابكَ.

وإياكَ أن تميلَ إلى أي عملٍ يخالفُ أحكامَ الشريعةِ.

فإنَّ الدينَ غايتنُا، والهداية منهجُنا، وبذلك انتصرنَا.

(٣٥)

كيف تخدمُ الدينَ؟

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



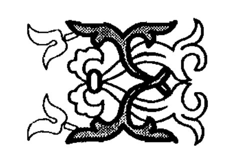
• عناصر الموضوع •

١ ـ سفينةُ المجتمع تغرقُ... فهل من منقذٍ؟

٢ ـ فضلُ الدعوةِ إلى اللهِ.

٣ ـ عدةُ طرقٍ لخدمةِ الدينِ.





كيف تخدم الدين؟



إن الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومنْ سيئاتِ أعمالنا، مَن يهده اللهُ فلاَ مضلَّ لهُ، ومن يضللْ فلاَ هاديَ لهُ، وأشهدُ ألاَ إلهَ إلاَ اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهديِ هديُ رسولِ اللهِ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

أولاً: سفينةُ المجتمعِ تغرقُ... فهل من منقذٍ؟

أمةَ الإسلامِ: إنَّ سفينةَ المجتمعِ المسلمِ تغرقُ. . . الآنَ فهل من منقذٍ؟

إنني لا أخشىَ على الأمةِ المسلمةِ منْ تكالبِ الأعداءِ عليها. . . فَلَكَمْ تكالبُوا عليها فصمدَت!!

ولاَ أخشىَ علَى الأمةِ المسلمةِ من ضعفِها أمامَ أعدائِها، فغداً تأخذ بأسبابِ النهوضِ، فتنهضُ بإذنِ اللهِ.

ولا أخشى مما تتعرضُ له الأمةُ المسلمة من تقتيلٍ وتشريدٍ واغتصابٍ للأرضِ، فكم مرَّ بالأمةِ المسلمةِ من محنٍ هي أشدُّ من محنتِها

المعاصرةِ. . . وسَرعانَ مَا جمعَ الله شملهَا، فاستعادَت قوتَها وصمدت في وجهِ أعدائِها، فنصرَها اللهُ وسدَّدَها وأيَّدَها.

فمن ذلك اجتماعُ الكفارِ من كلٍّ جانبٍ للقضاءِ علَىٰ الدولةِ الناشئةِ في المدينةِ النبويةِ فِي غزوةِ الأحزابِ، فَاجتمعتْ قوىٰ الشرِّ والكفرِ، وقبائلُ المشركينَ من أنحاءِ الجزيرةِ العربيةِ، وجيشُوا الجيوشَ بقيادةِ قريشٍ للقضاءِ علىٰ المسلمينَ. . . وبدأت الجيوشُ في الزحفِ علَىٰ المدينةِ مِن كل جانبٍ. . . وكانت كلُّ المقاييسِ الأرضيةِ تؤكدُ أن جيوشَ الأحزابِ ستبيدُ المدينةَ ومن فيها.

وعلمَ المسلمونَ ـ فعلاً ـ أنهم لا طاقَةَ لهم بجيوشِ الأحزابِ فلم يخرجوا لقتالِهم كما خرجُوا في بدرٍ وأُحدٍ. . وإنما ظلُّوا فِي المدينةِ وخندقُوا علىٰ أنفسهِم.

وزاد الطين بِلَّةً، أنَّ اليهودَ داخلَ المدينةِ ـ وكانُوا قد تحالفوا مع المسلمين علىٰ الدفاع عن المدينة ضدَّ أيِّ عدوانٍ ـ نقضُوا العهدَ معَ المسلمينَ. . . وذلكَ يؤكدُ ما ذكرناهُ من أنَّ الكلَّ توقعَ الهلاكَ والفناءَ للإسلامِ والمسلمينَ، ولو أنَّ اليهودَ داخلَ المدينةِ كانوا يتوقعُون انتصارَ المسلمينَ أو حتىٰ خروجهم من الحرب سالمينَ ما نقضوا العهدَ لاسيَّما ومعظمُ مصالحِهم بيدِ المسلمينَ بالمدينةِ، والمسلمونُ محيطونُ بحصونِهم من كلِّ جانبٍ.

فلمَّا أيقنُوا بهزيمةِ المسلمينَ وإبادتِهم لا محالةَ، نقضُوا العهدَ وتضامنُوا مع الكفارِ المعسكرينَ خارجَ المدينةِ، فأصبحَ المسلمونَ بينَ الأعداءِ

الداخلينَ خلفَ صفوفِ المسلمينَ وهم اليهودُ، وبين جيوشِ الكفارِ الرابضةِ خارجَ المدينةِ، فأصبحوا بين فكَّي أسدٍ.

وعظُم الخطبُ واشتدَّ الأمرُ ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فلما رأىٰ الله قوةَ إيمانهم، وثباتَ قلوبهِم، وحسنَ توكُّلِهم، أرسلَ علَىٰ أعدائِهم ﴿رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

فاقْتُلِعتْ خيامُهم، وشتتَ شمْلُهُم، فرجعوا خائبينَ منهزمينَ بدونِ قتالٍ ولا نزالٍ، وكفىٰ اللهُ المؤمنين القتالَ، يقولُ تعالىٰ مصورًا ما أصابَ المسلمينَ من الشدةِ والكربِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

وعند المحنِ والشدائد ينقسمُ المجتمعُ إلى فريقين: منافقين ومؤمنين:

فالمنافقونَ: يستسلمونَ لأولِ وهلةٍ، ويضعفون ويظنُّونَ أنَّهُم لا نجاةَ لهم إلا بموالاةِ الكافرين، والسيرِ في ركابِهم، أما وعدُ اللهِ بالنصرِ والتمكينِ للمسلمينَ فيعتقدون أنه وهمٌ وباطلٌ، ويقولون للمؤمنينَ الصادقينَ الذينَ ينتظرونَ نصرَ اللهِ بكلِّ ثقةٍ وإيمانٍ: أنتم مغرورون.

هذا هو القسمُ الأولُ، قالَ اللهُ عنهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [الاحزاب: ١٢] هذا هو قول المنافقين عندَ الشدائدِ والأزماتِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

أما المؤمنون الصادقون: فيوقنونَ بأنَّه لابدَّ مِن البلاءِ والابتلاءِ، ولكن العاقبة للمتقين، والنصرَ للمؤمنين، والغلبة للموحدين.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ ﴾ [الاحزاب: ٢٢] أي حول المدينةِ وهم يحيطون بها من كل جانبٍ، يشهرون أسلحتهم، ويكشرون عن أنيابهم، ويكشفون عن وجههم القبيحِ، ويحملون الحقد والغيظ على المسلمين، ويريدون أن يبيدوهم تماماً.

ما ضعفوا، ولا استسلموا، ولا أظهروا الولاء للكفار ليرجعوا عنهم، ويكفُّوا شرَّهم.

وإنما زادهم ذلك ثباتًا على إيمانهم، وتمسكًا بدينهم، وعلموا أنهم لن يمكنوا في الأرض حتىٰ يُبتلوا ليرىٰ اللهُ الصادقَ من الكاذب، فصدَّقوا بوعد الله وقالوا: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الاحزاب: ٢٢].

﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ من الابتلاءِ قبلَ النصرِ والتمكينِ.

﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ في الوعد بالتمكينِ، فلابدَّ أن يأتيَ بعدَ البلاءِ نصرٌ، وبعدَ الاستضعافِ تمكينٌ، وبعدَ الخوفِ أمنٌ.

هذا وعدُ الله ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

ثم قالَ تعالىٰ مصوراً حَالَ المؤمنين: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ الكربُ والشدةُ التي يمرُّ بها المسلمون ﴿إِلَّآ إِيمَانًا﴾ بوعدِ اللهِ الآتي لاَ محالةَ من النصرِ والتمكينِ.

﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمرِ اللهِ سبحانَهُ.

وهكذا في كل زمانٍ ومكانٍ.. ما تمرُّ بالمسلمين شدةٌ إلا أيقنوا بأنَّ النصرَ آتٍ لا محالةَ.

شدةٌ أخرى:

مرت الأمةُ الإسلاميةُ بمرحلةٍ حرجةٍ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، فقد ارتدَّت معظمُ قبائلِ العربِ.

فارتدَّت معظمُ اليمنِ بقيادةِ قيسِ بنِ مكشوحٍ.

وارتدَّت اليمامةُ واتبعوا مسيلمةَ الكذابَ[1] وجهزَ جيشًا كثيفًا بلغَ قوامُه أربعين ألفًا لقتالِ المدينةِ، ونَشْرِ الدينِ المسيلميِّ الجديدِ، وإرغامِ الناسِ علَىٰ الاعترافِ بنبوةِ مسيلمةَ الكذابِ.

وارتدَّت بنو تغلبَ بقيادةِ سجاحِ الكاهنةِ وزحفت بجيشها لقتالِ المدينة.. لولا أن الله صرفَها، فاتجهت أولاً لقتالِ مسيلمةَ الكذابِ، فتصالحَا.. ثم عادت إلىٰ مكانِها فأدركَ خالدُ بنُ الوليدِ مؤخرةَ جيشِها

(١) هو مسيلِمة ـ بكسر اللام ـ من بني حنيفة، وقد ادَّعىٰ النبوة، وقاتل معه أربعون ألفًا، فهزمهم خالد بن الوليد في موقعة اليمامة، وقُتل مسيلِمة الكذاب ـ لعنه اللّه ـ.

فهزمَهم.

وارتدت طيئ، وأسدٌ، ومن تبعَهم من غطفانَ بقيادةِ طليحةَ الأسديِّ الكاهنِ.

وجهزَ جيشًا لغزوِ المدينةِ، وانضمَّ إليهِ عُيينةُ بن حِصنٍ في سبعمائةِ مقاتلٍ من بني فزارة.

وارتدَّت «البحرين» بقيادةِ المنذرِ بن النعمانِ الملقبِ بالغرورِ، ويكفيك أن تعرفَ أنَّ الجمعةَ لم تكن تقامُ في الجزيرةِ العربيةِ كلِّها في زمنِ الردةِ إلا في أماكنَ أربعةٍ: مكةَ، والمدينةَ، والطائفِ، وقريةِ جواثا بالبحرين، حتى إنَّ المرتدين ضيقوا على أهلِ هذه القريةِ لتمسكِهم بإسلامهم حتَّى كادوا يموتون جوعًا، فأرسلَ إليهم أبو بكرٍ الصديقَ العلاءَ بن الحضرميِّ في جيش لإنقاذهم، فهزم اللهُ المرتدينَ.

والشاهدُ: أنَّ المسلمين وقعوا في شدةٍ وكربٍ فصبروا فنصرَهم اللهُ بقيادةِ أبي بكرٍ الصديقِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ.

أزمةٌ أخرَى:

وحدثَ للمسلمين أزمةٌ أخرى في الحروبِ الصليبية... فصبروا فنصرَهم اللهُ.

أزمةٌ أخرَى:

وحدثَ للمسلمينَ أزمةٌ أشدُّ في زمن التتارِ حتَّى دخلوا دارَ الخلافةِ، ونكلُوا بالمسلمين، واختفى الناس في البياراتِ.. لأنهم كانوا لا يجدون

أحدًا إلا قتلُوه، وقُتل الخليفةُ. . . وسرعانَ ما نهضت الأمةُ المسلمةُ بفضلِ اللهِ وتوفيقهِ.

ولكنَّ المطلوبَ من كلِّ مسلمٍ في وقتِ الأزماتِ أن يسعىٰ في مصلحةِ الإسلام، ويقدمَ مصلحةَ الأمةِ الإسلاميةِ علىٰ مصالحِه الشخصيةِ.

والأمةُ الآنَ قدْ وقعتْ فِي جهلٍ عميقٍ، وبُعدٍ عن الدينِ، فالواجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يدعوَ الناسَ إلىٰ الرجوعِ إلىٰ الحقِّ حتَّىٰ ينصرَهُم اللهُ.

كيفَ تخدمُ الدينَ؟

فضلُ الدعوة إلى الله:

١ ـ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «منْ دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعَه، لا ينقصُ ذلك من أجورِهم شيئًا»[١]، رواه مسلم.

٢ ـ قال ﷺ: «لأنْ يهديَ اللهُ بكَ رجلاً واحدًا خيْرٌ لكَ من حُمْرِ النعمِ»[٢]، متفقٌ عليهِ.

٣ ـ قالَ ﷺ: «معلمُ الخيرِ يستغفرُ لهُ كلُّ شيءٍ حتَّى الحيتانُ في البحرِ»[٣]، رواه البزارُ، وصححَه الألبانيُّ.

أخي المسلم:

قم بالدعوةِ إلى اللهِ لتنالَ الثوابَ المذكورَ في الأحاديثِ السابقةِ.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجة (٢٠٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٧)، والدارمي (٥١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١١٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٤٢، ٣٠٠٧، ٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأبو داود (٣٦٦١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٣٢).

(٣) صحيح: أخرجه البزار (١٣٣)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٨٥٢).

وسائلُ خدمةِ الدينِ(١)

١ ـ الخطبُ الهادفةُ:

إذَا كنتَ ممن رزقكَ اللهُ موهبةَ الخطابةِ فلا تتوانَ عن تبليغِ دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ . . اخرج إلىٰ القرىٰ المجاورةِ ستجدُ أناسًا لا يجدُون خطيبًا يصلي بهم الجمعةَ حتَّىٰ إن بعض القرىٰ يصلون ظهرًا . . فذكرهم بالله، وعلمهم دينهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ.

٢ ـ الدروسُ المفيدةُ:

إذا كنتَ لا تجيدُ الخطابةَ فحضرْ درسًا في كيفيةِ الصلاةِ الصحيحةِ مثلاً من كتاب «صفةُ صلاةِ النبيِّ ﷺ» للألبانيِّ، ثمَّ صلِّ المغربَ أو العشاءَ في أحدِ مساجدِ القرىٰ الذين لا يجدون من يعلمُهم، ثم قمْ بعدَ الصلاةِ وعلِّمهم بما فتحَ اللهُ عليك.

أو في برِّ الوالدين، أو صلةِ الأرحامِ، أو التوحيدِ، أو تقرأُ عليهم من كتابِ «الكلمات النافعة في الأخطاءِ الشائعةِ»، ونحوِ ذلك.

٣ ـ الكتابةُ فِي الصحفِ:

إذا كنت تجيد الكتابة فاكتب مقالاً كلَّ أسبوعٍ، وأرسلْه إلىٰ إحدىٰ الصحفِ السيارةِ يأتيك أجرُ كلِّ من قرأ هذا المقالَ، أو تعلمَ منه شيئًا.

---

(١) راجع كتاب «٣٠ طريقة لخدمة الدين» رضا صمدي.

٤ ـ مجلةُ الحائطِ:

قم بإعدادِ مجلة حائطيةٍ تحتوي على بعض الآياتِ والأحاديثِ، أو الإرشاداتِ النافعةِ، أو مواقفَ من السيرةِ، أو أحكامٍ فقهية أو نحوِ ذلك، وعلِّقها في مدرستِك، أو مؤسستِك، أو فِي محلِّ عملِك.

٥ ـ الدعوة إلى مجالسِ العلمِ:

إذا علمت بدرسٍ أو محاضرةٍ لأحدِ العلماءِ فادعُ من تعرفْ لحضورها، فتأخذَ مثلَ أجورِهم.

٦ ـ الاجتماعُ بالجيرانِ:

اجتمع بجيرانك كلَّ أسبوع مرةً أو كلَّ شهرٍ مرةً تقرأُ عليهم شيئًا من أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ من كتاب «رياض الصالحين»، أو تنصحهم في أي موضوع نافع.

٧ ـ الدلالة على شريط نافع:

إذا سمعت شريطًا نافعًا ولم تستطعْ أن تشتريَ منه كميةً لتوزيعها؛ فدُلَّ الناسَ عليه ليشتروه فتأخذَ مثلَ أجورِهم.

٨ ـ تحفيظُ القرآنِ:

إذا منَّ الله عليك بحفظ جزءِ عمَّ، فاجمع من تستطيع من صبيانِ القريةِ أو الحيِّ وحفظهم قصارَ السورِ، وارفق بهم في التعليم والتحفيظ ليحبوك... فكلما قرأ هؤلاء الصبيةُ سورةً مما تعلموها منكَ في صلاتِهم أو في بيوتِهم، يأتيك مثلُ أجرِهم، الحرفُ الواحدُ بعشرِ حسناتٍ.

٩ ـ الأذكارُ النبويةُ:

إذا كنت طالبًا أو موظفًا، اجمع من تستطيعُ من زملائك وحفِّظهم كلَّ أُسبوعٍ ذكرًا من الأذكارِ النبويةِ الصحيحةِ مِن كتابِ «صحيح الأذكار»، أو كتابِ «حصنِ المسلمْ»، أو «رياضِ الصالحينَ»، من أذكارِ النوم، أو دخول البيت، أو الخروج منه، أو دخول المسجد، أو أذكارِ الطعامِ والشرابِ، أو ركوبِ الدابةِ، ونحوِ ذلك، يأتيك مثل أجرِهم وثوابِهم كلما ذكروها.

١٠ ـ توزيعُ الكتيباتِ النافعة:

اقتطعْ من دخلك الشهري جزءًا يسيرًا تشتري به بعضَ الكتيباتِ النافعةِ وتهديها لمن يقرؤها من المسلمين، فتحثُّه على الخيرِ، وتأخذُ مثلَ أجرِه.

١١ ـ إهداءُ كتابٍ إلى خطيبِ الأوقاف:

بعض خطباءِ الأوقافِ لا يستطيعون شراءَ الكتبِ التي يُحَضِّرون منها خطبهم، فإذا أهديت له كتابًا نافعًا، فحضر منه بعضَ الخطبِ فلك مثلُ أجرِه.

١٢ ـ إبلاغُ الدعاةِ بالأخبارِ المهمة:

كثيرٌ من الدعاةِ ليس لديهم الوقتُ لمتابعةِ الأخبارِ والحوادثِ، فإذا وقفت على خبرٍ هامٍّ فاتصلْ بأحد الدعاةِ فبلغْه به ليعلِّقَ عليه.

أو وقفتَ علَى خطإٍ شرعيٍّ قد انتشرَ أو نحوِ ذلك... ولك الأجرُ والثوابُ.

١٣ ـ دعوةُ الأرحام:

إذا زرتَ أرحامَك مِن النساءِ فعلمْهم الفاتحةَ والتشهدَ، وبعضَ السورِ من القرآنِ، وأحكامَ الحيضِ والنفاسِ، وأركانَ الصلاةِ ومبطلاتِها، فكثيرٌ من النساءِ المتعلماتِ يجهلنَ ذلك، فضلاً عن الأمياتِ.

١٤ ـ توزيعُ الأشرطة النافعة:

اقتطع من دخلكَ الشهريِّ جزءًا يسيراً، واشترِ بعض الأشرطةِ النافعةِ، وأعطِها لمن يسمعُها من المسلمين أو لسائقي السياراتِ الأجرةِ ليستمعَ إليها الركابُ، فينتفعوا فتأخذَ مثلَ أجرِهم.

١٥ ـ شريطُ الفيديو:

ظهرَ في سياراتِ النقلِ الجماعيِّ (الأتوبيسات) وسيلةُ الفيديو لتسلية الركاب في سفرِهم بالأفلامِ الهابطةِ والبرامج التافهةِ، فاشترِ شريط فيديو نافعًا لأحدِ الدعاةِ، وأعطه لسائقِ الأتوبيسِ ليُسمِعَه للركابِ، فيشاهدَ المسافرون المحاضرةَ كاملةً فينتفعون. . . وتأخذُ مثلَ أجرِهم.

١٦ ـ الدعوةُ الفرديةُ:

إذا كنت لا تجيدُ الخطابة، وإلقاءَ الدروسِ فإنَّ بابَ خدمةِ الإسلامِ مازالَ مفتوحًا أمامَك وهو الدعوةُ الفرديةُ، فلعلَّك تعرفُ من جيرانِك أو زملائِك من لا يحافظُ على الصلاةِ.

فاذهبْ إليه وزُرْهُ، وتقربْ إليه، ثم ادعُه إلى المحافظةِ على الصلاةِ. . . بعد أن تكونَ سمعتَ شريطًا عن أهميةِ الصلاة وفضلِها. . . أو تكونَ

قرأتَ بابَ فضلِ المحافظةِ على الصلواتِ الخمسِ من كتابِ «رياض الصالحين» لتكونَ علَى علمٍ بالشيءِ الذي تدعو إليه .

وظلَّ معه ، ولا تيأسْ حتى يهديَه اللهُ على يديْك ، فقد ثبت في «الصحيحين» : «**لأنَ يهديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيْرٌ لك من حُمْرِ النعمِ**»[1] ، أي : خيرٌ من أن تتصدقَ بالإبلِ الحمراءِ غاليةِ الثمنِ .

ويحضرُني في هذا المقامِ قصةُ الرجلِ الأسبانيِّ الذي أسلمَ هُو وزوجتُه الأمريكيةُ ، وهما مقيمان بنيويورك ، فكانا يقفان كلَّ يومِ أحد أمامَ بابِ الكنيسةِ ليلتقطَ رجلاً من روادِ الكنيسةِ ، وزوجتُه تلتقطُ امرأةً ويظلانِ يدعوانهما إلى الإسلامِ فيُسلما ويَشهدا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ اللهِ . . . وهكذا دأبُهم كلَّ أحدٍ .

١٧ ـ الرسائلُ الإلكترونيةُ عبرَ المحمولِ:

إذا كان اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أنعمَ عليكَ بجهازِ المحمولِ فاكتبْ ولو كلَّ أسبوعٍ رسالةً دعويةً هادفةً عن فضلِ الصلاةِ ، أو فضلِ غضِّ البصرِ ، أو التحذيرِ من الربا ، أو قيامِ الليلِ ، أو الحث على سنةٍ أو التحذير من بدعةٍ أو نحوِ ذلك ، وأرسلْها إلى مجموعةٍ من أصدقائِك تذكرُهم باللهِ تعالى .

١٨ ـ الإنترنتُّ:

الإنترنتُّ من وسائلِ الدعوةِ إلى اللهِ إذا استُغلَّ استغلالاً صحيحًا .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٤٢ ، ٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٠٦) ، وأبو داود (٣٦٦١) ، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٣) ، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٣٢) .

فمواقعُ الدردشةِ ونحوُها فرصةٌ للدعوةِ إلىٰ اللهِ، والتحدثِ مع الشبابِ من المسلمينَ وغيرِهم لتعريفِهم بالإسلامِ الصحيحِ، وحثِّهم علىٰ الاستقامةِ علىٰ شرعِ اللهِ.

وقد علمتُ أن بعضَ الدعاةِ تخصصَ في ذلك، فأسلمَ علَىٰ يدِه كما بلغني حتَّىٰ الآنَ عشرون رجلاً عبرَ الإنترنت.

١٩ ـ الهاتفُ والدعوةُ إلى الله:

تستطيعُ أن تستخدمَ الهاتفَ في نصيحةِ الأصدقاءِ، وأمرِهم بالمعروفِ ونهيِهم عن المنكرِ، ودعوتهم إلىٰ طرقِ الخيرِ والرشادِ.

ولو أنَّ في كلِّ حيٍّ أو قريةٍ عشرةً فقط من الشباب المتحمسينَ للدعوةِ إلىٰ اللهِ، فبإمكانِ كلِّ واحدٍ منهم أن يوقظَ خمسةً من المسلمينَ في صلاةِ الفجرِ عبرَ الهاتفِ، فيكونُ عدةُ الذين أيقظوهم لصلاةِ الفجرِ خمسين مسلمًا، فيأخذون مثلَ أجرِهم، وذلك في كلِّ قريةٍ أو حيٍّ من أحياءِ المسلمين.

فكم يا ترىٰ سيستيقظُ في كلِّ محافظةٍ؟ ثم في كلِّ دولة، ثم في كلِّ قارةٍ، ثم في العالمِ الإسلاميِّ كلِّه، ستصلُ الدعوةُ إلىٰ صلاةِ الفجرِ إلىٰ آلافٍ من المسلمين بهذا الجهدِ البسيطِ، وسيتحققُ فيهم قولُ النبيِّ ﷺ: «مثلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٥٣).

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وسيتحققُ في الداعينَ إلىٰ هذا الخيرِ قولُ النبيِّ ﷺ فيما رواهُ مسلمٌ في «صحيحه»: «**من دعا إلى هدىً فله مثل أجور من تبعَه، لا ينقصُ ذلك من أجورِهم شيئًا**»[1].

٢٠ ـ دعوةُ الأسرةِ إلى الله:

اجتمعْ بأفرادِ أسرتِك يومًا في الأسبوعِ، تقرأُ عليهم فصلاً من سيرةِ الرسولِ ﷺ من كتابِ «الرحيق المختوم»، أو غيرِه من كتبِ السيرةِ النبويةِ، أو كتاب رياض الصالحين، أو كتاب الأخطاء الشائعة أو أيسر التفاسير، أو غيرها من الكتب النافعة... تقرأ ولو ربع ساعة علىٰ زوجتك وأولادك، فتأخذون جميعًا أجر جلسة العلم، وتأخذ أنت أجرًا عظيمًا.

الدعاء...

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجة (٢٠٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٧)، والدارمي (٥١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١١٢).



(٣٦)

حياة القلوب

(رقائق)

تأليف
وحيد بن عبد السلام بالي



• عناصر الموضوع •

١ -أهميةُ القلب.

٢ -أقسامُ القلوبِ.

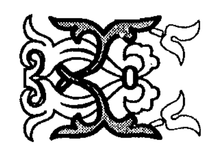
٣ -علاماتُ مرضِ القلبِ.

٤ -علاماتُ صحةِ القلبِ.





حياة القلوب



مقدمةٌ:

إنَّ الحمدَ للهِ . . .

١ ـ أهميةُ القلب:

إن العبدَ مسافرٌ إلىٰ الله في كلِّ لحظةٍ من لحظَاتِ حياتِه، شاءَ أمْ أبَىٰ، كالقومِ الذينَ تُقلُّهم سفينةٌ، فهي تمشي بهم متجهةٌ إلىٰ الشَّاطِئِ الآخَرِ، نامُوا أمْ استيقظُوا فهيَ تمشِي بهم ليلَ نهارَ.

فالمفرطُ غافلٌ عن السفَرِ، منشغِلٌ عن تحصِيلِ الزاد، فَسُرعان ما تصل بهم السفينةُ إلىٰ الشاطئِ وتتركهم، فيجدُ نفسَه بلا زادٍ ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [عبس: ٣٧].

وأما المؤمن: فهوَ مستيقظٌ للرحلةِ، مسافرٌ إلىٰ اللهِ بقلبِه قبلَ أنْ يسَافِرَ بجسَدِه.

فقد هَاجرَ إلىٰ اللهِ وسابَقَ إليه، وبيَّن لنَا رسولُ اللهِ ﷺ أصولَ هذه الهجرَةَ، فقالَ فيمَا ثبتَ في البخاري: «**المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسَانِه ويدِه، والمهَاجرُ من هَجَرَ ما نَهَى اللهُ عنه**»(١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٨٤)، وأبو داود (٢٤٨١)، والنسائي (٥٠١١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١٨٧).

فهذَا المسلمُ الحقُّ، قد سالَمَ المسلمينَ جميعًا، فلا يحملَ لهُم في قلبِه إلا الحبَّ والودَّ، ولا يصلُ إليهم منه إلا الخيرُ والنفعُ.

ثم رأَىٰ الذنوبَ تتنوعَ، والفتنَ تتلونُ، فعلِمَ أنهَا نارٌ في صورةِ شهواتٍ، وعذابٌ في صورةِ ملذاتٍ، فولَّهـا ظهرَهَ، وتذكَّرَ مَا روَاه الشيخانِ أنَّ رسولَ اللهِ قالَ: «**حفت النارُ بالشهوات، وحفت الجنةُ بالمكَاره**»(١).

فهذَا السالكُ إلىٰ اللهُ لا تمرُّ عليه لحظةٌ من عمرِه إلا وسخرَهَا في طاعَةِ اللهِ.

فهوَ إنْ وجَدَ شيئًا يقربُهُ إلىٰ اللهِ سارعَ إليه: كالصلاةِ أو الصيَامِ أو بر الوالدين، أو إكرَامِ الضيفِ، أو الأمرِ بالمعروفِ أو النهي عن المنكرِ أو صلةِ الأرحَامِ أو تلاوةِ القرآنِ...

المباحَات: بل إنهُ لا يتوقفُ عندَ العبادَاتِ، بل يستحضرُ النوايَا الصالحةَ في المباحَاتِ فيقلبها إلىٰ طَاعَاتٍ.

فإذَا أكَلَ: لم يأكلْ بنيةِ التلذذ ككثيرٍ من الناسِ، بل أكلَ بنيةِ التقوِّي بهذَا الأكلِ علىٰ طاعَةِ اللهِ، فصارَ الأكلُ في حقهِ طاعةً وقربَةً.

وإذا لَبس: لم يلبَسْ بلا نيةٍ، بل لبسَ بنيةِ التزَامِ أمرِ اللهِ في سترِ عورَتِه، والتزَامِ أَمرِ رسولِ اللهِ ﷺ في التجملِ فيمَا رواهُ مسلمٌ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ**»(٢)، فصَارَ اللبسُ في حقهِ طاعةً وقربَةً.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٣)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٣٧٧٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٩)، من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨، ١٩٩٩)، وابن ماجة (٥٩)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٤).

وإذا نَامَ: لم ينمْ عادَةً، بل نَوىٰ أنْ يستريحَ بالنومِ لكي يستعينَ بهِ علَىٰ قيامِ الليلِ، وعلَىٰ الاستيقَاظِ للفجرِ، فصَارَ النومُ في حقهِ طاعَةً وقربَةً.

وإذَا اجتهدَ في تحصيلِ المعاشِ: نوَىٰ بجمعِ المالِ كفَّ نفسَهُ عن المسأَلةِ، والإِنفاَق علىٰ الوالدينِ أو الزوجةِ والأطفالِ.

ونوَىٰ بجمعِ المالِ التمكنَ من صلةِ الرحمِ به، أو تحصيلَ القدرةِ علىٰ الحجِّ والعمرةِ ونحوَ ذلكَ.

فالمسافَرُ إلى الله: يعلمُ أن أوقاتَه فرصٌ ثمينةٌ لاكتسابِ الأجرِ، وتحصيلِ الثوابِ، فتراَهُ في جلساتِ الغافلينَ ذاكرًا، وفي ليلِ النائمينَ قائمًا، وفي خوضِ الخائضِينَ صامتًا، وفي وسَطِ العاصينَ طائعًا، وحينمَا ينادِي المنادِي : حيَّ علىٰ الصلاةِ ملبيًا.

القلبُ:

وهوَ ينشغلُ عن عيوبِ الناسِ بإصلاحِ قلبه، ومراقبةِ ربه، والانشغالِ بعيوبِ نفسهِ.

فالقَلبُ: هو الملكُ، والجوارحُ جنودُه، فإذا صَلَح الملكُ صلحتْ جنودُه، وإذا فسدَ الملكُ فسدَت جنودُه.

فالقلبُ: إذا راقبَ الربَّ، أمرَ البصرَ فُغضَّ عن المعاصي.

والقلبُ: إذا أحبَّ القرآنَ أمرَ اللسانَ فتلا كتابَ اللهِ.

والقلبُ: إذا علمَ فضلَ البر والصلة، أمر الجوارحَ فبرَّتْ ووصلَتْ.

والقلبُ: إذا أحبَّ المسجدَ ساق الجسدَ إليه.

والقلبُ: إذا عرفَ فضلَ الصدقةِ أمر اليدَ فتصدقتْ.

والقلبُ: إذا عرفَ فضلَ الصيامِ أمرَ الجسدَ فصامَ.

والقلبُ: إذا أحبَّ الذكرَ أمرَ اللسانَ فتحركَ بذكرِ اللهِ.

والقلبُ: إذا أحبَّ العلم أمر الجسَدَ فتعلمَ.

أما إذَا فسدَ القلبُ؛ فأحبَّ المعَاصِي والذنوبَ، والشهواتِ المحرمةَ والملذاتِ، أمرَ الجوارحَ بذلكَ.

ولقد بيَّن لنَا النبيُّ ﷺ ذلكَ أحسنَ بيانٍ، وبأوجزِ عبارةٍ كمَا ثبتَ في «الصحيحينِ»: «**ألا وإن في الجسدِ مضغةً، إذا صَلَحت صَلَحَ الجسدُ كله، وإذَا فسدتْ فسدَ الجسدُ كله، ألا وهيَ القلبُ**»[1].

فالمؤمنُ: مهمومٌ بأمرِ نفسِهِ، مشغولٌ بإصلاحِ قلبِه خشيَةَ أن يَفْسَدَ القلبُ فيُفسد عليه حياتَه وآخرَته.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وابن ماجة (٣٩٨٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٤)، والدارمي (٢٥٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٧).

عرض الفتن على القلوب:

واعلم أن القلب يُختبرُ في اليوم الواحد عدةَ مرات، بل قد يختبر في الساعةِ الواحدة عدةَ مرات.

فإذا بالمعاصي تقتربُ منه، والفتنِ تُعرضُ عليه، فإذا ابتعد عن المعصية، أو أنكر الفتنةَ نُكتَ فيه نكتةٌ بيضاء.

وإذا ارتكب المعصيةَ، أو تَشرَّب الفتنةَ، نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء. حتىٰ يزداد قلبُ المؤمنِ بياضًا وإيمانًا وثباتًا، ويزداد قلبُ العاصي سوادًا، وضعفًا، ومهانةً.

ولقد صورَ لنا النبي ﷺ ذلكَ أصدقَ تصويرٍ.

فقد روىٰ مسلمٌ في «صحيحه» عن حذيفةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:

«تُعرضُ الفتنُ على القلوبِ كَعَرْضِ الحصيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشربَها نُكتت فيه نكتةٌ سوداء، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكتت فيه نكتةٌ بيضاء، حتى يصيرَ على قلبين:

قلبٌ أبيضُ مثلُ الصفَا، فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السمواتُ والأرضُ.

والآخر أسود مُربادًّا كالكوز مجخيًا، لا يعرفُ معروفًا ولا ينكرُ منكرًا، إلا ما أشربَ من هواه[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٤)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٦، ٤٠٥).

٢. أقسامُ القلوبِ

قسمَ العلماءُ القلوبَ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

١ ـ قلبٍ سليمٍ.

٢ ـ وقلبٍ ميتٍ.

٣ ـ وقلبٍ مريضٍ.

القلب السليم:

وهو القلبُ الذي سلمَ من الشهواتِ المحرماتِ.

وهو القلبُ الذي سلمَ من الشبهاتِ المضلاتِ.

وهو القلبُ الذي سلمَ من عبوديةِ غيرِ الله.

وهو القلبُ الذي سلمَ من تحكيمِ غير رسولِ الله ﷺ.

وهو القلبُ الذي خلصَت عبوديتُه للهِ، فلا يتوكلُ إلا علىٰ اللهِ، ولا يرجو إلا اللهَ، ولا يخافُ إلا من اللهِ، ولا يدعُو إلا اللهَ، ولا يفوضُ أموره كلها إلا للهِ.

وهو القلبُ الذي إذَا أحبَّ أحبَّ في اللهِ، وإذَا أبغضَ أبغَضَ في اللهِ، وإذَا أعطَىٰ أعطَىٰ للهِ، وإذَا منعَ منَعَ للهِ.

وهو القلبُ الذي يقتدِي في كل شئونِهِ برسولِ اللهِ ﷺ.

فهنيئًا لصَاحبِ هذَا القلبِ.

فهو القلبُ الذي لا ينجو يومَ القيامةِ إلا من أتىٰ به ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا**

بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

القلبُ الميتُ:

هو القلبُ الذي لا حياة فيه.

هو القلبُ الذي يسعى لتحصيلِ الشهواتِ المحرمةِ.

هو القلبُ الذي يعبدُ هواه، ولا يُرضِي مولاه.

هو القلبُ الذي يبيعُ دينه بدنياه.

هو القلبُ الذي إذا أحبَّ أحبَّ لهواهُ، وإذا أبغض أبغض لهواه، وإذا أعطى أعطى لهواه، وإذا منع منع لهواه.

فالشهوةُ قائدُه، والجهلُ سائقُه، والغفلةُ مركَبُه، والهوى معبودُه.

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٣].

هذا القلبُ: الدنيا تُسخطه وتُرضيه، والهوى يَصِمُّهُ ويُعميه.

هذا القلبُ: إذا ذُكِّر بالله ينفر، وإذا ذكر بالدنيا والشهوات يستبشر.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مثلُ الذي يذكرُ ربه، والذي لا يذكرُ ربه مثلُ الحي والميت»**[1].

نعم، الذي يذكرُ ربه حيُّ القلبِ، حيُّ الضميرِ.

والذي لا يذكرُ ربه ميتُ القلبِ، ميتُ الضميرِ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

فمخالطةُ صاحبِ هذا القلبِ سَقَمٌ، ومعاشرتُه ضررٌ، ومجالستُه هلاكٌ.

القلبُ المريضُ:

هو قلبٌ له حياةٌ، وبه علةٌ.

له حياةٌ: من محبةِ اللهِ، والإيمانِ به، والإخلاصِ له، والعملِ على مرضاته.

وبه أمراضٌ: من محبةِ الشهواتِ، وتحصيلِ الملذاتِ، أو الحسدِ، والكبرِ، وحبِّ العلوِّ والفسادِ في الأرضِ ونحو ذلكَ.

فهذا القلبُ ممتحنٌ بين داعيينِ:

داعٍ يدعوه إلى اللهِ ورسوله والدار الآخرةِ.

وداعٍ يدعوه إلى الدنيا وملذاتِها الفانيةِ.

فأحيانًا يقوى إيمانه، فيجيبَ داعي اللهِ فيستقيمَ.

و أحيانًا يضعف إيمانه فيجيبَ داعي الهوَى فيمرضَ.

٣. علامات مرض القلب

١ ـ من علامات مرض القلب: أنه يؤثرُ ملذاتِه على طاعةِ اللهِ ومرضاتِه، فكلمَا هوىٰ شيئًا فعلَه.

٢ ـ ومن علاماتِ مرضِ القلبِ: أن صاحبَه لا تؤلمُهُ جراحاتُ المعاصِي (وما لجرح بميت إيلام).

فالقلبُ الصحيحُ يتوجعُ بالمعصيةِ، ويتألمُ لها، فيحدثُ له ذلك توبةً وإنابةً إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ذكرُوا اللهَ، ذكرُوا عظمَةَ اللهِ، فخافُوا عقابَهُ فاستغفرُوا وتابُوا.

إذا ما خلوتَ بريبةٍ في ظلمةٍ والنفسُ داعيةٌ إلى العصيانِ
فاستحِ من نظرِ الإلهِ وقلْ لها إن الذي خلقَ الظلامَ يراني

أما صاحبُ القلبِ المريضِ: فلا يتألمُ للذنبِ، ولا يتأثرُ بالمعصيةِ حتىٰ يتراكم الذنبُ علىٰ الذنب فيسودُّ القلبُ.

٣ ـ ومن علامات مرضِ القلب: أن صاحبَه لا يحزنُ لجهلِه بالحقِّ، ولا يتألَّمُ لعدمِ معرفتِه بأَحكامِ ربه، والجهلُ مصيبةٌ كبرىٰ يتألمُ بها منْ في قلبِه حياةٌ.

وقيلَ: ما عُصي اللهُ بذنبٍ أقبحَ من الجهلِ.

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلِه وأجسامُهم قبلَ القبورِ قبورُ
أرواحُهم في وحشةٍ من جسومِهم وليس لهم حتى النشورِ نشورُ

٤ ـ ومن علامات مرضِ القلب:

استبدالُ صاحبِه بالأغذية النافعة، الأغذيةَ الضارَّة المؤذية.

فيستبدلُ سماعَ القرآنِ الذي هو ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [يونس: ٥٧]، إلىٰ سماعِ الغناءِ الذي يمرضُ القلبَ، ويبعدُه عن الربِّ ـ جلَّ وعلا ـ.

ويَستبدلُ تحريكَ اللسانِ بالذكرِ الذي به حياة القلب ونور البصر، وجلاء الصدر، ومغفرةُ الذنبِ، إلىٰ تحريكِ اللسانِ بالغيبةِ التي بها فسادُ النفسِ، وقسوةُ القلبِ.

ويستبدِلُ بالنظر في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ والتفكرِ في عظمةِ اللهِ الذي به يقوي الإيمانُ النظرَ إلىٰ النساءِ الأجنبياتِ، والمسلسلاتِ الماجناتِ الذي به يضعفُ الإيمانُ.

٥ ـ ومن علامات مرضِ القلب:

أن صاحبَه رضيَ بالدنيَا واطمأنَّ بها، ولم يشعر فيها بغربةٍ، ولا يرجو الآخرةَ ولا يسعىٰ لها سعيَها، ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا**﴾

[الإسراء: ١٨]

أما صاحبُ القلبِ الصحيحِ:

فهو لا يرضىٰ بالآخرةِ بديلاً، فهو وإن كان بظاهرِه من أهلِ الدنيا فهو بقلبِه من أهلِ الآخرةِ.

يشعرُ في الدنيا بغربةٍ بين أهلِها، مشتغلٌ بتحصيلِ زادِ الآخرةِ، كما ثبت في البخاريِّ أن النبي ﷺ قال: «**كُنْ فِي الدُّنيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عابرُ سبيلٍ**»(١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجة (٤١١٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٣٤٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٨).

٤. علاماتُ صحةِ القلبِ

١ ـ من علامات صحة القلب: كثرةُ الذكرِ.

لأنَّ منْ أحبَّ شيئًا، أكثرَ من ذكرِه.

من أحبَّ المالَ، أكثرَ من ذكرِه، ومن أحبَّ العقار أكثر من ذكره.

ومن أحبَّ التجارةَ، أكثرَ من ذكرهَا، ومن أحبَّ الطعامَ، أكثرَ من ذكرِه، ومن أحبَّ اللهَ، أكثرَ من ذكرِه...

لأن الذكرَ أفضلُ من الصدقةِ، بل والجهادِ في سبيلِ الله:

فقد روىٰ الترمذيُّ والحاكمُ، وصححَه الذهبيُّ والألبانيُّ عن أبي الدرداءِ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزْكَاهاَ عندَ مليكِكُم، وأرفَعِها في درجاتِكُم، وخيرٍ لكُم من إنفاقِ الذهبِ والورِقِ، وخيرٍ لكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبُوا أعناقَهم ويضرِبُوا أعناقَكُم؟**».

قالوا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ.

قال: «**ذكرُ اللهِ**»[1].

لأنَّ الذاكرينَ هم السابقونَ الفائزونَ:

ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجة (٣٧٩٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٢٩).

قال: «سبق المفرِّدون؟».

قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟

قال: «الذاكرونَ اللهَ كثيرًا، والذاكراتُ»[١] .

لأن الذكرَ يرطبُ اللسانَ:

فقد روىٰ الترمذيُّ، وصححه الحاكمُ والذهبيُّ والألبانيُّ عن عبدِالله بن بُسر ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أن رجلاً قالَ: يَا رسولَ اللهِ، إن شرائعَ الإسلامِ قد كثرتْ عليَّ، فأخبرنِي بشيء أتشبثُ به.

فقالَ: «لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ الله تعَالى»[٢] .

لأنَّ الذكرَ يثقلُ الميزانَ، ويحببُ العبدَ إلى الرحمنِ:

خ. م عن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «كلمَتانِ خفيفتَانِ على اللسَانِ، ثقيلتَانِ في الميزَانِ، حبيبتَانِ إلى الرحمَنِ: سبحانَ اللهِ وبحمدِه، سبحانَ اللهِ العظيمِ»[٣].

٢ ـ ومن علاماتِ صحةِ القلبِ:

القلقُ والوحشةُ مما سوىٰ اللهِ، فلا يزالُ صاحبُ هذا القلبِ مستوحشًا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٦)، والترمذي (٣٥٩٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٥).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجة (٣٧٩٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٨٨، ١٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٥)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٠٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٧)، وابن ماجة (٣٨٠٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣١).

قلقًا حتىٰ يصلَ بقلبه إلىٰ اللهِ .

فيتعلقَ به، ويأنسَ به، ويطمئنَّ إليه.

فلا يرىٰ شوقًا إلا إليه، ولا لذةً إلا بطاعته كما قال سيدُ العارفينَ ﷺ: «**وجُعِلَت قرةُ عيني في الصَّلاة**»[1].

ولا يرَىٰ نعيمًا ولا سرورًا إلا في مرضاته.

فتراه يتلذذُ بالصلاةِ والصيامِ، والصدقةِ والقيامِ، وكلِّ عملٍ في طاعةِ الواحدِ العلامِ.

ولا ترتاحُ نفسُه، ولا يطمئن قلبهُ إلا بذكرِ ربه ومحبوبه ومعبودهِ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨].

ولا يرضىٰ إلا بالله ربًّا، وبدينِه شرعًا، وبرسولِه قدوةً وإمامًا.

رَوىٰ مُسلمٌ عن العباسِ مرفوعًا: «**ذاق طَعمَ الإيمانِ من رضيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ ﷺ رسُولاً**»[2].

٣ ـ من علامات صحة القلب: أن يتعبَ الجسدُ في الطاعةِ، ولا يملَّ القلبُ، ولذلكَ ثبتَ في «البَخاري» أن رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يقيمُ الليلَ حتىٰ

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٣٩٤٩، ٣٩٥٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٠)، وصححه علىٰ شرط مسلم، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه سلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٩٤).

تتورمَ قدماهُ، فتقولُ عائشةُ ـ رضيَ اللهُ عنها: أتفعلُ ذلكَ وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدمَ من ذنبكَ وما تأخرَ؟

فيقول: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»[١].

٤ ـ ومن علامات صحة القلب: المحافظةُ على الأوقاتِ:

لأن صاحبَ القلبِ السليمِ يعلمُ أن وقتهُ هوَ رأسُ مالِه، فإن استخدمَه في الطاعةِ كانَ من الصالحينَ الفائزينَ، وإن أضاعَه في المعاصِي كانَ من الخاسرينَ.

فاسمعْ إلى ما رواهُ الترمذي، وقال: حسنٌ صحيحٌ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**منْ قالَ: سبحانَ اللهِ العظيمِ وبحمدِه، غرستْ له نخلةٌ في الجنة**»[٢].

فكم نخلةٍ خسرَها من أضاعَ أوقاتَه، وأفنى في الباطلِ حياتَه!

٥ ـ ومن علامات صحة القلب: الاهتمامُ بإخلاصِ العملِ للهِ؛ لأنه يعلمُ أن العملَ إذا تسربتْ إليه حُبُّ الشهرة أو حبُّ السمعةِ أو الرياءُ حبطَ، ولا يقبلُ من العملِ إلا ما كانَ لله خالصًا.

والإخلاصُ: أن تعملَ العملَ لا تريدُ به إلا وجهَ اللهِ[٣].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ١١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٤٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٢٦، ٨٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠١، ٥٠٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٢٩).

(٣) راجع محاضرة «كيف تكون مخلصًا؟» في شريطين.

٦ ـ ومن علامات صحة القلب: أن يتحسرَ لفوات طاعةٍ؛ لأنه يعلمُ أن الطاعةَ الواحدةَ أعظمُ من الدنيَا بأسرهَا؛ لأن الدنيَا زائلَةٌ، أما ما عندَ الله فلا يزولُ ولا يفنىٰ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

فلو أن تاجراً يبيع ويشتري طوال يومه ليربح دراهم معدودة فإذا بصفقة قد ضاعت منه كان سيشتريها بألفٍ ويربح فيها سبعة وعشرين ألفًا، ولا يستغرق ذلك إلا ساعة من نهار . . . فكم تراه حزينًا أسيفًا علىٰ تضييع هذه الصفقة.

فصاحبُ القلبِ السليمِ يتألمُ إذا ضاعتْ منه صلاةُ الجماعةِ أشدَّ من ألم هذا التاجرِ علىٰ تلكَ الصفقةِ.

٧ ـ ومن علامات صحة القلبِ: أن يصبحَ ويمسي وهمُّه الآخرةَ؛ لأن الآخرةَ قد سيطرتْ علىٰ قلبِه، فهوَ يفكرُ ماذَا سيصنعُ في قبرِه؟ وكيفَ سيكونُ حالُه في حشرِه ونشرِه؟ وكيفَ يُرضِي ربه؟ ورغمَ ذلكَ يكفيه اللهُ مؤنةَ الدنيَا فيرزقهُ من حيثِ لا يحتسبْ ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ت: وحسنه: «**من أصبحَ وهمُّه الدنيَا شتَّتَ اللهُ شملَهُ، وجعلَ فقرَه بينَ عينيه، ولم يأته من الدنيَا إلا ماَ قُدرَ له، ومَن أصبحَ وهمُّه الآخرةَ، جمعَ اللهُ له شملَهُ، وجعلَ غنَاه في قلبِه، وأتتهُ الدنيَا وهيَ راغمَةٌ**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٩٤٩، ٩٥٠).

(٣٧)

أثرُ الصدقاتِ في تقوية الإيمان

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي





أولاً: فضلُ الصدقات.

ثانيًا: شروطُ قَبول الصدقة.

ثالثًا: صدقاتُ الفقراء.





أثر الصدقات في تقوية الإيمان



بعدَ الحمدِ والثناءِ . . .

إخوةَ الإسلامِ :

١ ـ الإيمانُ يزيدُ وينقصُ:

من عـقـيـدةِ أهلِ السنةِ : أن الإيمانَ يزيدُ وينقصُ ، يزيدُ بالطاعـاتِ ، وينقُص بالمعاصِي والسيئاتِ .

قالَ تعالىٰ : ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر : ٣٠] .

وقالَ سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] .

فإذا وجدَ الإنسانُ في إيمانِه نقصًا ، وفي نشاطِه فتوراً سارَعَ بتقويةِ إيمانِه بالزيادةِ في الطاعاتِ ، والمسارعةِ في الحسناتِ .

فيكثر من صلاة النوافلِ لاسيما قيامَ الليلِ .

ويكثر من صيامِ النوافلِ كالإثنينِ والخميسِ .

ويكثرَ من الذكرِ وتلاوةِ القرآنِ .

ويهتم ببر الوالدينِ وصلةِ الأرحامِ .

ونحو ذلك مما يقوي الإيمانَ ، ويُقرِّب العبدَ من الرحمنِ .

ومن هنا جعلتُ عنوانَ هذه الخطبةِ : «أثرُ الصدقاتِ في تقويةِ الإيمانِ» .

وسوفَ نتناولُ فيها ثلاثةَ أمورٍ:

١ ـ فضلُ الصدقاتِ.

٢ ـ شروطُ قبولِ الصدقةِ.

٣ ـ صدقاتُ الفقراءِ.

أولاً: فضل الصدقات

١ ـ الصدقةُ دليلٌ على صدقِ الإيمانِ:

روىٰ مسلمٌ في «صحيحه» عن أبي مالكٍ الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «الطُّهورُ شطرُ الإيمانِ، والحمدُ لله تملأ الميزانَ، وسبحانَ الله والحمدُ لله تملآنِ ما بينَ السماء والأرضِ، والصلاةُ نور، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآنُ حُجةٌ لكَ، أو عليكَ، كلُّ الناسِ يغدو؛ فبائعٌ نفسَهُ فمعتقُها، أو موبقُها»[١].

«الصدقةُ برهانٌ»: أي: دليلٌ واضحٌ علىٰ صدقِ الإيمانِ.

لأنه حينمَا أنفقَ في سبيلِ الله جزءًا اقتطعَهُ من مالِه علمَ يقينًا أن اللهَ سيثيبُه عليه في الآخرةِ، فدلَّ ذلكَ علىٰ صدقِ إيمانِه.

ولقد تصدق عمرُ بنصفِ مالِه، وأبو بكرٍ بمالِه كلِّه[٢].

٢ ـ إن الله يُخلفُ على المتصدق في الدنيا قبل الآخرة:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (٢٢١٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي (١٦٦٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٤٠، ١٥٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ١٨١)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٦٧٥).

قال القاسمي: ﴿يُخْلِفُهُ﴾: يعوضه.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «**قالَ اللهُ تباركَ وتعَالى: يابن آدم، أَنفِق أُنفِق عليكَ**»(١).

ولقد وزعَ عثمانُ ـ رضي الله عنه ـ قافلةً ألفَ بعيرٍ، محملة بالبُرِّ، والزيت، والدقيق على فقراءِ المدينةِ، وأبى أن يبيعَها للتجارِ بربحٍ كبير(٢).

٣ ـ أيها المسلمُ، تصدق بعشرة تأخذْ سبعةَ آلافٍ:

نعم... تاجر مع الله تربح كثيراً:

ادفع واحداً تربح سبعمائة.

ادفع عشراً تربح سبعة آلاف.

ادفع مائةً تربح سبعين ألفًا.

ادفع ألفًا تربح سبعمائةَ ألفٍ.

ما الدليل على ذلك؟

الدليل قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣)، والترمذي (٣٠٤٥)، وابن ماجة (١٩٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٥)، والبغوي (١٦٥٦).

(٢) «الدر المنضود» (٦٦) نقلاً عن «صلاح الأمة» (٢/ ٥٢٧).

أي: إنَّ الربحَ لا يتوقفُ عندَ السبعمائة، بل قد يُضاعَفُ فوقَ ذلكَ ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وذلك بحسبِ الصدقِ والإخلاصِ والانكسارِ أثناءَ التصدقِ وبعدِه.

نكتــة: وفي تمثيلِ المتصدقينَ بالزراعِ، والصدقة بالزرعِ، فيه إشارةٌ إلىٰ أن الزارعَ إذا كان حاذقًا، والبذر جيداً، والأرض خصبةً آتىٰ الزرعُ ثماراً مضاعفةً.

وإذا انعدَم شيء من ذلكَ قلَّ الإنتاجُ بحسبِ ذلكَ.

فكذلك المتصدقُ: إذا كان مخلصًا، والصدقةُ من حلال، وقلبُ المتصدقِ يعلمُ أن المالَ مالُ الله، وأنه لا فضلَ له فيه، وإنما هو نعمةٌ من الله عليه لاختباره وابتلائه كان فضلُ الصدقةِ حينئذٍ عظيمًا.

وفيه إشارة أخرى وهي: أن الزرع يحتاج إلىٰ تعاهده بالري والسقي ومنعِ الآفاتِ والأوبئةِ من الاقترابِ منه حتَّىٰ لا تهلكَهُ، فكذلك الصدقَةُ تحتاجُ إلىٰ تعاهدهَا بالإخلاصِ، وعدم الرياءِ، والمنِّ بهَا.

فقد يتصدقُ الرجلُ بالصدقة: فيذكرُها بعدَ عشرينَ سنة، فيَمُنَّ بها فيبطلَ أجرُه، ويضيعُ ثوابُهُ.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقد يتصدق الرجلُ بالصدقة: سرًّا لا يعلمُ بذلكَ أحدٌ، ثم يذكرُ ذلكَ بعد عشرينَ سنةً، فتخرجُ مَن ديوانِ السرِّ إلىٰ ديوانِ العلانيةِ، فيقلُّ أجرُهُ.. فانتبه.

ولقد كان الصحابةُ، والتابعونَ، والعلماءُ، والصالحونَ يكثرونَ من الصَّدقةِ.

موقف أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه:

لما نزل قولُ الله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] عمدَ أبو طلحةَ إلىٰ أحبِّ أموالِه إليه، وهي (حديقةُ بَيرُحَاء) فتصدق بها كلها، فقال له رسول الله ﷺ: «**بخ، ذلك مالٌ رابحٌ، ذلكَ مالٌ رابحٌ**»، ثم أمرَه النبي ﷺ أن يقسمَها بين أقاربِه»[١].

شعبةُ بن الحجاجِ:

قال أبو داودَ: كنا عندَ شعبةَ نكتبُ ما يملي، فسألَ سائلٌ.

فقال شعبةُ: تصدقُوا، فلم يتصدقْ أحدٌ. فقال: تصدقُوا، فإن أبا إسحاقَ حدثني عن عبدِ الله بن معقلٍ عن عدي بنِ حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةَ**»[٢]، فلم يتصدق أحدٌ.

فقالَ: فإنَّ عمرو بنَ مُرةَ حدثني عن خيثمةَ عن عَدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة، فمَن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ**»[٣]، فلم

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨)، والترمذي (٢٩٩٧)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٤١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦/ ١٦٤، ١٦٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١٣، ١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦)، والنسائي (٢٥٥١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٣).

(٣) صحيح: تقدم فيما قبله.

يتصدق أحد.

فقالَ: تصدقُوا، فإنَّ مُحلاً الضَّبي حدثنِي عن عَدي بن حاتمٍ قالَ: قالَ رسـولُ الله ﷺ: «**استتروا من النارِ ولو بشقِّ تمرةٍ، فإن لم تجدُوا فبكلمةٍ طيبة**»(١)، فلم يتصدقْ أحدٌ.

فقالَ: «قومُوا عنِّي، لا حدثْتكُم ثلاثةَ أشهرٍ، ثم دخلَ منزلَه، فأخرَجَ عجينًا فأعطَاهُ السائلَ، فقالَ: خُذْ هذَا، فإنه طعَامنا اليومَ»(٢).

٤ ـ أيها المتصدقُ: إنَّ الذي يتقبَّلُ الصدقةَ منكَ هوَ اللهُ، فأنفقْ من جيدِ مالكَ.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قالَ:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**من تصدَقَ بعدْلِ تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبَلُ اللهُ إلا الطيِّبَ ـ فإنَّ اللهَ يتقبلُهَا بيمينِه، ثم يُربِّيهَا لصاحبهَا كمَا يُربي أحَدُكُم فُلُوَّه حتى تكونَ مثلَ الجبلِ**»(٣).

قال تعالىٰ: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقد صحَّحَ الحاكمُ ووافقَه الذهبيُّ عن أنسٍ أن أبَا الدحداحِ اشترَىٰ

---

(١) صحيح: تقدم فيما قبله.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٢٨)، حيث ساقه الذهبي بإسناده إليه.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، والترمذي (٦٦١)، والنسائي (٢٥٢٤)، وابن ماجة (١٨٤٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨١، ٣٨٢، ٤١٩)، والبغوي (١٦٣٢).

النخلةَ بحائطِه كله رجاءَ نخلةٍ في الجنة»[١] .

٥ ـ أغنياءُ الدنيَا هم فقراءُ الآخرةِ إلا المتصدقينَ منهم:

ففي الصحيحين أن النبيَّ ﷺ قالَ: **«يا أبَا ذَر إنَّ الأكثرينَ هم الأقَلونَ يوم القيامةِ إلا منْ قالَ هكذَا وهكذَا: حثَا بينَ يديه يمينًا وشمَالاً»**[٢].

أي: أنفق المال بكثرة في جميع طرق الخير؛ لأن الغني مؤتمن على هذا المال لينظر اللّه ماذا سيعمل به. . . اختبار من اللّه له.

وعند الدارقطني عن موسىٰ بن طلحةَ أن طلحة بن عبيدِالله أتاهُ مالٌ من حضرموتَ ـ سبعمائة ألفٍ ـ فأصبحَ فوزَّعها على المهاجرينَ والأنصارِ[٣].

٦ ـ من تصدقَ في يومٍ نزلَ مَلَكٌ من السماءِ فدعَا لهُ:

روَىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرةَ أن رسول الله ﷺ قالَ: **«ما من يومٍ يصبحُ العبادُ فيه إلا مَلَكان ينزلان، فيقولُ أحدهمَا: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٧٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٠)، وصححه ووافقه الذهبي وفي الباب عن جابر بن سمرة أخرجه مسلم (٩٦٥)، وأبو داود (٣١٧٨)، والترمذي (١٠١٤)، والنسائي (٢٠٢٥)، وأحمد (٥/ ٩٠، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٢)، وابن حبان (٧١٥٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤).

(٣) حسن: رواه الدارقطني في «المستجاد» وابن عساكر نقلاً عن «صلاح الأمة» (٢/ ٥٣٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ١٨٧).

٧ ـ الصدقات تمحو الخطيئات:

روى الترمذيُّ وحسنه، وصححهُ الحاكمُ والذهبيُّ والألبانيُّ عن كعب ابن عجرةَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الصدقةُ تُطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ**»[1].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: ١١٤].

٨ ـ الصدقةُ تطهرُ القلبَ وتزكّي النفسَ:

قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣].

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٦١٤)، وقال حسن غريب، والطبراني (١٩/ ٣٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٦٧)، وفي الباب عن معاذ أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعن أنس أخرجه ابن ماجة (٣٩٧٣)، وصححه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٤١٣).

ثانيًا: شروط قبول الصدقة

١ ـ الإخلاص:

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: رجاءَ أن يرضى الله عنهُم.

﴿تَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي أنهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك؛ لأن اللَّه وعد، واللَّه لا يخلف وعدَه.

﴿جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾: حديقةٍ في مكانٍ مرتفعٍ.

﴿وَابِلٌ﴾: المطر الشديد.

﴿فَطَلٌّ﴾: الطلُّ هو الرزازُ.

أي: إنها متعرضةٌ للسُّقيا في الصيف والشتاء، ولذلك فهي تؤتي ثمارًا مضاعَفةً، كذلك صدقة المسلم إذا كان مخلِصًا.

وروى النسائي، وحسنه الألباني عن أبي أمامةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبلُ من العملِ إلا ما كَانَ خَالِصًا وابتُغيَ به وجهُه»(١).

(١) حسن: أخرجه النسائي (٣١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٧٦٢٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٥٦)، و«الصحيحة» (٥٢).

فلا تُقبلُ الصدقةُ ولا غيرُها من الأعمال إلا إذا كانت خالصةً لوجهِ اللهِ تعالىٰ.

وهذا زينُ العابدينَ - رضي الله عنه - كان يحملُ الصدقاتِ علىٰ ظهرِهِ في ظلمةِ الليلِ إلىٰ بيوتاتِ الفقراءِ في المدينةِ النبويةِ حتىٰ لا يعرفهُ أحدٌ، ويقول: «إنَّ صدقةَ السرِّ تطفئُ غضبَ الربِّ».

٢ ـ عدم المنِّ أو إيذاء المتصدَّق عليه:

من الناسِ من يمنُّ بصدقته، ويؤذِي المتصدقَ عليه بذلكَ، لا سيمَا إذا حدثَ بينه وبينه خصومةٌ، فحينهَا يقولُ: انظروا إلىٰ هذا الذي كنت أتصدقُ عليه يفعلُ ويفعلُ، فيُبطلُ أجرَ صدقتِه.

قال تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٣ ـ الكسب الحلال:

فمن تصدقَ بمالٍ حرامٍ لا يُقبلُ منه؛ لأنه لا يملكُهُ، ولا يجوزُ للإنسان أن يتصرف في ملك غيره.

ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إن الله طيبٌ، لا يقبلُ إلا طيبًا**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٨)، وعبد الرزاق (٨٨٣٩)، والدارمي (٢٧١٧).

وفي «الصحيحين» عنه أيضًا مرفوعًا: «من تصدق بِعَدْلِ تمرةٍ مِن كسبٍ طَيبٍ - ولا يقبلُ اللهُ إلا الطيبَ - فإن اللهَ يَتقبلها بيمينه...»[1] الحديث.

ثالثًا: صدقات الفقراء:

حينما نتكلمُ عن فضلِ الصدقة يقول بعضُ الناسِ: هذا خاصٌّ بالأغنياءِ أصحاب الملايينِ، أو الألوفِ، أما نحن فغير مخاطبينَ بذلكَ.

وهذا خطأ، فإن المسلمَ ينبغِي له أن يشاركَ في كل طاعةٍ، ولا يحرم نفسه من خيرٍ، ولو بالقليل.

لأن الله تباركَ وتعالىٰ يريدُ أن يراكَ وأنتَ تتصدقُ ولو بالقليلِ، ولا يكلِّف الله نفسًا إلا ما آتاها.

اكتب نفسَكَ في ديوان المتصدقينَ:

إن الملائكة تصعد إلىٰ ربها كل يوم بأسماء المتصدقين، فاكتب نفسك معهم، ولو أن تتصدقَ كل يوم بدرهمٍ أو بأقلٍّ من ذلكَ، ولو بطعام أو ثياب أو نحوها.

وكان بعضهم يتصدق كل يوم بصدقة، فإن لم يجد تصدق برغيف خبز.

وفي يوم بحثَ فلم يجد في البيتِ شيئًا، فتصدق ببصَلةٍ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، والترمذي (٦٦١)، والنسائي (٢٥٢٤)، وابن ماجة (١٨٤٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨١، ٣٨٢، ٤١٩، ٥٣٨)، وابن حبان (٣٣١٦).

فرآه رجل، فقال: ما هذا؟ بصلة؟!

قال ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فكم في هذه البصلة من ذرات؟!!

أبواب للصدقات أيها الفقراء:

أيها الفقيرُ، إن لم تجد ما تتصدقُ به، فتصدقْ بثوبكَ القديمِ إذا اشتريتَ ثوبًا جديدًا.

وإذا اشتريتَ نعلاً جديداً فتصدق بالقديمِ.

إذا طبختَ طبيخًا فتصدق ببعضِه.. ولا تحرم نفسكَ من ثوابِها.

إذا حلبتَ بقرتكَ فتصدقْ ببعضِ لبنها.

إذا قطفتَ ثمارَ أرضكَ فتصدقْ ببعضِه.

أيهَا الطالبُ، تصدقْ بكتبِكَ القديمةِ.

إذا لم تجد فتصدق بجهدكَ وصحتكَ، فأعِن عاجزًا، أو أرشدْ أعمى، أو ارفع مع محتاج.

أبوابٌ من الصدقاتِ في متناولِ الفقراءَ:

في «الصحيحين» عن أبي هريرةَ أن فقراءَ المهاجرينَ أتوا الرسولَ فقالوا: «ذهبَ أهلُ الدثور بالدرجاتِ العلى والنعيمِ المقيمِ، يصلونَ كمَا نصلي، ويصومُونَ كمَا نصومِ، ولهم فضلٌ من أموالِ، يحجون ويعتمرونَ، ويجاهدُونَ، ويتصدقُونَ».

فقال: «ألا أعلمكُم شيئًا تدركونَ به من سبقكُم، وتسبقُونَ به من بعدَكُم، ولا يكُونُ أحدٌ أفضَلَ منكُم إلا من صنعَ مثلَ مَا صنعتُم؟».

قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ.

قال: «تسبِّحون، وتَحْمَدُونَ، وتكبِّرونَ خلفَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ...»[1].

نوع آخر من الصدقة:

إذا لم تستطع أن تتصدقَ، فسبِّح، أو هلِّل، أو كبِّر، أو احمد، بعددِ الأموالِ التي كنت تتمنى أن تتصدق بها يكتب ذلك لك صدقات.

ففي «صحيح مسلم» عن أبي ذرٍّ مرفوعًا: «يصبحُ على كل سُلامَى من أحدكمُ صدقةٌ، فكل تسبيحة صدقةٌ، وكلُّ تحميدة صدقةٌ، وكل تهليلة صدقةٌ، وكلُّ تكبيرة صدقةٌ، وأمرٌ بمعروفٍ صدقةٌ، ونهيٌ عن منكرٍ صدقةٌ، وتجزئُ من ذلكَ ركعتانِ يركعهمَا من الضحَى»[2].

أيُّهَا الفَقيرُ اشتَرِ جَمَلاً، واذْبحهُ، وتَصَدَّق به عَلَى الفُقَرَاء:
ولَكِن كيفَ ذلكَ؟ ومِن أينَ ثمنُهُ وهُو غَالي الثمَن؟!!
إن لم تستطع فبقرةٌ، وإن لم تستطع فكبشًا.
أنت تملكُ ثمنَه...!!

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥) وابن حبان في «صحيحه» (٢٠١٤)، والبيهقي (٢/ ١٨٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧٢٠)، وأبو داود (١٢٨٥، ١٢٨٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٢٢٥).

تأتي إلى صلاةِ الجمعةِ مبكراً.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرةَ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال:

«من اغتسلَ يومَ الجمعةِ غُسلَ الجنابةِ، ثم راحَ في الساعةِ الأولَى فكأنمَا قرَّب بدنةً، ومن راحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرَّب بقرةً، ومن راحَ في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راحَ في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قرَّب دَجَاجةً، ومن راحَ في الساعةِ الخامسة فكأنما قرَّب بيضةً، فإذا خرج الإمامُ حضرتِ الملائكةُ يستمعونَ الذكرَ»(١).

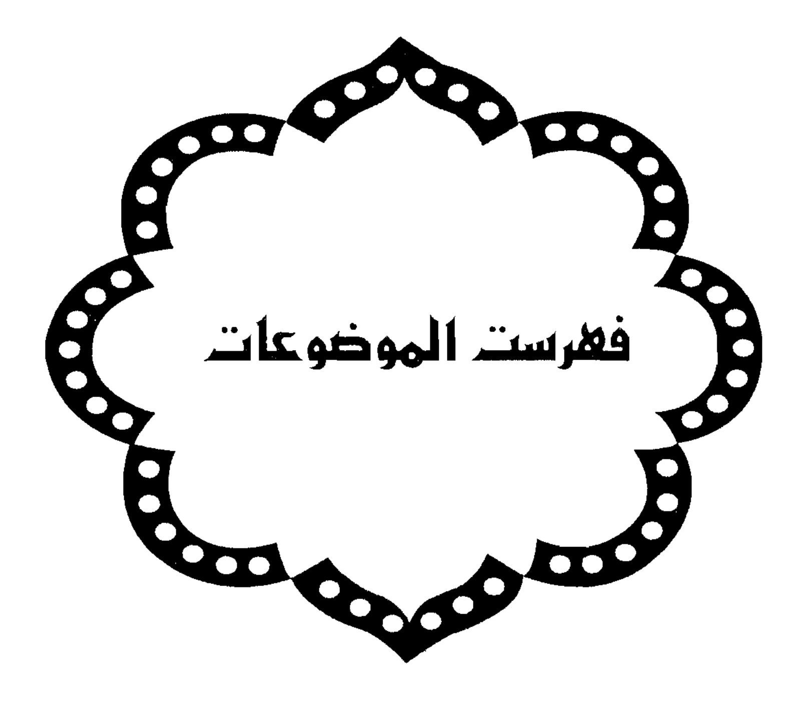
جعلنا اللهُ وإياكُم من الذينَ يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنَهُ.

... الدُّعاء.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠)، وأبو داود (٥٣١)، والترمذي (٤٩٩)، والنسائي (١٣٨٤، ١٣٨٥)، وابن ماجة (١٠٩٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٠)، وابن حبان (٢٧٧٥).

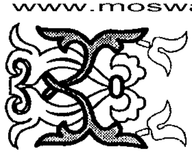




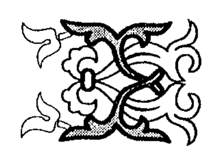
فهرست الموضوعات







فهرست الموضوعات



الموضوع	الصفحة





المبتكرات
في الخطب والمحاضرات

تأليف
وحيد عبد السلام بالي

دار ابن رجب

دار ابن رجب
للنشر والتوزيع

فارسكور ت : ٠٥٧٤٤١٥٥٠ /٠٠٢
المنصورة ت : ٠٥٠٢٣١٢٠٦٨/٠٠٢
جوال ت : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢/٠٠٢